الإمام محمد المنصور والتدخل العثماني في اليمن

١٣٠٧ - ١٣٢٢هـ / ١٨٨٩ - ١٩٠٤م

سيرة الإمام

محمد بن يحيى حميد الدين

المسماة

بالدر المنثور في سيرة الإمام المنصور

تأليف المؤرخ العلامة

علي بن عبد الله الإرياني

المتوفى عام ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م

دراسة وتحقيق

الأستاذ الدكتور محمد عيسى صالحية

جامعة اليرموك

مؤسسة الرسالة

دار البشير

سيرة الإمام محمد بن يحيى حميد الدين

المسمّاة

بالدر المنثور في سيرة الإمام المنصور

الطَّبْعَة الأولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٣١١/١٠/١٩٩٦)

رقم التصنيف	٩٥٦ر٧١٠١
المؤلف ومن هو في حكمه	علي بن عبدالله الارياني
	تحقيق محمد عيسى صالحية
عنوان المصنف	سيرة الإمام محمد بن يحيى حميد الدين
	المسماة بالدر المنثور في سيرة الإمام المنصور
الموضوع الرئيسي	١- التاريخ والجغرافيا
	٢- اليمن-عهد الائمة
رقم الإيداع	(١٣١١/١٠/١٩٩٦)
بيانات النشر	عمان : دار البشير

* تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

دار البشير

ص.ب (١٨٢٠٧٧) / (١٨٣٩٨٢)
هـاتف: (٦٥٩٨٩١) / (٦٥٩٨٩٢)
فـاكس : (٦٥٩٨٩٣) تـلكس (٢٣٧٠٨) بشـير
مركـز جوهـرة القـدس التجـاري / العبـدلي
عـمان - الأردن

Dar Al-Bashir
For Publishing & Distribution
Tel: (659891) / (659892)
Fax: (659893) / Tlx. (23708) Bashir
P.O.Box. (182077) / (183982)
Jerusalem Jewel Trade center Al-Abdali
Amman - Jordan

الإمام محمد المنصور والدخل العثماني في اليمن
١٣٠٧ - ١٣٢٢هـ / ١٨٨٩ - ١٩٠٤م

سيرة الإمام محمد بن يحيى حميد الدين

المسماة

بالدر المنثور في سيرة الإمام المنصور

لمؤلفه المؤرخ العلامة

علي بن عبد الله الإرياني

المتوفى عام ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م

دراسة وتحقيق

الأستاذ الدكتور محمد عيسى صالحية
جامعة اليرموك

الجزء الثاني

دار البشير

بسم الله الرحمن الرحيم

حوادث سنة ١٣١٦

الحمدُ للهِ مصرِّفِ الدهورِ، ومدبِّرِ الأُمورِ على وفقِ حكمتِهِ، العالِم بما تُكِنُّهُ الصدورُ، لا يُغادِرُهُ شيءٌ من خَلْقِهِ[١]، أحمَدُه حمدَ معترفٍ بالتقصير والقصورِ، وأشكُرُه على إنعامِهِ، الذي ليسَ بمقطوعٍ ولا محصورٍ، والصلاةُ والسـلامُ على سيِّدِنـا محمـدِ بنِ عبـدِالله النبيِّ المشهـور، صاحبِ اللواءِ المنشورِ، صلّى اللهُ عليه، وعلى آلِ بيتِهِ المعمورِ. أما بعد،

فلمـا كانت الوقائعُ الحادثةُ في سنة ١٣١٦ حقيقةً بأنْ تُفْرَدَ بالتأليفِ، وتُجْمَعَ في التَّصْنيفِ، رأيتُ أنْ أُفرِدَها في هٰذه الكراريسِ بلفظٍ يفعلُ في الأسماعِ فِعلَ الخندريس[1].

إعلمْ، أنهـا دخلت سنـةُ ستةَ عشرَ وثلاثِ مئةٍ وألف، وقد اشتدَّ على النـاسِ البـلاءُ، وعـظُمَ القحطُ والغلاءُ، وعمَّ جميعَ الأَقطارِ هٰذا الابتلاءُ،

---

(1) الخندريس: الخمر القديمة. انظر، لسان العرب، ـ مادة خندرس.

---

(١) في أ، م: خليقته.

فارتفَعَت الأسعارُ حتى بلغَ السعرُ في بعضِ البلادِ إلى ستّةِ أنفارٍ، وغلا كُلُّ شيءٍ، وظهرَ الفسادُ في البرِّ والبحرِ بما كسبتْ أيدي الناسِ، ﴿وما أصابكُمْ من مصيبةٍ فبما كسبتْ أيديكم ويعفو عن كثيرٍ﴾(1)، وإنما يكونُ تتابعُ القحطِ والسنينِ عقوبةً وزجْراً للظالمين والمقصرين عن نصرةِ الحقِّ المبين، بعدَ قيامِ الحجةِ ووضوحِ المحَجّةِ، كما كان ذٰلك سُنَّةَ اللهِ في الأممِ السابقين.

وقد حكى اللهُ تعالى في كتابِه، قال اللهُ تعالى: ﴿ولو أنَّ أهلَ القرى آمنوا واتّقوا لفتحنا عليهم بركاتٍ من السماءِ والأرضِ، ولكنْ كذَّبوا فأخذناهم بما كانـوا يكسبون﴾(2). وقال اللهُ تعالى: ﴿وكذٰلك أخذنا آلَ فرعونَ بالسنين، ونقصٍ من الثمراتِ لعلّهم يرجعون﴾(3)، فهٰذه سنّةُ اللهِ التي خَلَتْ في عبادِه، ولن تجدَ لسُنةِ اللهِ تبديلا، ولن تجدَ لسنةِ اللهِ تحويلاً.

وما زالت هٰذه السنةُ قائمةً في أئمةِ الحقِّ ودعاةِ الدين، إذا لم يُظاهروا على القيامِ بما يُحبُّ ربُّ العالمين، إذْ هم وَرَثَةُ المُرْسَلين، وإنَّ الناسَ لما صَمُّوا عن إجابةِ داعي الهُدى، وعَمُوا عن القيامِ بما يحبُّ اللهُ الذي لم يتخذْ
٦٠ ب صاحبةً ولا وَلدا، فلم يُنْكروا منكراً، ولا أمروا بمعروفٍ ولا نَهَوْا عن مُنْكرٍ / بينَ الورى بل صارَ الأهمَّ المقدَّمَ عند الخاصِّ والعامّ جمعُ الحطامِ كأنه الأمرُ الذي خُلِقَ لأجلِهِ الأنامُ، والبدُّ اللازمُ الذي يجب به الاهتمامُ حتى عظُمَ

---

(1) الشورى: ٣٠.
(2) الأعراف: ٩٦.
(3) الأعراف: ١٣٠.

الخطبُ وعمّ[1]، وصارَ طلبُ الحقِّ غربةً عندَ جميعِ الأممِ، وتسلَّطَ عليهم أعلاجُ العجمِ، وما ربُّك بظلّامٍ للعبيدِ.

واعلمْ أنَّ أوّلَ الحوادثِ المخرجُ العظيمُ الذي قُصِدَ به محلُّ ولايةِ العجمِ، صنعاءُ اليمن

ذكرُ المخرجِ المذكورِ لقصدِ محاصرةِ العجمِ، ومضايقتهم في مدينةِ صنعاءَ، وصفتها:

أنّه في المحرّم مِفتاحِ السنةِ المذكورةِ، كتبَ إلى حضرةِ الإمامِ ـ عليه السلامُ ـ قبائلُ حاشدٍ وبَكيل يطلبون منهُ أنْ يجهّزَهم لجهادِ العجمِ، وأعلنوا أنهم يريدون بذلك إرضاءَ الرَّبِّ الأكرمِ، فأسعدَ لهم الإمامُ ـ عليه السلام ـ فيما أرادوه خشيةً من الوقوعِ في التقصيرِ، فيما يلزمُ، ومعَ ذلك، فإنّه ـ عليه السلامُ ـ في مقاصدِهم يتوسَّمُ، وأنهم يُسِرّون[2] ما لا يُعْلنون، وأنّه لم يكنْ لأولئك الأقوام نِيّةٌ خالصةٌ في تحصيلِ المرامِ إلّا في جمعِ الحُطامِ، فلا حولَ ولا قوةَ إلّا بالله.

ولما أَلَحُّوا على الإمامِ ـ عليه السلامُ ـ جهَّزَ المقادِمةَ، وأرسلَ الوكلاءَ لتقسيمِ المصروفِ بين أولئك الملأِ، وجعلَ القومَ على رايتين: رايةٍ لحاشد ورايةٍ لبكيل، وجعلَ المقدّمي على حاشدٍ سيدي العلامةَ الماجدَ صفيَّ

---

(١) في م: وطم.

(٢) في م: ليسرون.

الإسلام ، أحمدَ(1) بنَ قاسمٍ حميدَ الدين، وعلى بَكيل السَّيِّدَ الهمامَ ذي المجدِ الأثيلِ سيفَ الإسلام، محمدَ(2) بنَ المتوكلِ على الله ـ عليه السلام ـ.

فأما حاشدٌ، فاجتمعت إلى خَمِرَ(3) يومَ الأحدِ، ثامنَ شهرِ محرم الحرامِ ، وارتحلوا منها يومَ الإثنين، وحُصِروا، فكانوا إحدى عشرةَ مئةً من دونِ رؤسائِهِمْ، وكان مبيتُهم من هنالكَ في هجرةِ الصَّيَد(4) ليستلحقوا رجالَ خارِف.

وبعدَ أنْ اجتمعتْ رجالُ حاشدٍ بمَنِ انضافَ إليها من سُفيانَ، ارتحلوا حتى وصلوا إلى تحتِ قرية ناعط، وكانوا حينئذٍ فوقَ عشرين مئةً، وباتوا في هِزَمٍ ، ثم ارتحلوا عنها إلى رَقَّة(5) هَمْدَان، وانضافتْ إليهم هنالك رجالُ هَمْدَانَ، فصارَ قدرُ الجميعِ حينئذٍ أربعةَ آلافٍ أو يزيدون، وصلّى بهم صفيُّ

(1) أحمد بن قاسم بن عبدالله حميد الدين، ت١٣٥٣هـ/١٩٣٤م، انظر «نزهة النظر» ١٢٠، «تحفة الإخوان» ٥٢، «شرح أجود المسلسلات» ٣٤.

(2) محمد بن المتوكل على الله محسن بن أحمد بن محمد، من ذرية الإمام المتوكل على الله المطهر بن يحيى، ت١٣٥٣هـ/١٩٣٤م، انظر «نزهة النظر» ٥٧٤.

(3) خَمِرْ: بلدة في حاشد، وهي مركز بني صُرَيْم ومن اليهم من بلاد حاشد، وخَمْر الحالية شرق المدينة القديمة. انظر «الإكليل» ٨/١٦١، «نشر العرف» ٢/٧٨٠، «معجم المقحفي» ٢١٩، «معالم الآثار» ٦٧.

(4) هجرة الصَّيد: بلاد قيل من حاشد بالشرق من رَيْدَة، انظر «اليمن الكبرى» ١٧٩، «صفة جزيرة العرب» ١٢٣، «صفحات مجهولة» ٩٩.

(5) الرقّة: قرية من بلاد همدان، بالقرب من ثلا، ينسب إليها بنو الرَّقي، انظر «معجم المقحفي» ٢٧٢، «أئمة اليمن» ٢٥٤.

الإسلامِ الجمعةَ، في رقّة همدان، ووعظَهُمْ وذكّرَهُمْ نِعَمَ الرحمنِ، وأَمَرَهُمْ بالـطاعـةِ، ونهاهم عن الفشلِ والعِصيانِ، ونُشِرَتِ الراياتُ ومَضَتِ الجيوشُ طريقَ ضَوْضانَ(1)، وباتتْ متفرِّقةً في قرى هَمْدَان.

وفي اليوم الثاني، ارتحلوا وباتوا في الدُّمِّم(2)، وفي مَسَيِّب(3) إلى أثناءِ الليلِ ، ووصلَ الخبرُ إلى أولئكَ العسكرِ، أنَّ عفشَ الوالي الجديدَ حسينَ حلمي(4) في مَتْنَة، وأنه سيلقاه جماعةٌ من العجمِ الذين في صنعاءَ إليها، فطمعَ القومُ في ذٰلك، وحسِبوا أنهم سينالون ذٰلك غنيمةً بلا محنةٍ، فسرى القومُ ليلاً لأخذِ ذٰلك المتاع ، ومصارعُ العقولِ تحتَ بروقِ الأطماع ، فلمّا وصلوا إلى مَتْنَة(5) عجَّل بعضُ القَومِ ، فرمى بندقاً قبلَ أن يتمكنوا من المرادِ، وإنه لمِنَ الأَوْغاد، وكانت العجمُ حينئذٍ خارجَ القشلةِ يصيدون الجرادَ، فلما

---

(1) ضوضان: في وادعة همدان، شمال صنعاء، انظر «الإكليل» ٨/١٩٠.

(2) الدُّمِّم: قرية من بلاد همدان، أعلى وادي ضهر، انظر «صفة جزيرة العرب» ٢٩٠، «الإكليل» ٢/٣٦٦.

(3) مَسْيَب: قرية مشهورة من قرى البستان غرب صنعاء، من مخلاف بني الراعي، فيها آثار سدود، ومنه ثلاث غيول تنصب إلى الساقية العظيمة التي كانت تجتمع فيها مياه غيل السر، وغيل رحابة وتمرّ من عدة محلات إلى قصر جاز من بلاد همدان. انظر «صفحات مجهولة» ٣١، «معالم الآثار» ٣٦، «الإكليل» ٢/٣٥٥، «صفة جزيرة العرب» ١٥٧.

(4) حسين حلمي باشا: والٍ تركي وصف بأنه كان عادلاً. ولعل تظاهره بالعدالة كان محاولة لتحسين صورة الولاة عند اليمنيين. انظر «تاريخ اليمن» الواسعي ١٧٥ـ١٧٨.

(5) مَتْنَة: قرية غربي صنعاء في حقل سُهْمَان من ناحية بني مطر. انظر «صفحات مجهولة» ٥٤، «معجم المقحفي» ٥٥٧، «التعداد» صنعاء ١/٨٤.

سمعوا صوتَ البنادقِ أسرعوا إلى الدخولِ، وحصّنوا المراتبَ، فخابَ ذُلك المأمولُ، وتبيَّنَ الظنُّ الكاذبُ، ودارتِ الحربُ فيما بينَ العربِ والعجمِ أربعةَ أيامٍ على التّمامِ، حتى غارَ أحمد فيضي بمنْ معه من صنعاءَ، وقدْ ضاقَ
٦١أ بهم ذرعاً، وطلعَ الوالي الجديدُ من مَناخَةَ إلى أنْ وصَل الخُمَيِّسَ(1) / وفي الليلِ عَزَمت(١) العجمُ بأجمعِهِم فارتفعت العربُ من القَذَفِ(2)، وفي اللهِ عنْ كلِّ فائتٍ خلفٌ.

ودخلت العجمُ صنعاءَ في الليلِ صحبةَ الوالي والمشير، وظهرَ حينئذٍ شؤمُ ذُلك التدبيرِ، وقُتِلَ من العربِ عشرةُ قُتول، ومن العجمِ كثيرٌ نحوَ الأربعين.

وعزمت الأجنادُ بعدَ ذُلك بلادَ هَمْدَان، وباتوا في أكمةِ الخيارية . وفي الصباحِ ظهرتِ النّيةُ الكامنةُ، فتفرَّقَتْ تلك الجموعُ، ولم يبقَ إلا اليسيرُ، وفوقَ تدبيرِنا للهِ تدبيرٌ.

ثم إن صفيَّ الإسلامِ عزمَ بِمَنْ بقيَ معه إلى الرَّقةِ، وفي أثناءِ اللّيلِ لحِقَهُ عزُّ الإسلامِ، واجتمعا في الحطّاب(3)، وبعدَ المراجعةِ أجمعوا على أنْ

(1) الخُمَّيس: أي سوق الخميس، ويرجح أنه خميس بني سعد، وهو السوق الشهير الذي يقع حالياً على الطريق الموصوف بين صنعاء والحديدة، وهو يتبع قضاء حراز التابع للواء صنعاء. انظر «اليمن الكبرى» ٢-٦.

(2) القَذَف: عُزلة من ناحية جبل الشِرق بقضاء آنس، والقَذَف من بلاد حضور، انظر، معجم المقحفي، ٥٠٩، «طبق الحلوى» ٢٣٦، ٣٥٧.

(3) الحَطّاب: قرية شمالي صنعاء من أعمال هَمْدان، انظر «صفحات مجهولة» ٩٧، «معجم المقحفى» ١٨١.

(١) في ع: أرتفعت.

يعزموا إلى الحَيْمةِ، فعزَموا من الحطّابِ، وباتوا في قَريةِ الغيل(2)، واجتمعت القومُ إلى نُوسان(1) وعزَموا صحبةَ عزِّ الإسلامِ، وباتوا في دربِ هِزَم، وانقطعَ عليهم الماءُ حتى بذَلوا في الغربِ(3) ريالاً فلم يوجدْ، فأنزَلَ اللهُ المطرَ في تلك الساعةِ، فكانَ ذٰلك معدوداً من كراماتِ إمامِ الجماعةِ، هٰذا ما كان من خبرِ حاشدٍ ومَن انضافَ إليهم.

وأما بَكيل فاجتمعوا صحبةَ مقدّميهم عزِّ الإسلامِ الأسد الضرغام، وكان اجتماعُهم إلى رِجَام(4)، وحضرَ هناك نحوُ أربعين مئةً، وتفرَّقت الراياتُ في الغِـراسِ(5)، وعـزمتِ الأجنادُ قاصدين الرَّوْضةَ، والتقاهم عُقّالُ الروضةِ في

---

(1) الغيل: الغيلُ عدة مواقع في اليمن، منها قرية في حاشد تعرف بغيل مغدف، والغيل الأسود، مجرى مائي كان يشق صنعاء ليسقي ضواحيها الشمالية، كان ينبع من القاع بين قرية الجرداء غرباً وقرية بيت سَبَطان شرقاً، وغيل البرمكي، مجرى مائي تسقي القاع الشمالي لصنعاء، مأتاه من قرية بيت عُقَيب وقرية غيمان شرقي صنعاء، نسبته إلى خالد البرمكي الذي استخرجه لما ولي صنعاء للرشيد، سنة ١٨٣هـ، انظر «صفة جزيرة العرب» ١٦٣، «اليمن الكبرى» ٦١، وغيل ضهر، شمال صنعاء بنحو ١٥كم، أصله من ريعان، يسقي وادي ضهر وقرية القابل، انظر «تاريخ صنعاء» للرازي ٥٦٩.

(2) نُوسان: عُزلة من ناحية كُحْلان الشرف، بالشرق الشمالي من حجة بمسافة ٢٤كم، ومـوقعهـا في قمـة جبل يحمل اسمها، انظر «صفة جزيرة العرب» ١٨٠، «معجم المقحفي» ٦٦٨.

(3) الغَرْب: دلو الماء، أو الراوية التي يحمل فيها الماء، والغرب: دلو عظيمة. انظر «لسان العرب» ـ مادة: غرب ـ.

(4) رِجام: وادٍ من ناحية بني حشيش بالشمال الشرقي من صنعاء بمسافة ١٧كم، انظر «اليمن الكبرى» ٧٢، «معجم المقحفي» ٢٦٣، «أئمة الين» ٢٥١.

(5) الغِراس: تتبع ناحية بني حبيش في بني الحارث التابعة لقضاء صنعاء، انظر «اليمن =

شرقي البلدِ، وتراجعوا وتفرّقوا ولمْ يُضْبَطُوا على ضابطٍ، ولا رَبطوا أمورَهُمْ برابطٍ، فأمرَ القومُ عزُّ الإسلام بالقدومِ، فلما دخلوا الرَّوْضةَ لم يَسْعَدْ لهم أحدٌ بفتحِ بابِهِ، فضربوا الأبوابَ بالفؤوسِ والأحجارِ، ودخلوها بالكُرْهِ والإجبارِ.

ثم قصدوا بيتَ الشيخِ مقبل بنِ صالح دُغَيش، شيخِ بني الحارث، فأظهرَ الخلافَ، وأضرَمَ نارَ الحربِ، حتى قُتلَ ثلاثةٌ من أرحب. فأحاطَ به الأجنادُ من الجهاتِ الأربعِ، وأحرقوا بابَ الدائرِ، فنادى بالسِّلمِ حيثُ لا ينفعُ، وقد كانوا قبلَ الاقتدارِ عليه خيَّروه بثلاثٍ فأبى إلا إضرامَ النارِ، فلما خرجَ إليهم سارعوا إلى ما في بيتِهِ من الخيلِ والأثاثِ والحبوبِ، فكانَ الجميعُ من المنهوبِ. وأوْصلوا الشيخَ الظلّامَ إلى حضرةِ الإمامِ، وكذلك الخيلَ، وكان الشيخُ المذكورُ شديدَ الميلِ إلى العجمِ، متجاسراً على ظلمِ الضعفاءِ، مُنحرِفاً عن الحقِّ الداعي إليه إمامُ الحنفاءِ، وبعدَ القبضِ عليه، ومَنْ صحِبَهُ من أعوانِ العجمِ، صارَ يُعدُّ فتحاً في الإسلام، وفَرَجاً على الضُّعَفاءِ والأيتامِ، ومطابقاً لإرادةِ المَلِكِ العَلّامِ، ولمْ يَزَلِ الإمامُ ـ حفظهُ اللهُ ـ يتطلّبُهُ سابقاً بالفتكِ بهِ والقبضِ عليه، لَمّا قدَّمْناه من الإشارةِ إليه لما عظُمَ ضَرَرُهُ على المسلمين.

وها هنا مسألةٌ يجبُ الوقوفُ عليها، لنعلمَ أنَّ الإمامَ مُسَدَّدٌ من المَلِكِ العَلّامِ عن الخطإ، فيما يأمرُ به مِن المسائلِ والأحكامِ، وهي مسألةُ جوازِ قتلِ المُضِرِّ من الآدميين كيفَ ما أمكنَ. ورُبَّما يستنكرُ هٰذا مَنْ لمْ يَكُنْ لهُ

= الكبرى» ٧٢، «تاريخ اليمن الثقافي» ٢/١٠٨.

في الفقهِ قَدَمٌ، بل هو أجهلُ من راعي غنمٍ. فإنَّ هٰذه المسألةَ مُجْمَعٌ عليها بينَ المسلمين، لم يخالِفْ فيها أحدٌ من العلماءِ العاملين، أعني جوازَ قتلِ المُضِرِّ من الآوادِمِ، ومن أعظمِ المُضِرِّين أعوانُ الظَّلَمةِ، فيجوزُ الفتكُ بهم كيفَ ما أمكنَ ولو غيلةً، ولو بنحوِ السُّمِّ، وقد نصَّ على هٰذا جماعةٌ من العلماءِ، وفي أمرِ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وآله بقتلِ كعبِ بنِ الأشرفِ(1) غيلةً، وكذٰلك عبدُالله بنُ رافعٍ(2)، وما يدُلُّ على ذٰلك /، وكذٰلك ٦١ب
في أمره ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ بقتلِ الفواسقِ الخمسِ في الحلِّ والحرامِ، للضَّررِ اللازمِ لهُنّ طبعاً، فلا يعترضُ ذٰلك إلا مَنْ أضَلَّهُ الله على عِلْمٍ، وختم على (سمعه و)[1] قلبِهِ، وجعلَ على بَصَرِهِ غِشاوةً.

ولقد عمَّ ضُرُّ أعوانِ الظَّلَمةِ من المشايخِ، ومَنْ دونَهم حتى ساموا الرَّعايا سُوءَ العذابِ، وتركوهم في ملاحسِ البقرِ ومرابضِ الكلابِ، فلَمْ يَزَلِ الإمامُ ـ حفظَهُ اللهُ ـ يأمرُ المسلمين بالفَتْكِ بأعوانِ الظَّلَمةِ أهلِ الضَّررِ، حتى

---

(1) كعب بن الأشرف الطائي: قتله محمد بن مسلمة وسلكان بن سلامة بن وَقْش في سنة ٣هـ بأمر الرسول ﷺ، بسبب شدة عداوته وتحريضه ضد الإسلام، وكذٰلك قتل أبي رافع اليهودي الذي كان يظاهر كعب بن الأشرف في عداوته وتحريضه، انظر «الطبري» ٢/٤٨٩، ٣/٤٩٣، «الكامل» ٢/١٠٠.

(2) عبدالله بن رافع، هو أبو رافع سلام بن أبي الحقيق اليهودي، كان يظاهر كعب بن الأشرف على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، قتلته الخوارج، طعنه عبدالله بن أُنيس ومعه عبدالله بن عتيك ومسعود بن سنان، وكان قتله بخيبر وبحيلة دُبِّرت له، وأذِن لهم رسول الله بقتله، انظر «الكامل» ٢/١٠١-١٠٢.

---

(١) الإضافة من ع، م.

أخافوهم في البَدْوِ والحضرِ، فجزاه اللهُ الجزاءَ الأَوْفرَ، ولا عبرةَ لمن اعترَضَ مِمَّنْ في قلبِهِ مَرَضٌ.

ولمّـا بَلَغَت الأخبـارُ إلى أعداءِ اللهِ العجمِ وأعوانِهم المشايخ، قبضُ دُغَيش، تنغَّصَ عليهم العيشُ، وكادتْ تزيغُ قلوبُهم وعقولُهم من الطَّيْش.

ولما قبضت العربُ الرَّوْضةَ، خرجت الأعاجمُ من صنعاءَ، فرتَّبوا شُعوب، فتقدمتْ إليهم الأنصارُ حتى وصلوا إلى قريةِ الدَّمَّاج(1)، ونوبةِ النصف، ونوبةِ عطية(2)، وباتت الكسيرةُ في العساكرِ العَجَميةِ حتى أدخلوهم صنعاءَ المحميةَ.

وفي اليوم الثاني خرج أحمد فيضي، ومَنْ صحبتَه من العساكرِ والمدافعِ، وكانت الأجنادُ المنصوريةُ قد تفرَّقَتْ في الجِراف وبيت عَرْهَب(3)، وكانت نِهم حينئـذٍ وبعضُ بني حشيش، وبعضُ أهلِ الشرِّ في المطلاعِ، فتقدّم أحمد فيضي على الذي في المِطلاعِ، فافتشلوا وانهزموا، فحصلَ الوَهَنُ في المـطارحِ، وتفرّقتْ أيدي سبا في البقاعِ، وقد كانوا قبلَ ذلك نهبوا سوقَ الرَّوْضةِ، وأكثروا الفسادَ، ولم يراقبوا ربَّ العبادِ، وتبيَّن أنهم لم يكنْ لهم نيةٌ

---

(1) الدَمّاج: قرية شرقي خمر من عُزلة بني قيس، انظر «معجم المقحفي» ٢٣٩.

(2) في «أئمة اليمن» ٢٥١، ذكر زيارة نوبة السيد محمد شوع الليل، ووصفها بأنه مدورة البناء على نحو ثلاثة سقوف بالزاوية الجنوبية الشرقية من الروضة حاكمة على الطريق وغيرها.

(3) بيت عَرْهَب: قرية في الجِراف، وعَرْهَب فقيه نحوي اسمه علي بن هادي عَرْهَب، ت١٢٣٦هـ، تولى قضاء الروضة، ثم درس وتولى القضاء بكوكبان، انظر «أئمة اليمن» ٢٥٣، «معجم المقحفي» ٤٤٠.

صادقةٌ في الجهادِ إلّا تحصيلَ الأَطماعِ الآيلةِ إلى نفاذٍ، فلما تفرّقوا رجع عزُّ الإسلامِ بمنْ بقيَ معه إلى الروضةِ.

وفي الليلِ عَزَمَ عزُّ الإسلامِ بمن بقيَ، بلادَ هَمْدَان، حتى اتّفَقَ بالمولى صفيِّ الإسلام، ثم عزما بلادَ أرْحب لترديدِ مَنْ شَرَدَ وهرَبَ. حتى اجتمعَ لديهما بعضُ العسكرِ، كرَّ عزُّ الإسلامِ راجعاً لقصدِ بلادِ الحَيْمَةِ، وبقي صفيُّ الإسلامِ في نُوسَان؛ لاستلحاقِ بقيةِ القومِ، وباتَ عزُّ الإسلام في بلادِ هَمْدَانَ.

وفي اليوم الثاني ظُلْمَان(1)، وبيت عَيَّاش(2)، وقَبَض الرهائنَ من عياش، ومن الأَسـد(3) من مشائخِ بلادِ البُستانِ، ثم توجهتِ العسكرُ الحَيْمَةَ حتى وصلوا إلى بيت الشَقَّاقي(4).

وفي اليومِ الثاني، طلعوا لترتيبِ بيت معدن وما إليه، وطلبَ المقدَّمي عزُّ الإسلامِ الشيخَ (١محمد بن محمد الحلبة١) بأنْ يخرجَ إليه مؤمَّناً، فبقي

(1) ظُلْمَـان: قرية في جبـل حضور من عزلة بني الراعي، انظر «الإكليل» ٢/٢٨٤، «معجم المقحفي» ٤١٣.
(2) بيت عَيَّاش: تنسب إلى بطن حمير، مخلافهم في حضور بالقرب من صنعاء، انظر «معجم المقحفي» ٤٧٤.
(3) الأسد: قرية في عزلة الجذْعَان من ناحية الحَيْمَة الداخلية، ينسب إليها بنو الأسدي، انظر «المقحفي» ٢٩، «طبق الحلوى» ٣٣١.
(4) بيت الشَقَّافي: قرية في الحيمة الداخلية، إليها يُنسب بنو الشَقَّاقي، أهل صنعاء، انظر «معجم المقحفي» ٣٥٩.

(١ ١) ورد اسمه في «أئمة اليمن» ٢٥٥ محمد محسن الحلية الحيمي.

متردداً عن الخروجِ ، والقومُ محيطون في البيتِ.

ثم إنَّ أحدَ القومِ ، وهو الشيخُ أحمدُ بنُ محمدٍ الشقّاقي رمى إلى البيتِ، وتقارحت البنادقُ من خارجٍ ، فأُصيبَ الشيخُ المذكورُ برصاصةٍ وزوجتُه، وثلاثةُ مُكاوين، فنادى أخوه بالطاعةِ وخَرَجَ، ودَخَلَت العسكرُ البيتَ، فأخذوا جميعَ ما فيه، وكان فيه شيءٌ كثيرٌ من الأثاثِ.

ومن أغربِ ما يُذْكَرُ أنَّ والدَ الشيخِ محمدِ الحلبة كان في مدّةِ جهادِ المتوكلِ على اللهِ المحسنِ[1] بن أحمد للباطنية معتزياً إلى الباطنيةِ، وناصَرَهُمْ أعظمَ المُناصرة.

وكان المقدّميُّ إذْ ذاكَ الإمامَ، عليه السلامُ، وكانَ ما كانَ. ولم يقدروا عليه لحصانةِ بيتِهِ.

ولقد رأينا مكتوباً أَوْصَلوه إلى الحضرةِ الشريفةِ منْ بينِ أثاثِ ابنِ الحلبة جواباً على والدِه من الداعي، صاحبِ عَتّارةَ[2]، وفيه من الحثِّ على محاربةِ الإمامِ ، واستهانةِ جنابِ الحقِّ، فانظر كيفَ وقعت العقوبةُ بلا قصدٍ إلا اتفاقاً!

---

(1) المتوكل على الله المحسن بن أحمد الحسني، تولى الإمامة ٢٥ شعبان ١٢٧١هـ، ت بحُوث ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م، انظر «نيل الوطر» ١/٦٨، ٢/١٩٣، «رياض الرياض» ٦١، «المقتطف» للجرافي ٢٠٤، «حوليات» ٢٤٢، ٢٨٣، ٢٨٦، ٣٣٥، «صفحات مجهولة» ٦٢، «فرجة الهموم» للواسعي ٩٢.

(2) عَتّارة: بلدة في جبل مسار من بلاد حراز ما بين وَسِل ومناخة، غرب مناخة كانت موطن رئيس الباطنية، انظر «تاريخ الواسعي» ١٠٠، «معجم المقحفي» ٤٢٦، «رياض الرياحين» ١٥٤.

[الطويـل]

وللهِ في طيِّ الـمَـقـادِيرِ حِكْـمَـةٌ   يُديرُهَـا في خَلْقِـهِ بِزِمَـامِ

ثم بعدَ أنْ قَضَوْا وَطَرَهُمْ في ابنِ الحلبةِ، ارتفعَ المطرحُ إلى بيت معدن وبقيَ عزُّ الإسـلامِ في بيتِ الشَقَّاقي ووصلَ / إلى هنالِكَ صفيُّ الإسلامِ ٦٢أ
ـ حفظه اللهُ ـ وصحبتَه مئةٌ وخمسون نفراً، وبعدَ أنْ وقعتْ بينهما المراجعةُ بما يَحسُنُ من جميعِ القومِ في الحَيْمةِ أو تفريقِهم لتشتيتِ نظرِ العدوِّ، وقعَ الاتفاقُ على عزمِ صفيِّ الإسلامِ بِمَنْ معه إلى بني مطر[1]، فعَزَمَ ـ حفظه اللهُ ـ على حسبِ ما عليه الرأيُ استقرَّ، فوقعَ المَقرُّ في بيتِ الشيخِ الحاج أحمد الرمَّاح، وهو حينئذٍ كبشُهم النَّطاحُ، وكانَ يُتوسَّمُ فيه الخيرُ والصلاحُ، ويُرجى منه الفلاحُ، فظهرَ منه ـ كما وصف لي سيّدي العلامةُ صفيُّ الإسلامِ ـ نتنُ الحمّى المسنونُ، وانعكس ما كان يظنُّ به المؤمنون.

وأخبرني سيدي الصفيُّ أيضاً أنَّه عرَّفَ الإمامَ ـ عليه السلام ـ بما صدرَ من الحاجِ أحمدَ، فنهاه الإمامُ ـ عليه السلام ـ عن التعرُّضِ له رعايةً لما سبقَ منه، وجَعَل هٰذه واقعةَ حالٍ مُحْتَمَلَةٍ.

ولقد أخبرني سيدي الصفيُّ ـ حماه اللهُ ـ أنها وصلتْ إليه كتبٌ من صنعاءَ مِمَّن له تعلّقٌ بالعجمِ، وفي طيِّها كتبٌ أُخِذتْ من يدِ رسولِهِ، حاصلُها: أنَّ

(1) بنو مطر: ناحية واسعة من محافظة صنعاء بالغرب منها، وتعرف قديماً ببلاد البستان، من توابعها عُزلة النبي شعيب، وعزلة بني قيس، وعزلة جُنُب المعروفة بمخلاف عياش، وعزلة شهاب الأعلى وشهاب الأسفل، وعزلة الثلث، والعروس، وعزلة حزة صنعاء، وحزة سُهْمان، والبروية ويُقْلان، وعزلة بني سواء وبني الراعي، وعزلة دايان، انظر «معجم المقحفي» ٦٠٤، «تعداد صنعاء» ١/٩١.

الحاجَّ أحمدَ الرمَّاحَ التزمَ للعجمِ أنْ يُخادعَ المقدّمي حتى يُخرجَهُ من بلادِ البُستَانِ ونحوَ ذلك، مما يدُلُّ على نِفاقهِ وكتمِ شِقاقِهِ،

وكان يكتبُ إلى حضرةِ الإمامِ -عليه السلامُ- بما يُغْريه بالمولى صفيِّ الإسلامِ، ويغرِّرُ على النّاسِ بجوابِ الإمامِ -عليه السلامُ- ويمنعُهم مِنْ تسليمِ الزكاةِ إلاَّ إليه، حتى صحَّ لدى سيدي الصفيُّ ذلك، فهَمَّ بالقبضِ عليه وإيصاله إلى الإمامِ -عليه السلامُ- وأمرَ بذلك الشيخَ يحيى بن يحيى دوده، والشيخَ أحمدَ بنَ يحيى بنِ فارعٍ والشيخَ ناشرَ بنَ مرشدٍ الغريبي، فطلبوا من المولى الصفيِّ أنْ يجعلَ لهُمْ خطّاً بأيديهم ليشهدَ لهم أنَّ ذلك بأمرِ المقدّمي، فلما فعلَهُ لهم لمْ يعملوا به، بل تخطَّوْا به عندَ الحاج أحمد الرمّاح، فأنذَرَهُ ابنُ فارعٍ وأصحابُه، فنشأت العداوةُ بينَ أحمدَ الرمّاحِ وبين هَمْدَان، حتى أنَّ الحاجَّ أحمدَ أظهرَ المخادعةَ، ونهى أهلَ بلادِ البستانِ عن قبولِ أحدٍ من أهلِ بلادِ هَمْدَان، وأنَّ بينَهم سوابقَ من الأضغانِ، فأجمعوا على هٰذا، وخدعوا وكيلَ الإمامِ، -عليه السلامُ- الفقيه الزاهدَ (١عبدالرحمٰن الجُماعي١)، وتفاوضوا همْ وإياه، أنَّ المقدّمي يرفعُ هَمْدانَ، والتزموا بتحصيلِ ألفِ مقاتلٍ، وألفِ قَدَحِ طعامٍ وألفِ ريالٍ، فلما ظهرَ ما ذكرَ على هَمْدَانَ تراجعوا همْ وسيدي الصفيُّ في هٰذا الشانِ، ورأَوْا أن عزْمَهُمْ أولى من بقائِهم خِشيةَ تفاقُمِ الأُمورِ، وثورانِ الفتنةِ، وجعلَ لهم سيدي الصفيُّ أمراً إلى سَامِك[1] لإعانةِ الشيخِ عبدِالله بن عبده راجح، وإعانةِ مَنْ في الحَيْمَةِ من

(1) سَامِك: بلد وواد في سنحان، تنضم إليه الأودية النازلة من غرب رهم وسَّيان، انظر «صفة جزيرة العرب» ١٥٤، «اليمن الكبرى» ٧٩، «أئمة اليمن» ٢٥٦.

(١ ١) ورد اسمه في «أئمة اليمن» ١٥٦، عبدالرحمن بن علي الجُماعي.

أهلِ الجهادِ.

ثمَّ إنَّ سيدي صفيَّ الإسلامِ ما زال متردداً في بلادِ البُستَان، فاستقرَّ كثيراً في المــراحضــة(1)، ـ قريةٌ في أعلى الجبــلِ المشرف على قاع حِزْيَز(2) وأُرْتِل(3) ـ، ووصلَ إليه الشيخُ عبدُالله بنُ عبده بمن معه من الأجنادِ، وتراجعا على بقاءِ الشيخِ عبدِالله في بلادِ الروس.

فعزم مَنْ لديه، وطرَح في سَامِك، ولا بدَّ نذكرُ تمامَ قصّتهِ عقيبَ هٰذا إن شاء اللهُ.

ثمّ إنَّ سيدي الصفيَّ، حماه اللهُ، انتقل إلى بيتِ الجندبي، فجاءتْهُ كُتُبُ سيفِ الإسلامِ، أنّ العَجَمَ مجتمعون في مَتْنَةَ ما ندري بأيِّنا يبدأون، فأراد سيدي الصفيُّ أنْ ينتقلَ إلى بَيْتَ رَدم ليتحصَّنَ بذٰلك من هجومِ العجمِ، بعدَ أن جمعَ أهلَ البلادِ، وقالوا له: لا أُحْصَنَ من بَيْتَ رَدَم، فقصَدَهُ، فتلقّاه أهلُ بَيْتَ رَدَمَ بالحربِ عند أنْ بلَغَ بالقُربِ منهُ، بحيث يَصِلُ إليه الرّصاصُ، فتقدّمَ إليهم أصحابُ صفيِّ الإسلامِ، فقبضوا البيوتَ الشرقيةَ وبعضَ الغربيةِ، وقتلوا منهمْ تسعــةً، واستُشْهِـدَ من العــربِ أربعــةٌ، وقَبَضوا بيتَ رَدَمَ، وأما العجمُ / فإنهم لما رأَوْا أنْ قَدْ تَحصَّن صفيُّ الإسلامِ في بيت رَدَم، تقدّموا ٦٢ب

---

(1) المراحضة: حصن وقرية في بني مطر (البستان) من عُزلة دايان، والمراحض: قرية في مخلاف وادي الحار من أعمال ذمار، انظر «البلدان اليمانية» ٢٥٦.

(2) حِزْيَز: بلدة جنوبي صنعاء بمسافة ٥كم، وهي من ناحية سنحان، ومنها تشرع طريق صنعاء إلى ذمار وإب وتعز، انظر «صفة جزيرة العرب» ١٥٥، «البلدان اليمانية» ٨٨.

(3) أُرْتِل: قرية في بلاد البستان (بني مطر)، انظر «صفحات مجهولة» ٤٩، «تاريخ اليمن الثقافي» ١/ ٧٩.

على سيفِ الإسلامِ محمد بن المتوكلِ إلى بيت معدن، فكان ما سيأتي ذِكْرُه.

وأما سيفُ الإسلامِ، فإنّه لمّا وقعَ مطرحُهُ في بيت معدن، ووقع سياقُ الكِفايةِ للعسكرِ مِن جميعِ الخَيْمةِ، وفي خلالِ ذلك، أرسلَ نحوَ ستين رجلاً إلى رِحَاب(1) للقبضِ على الحمولةِ الواصلةِ من صنعاءَ للعجمِ الذين هنالك، فلما وصلوا إلى هنالك، تقدّمهم إلى الطريقِ أهلُ البنادقِ الفرنصاوي عشرون رجلاً، وأخذوا ستةَ جمالٍ وما فوقَها من الأحمالِ وباتوا في رِحَاب، ونامت الحرّاسُ فما شعروا وقتَ الفجرِ إلاّ والعجمُ بهم محيطون، فطلعَ منهم ستةُ أنفارٍ حصنَ رِحَاب، فوقعَ الحربُ بين أولئك النفرِ، وبين العجمِ من الفجرِ إلى ثلثِ الليل حتى نفذت المؤونةُ على أولئك النفر، وكان قدرُ العجمِ ألفَ رجلٍ، ومعهم ثلاثةُ مدافعَ، وقُتِلَ منهم العددُ الكثيرُ، واستُشْهِدَ من العربِ واحدٌ، وأما الأكوانُ ففي الجميعِ، ولله درُّهم، فلقد حازوا المجدَ الرفيع.

وقد كانَ أغارَ على أولئك النفرِ رجالٌ من حَاشد وأرْحبَ، فتلقّاهم طائفةٌ من العجمِ فمنعوهم عن الوصولِ إلى النفرِ، وبعد انقضاءِ الحربِ رجعتِ العربُ إلى بيت معدن، ورجعت العجمُ على أدبارِهم.

وفي هٰذه المـدةِ وصـلَ سيّدي العلامةُ عمادُ الإسلامِ يحيى بنُ حسن الكُحـلاني (2) ـ حماه الله ـ وصحبتَه ثلاثُ مئةٍ مددٌ من حضرةِ الإمامِ عليه

---

(1) رِحَاب: بلدة في سيف السافل من قضاء يريم، أسفل جبل إريان وشمالي إب بمسافة ٤٠كم، وهي مركز ناحية القَفْر من أعمال محافظة إب، انظر «اليمن الكبرى» ١٤٣، «معجم المقحفي» ٢٦٣، «أئمة اليمن» ٢٥٥.

(2) يحيى بن حسن الكُحلاني من ذرية الحسن بن الإمام شرف الدين، ت١٣٣هـ، كان=

السـلام، وكانَ وصولُه بني النِّمْري(1)، وتكاتبَ هو وسيفُ الإسلامِ ، وتقدّم عمادُ الإسلامِ على العرِّ وهو حكومةُ العجمِ ، فَغَنِموا من هناك الغنائمَ، وكان لهم بذاك الفخـرُ الـدائمِ ، واجتـازَ التـركُ إلى المنصورةِ(2)، وأُرسل سيفُ الإسلام إلى سيدي العمادِ بأنهما يشتركان في الغنائمِ والجهادِ، فلم يسعدْ عمادَ الإسلام، وكان له مقصدٌ ومرامٌ، وبعدما توجهتِ العجمُ إلى بيت معدن.

وقعةُ بيت معدن:

وصفتُها: أنَّ العجمَ قصدتْ بيت معدن، فوقعَ بينهم وبينَ سيفِ الإسلامِ حربٌ شديدٌ، وأبانَ العربُ في ذٰلك شجاعةً ما عليها مزيد، وحازوا بذٰلك الفخرَ المديدَ، وكان قد استنصرَ سيفُ الإسلامِ بعمادِ الدين فلم يُسْعِفْه بذٰلك المطلبِ، ولكنَّه وصلَ لسيفِ الإسلامِ مددٌ غيرُ مترقبٍ، وهو الشيخُ محمد مبخوت الأحمر والشيخُ أبو هادي(3).

وقُتِـلَ في هٰذه الـوقعةِ مِنَ العرب خمسةَ عشرَ، ومن العجم كثيرٌ شاع ذكرُهم وانتشرَ، ونزلت العربُ بيتَ الشقّاقي وقد بلغت النفوسُ التراقي.

= عاملاً على الشرفين والحَيْمتين، حارب الأتراك سنة ١٣١٥هـ، وسنة ١٣٢٢هـ، كانت له وقائع في بيت ذرة من جهة الحيمة، ودخل مستنمة وحصن السلامي ومنبر والحَيْمَةَ، توفي بهجرة عُلمان من بلاد الأهنوم، انظر «نزهة النظر» ٦٢٣.

(1) بنـو النِّمْـري: عُزلة في الأخروج (الحيمة الداخلية)، غربي صنعاء، انظر «اليمن الكبرى» ١٩٤، «الإكليل» ٢/٢٨٤، «معجم المقحفي» ٦٦٥.

(2) المنصورة: هو حصن المنصورة المتوسط بين العر والهجرة، انظر «أئمة اليمن» ٢/٢٥٦.

(3) هو قاسم بن سعد، أبو هادي.

وقعةُ العرِّ:

ثم إنَّ العجمَ تقدّمتْ إلى العرِّ ودارت الحربُ فيما بينهم وبينَ أصحابِ سيّدي العماد، فخرجوا منها بعدَ أنْ فعلوا فعلَ الآساد، وجاهدوا أشدَّ الجهاد، ولم ينصرْهم أصحابُ سيفِ الإسلام والبادي أولى بالمَلام.

وبعد ذلك عزمَ سيدي العمادُ(1) الخطيرَ وبيتَ ذرة(2)، وبقي هنالك نحوَ أسبوعٍ، وبعدَ ذلك تقدّمت عليهم العجمُ.

وقعةُ بيت ذرة والخطير:

وصفتها: أنَّ العجمَ تقـدمتْ على العـربِ حتى وصلوا إلى الأبواب، فتلقّاهم السيدُ العمادُ بمَنْ مَعَهُ من الأصحابِ بعظيمِ الجلادِ والضِرابِ، فلما رأى عزُّ الإسلامِ ما ألمَّ بتلك الأقوامِ أمدَّهم، وكان له في ذلك الفخرُ الذي لا يُرام، ودامتِ الحـربُ من فجـرٍ إلى ثلثِ الليل، وقُتِلَ من العجم نحوُ
٦٣أ الثمانين ومن العربِ خمسةٌ، وانتقلَ سيّدي / العمادُ من ذلك المحل إلى بيت الغَيْثي (١فبقي فيه نحوَ أسبوعٍ١).

وقعة بيت الغَيْثي(3):

(1) العماد لقب يطلق على من اسمه يحيى.
(2) بيت ذرة من الحيمة، انظر «نزهة النظر» ٦٢٣.
(3) بنو الغَيْثي في تهامة من ولد أبي الغيث بن جميل الصوفي المقبور في بلاد الزيدية، وبنو الغَيْثي في صنعاء ورباط الغَيْثي بالقرب من إب، انظر «معجم القحفي» ٤٨٦.

(١ ١) الإضافة من م.

وصفتها: أنَّ أرحبَ تقدمتْ إلى قريةٍ تحتَ بيت الغَيْثي مواجهةٍ للعجم، ودارت الحربُ بين الفريقين من فجرٍ إلى ثلثِ الليلِ، وكانت العربُ قد عمّروا مترساً ليرموا العجمَ فيه، فسبقهم العجمُ إليه في ثلثِ الليلِ الأخيرِ، فأخذوا المترسَ، وكانَ أعظمَ ضررٍ على العربِ، إلَّا أنهم أصدقوا العجمَ وردّوهم إلى مسجدٍ هناك، وحازوا العجمَ فيه، وقد كانوا أخذوا القصبَ والباروتَ ليحرقوا مَنْ فيه، فتكوّن راجحُ بنُ حسين وجماعةٌ، فانهزمت العربُ وانجلت المعركةُ عن مئتي قتيلٍ من العجمِ، ولم يُقْتَلْ من العربِ غيرُ واحدٍ ومُكان، وانتقلتِ العربُ إلى بيت عبيد وبيت محمود، وقدْ أرضَوْا، بما فعلوا، الربَّ المعبودَ، فرمتْهُم العجمُ بالمدافعِ إلى بيت عبيد، فلما وجدوا الموضعَ غيرَ حصينٍ، انتقلَ العربُ إلى بيت محمود، وهنالك اجتمعَ سيفُ الإسلامِ وعمادُه والجمعُ محمودٌ، ولحقتْهُم العجمُ إلى هنالك فجراً، وأضرموا نارَ الحرب.

وقعةُ بيت محمود:

وصفتها: أنَّ العجمَ لحقتهُم إلى هنالكَ فجراً، وأضرموا نارَ الحربِ، ودامت الحربُ بينهم ثلاثةَ أيامٍ، وكانت العجمُ إذْ ذاكَ جمّاً غفيراً لا يقاومُهم إلَّا قدرةُ المَلكِ العلَّامِ، وأخذت العجمُ على العربِ أفواهَ السبيلِ، وحاصروهم، فخرجوا منه بعدَ هولٍ مهيل، وانتقل العربُ إلى بني عمرو بني الحُذَيْفي(1) واجتمعوا في حَرَمِهِ، وأما العجمُ فإنه نَفَذَ عليهم الزادُ، ورأَوْا ما هالَهُمْ من الجهادِ، فرجعوا صنعاءَ، وقد ضاقت الأرضُ بهم ذرعاً.

---

(1) بنو الحُذَيْفي: من مخاليف الحَيْمَة الداخلية، انظر «معجم القحفي» ١٦٤.

وقعةُ عرّ بني إسماعيل:

وعـزمَ سيفُ الإسـلامِ بِمَنْ معـه من الأقـوامِ نحوَ بلادِ حراز، وكانت طريقهُم بيت دبلان ثم إلى حَصْبَان(1)، فلمّا وصلَ هنالك كاتَبَ أهلَ عرّ بني إسماعيل، وطلبَ منهم الطاعةَ والامتثالَ، فلم يَسْعَدُوا لذلك المقالِ، فارتحلَ حتى وصـلَ شقَّ البـلاد، اتّفق هو وبعضُ العُقّـال، وأظهـروا بعضَ طاعـةٍ وامتثالٍ، وطلبَ منهم رهائنَ ليظهرَ له الكامنُ، فرجعَ شيخُ البلاد لينظرَ ما عندَ أصحـابـه، فأظهـروا الفسـادَ، ورَمَوْا أصحابَ سيفِ الإسلام بعدَ أنْ أعْلَنَ بالأمانِ، فحملَ عليهم القومُ حينئذٍ حملةً واحدةً، وكسروا الأبوابَ، ودخلوها عنوةً، وندِمَ أهلُ العرّ على هٰذه الهفوةِ، وقُتِلَ من أهلِ العّرِ خمسةٌ وعشرون، ومن أصحابِ سيفِ الإسلام مقتولٌ واحدٌ، ونهبوا جميعَ ما في العرِّ، فكانوا كهشيمِ المحتضر، وتفرّقَ القومُ بذلك الحُطامِ، وكلُّ واحدٍ منه موقّرٌ، ولم يبقَ إلا القليلُ من القومِ صحبةَ عزِّ الإسلام، فعزمَ بهم راجعاً إلى حضرةِ الإمامِ ـ عليه السلامُ ـ وبقيَ السيدُ عمادُ الإسلامِ متنقّلاً في الحيمة.

وقعةُ سوق الاثنين:

ثمّ إنّه وقع الحربُ فيما بينَ العجم وبينَ أصحابِ عمادِ الإسلام في سوقِ

---

(1) حَصْبان: عُزلة من بلاد حراز تشمل من القرى: بيت الشرقي والقرن والمصنعة وبيت عُباد وسوق العكد والقاسرية ونجد العرش، وادي دايان شرقها من الحيمة الداخلية، وغرباً جبل بني إسماعيل (الباطنية)، وجنوباً عُزلة المغاربة، وشمالاً طريق صنعاء ـ الحـديدة، انـظر «تـاريخ اليمن الثقـافي» ١/١٠٣، «الإكليل» ٢/٣٤٢، «معجم المقحفي» ١٧٥.

الإثنين، واستمرَّ الحربُ يومين حرباً عظيماً، وكانَ قدرُ العربِ مئةً وخمسين، والعجمُ أربعةً وعشرين مئةً، ووقعَ في العجمِ قُتولٌ كثيرةٌ، ثم انتقلَ العربُ إلى بيتِ الخطابي.

وقعة بيت الخَطَّابي:

ثم إنَّه لمَّا انتقلت العربُ إلى بيتِ الخطَّابي ولحقهم العجمُ إلى هنالكَ، وقعَ الحربُ العوان، قُتِلَ فيه مِنَ العربِ كثيرٌ كما قيل.

ثم إنَّ عمادَ الإسلامِ ما زالَ يتنَقَّلُ / بِمَنْ بقيَ معه ـ مع قلَّتِهِم ـ إلى أطرافِ البلادِ وفي الجُرَف والأوهادِ إلى اثني جمادي الأولى من السنةِ المذكورةِ. ٦٣ب

ثم إنَّـه بلغه الخبرُ أنَّ في الشاحذية(1) من بلادِ كوكبان المديرَ والشيخَ محمد الشرفي ومَنْ صحبتَهما، وذلك من طريقِ بعضِ المحبين. فلما وصلَ إليه الخبـرُ سرىٰ إليهم ليلاً، فهجمـوا عليهم، وقُتِلَ الشيخُ محمد الشرفي والمـديرُ ونهبـوا سلَبَهمـا ومركوبَيْهما وأَسَروا أصحابَهما وفرَّ من بينهم الشيخُ عبيد، وكان فرارُهُ بخديعةٍ، أوْهَم عليهم أنّه من الخَدَمِ، فندِمَ المجاهدون حين علِمـوا أشـدَّ النَّـدمِ، وبعـدهـا كرَّ عمادُ الإسلامِ راجعاً إلى المقامِ الشريـف، وكنتُ حاضراً إذْ ذاكَ، وجرى بينَه وبينَ سيّدي المولى ـ حفظه الله ـ كلامٌ وملامٌ من أجلِ ما وقعَ من العسكرِ الطَّغامِ، من نهبِ مَنْ فُتح بيتُه، وأعلنَ بالطَّاعةِ، ولم يزل الإمامُ عليه السلامُ، يتبرَّى ويتبرَّمُ مِنْ فعلِ أولئك

---

(1) الشاحذية: عزلة من ناحية الرُّجُم وأعمال الطويلة بالغرب الجنوبي من كوكبان، انظر «صفة جزيرة العرب» ١٢٤، «الإكليل» ٢/٤٥٣، «معجم المقحفي» ٣٣٩.

الجماعةِ، مع أنّه لا رِضىً في ذلك لسيّدي العلّامةِ العمادِ، فإنّه معدودٌ من أكابرِ الزُّهّادِ، وإنما وقعَ ذلك ممّن انغرزَ في دماغِه الفسادُ، ولم يقصدْ بالجهادِ رضىٰ ربِّ العبادِ، ولم يزل الإفسادُ والعِنادُ مُنغرزاً في أدمغةِ حاشد وبَكيل لا يخرجُ منهم إلّا النادرُ القليل، ولولا محبّتُهم لأهلِ البيتِ النّبوي وامتثالُهم لأوامِرهم في كلِّ قيلٍ ومواجهتُهُمْ لهمْ بالتعظيمِ والتّبجيلِ لكانَ يُخْشىٰ عليهم أنْ يُرْمَوا بحجارةٍ من سجّيلٍ. هٰذا، وكان صدورُ هٰذه الوقائعِ في شهرِ محرّم وصفر وربيعين وأوائلِ جمادي الأولى.

وقعةُ سَامِك:

وهي قريةٌ من بلادِ الروس[1] قريبٌ من ضبرخيره، وكانَ وقوعُها في صفر، وصفتُها:

أنّ الشيخَ عبدَالله بنَ عبده راجح وصحبته نحوُ مئةٍ وثمانين وصلوا إلى سَامِك، وبقوا فيها أربعةَ أيامٍ فخرجت عليهم العجمُ من صنعاءَ: طابوران والمدفعُ الكبير، فلمّا رأى ذٰلك بعضُ القومِ فرَّ ولم يخشَ من اللَّوْم، ولم يبقَ غيرُ ثمانين. واستمرَّ الحربُ من شروقِ الشمس إلى بعدِ العشاء، وقُتِلَ من العجمِ نحوُ ثلاثين، ومن العربِ قتيلٌ ومُكان. وبعدُ، خرجوا من القريةِ بعدَ

---

(1) بلاد الروس: ناحية إدارية واسم قبيلة، اشتهرت بهٰذا الاسم؛ لأن جبالها تعتبر رؤوساً لجبال خَوْلان، يحدها شمالاً سنحان، وجنوباً جهران من آنس، وشرقاً خَوْلان، وغرباً بني مطر والبستـان، من بلدانها: وعلان وخدار وعافش والعُبّس ووادي الجار وذي كيسان والدار البيضاء وقحازة، انظر «اليمن الكبرى» ٧٨، «الأمير علي الوزير» ٦٥١، «معجم المقحفي» ٢٧٦.

السحر، ورجعوا بلادَ آنس.

ولقـد أخبـرَنا الإمامُ ـ عليه السلام ـ أنّه وصلَ إليه تحقيقٌ: أنَّ المشيرَ عبدَالله باشا حصرَ القُتولَ في حربِ الحَيْمةِ، وأدخلَ البيانَ إلى الوالي حسين حلمي، فكان جملتُهم سبعَ مئةٍ ما بينَ قتيلٍ ومُكان، فلما سمعَ الوالي ذٰلك، قال: هٰذا قتالُ كفّارٍ «لا مرحبة[1]» للعرب أبداً، وكتبوا بذٰلك إلى السلطان.

فصل

وأمّا الوالي حسين حلمي، فإنّه دخلَ صنعاءَ في أوائل شهرِ صفر، كما سُقْنا آنفاً بذٰلك الخبرِ، وعبدُالله باشا مشيرٌ على العسكرِ وصحبتَهم ستةُ بُوَش[1] يُسَمَّـوْنَ بالهيئـةِ، ورئيسهُم حسني بيه، وكـان إرسالُهم من طرفِ السلطانِ لكشفِ مادةِ اضطرابِ اليمنِ، وما هو الموجبُ، فلما وصلوا صنعاءَ وجدوا الأمورَ تمورُ، والدهرُ قد تنمَّرَ للأميرِ والمأمورِ. وحينئذٍ أظهروا العدالةَ، وكتبوا إلى البلدانِ بالإعـلانِ بهٰذه المقالةِ، ولبسوا العمائمَ، وأمروا أن يلبَسَها كلُّ مأمورٍ، وأعلنوا بالمراحمِ وعزلوا المشايخَ، وبينهم وبينَ ما أعلنوا من العدالةِ فراسخُ، وإن الظُّلْمَ في صدورِهِم لَراسِخٌ، ولا بُدَّ يظهرُ قبلَ إمكانِ العملِ الناسخِ، وإنما هو، بما ذُكِرَ في العَلَنِ، خديعةٌ لأهلِ اليمن، وأسرُّوا في نفوسِهِم أنهم / سيقلبون لهم ظَهْرَ المِجَنِّ، وأما لبسُ العمائمِ، فإنَّ السببَ ٦٤أ
في ذٰلك: أنَّ الإمامَ ـ عليه السلامُ ـ كتبَ إليهم سابقاً، وعدَّد لهم القبائحَ التي

(1) بوش: أي رؤساء العسكر، جمع باشا، لقب تركي يمنح لكبار العسكريين، انظر «طبق الحلوى» ٤٨.

(١ ـ ١) دعاء سوء.

ارتكبوها، ومن جملتِها أنَّهم تيزَّوْا بزيِّ النصارى في لباسِهم، فحينَ سمِعُوا ذٰلك المكتوبَ الواردَ من الإمامِ ، ظنُّوا أنَّ لُبْسَ العمائمِ هو الإسلامُ، وأنّه العملُ الذي لا يُحتاجُ معه إلى شيءٍ من الواجباتِ على الأنامِ ، فدلَّ ذٰلك على أنَّ في عقـولِهم خَبَـلًا، وفي إسـلامِهم خللًا، فحينئـذٍ تعمَّمَ جميعُ المأمورين، وكان ذٰلك عندَهُم غايةَ الدينِ، وظنّوا بعقولِهم الفاسِدَةِ وآرائِهم الكاسِدَةِ أنَّ بذٰلك يسكُنُ اليمنُ، وتخمدُ نارُ الفتنِ، فانعكسَ الأملُ، وإذا جاءَ أمرُ اللهِ لم تُغْنِ الحِيَلُ، فلما كتبوا بما ذكَرْنا من الإعلانِ إلى جميعِ البلدانِ، علِمَ عقلاءُ النّاسِ أنَّ السرَّ غيرُ الإعلانِ، وحينئذٍ اضطربت اليمنُ بما أعلنوهُ من عَزْلِ المشايخِ ؛ لأنَّ العجمَ قد كانوا فوَّضوا إليهم أمورَ الرعيةِ وملّكوهم رقابَهم حتى عظُمت البليةُ، ولم يخشَوْا مِنْ بطشِ ربِّ البريةِ، ومن شكى ضرورَتَهُ إلى العجمِ ردّوه إلى الشيخِ المُكرَّمِ يُنْزِلُ بساحتِه ما أُراد من النِّقَمِ حتى ثَقُلتْ وطأةُ المشايخِ ، لكنَّ العجمَ خبطوا في هٰذا خبطَ عشواء، وصدّقوا الـدعـوى حتى اشتـدَّت المحنةُ، وعظُمَ اضطرامُ الفتنةِ، ومعَ ذٰلك، فإنَّهم يُبطِنونَ للعربِ الشرَّ بموجبِ العَداوةِ الأصليةِ بين العربِ والعجمِ ، فظهرَ من فلتاتِ ألسنتِهم، أنّه لا بدَّ من السّلاحِ والنظامِ والقبضِ على الإمامِ ـ صانَه المَلِكُ العلاّمُ ـ هٰكذا سمِعْناه منهم، ومن أعوانِهم اللّئام، واللهُ غالِبٌ على أمرِه، وبيدِه النَّقْضُ والإبرامُ.

وفي هٰذه المدَّةِ خرجَ من البحرِ إلى مرسى الحُدَيْدةِ أرزاقٌ كثيرةٌ للعسكرِ العجَميِّ، فلمْ يُقْـدَرْ على حملِهـا من هنـالـك؛ لانقطاعِ المسالِكِ بسببِ الجوعِ وقِلّةِ البغالِ والجمالِ ، حتى فَسَدَ أكثرُ تلك الأحمالِ .

ومما يُعَدُّ من كراماتِ الإمامِ ـ عليه السلامُ ـ أنَّ العربَ ـ أعني أعوانَ

العجم ـ ما زالوا يُعينونهم بالجمالِ لِحَمْلِ الأثقالِ، فأرسلَ اللهُ عليها المَوَتانَ في جميعِ تلك البلدانِ، فما ترى طريقاً من المسالكِ إلاّ وفيها جملٌ هالك.

وفي هٰذه المدّةِ أخرجَ الوالي دراهمَ، وأَمَرَ بصرفِها إلى الفقراءِ في صنعاءَ، وعدّوا بيوتاً ونفوساً، فصادَفَتْ غيرَ محلِّها في أكثرِ ما صُرفَ، وتُرِكَ أكثرُ الفُقهاءِ الفقراءِ، فعظُمَ الأسفُ، وفيها أعلنَ الوالي أنّه سيقرضُ الناسَ حُبوباً، وكتبَ بذٰلك إلى يريمَ وذمار، فتشوّقَ الناسُ إلى هٰذا والوفاءِ بما كتب، فإذا هو بَرْقٌ خُلَّب[1]، ووعدٌ مُعَرْقَب[2]، إلاّ أنَّهُ أقرضَ أناساً من أحوازِ صَنْعاء، ولٰكن أساءَ في التقاضي صُنعا.

وفي هٰذه المدَّةِ خرجَ الرّديفُ من حضرةِ السلطانِ السخيف. واختلفَ الناسُ في قَدْرِهم، فالمُقِلُّ يقول: عشرةُ آلاف، والمكثرُ: مئةُ ألفٍ، والحقُّ إنّه ما بينَ العَدَدَيْن، فبعضُهم دخلَ صنعاءَ، وبعضُهم عزمَ الشرفَ زيادةً فوقَ من فيه.

وقعةُ قريةِ الفصيحِ من الشاهل[3]:

(1) البَرقُ الخُلَّبُ: الذي لا غيث فيه، كأنه خادعٌ يومض، حتى تطمع بمطره ثم يُخْلِفُك، انظر «لسان العرب» مادة: خلب .

(2) وعد معرقب: نسبة إلى عُرقوب الرجل الذي يخلف وعده أبداً، قيل: هو من العماليق بيثرب بين اليمامة إلى وبار، وقيل: من الأوس أو الخزرج، أو هو الجبل المكلل بالسحاب أبداً ولا يمطر، فضرب به المثل في الخلف، انظر «فصل المقال» ١١٣، «شمس العلوم» ٢٢٦، وفيه تيرب.

(3) الشاهل: جبل وناحية من قضاء الشَّرَفين وأعمال حجة في الشمال الغربي منها بمسافة ٣٧كم، يتبعها عُزلة بنو مديخة، وعزلة الأمرور، وعزلة جانب اليمن، وعزلة جانب =

وفي يومِ السبتِ، ثامنَ شهرِ جمادى الأخرى من هٰذه السنة كانت الوقعة، وصفتها:

٦٤ب أنَّ العجمَ تقوَّتْ بالمَدَدِ / الذي وصلَ لهم فتقدّموا على قريةِ الفصيح، وفيها من المجاهدين قدرُ خمسةٍ وعشرين، وطائفةٌ من العجم تقدّموا من جهةِ الشاهلِ، فخرجوا على أعداءِ اللهِ العجمِ، وأصْدَقُوهم بالطّعنِ المُحْكَمِ، فما بقي أحدٌ منهم إلّا انهزمَ وأرجعتْهُم كُرهاً، ومَنْ لم يرجعْ ضربوهُ بالسيوفِ ورمَتْهُ الطوبجيّهُ بالمدافعِ، والمجاهدون من قِبَلِهم، كلّما حَمَلوا حملةً تلَقَّوْهُم بالطّعنِ، الذي هو السُّمُّ الناقعُ. فلما كثُرَ القتلُ في العجمِ لم يجدوا بُدّاً من الفرارِ، فلمْ يبقَ أحدٌ منهم إلّا انهزمَ فسلَبَهُم المجاهدون مئةً من البنادقِ، وطفِقُوا يقطعونَ رؤوسَ المقاتيلِ، فنهاهُم سيفُ الإسلامِ محمدُ بنُ الإمامِ الهادي(1) عن ذٰلك، بعدَ أنْ حزّوا أربعةً وثلاثين، وكانتْ جملةُ القتلى أربعَ مئةِ قتيلٍ والمُكاوين مئةً وثلاثين، وجملةُ الشهداءِ من المجاهدين اثني عشر قتيلاً، وأربعين مُكاناً. وكان قدرُ العَجَمِ في معركةِ الحربِ ستةَ آلافٍ، وجملةُ من دارَ عليهم الحربُ حتى وصَلَهُم المددُ خمسين، ثم لمّا وقَعتْ هٰذهِ الوقعةُ، وتبعتْ تلكَ الوقائعُ المتتابعةُ زادَ غيظُ الأعاجمِ، فجمعوا العساكرَ من جميعِ المحاكمِ، وتجهّزوا بالقوةِ التي لا يُقاومُها مقاومٌ. وارتحلَ عبدُالله باشا بِمَنْ معه من العساكرِ، ومَنْ يخذلْهُ اللهُ فما له من مُعينٍ ولا ناصرٍ.

= الشام، هدمت قلعة الشاهل سنة ١٣١٦هـ، انظر «المدارس الإسلامية» ١٠٥.

(1) محمد بن الإمام الهادي شرف الدين بن محمد من ذرية المؤيد بالله يحيى بن حمزة انظر «نزهة النظر» ٥٣٢.

فصل

وفي شهرِ المُحرَّم من هٰذه السنةِ، ارتفعت العجمُ من بلادِ آنس، ولم يبقَ منهم إلَّا القليلُ في مدينة ضَوْرَان، أُمِرُوا من جهةِ أحمد فيضي بالتوقُّفِ عن الحربِ، فحينئذٍ صفت البلادُ للشيخِ الجمالي، حاملِ رايةِ(١) الجهادِ، الشيخِ على المقداد(1)، فمدَّ يدَه إلى مغرب عنس وبلاد عُتُمةَ وبعضِ بلادِ وصابِ الأعلى، وأرسلَ صِنْوَه الحسامَ الشيخ محسن المقداد إلى بيت نَصْر(2) محلِّ حكومةِ العجمِ، في مغربِ عنس تابعِ قضاءِ ذمار، وكانَ فيه مديرُ العجم، وضبطيَّةٌ، فدخلَ الشيخُ الحسامُ باستدعاءِ بعضِ الرعيةِ، وقتلَ المديرَ واستسلمت البقيةُ.

ولما قبضَ الشيخُ الحسامُ بيتَ نَصْر، أذعنتْ له البلادُ وقبضَ الرهائنَ بالحَصْرِ والقصرِ واستسلم منهم الرهائنَ، وساقَ الكفاياتِ كلُّ صادقٍ وخائنٍ، وكاتَبَ مشايخَ عُتُمةَ، فأذعنوا له بالطاعةِ، وأظهروا التأسُّفَ عمّا مضى من التفريطِ والإضاعةِ، وسلّموا له الرهائنَ، والشرُّ في صدورِهِمْ كامِنٌ، لكنَّهم رَأَوْا ما لا قِبَلَ لهمْ بهِ من الأجنادِ، وخافوا مِنَ الإفسادِ في البلادِ، وقد كانوا كاتَبوا العَجَمَ، فأذِنوا لهم بإصلاحِ شأنِهم عندَ المقداد، وقد كان الشيخُ مصلحُ الريمي ظهرَتْ منهُ بعضُ مخالفةٍ؛ فرأى ما لا طاقةَ (٢لهُ بهِ٢)، وكذٰلك

(1) على المقداد بن راجح الآنسي، ت١٣٣٩هـ، انظر «لامية نبلاء اليمن» ٧٩.
(2) بيت نَصْر: عُزلة من مغرب عنس وأعمال ذمار، انظر «معجم المقحفي» ٦٥٩.

(١) في م: رايات.
(٢ ٢) في م: لديه.

الشيخُ محمد غيلان، قد كانَ أظهرَ العِصيانَ، فرأى من النصرِ العظيمِ ما أوْجَبَ الإذعانَ، فرهَنَ وساقَ الكِفاياتِ وأمِنَ. فأرسَلَ الشيخُ الحسامُ ببعضِ الرّهائنِ إلى حضرةِ الإمامِ ـ عليه السلامُ ـ وظنَّ أنّهُ قدْ تمَّ لهُ المُرادُ والمَرامُ، ولم يؤاخِذْهُم بما سبقَ منهمْ في العامِ السابقِ، بل عامَلَهُمْ معاملةَ المُحِبِّ الصادقِ، ولو أنّه اتبعَ أمرَ الإمامِ ـ عليه السلامُ ـ بالقبضِ على أولئك المشايخِ اللئامِ، وترتيبِ حصونِهم، لظفِرَ بالمطلوبِ، وأخذَ بتبعةِ ما سلفَ من الذنوبِ.

وأمّا الشيخُ علي المقداد، فإنهُ بقيَ في بلادِ آنس لحصارِ العجمِ الذين في ضوران، فشدَّدَ عليهم الحصارَ في كلِّ ناحيةٍ ومكان، حتى وَصَل الرديفُ في شهرِ جُمادى الآخرة، فأرسلوا مَدَداً لمن في ضَوْرَان، فحينئذٍ دارت الحربُ
٦٥أ بينَه وبينهم / وقصَّرتِ العربُ عن مقاومةِ العجمِ اللّئامِ، فكتبَ الشيخُ الجمالي إلى صِنوِهِ الشيخِ الحسامِ، ليمدَّه بما قدَرَ عليهِ مِنَ المددِ، وكانَ قَدْ رحُبَتْ بهِ الدارُ في بلادِ عُتُمةَ وتلك الأقطارِ، فكانَ ذلك أعظمَ الأكدارِ، وهكذا الدُّنيا لا تصفو إلّا لطالبٍ، إلا مَنْ فَوَّضَ أمرَه لربِّ المشارقِ والمغاربِ، فمن طلَبَ الدنيا بالدينِ فقد رضيَ لنفسهِ بالخسرانِ المبينِ، فلا يُغالِطُ نفسَهُ مغالطٌ، فالمقصودُ رضىٰ الربِّ، وما دونَ ذلك وسائط.

فلما وصلَ المكتوبُ إلى الشيخِ الحسامِ من أخيه جمالِ الإسلامِ، برزَ بروزَ الغَضَنْفَرِ الرِّئبالِ، وأسرعَ بِمَنْ مَعَهُ مِن الرِّجالِ لإمدادِ أخيهِ الجَمال، فدارتِ الحربُ بينَه وبينَ العجمِ مدةً، وبعدُ، فلا بدَّ نَفْرِدُ للوقائعِ بينَهُ وبينَ العجمِ فصلاً.

وفي شهرِ ربيع أول، وصلَ مكتوبٌ من السيدِ الصفيِّ أحمدَ[1] بنِ محمدٍ الكِبسي، لفظه:

الحمدُ للهِ وحده،

أيُّها السّيدُ السَّنَدُ، مَنْ عليه المُعْتَمَدُ، وفّقَهُ اللهُ ووفَّقنا جميعاً بحقّ سورةِ الفلقِ والصّمدِ، العلاّمةُ البحرُ الذي لا يُحصىٰ أبداً من زيادةِ الخيرِ والمددِ محمدُ بنُ يحيى بن محمدِ الإمامِ، قاربَ اللهُ رَأْيَهُ وسَدَّد، وشريفُ السّلامِ على ذاتِه الشريفةِ، ورحمةُ الله وبركاتُه، وصلَّى اللهُ وسلم على سيِّدِنا محمدٍ وآله وسلم.

بعدَ اطِّلاعي على جوابِكُم الكريمِ، الدرِّ النظيمِ، الذي يَستحقُّ أنْ يُرفَعَ فوقَ الـرأسِ تكـريماً، المُحْيِي للنِّعمةِ إحياءَ العِظامِ وهي رميم، احتجتُ أذهبُ بهِ إلى حضرةِ أفندينا الوالي الكريمِ والخُلقِ العظيمِ الأرقِّ من النسيم، وفّقه اللهُ إلى رضاه، وسلَك بهِ طريقَ هُداه، حسين حلمي ـ لا زالَ في حمى مولاه ـ وأطلعْتُه على جوابِكُم على الحقيرِ، فأجابَ صراحةً أنْ ليس القصدُ إلاّ حقنَ الدماءِ بينَ المسلمين، وليسَ أكبرُ همِّه سوى ذٰلك، وأنّه يلزمُ كلَّ من يكونُ سبباً إلى ما هنالك، ورعايةً للمنفعةِ العموميةِ الإسلاميةِ والاتحادِ بينَها،

---

(1) أحمد بن محمد الكِبسي، ت١٣١٦هـ/١٨٩٨م، عالم، حافظ، له عدة مؤلفات منها «شمس المفتدى»، مات بصنعاء، ودفن بالقرب من مسجد مسيك، انظر «أئمة اليمن» (سيرة المنصور) ٢٩٧، «أجود المسلسلات» ١٠٢، «نزهة النظر» ١٤٣-١٤٥، «صفحات مجهولة» ٩٠، ٩٨، «رياض الصالحين» ٦٠، ووردت الرسالة في «أئمة اليمن» ٢٩٧.

وسلوكِ طريقِ الهدايةِ، ولم أُشاهِدْ منه ميلاً واستعداداً عن الخوضِ في أمورِ الدنيا وشروطها وزيادتِها ونقصانِها، وعجِبَ من سؤالِ الاستفسارِ لي عن كيفيّةِ الاتحادِ، وإنما يريدُ الاتّحادَ على رضا الباري مع قيامِ أركانِ الشريعةِ الغرّاء، وذكَرَ أنّهُ يُريدُ لكم كلَّ الخيرِ الدنيوي والأُخروي، أما الدّنيويُّ فالرجوعُ إلى الوطنِ والأحباءِ والسّكنِ مُعزّزاً مُكرّماً أميناً مُؤتَمَناً مع رِفعَةِ جنابِكَ وعُلوِّ بابِكَ وأعتابِكَ مع الدُّخولِ تحتَ ظلِّ أمرِ السلطانِ، سلطانِ الإسلامِ والمسلمين، الذي لهُ اليدُ العُليا، والغايةُ القُصوى في حفظِ بيضةِ الإسلامِ، والقيامِ بجِدِّهِ وجَهْدِه، ودفعِ شوكةِ أهلِ الكفرِ عن تمامٍ، معَ إضرابِ جانبِكُم العالي عن درسةِ الإمامةِ والخطبةِ والاستقلالِ، بلْ لكمْ رفعةُ الشأنِ كما كان لأولادِ الأشرافِ في الحرمين الشريفين، واليدُ الطولى في الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المُنْكَرِ، وإعزازِ كلمةِ الدينِ والتعاون على ما يُرضي ربَّ العالمين، أمّا استقلالٌ بجانبٍ من الأرضِ أو ادّعاءُ الأحقيّةِ في[1] الإمامةِ والخطبةِ، فلا يكونُ لذي الجنابِ العالي؛ يكونُ لديكم معلوماً، لنْ تجدَ غيرهُ منهُ على الجملةِ، إنَّ فتحَ بابِ الاستقلالِ والإمامةِ والخطبةِ مغلقٌ، وبابُ العزِّ في الدينِ والدنيا مفتوحٌ، ويُذكَرُ أني رجلٌ لا غائلةَ لي ولا حيلةٌ، ولا باطناً غيرَ الظاهر كما هو الواجبُ بينَ أهلِ الدينِ والجُلّةِ المؤمنين والإسلام والمسلمين، هٰذا ما علمتُ منهُ في الظّاهِرِ والباطنِ.

فيا أيُّها السيّدُ، المسلمون في ذمّةِ الجميعِ، لهم الفضلُ في النظرِ فيما
٦٥ب يَدْفَعُ عنهم / ويُصْلِحُ أُمورَهُمْ ويدفعُ فتنَتَهُمْ ومِحَنَهُمْ، وهتكَ أعراضِهم وسلبَ

---

(١) في أ: والإمامة.

أموالِهِم وخرابَ ديارِهم كما هو الواجبُ عليكم الجميع، ولا بدَّ من يومٍ تشخصُ فيه الأبصارُ، يومٌ لا يُغادِرُه(١) صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها، ووَجدوا ما عمِلوا حاضراً، ولا يظلِمُ ربُّكَ أحداً، فانظروا ـ الجميعُ ـ لما فيهِ النجاةُ بينَ يدَيْ اللهِ، وأنتَ أوْلى وأحقُّ بذلك، والسلامُ ختامٌ.

وحُرِّر شهرَ ربيع الآخر(1) سنةَ ١٣١٦، تمَّ المكتوبُ بحمدِ اللهِ.

وهذا جوابُ مولانـا الإمـامِ ـ حفظه الله ـ على السيِّدِ أحمدَ بنِ محمد الكبسي، ولفظُه

بسمِ اللهِ الرحمن الرحيم

زِمامَ الهدايةِ ونبراسَها، وقُطْبَ الدِّرايةِ وأساسَها، وحديقةَ الرِّوايةِ وغِراسُها. المُجْلي في مِضمارِ العلومِ، الحاوي لمنطوقِها والمفهومِ، أَسْبَلَ اللهُ عليه وابلَ الرِّعايةِ وألبَسَه جلبابَ الوقايةِ، والسَّلامُ عليه ورحمةُ اللهِ في البدايةِ والنهاية،

صدورُها بعدَ ورودِ جوابِكم المُتَضَمِّنِ أنكُم عَرَضْتُمْ جوابَنا الأَوَّلَ على مسامعِ الوالي الأفخمِ، وأنَّه صارَ مستعظِماً لسفكِ دماءِ المسلمين، وأنَّه لا يرومُ إلَّا الاتحادَ على رضا ربِّ العالمين، ثمَّ تفسيرَ الاتحادِ بالرجوعِ إلى الوطنِ في ظلِّ عدالةِ السُّلطانِ الأعظمِ والخاقانِ المُكرَّمِ، خادمِ الحرمين، ومانِعِهما عن الشَّيْنِ. وأنَّ الاستقلالَ غيرُ مقبولٍ، وأنَّ التسميةَ مرفوضةٌ إذا

---

(1) يلاحظ أن البداية كانت ربيع الأول، ثم حرر في ربيع الآخر، ولعله خطأ من الناسخ.

---

(١) في ع: يغادر فيه.

كانتْ بالمعنى المنقولِ، فنقول: اعلمْ ـ عافاكَ اللهُ وعافانا من النّار، ومِنْ غَضَبِ الربِّ الجبّارِ ـ أنّك إنْ كُنْتَ قادِراً على القولِ بالحقِّ وإنْ شَقَّ، وعلى المُجادَلةِ بالحُجّةِ ولو رُمِيَ بكَ إلى اللُّجّةِ منْ دونِ تخوُّفٍ من الوالي الأفخمِ، ولا تهيُّبٍ واحتشامٍ لمن قَعَدَ على سريرِ المُلْك الأعقمِ، فلا بأسَ في توسُّطِكَ بما يطابِقُ كتابَ اللهِ وسنةَ رسولِهِ، واصْدَعْ مَنْ خالَفَهُما منّا بالآياتِ القطعيةِ والأحاديثِ النبويةِ، فالحُجَّةُ عندَنا، وعندَ كلِّ عاقِلٍ أقطعُ من المدافعِ والجحافلِ، وإنْ لم يَكُنْ قادراً على إيضاحِ الحُجّةِ فليسَ في التوسُّطِ فائدةٌ، وليسَ إلا إيغالُ الصُّدورِ، واللهُ يَشْهَدُ علينا إذا لمْ نُنْصِفْ من نفوسِنا عندَ معرفةِ الحُجّةِ الشرعيّةِ أو العقليةِ لا بطريقِ المُغالَبةِ، فليست فائدةٌ إلى المقاربةِ، وإنّا ننشُد اللهَ ونَنشُدُ الواليَ المكرَّم، هلْ وَقَع الاستقلالُ للأجانبِ بأقطارٍ واسعةٍ من بلادِ الإسلامِ؟ فليكنْ آلُ الرسولِ كذلك استدفاعاً للدعْوةِ النبويّةِ حيثُ يقولُ صلى اللهُ عليه وآلِهِ وسلم: «أنا حربٌ لمن حارَبْتُمْ، سَلْمٌ لمن سالمتم»، والسلامُ مسكُ الختام.

وهـذا جوابُ مولانـا الإمـامِ ـ حفظَهُ اللهُ ـ على عليّ مثنى الحسيني، ومضمونُ الكتابِ يأتي، إن شاء اللهُ في الجوابِ، ولفظه:

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيم

هطلتْ سحـائبُ التحيَّةِ الـرضيَّةِ، وهَتَنَتْ أمزانُ البَركاتِ السنيَّةِ، على حضرةِ الياورِ الأشهَرِ، وخادمِ السلطانِ الأعظمِ المُظفَّرِ، السيفِ المسلولِ على من جَحَد وكفَرَ عليِّ بن مثنى الحسيني، حُمِدَتْ أفعالُه، ورَبَتْ[1] حركاتُه

(١) في أ: وركت، وفي م: ومُريت.

وأقوالـه، فإنّـه وصـلَ مكتـوبُكُمْ المؤرخ ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٣١٦، المتضمنُ لِذِكْرِ ما حدثَ من الاختلافِ، وأنَّ الواقعَ في اليمنِ من المأمورين لا يُوْجِبُ عدمَ الائتـلافِ، وأنْ قدْ قيلَ: إنَّ قيامَنـا إنمـا هوَ لطلبِ الـدُّنيا والرئاسةِ، وأن اللاَّئقَ بنا سكونُ صنعاءَ، محلِّ الراحةِ والنفاسةِ، وأنَّ مَنْ شاهَدَ مُنْكراً أو ظُلماً رَفعه إلى المأمورين، فإنْ أزالوا ذٰلك، وإلاَّ رَفَعَهُ إلى الأبوابِ العاليةِ، وأنّه يجبُ حقنُ الدّماءِ، وتسكينُ الدَّهْماءِ، هٰذا مضمونُ كتابِكم.

فنقـولُ: قدْ علمتَ، أيُّها الهمامُ، أنَّ القُطرَ اليَمانيَّ مملكةُ / أسلافِنا ٦٦أ
الدولةِ القاسميةِ، يأمرونَ بالمعروفِ، وينهَوْن عن المُنكرِ، ويعملونَ ويُعامِلون بما يطابِقُ فيه كتابَ اللهِ، وأفْصَحَتْ عن سنّةِ رسولِ اللهِ، إلى أنْ خَرَجت العساكرُ السلطانيةُ إلى عسير، فكاتَبْتُهم جماعةٌ من أشرارِ أهلِ اليمنِ، يطلبونَ وصولَهم إلى صنعاءَ، فوصلوا وحصلَ السرورُ مع كافةِ الناسِ ظنّاً منهم بإقامةِ الأحكـامِ الإسـلاميةِ المـطابقـةِ للنّصوصِ القرآنيةِ والسنَّةِ النبويّةِ، ويرفعونَ المظالِمَ الرديَّةَ، فلما اسْتَحْكَمَتِ الوطأةُ، ظهرَ الخمرُ كأنّه الماءُ الزلالُ، وظهرَ استحـلالُ فروجِ النسـاءِ والأطفالِ، وظهرَ الرِّبا في المعاملاتِ كأنّه المالُ الحلالُ، وبلغَ الظلمُ للضعفاءِ حدَّ الغايةِ، حتى يتمنّى الزارعُ أنْ يكونَ أجيرَاً للمأمورين، فلا تُسْمَعُ له شكايةٌ، وتولّى النصارى في مدنِ الإسلامِ، وصارت لهم الهيبةُ والعِنايةُ، فبذٰلك نزعَ اللهُ بركاتِ اليمنِ، ومُنعوا في الأغلبِ قَطْرَ السّماءِ، وزالَ عنهم ما يعتادونَهُ من النّعماءِ، حتى بلغَ ثَمَنُ الصّاعِ النبويِّ من الحَبِّ نصفَ ريال، بعـد أن كان أربعون صاعاً وأكثرُ بالرِّيالِ، وسَرَىٰ الغلاءُ في جميعِ الأشياءِ، وليسَ لذٰلك سببٌ غيرَ الظُّلمِ والمنكَراتِ، قالَ اللهُ

عزَّ وجَلَّ: ﴿فبظلمٍ من الذين هادوا حرَّمنا عليهم طيباتٍ أُحِلَّت لهم، وبصدِّهِمْ عن سسبيلِ اللهِ كثيراً، وأَخذِهِم الرِّبا، وقد نُهُوا عنه، وأكْلِهِمْ أموالَ الناسِ بالباطل﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ولو أنَّ أهلَ القُرى آمنوا واتَّقوا لَفَتَحْنَا عليهم بركاتٍ من السماءِ والأرضِ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ذٰلك بأنَّ الله لم يكُ مغيِّراً نِعمةً أنْعَمَها على قومٍ حتى يُغيِّروا ما بأنفسهم﴾[3]، ﴿وإذا أرادَ الله بقوم سوءاً فلا مَرَدَّ له، وما لَهُمْ من دونِهِ من والٍ﴾[4].

وأمَّا قولُك، إنْ قدْ قيلَ إنَّ قيامَنا لطلبِ الدّنيا، فسَلْ عما كُنَّا فيه مِن النِّعْمةِ والغِنىٰ بالدُّورِ والبساتينِ التي هي الآن[(١)] بأيدي المأمورين، والغيول والمزارعِ التي كان يحصلُ منها مئةٌ وخمسونَ ريالاً في الأربعين، اليومَ قيمةُ قَضبٍ من غيرِ الحبوبِ التي تكفينا صدقةً وأكلا، فهلْ ذٰلك يُمْنُ خيرٍ لمنْ يريدُ الراحةَ الفانيةَ، أمْ سكونُ الباديةِ ومجاورةُ الوحوشِ والذئابِ العاويةِ.

وأما قولُك: إنَّ من رأى مُنكراً يرفعُه إلى المأمورين، فَمَنْ رامَ أنْ يلوي لسانَه بذكرِ الحلالِ والحرامِ جَرَّ إلى نفسِهِ أنواعَ النَّكالِ، ونسبُوا إليه كلَّ محالٍ. أما سمِعْتَ بحبسِ العُلماءِ وتغريبِهم قريباً من ثلاثِ سنين ونحنُ منهم؟ وبعدَ خروجِنا عرضُوا علينا المعاشات مع المشاركةِ لهم في السكوتِ

---

(1) النساء: ١٦٠، ١٦١.
(2) الأعراف: ٩٦.
(3) الأنفال: ٥٣.
(4) الرعد: ١١.

---

(١) في أ: الأرب.

عنـدَ ذِكْـرِ أوامـرِ اللهِ ونـواهيه، فَمَنْ تقـرَّب إليهم في المجالِس عِوَضاً عن المدارِسِ، قرَّروا له المعاشاتِ، وبقيَ أهلُ الذين ظُلِمُوا حتى ذُلّوا وقُهِرُوا حتى قَلّوا، وكادَ الإسلامُ أن يُنسىٰ وخرج الظلم لابوسا.

وأما قولُك: إنَّ مَنْ لم يَجِدِ الإنصافَ من المأمورين، يَرْفعِ الحالَ إلى البابِ العالي، فدونَ بلوغِ المرفوعِ خَرْطُ القتادِ، ودونَ يدِ المظلومِ سيوفُ حِداد، كيفَ وقدْ اتَّخَذَ كلُّ مأمورٍ مُعيناً له من المُقيمين في البابِ العالي.

وكمْ قَدْ رَجَعَتْ مِنْ لوائـحَ ومعـروضـاتٍ إلى عنـدِ مَنْ هي عليه من المأمورين في اليمنِ ليُعاقَبَ مَنْ رَفَعَ به إلى المحلِّ المؤتمن؟ ومَنْ رامَ أنْ يَدْخُلَ بنفسِه إلى الأبوابِ العاليةِ، قلبُوا له الأمورَ، ونسَبُوا إليه الخطأَ والزُّور.

هٰذا القاضي يحيى المُجاهدُ دخلَ زاعماً أنّه يُقَلِّلُ المظالمَ، فصارَ عِبرةً للعوالِم، وضاعَ بين الدّعائم.

وأما / قولُك: إنك ناصِحٌ لنا بالاتّحادِ، فقدْ بَذَلْنا الصُلحَ المبنيَّ على مُطابَقَـةِ كتـابِ اللهِ وسُنَّـةِ رسـولِ الله، فأبى المشيرُ السـابقُ، وهٰذا الوالي اللّاحقُ، بعدَ وصولِ مكاتيبَ في طلبِ المصالحةِ، فلما ذكَرْنا لهم مطابقةَ الصُّلحِ لأوامرِ اللهِ ونواهيه، ورَمَتْ لذِكْرِها الآنافُ، وزعموا أنَّه لا حظَّ فيها لبني عبدِمناف، فعَرَفْنا أنَّ مرامَهُمْ محاربةُ أولادِ رسولِ الله، صلَّى اللهُ عليه وسلم، وجعلـوا تفسيرَ قولِـهِ تعالى: ﴿قلْ لا أسألُكُمْ أجراً إلاَّ المودةَ في القُرْبى﴾ لتكونَ عذراً في إتلافِ الأموالِ الميريةِ المستعدّةِ لمحاربةِ المِلَلِ الكُفْريّةِ، فكيفَ يجدُ ريحَ الانتظارِ، مَنْ نازَعَ الربَّ الجبَّارَ؟ أمْ مَنْ هٰذا الذي ينصُرُكم مِنْ دونِ الرحمٰن؟ ومَنْ كانَ مع اللهِ كانَ اللهُ معه، وجعَلَ لهُ اللهُ في ٦٦ب

أرضِهِ مفسحاً وسِعةً».

وأمّا حاشد وبكيل فلعلّكُمْ ما قد طالعْتُم السِّيَرَ التي فيها عبرةٌ لمن اعتبرَ، حتى ملوكُ حميرَ الذين من مشرقِ الأرضِ إلى مغاربِها، ودانتْ لهمْ هندُها وسِنْدُها وعرَبُها وعجَمُها وبَرُّها وبحرُها ما خلا حاشد وبكيل، فإنهم أعجزوا ملوكَ حميرَ حتى صالحُوهم على قطعِ الأتاوةِ، وإنّما سخّرهم اللهُ لآلِ محمدٍ كما سخّرَ الشياطينَ لسليمانَ، فمن أشارَ على هٰؤلاءِ المأمورين بمحاربتهِمْ، فإنما أرادَ يواطيَ كِبْرَهُمْ على الناسِ، وإنْ عَلِمَ اللهُ أنّه قد ساقَ أرْزَاقَهم من الرومِ في هٰذه المجاعةِ، فلا مانعَ لما أعطى ولا مُعطِيَ لما قضى امتناعُه، واللهُ يأخُذُ بنواصينا إلى رضاهُ، ويَلْطُفُ بنا فيما قضاهُ،

حُرِّرَ، شهر جمادي آخر ١٣١٦.

فصل

وفي أواخـرِ شهـرِ جمـادى الآخـرة من السنةِ المذكورةِ جهرتِ العجمُ ـ أقمـاهم اللهُ ـ العســاكرَ المتكاثرةَ بما قدَروا عليه من القوّةِ الباهرةِ صحبةَ طاغيتِهم عبدِالله باشا مشيرِ العساكرِ، يقصدون الشرفَ للأخذِ بالثأرِ كما قدّمناه فيما سلف.

وكان مطرحُ المقدَّمي سيفِ الإسلام، محمدِ الهادي عليه السلامُ، حينئذٍ في الشاهلِ، ومطرحُ العجمِ السابقين في بني مديخةَ وقفل شمر والذاري(1)،

(1) الذاري: قرية شرقي يريم بمسافة ٣٠كم، والمقصود محلة في الشرفين من عُزلة مسروح، انظر «معجم المقحفي» ٢٤٨، والذراري من بلاد خُبان، انظر «نزهة النظر» ٦٢٣، والذراري في اليمن كثير، منها قرية في بني مالك بناحية بني حشيش، ومن ناحية الشاحذية وأعمال الطويلة.

وليسَ بين مطرحِ العجمِ والعربِ غيرُ رميةٍ بحجر، وقد أيِسَ العجمُ من التعرُّضِ للمجاهدين، لما أذاقوهم من العذابِ المهين، وأوقعوا بهم تلكَ الوقائعَ التي لم تُعْهَدْ في مرِّ السنين حتى صارَتْ عِبرةً للمعتبرين».

فلمَّا وصلَ عبدُالله باشا إلى بعضِ الطريقِ تلقَّاه منافقو العرب(1) الذين هم شرُّ فريقٍ، فدلُّوهم على عَوْراتِ المجاهدين التي لا يعلَمُها عُتاةُ الأعجمين.

فلما تيقَّن الإمامُ، عليه السلام، مَخْرَجَ أولئك اللِّئامِ، أرسلَ السيِّدَ العلَّامةَ العمادَ يحيى بن حسن الكُحلاني، ومن صَحِبَهُ من المجاهدين، وألزمَهُمْ بحفظِ طريقِ جبلِ الأمرور(2)، ومدافعةِ العدوِّ، إذا أتى من تلكَ الطريقِ؛ لأنها عورة على الشاهلِ من طريقةِ الشرقِ، وألزمَ السيِّدَ حسين بنَ إسماعيلَ الشامي بِمَنْ معه بالمحافظةِ في محلٍّ يُقالُ له حُقبة، فلمّا وصلَ عبدُالله باشا هنالك، وقعَ الحربُ بينَهم، حربٌ عظيمٌ، ومضت العجمُ من هنالك حتى وصلوا جبلَ الأمرورِ، ووقع الحربُ بينَهم وبينَ المجاهدين، ومع كثرةِ الأعاجمِ وقِلَّةِ المجاهدين، لم يقدِروا على دفعِهِمْ، فقبضوا تلكَ السبيل، ولما قَبَضَ الأعاجمُ تلكَ الطريقَ، عرفَ المجاهدون بأنَّهم قد صاروا في مضيقٍ، وليسَ بعدَ ذلك إلاّ المحاصرةُ، وقطعُ المسالكِ الطاهرةِ؛ لأنهم قد قبضوا جميعَ الجهاتِ، وأخذوا أفواهَ الطُّرقاتِ، ولم يبقَ لهم طريقٌ من جهةِ
القِبْلةِ، مع أنَّ العجمَ / قد رتَّبوها في اللَّيلِ بنحوِ ثلاثِ مئةٍ، فاجتمعَ رأيُ ٦٧أ

(1) مقصود بمصطلح العرب هنا، اتباع العجم.

(2) الأمرور: عزلة من ناحية الشاهل وأعمال الشرفين، انظر «معجم المقحفي» ٤٦.

المجاهدين في الشّاهِلِ على الخروجِ منه، فخرجُوا منه، ولم يبقَ أحدٌ من القبـائـلِ، وكانَ خروجُهم من الجهةِ الشرقيّةِ، ومالوا عن الطريقِ التي فيها الـرَّتْبـةُ، مع أنّ المجـاهـدين لا يعلمـونَ بهم، وانتقـلَ المجـاهـدون إلى المحـابشة[1]، فأصبحت العجمُ في يومِ الثلوثِ، ثامنَ عشرَ شهرِ رجب، وقصدت الشاهلَ بعدَ الرمي إليه بالمدافعِ، فلما عرَفوا أنّه لم يبقَ فيه أحدٌ دخلوه، وحسِبوا أنّهم قد بلَغوا ما أمَّلُوه وفرِحوا بذلك، واللهُ لا يُحِبُّ الفرِحين، وحينئذٍ كتبَ الأعاجمُ إلى جميعِ أعوانِهم وأشياعِهم يذكرونَ ما وقعَ، ووردت المكاتيبُ إلى حضرةِ الإمامِ ـ عليهِ السلامُ ـ من الوالي حسين حلمي، يرغبُ في المصالحةِ، وأنّه قد قبضَ الشاهلَ وما وقفوا على طائل، ومضمونُ الكتابِ يأتي إنْ شاءَ اللهُ تعالى في الجوابِ، وصورةُ الجوابِ من حضرةِ الإمام، عليه السلام[2].

حضرةَ الوالي الأفخم، والوزيرِ المفخَّمِ حسين حلمي، أَلْهَمَهُ اللهُ سُبُلَ الرَّشادِ، وزَرعَ في قلبه الرَّحْمةَ لضعفاءِ البلادِ والعبادِ، ونُهْدي إلى شريفِ حضرتِهِ جزيلَ التحيّاتِ، وأنّه وصَلَ مكتوبُكم الكريمُ، المتضمِّنُ للتذكيرِ بما سبقَ من النّصائحِ من طريقِ السيّد العالم أحمدَ بنِ محمدٍ الكبسي، المشتملُ على التّحذيرِ والترغيبِ بالراحةِ والرفاهيةِ بمعنى التبشيرِ، وأنَّ السببَ في عدمِ قَبولِنا للنصائحِ، كونُ الشاهلِ بأيدي الأشرار، وحصولُ الحِلْمِ والتأني منكمْ

(1) المحابشة: بلدة مشهورة في وسط قضاء الشرفين، وهي مركز القضاء، تبعد عن حجة بنحو ٧٠كم شمالاً، وعن عَبْس بنحو ٣٥كم في الجهة الجنوبية الشرقية. انظر «نشر العرف» ١/٢٠، «معجم المقحفي» ٥٦١.

(2) «أئمة اليمن» ٢٥٧، وهو ينسب الرسالة لسيف الإسلام أحمد بن قاسم حميد الدين.

عن إجراءِ الحركاتِ العسكريةِ الشاهانية، وأنَّ حصولَ الشاهلِ بأيدي العسكرِ الشاهانية لم يَزِدْكُمْ إلّا تواضعاً، ولم يدْعُكُمْ إلّا إلى تزيُّدِ الرفقِ بتكريرِ النّصحِ بوصولِنا صنعاءَ، رغبةً في حقنِ دماءِ المسلمين، ورعايةً لحقِّ السلطانِ الأعظمِ، الناشرِ لثوبِ اللُّطْفِ على العالمين. فنقولُ في الجوابِ، على هٰذا الدرِّ من فصيحِ الخطابِ: إنَّ النصائحَ إنّما تتوجَّهُ إلى مرتكبي القبائحِ، وإلى مَنْ تَنكَّبَ عنِ الصَّوابِ، وخالَفَ السُّنَّةَ والكتابَ، وإنَّا ـ آلَ محمدٍ ـ قُرَنَاءُ الكتابِ، لا نُفارِقُهُ إلى يومِ الحساب، ولا نعملُ بالظَّنِّ ولا الرجمِ، وكلّما أفِلَ نجمٌ منّا طَلَع نجمٌ، كما وردَ بذٰلك صحيحاتُ الأخبارِ، وصَدَّقَهُ الواقعُ في جميعِ الأعصارِ(1)، لا يستطيعُ الطّالِعُ تركَ المُرورِ في فَلَكِ الغاربِ، ولا المخالفةَ بما أَمَرَهُ ربُّ المشارقِ والمغاربِ(2 لا كما تزعُمُه المجبِّرةُ والقدريةُ، مجوسُ هٰذه الأمةِ، في أفعالِ العبادِ، وأنها إذا خلُفتْ فيه قدرةَ الطاعةِ والمعصيةِ لا تقدِرُ على فعلِ ضدِّها، بلْ كما وَرَدَ في الأثرِ الصحيحِ في صفةِ تلقّي الوحي عن رسول الله ﷺ وآلِهِ، عن جبريل، وتلقّي جبريلَ عن الملكِ الذي فوقَه أنّه لا يستطيعُ السكوتَ عن إلقاءِ ما أُوحي إليه من ربه2)، فصارَ معنى مقارنةِ الكتابِ، العملَ بما فيه من الأحكامِ، والأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عن الحرامِ، فهل السّالكُ في هٰذه الطريقةِ تَتَوَجَّهُ إليهِ النصائحُ على الحقيقةِ، وهل ثَمَّ فرقٌ بينَ مَنْ يدعُو إلى إجراءِ الأحكامِ الرّبانيةِ، وبينَ مَنْ يدعو إلى الراحةِ والرّفاهيةِ. وأما كونُ السببِ في عدمِ قبولِ تلك النصائحِ هو الشاهلَ، والحِلْمَ عن الحركاتِ من كلِّ حافٍ وناعلٍ، فلمْ نعتمدْ على ذٰلك، بل

---

(1) في م: الأمصار.

(2 ـ 2) سقطت من «أئمة اليمن» ص58.

الاعتمادُ على اللهِ سبحانَه، وعلى علمِنا أنّه لا يغرُبُ عن خاطِرِكُمْ ولا خاطرِ السلطانِ المعظَّم ، ما ورَد في آلِ الرسولِ من نحوِ قولِه تعالى: ﴿قُلْ لا أَسأَلُكُم عليه أَجْراً إلاَّ المودةَ في القربى﴾، ونحوِ قولِه ﷺ في عترتِهِ: «أنا حرْبٌ لمن حارَبْتُمْ، سلْمٌ لِمَنْ سالمتم»، فاعتمدْنا على كمالِ معرفتِكُم / ٦٧ب
أنَّكُم لا تتركون قتالَ الكفارِ، وقد أخذوا من مدنِ الإسلامِ المدنَ العظيمةَ والأمصـارَ، ثم تَجْمعُـونَ هٰذه الجموعَ المتكاثرةَ، لمحاربةِ العترةِ الطّاهرةِ، على أنّا قدْ أسلفْنا في الجوابِ السابقِ أنّ المأمورين استجلبوا غضبَ السلطانِ ونسبـونـا إلى المخالفةِ والكُفْرانِ، قصداً منهم لإيلاف(١) الأموالِ الأميريةِ، ولجهادِ المللِ الكُفْريّة، لا لمحاربةِ العترةِ الزكيةِ، ونرجو منكم مخالفةَ أولٰئك المأمورين بما أشعرتُمْ من العدالةِ، ومحبةِ النبيِّ وآلهِ.

وقد علمتم ممّا أسْلَفْنا أنّا نبرأُ إلى اللهِ مِنْ سفكِ دماءِ المسلمين، فليسَ التـوجُّـهُ للمحـاربـةِ إلاّ مِن العساكرِ الشاهانيةِ، وليسَ ممَّن ينتمي إلينا غيرُ المـدافِعَـةِ فقط عن نفـوسِهم وأمـوالِهم، ومَنْ لم يُدافعْ فعلوا بهِ كما فعلوا بالأشرافِ أهلِ براع(١)، معَ أنَّ القتلَ في العساكرِ تارةً من المدافعين وتارةً إذا انهـزمـوا ضربَتْهم الطوبجيةُ بالمدافعِ ، والضباطُ بالسيوفِ القواطعِ ، وحاشا

---

(1) جبل بُرع: مشهور، وهو ناحية مستقلة من أعمال لواء الحديدة، مشرف على تهامة، رأسه يرتفع عن البحر نحو ألفي متر، وطريقه وعرة، وهو واسع، يشتمل على عدة عزل وقرى ومركز ناحية رقاب، يتصل من شماليه وادي، الفاصل بينه وبين بلاد القحرى من قضاء باجل، انظر «معجم الحجري» ١/٢٩٥.

---

(١) في م: لإتلاف.

حضرةَ السلطانِ الأعظمِ والخاقانِ المفخم أن يأمُرَ بذلك في أولادِ المسلمين، الذين هم العمدةُ في قتالِ الكافرين، ثمَّ حاشاكم أنْ تقولَ كما قالَ معاويةُ حين قُتِلَ خيرُ الصَّحابةِ: عمارُ بن ياسر(1): «إنَّما قَتَلَهُ من جاءَ به»، يعني وصيَّ رسول الله ﷺ وآلِهِ، عليَّ بن أبي طالبٍ الذي استخلَفَهُ رسولُ الله يومَ الغديرِ بالنصِّ الجليّ، وأمّا القوةُ فلا يُنكِرُها عاقلٌ، فمَنْ فاخَرَكُمْ فيها فكما فاخَرَ قَسّاً(2) بفصاحةِ باقلٍ(3)، وإنا معترفون بفقرِنا وضعفِنا، والتجائِنا إلى ربِّنا، فإنْ توجَّهتْ إلينا العساكرُ، فإنّما نُدافعُ بقوةِ الرَّبِّ القادِرِ، وليسَ لنا مملكةٌ نخافُ عليها إذا غُلبنا، ولا نرتجِفُ مِنْ مُجاوَرةِ الوحوشِ إذا طُلبنا، وأمّا المُصالحةُ فقد شهِدَ لنا بقبولِها الفلَكُ الدَّوَّارُ، لكنها صارَتْ إشاعتُها للحيلةِ من كلِّ غدّارٍ، وإلّا فسبيلُها معروفٌ، وذكرُها في التواريخِ موصوفٌ، وطالِعوا ـ إنْ شِئتمْ ـ سيرةَ مَنْ ملَكَ ما بين قرنَيْ الشَّمسِ، هل أذْعَنَتْ لهمْ حاشد وبكيل، كما أذعنتْ لهمُ الرُّومُ والسِّنْدُ والهندُ وكلُّ جبلٍ، أمْ صالحوهم بما يُسْكِنُ شرَّهم، ويَقْطَعُ كَرَّهم؟

---

(1) حول عمّار بن ياسر بن عامر بن كنانة، وقتله يوم صفين، والحديث: «عمار تقتله الفئة الباغية»، انظر «طبقات خليفة» ٢١، ٧٥، «طبقات ابن سعد» ١٩٤/٧-١٩٧، «التاريخ الكبير» ٢٥/٧، «حلية الأولياء» ١٣٩/١-١٤٣، «تاريخ بغداد» ١٥٠/١، «سير أعلام النبلاء» ٤٠٦/١.

(2) المقصود قسّ بن سَاعِدة الإيادي، ت نحو ٢٣ق.هـ، انظر «البيان والتبيين» ٢٢٧/١، «خزانة الأدب» للبغدادي ٢٦٧/١، «شرح مقامات الحريري» للشريشي ٢٥١/٢.

(3) باقل: اسم رجل يضرب به المثل في العِيّ، فقد ورد إنه لأعْيا من باقل، وهو اسم رجل من ربيعة كان عيياً، انظر «لسان العرب» ـ مادة: بَقَلَ ـ.

وحُرِّر ٢٧ شهر رجب ١٣١٦.

ثم ورَدَ إمضاءُ(١) مكتوبٌ من الياورِ عليٍّ بن مثنى الحسيني، متضمنٌ طَلَبَ الصُّلْح بإرجاعِ المأخوذِ منَ السّلاح، فأجابَ الإمامُ، عليه السلامُ، بما مضمونُه: بأنَّ معرفةَ الآخذين للسّلاحِ مُتَعَذِّرٌ، فإنَّ الآخذين له منْ تَجمُّعهم النّارُ ولا يُتَصَوَّرُ لهم انحصارٌ. ووصلَ أيضاً مكتوبٌ من عبدالله باشا كذٰلك، فأجابَ عليه السلامُ بجوابٍ جمعَ الفصاحةَ، فلمّا أيستْ من الإسعادِ للمصالحةِ أيقنوا أنَّ تجارتَهم غيرُ رابحةٍ، فتقدَّموا على المُسَبَّحِ ومدينةِ المحابشةِ فرقتين، فأما مَنْ في المحابشة فوقَع فيما بينهم بعضُ حربٍ، ثم افتشلوا، وصارت عقولُهم طائشةً، فخرجوا منه، وأمّا مَنْ في المُسَبَّح(1) ـ كان فيه سيفُ الإسلامِ وجماعةٌ كرامٌ ـ فوقعَ بينهم وبينَ العَجَمِ حربٌ يسيرٌ، وقُتِلَ فيه من العجمِ كثيرٌ، لأنَّ مقصودَ العجمِ التربُّصُ لسيفِ الإسلامِ، فحفِظَهُ اللهُ، الملكُ العَلاّمُ، ثمَّ بعدَ اللُّتيّا والتي خرجَ منهُ سيفُ الإسلامِ، وانتقلَ إلى المفتاحِ، وتكَوَّن حينئذٍ عمادُ الإسلامِ السيِّدُ يحيى بنُ حسنِ الكُحلاني كوناً يسيراً.

ومما يُذْكَرُ هنا أنّه وقعَ بينَ العربِ والعجمِ مناوشةُ حربٍ قبلَ قبضِ المحابشة وذٰلك يومَ الاثنين ٢٤، وهو اليومُ الذي أُخذوا فيه بني جل.

---

(1) بنو المُسَبَّح: من أهل الحجرية، وبنو المُسَبَّح يسكنون بناحية الدُّمْلُوة بموضع يعرف بالأودية، انظر «معجم الحجري» ١/٢٣٨.

---

(١) سقطت من م.

وفي يوم الثلوثِ، كان الحربُ في قريةٍ من قرى بني جل تسمى الحُقَيْبة، وذلك حينَ قدِموا على بني جل من الشاهلِ ومِنْ بني مَدِيْخَة طليعتين، ووقعَ حربٌ عظيمٌ قُتِلَ فيه علي نايلي باشا قومندان من كبارِ العجمِ وياورِه، فأظهروا عليه الأسفَ والتوجُّعَ، ثمَّ بعدَ قبضِ / الشاهلِ والمحابشة، ١٦٨أ
تفرَّقَتْ مطارِحُ العَجَمِ في الشرفِ(1): مطرحٌ في القُفل، ومطرحٌ في الشاهل، ومطرحٌ في بني مَدِيْخَة، ومطرحٌ في بيتِ المغربي(١)، ومطرحٌ في شَمْسَانَ، ومطرحٌ في القاهرة، ومطرحٌ في المشن، ومطرحٌ في جبل معروف، وأمّا سيفُ الإسلامِ فانتقلَ من المفتاحِ، وجعلَ فيه العجمُ مطرحاً، وأما الرُّتَبُ، فرتبةٌ في جبل الفايشِ(2) ورتبةٌ في المسوكة، ورتبةٌ في بني جل، ورتبةٌ في بني شيبانَ، وأمّا أهلُ البلادِ ففرُّوا في الأغوار والأنجاد، ولم يُسَلْطَن(3) منهم إلاَّ أهلُ الغيِّ والفسادِ، وكتبَ الإمامُ، عليه السلام، إليهم بالنّصيحةِ، أنّ الفرارَ

---

(1) الشرف المقصود شرف حجور: الجبل الواسع في الشمالي الغربي من حجة، ويشكل أحد قضواتها يتبعه كُحلان الشرف وخيران والمحابشة وأسلم والقُفْل والشاهل وأفلح اليمن، والمِفتاح وأفلح الشام، فيه العديد من الحصون والجبال الشامخة، ألف أحمد بن محمد الحيمي الشبامي كتابه المعروف باسم «تحقيق من عُرف بالرحلة إلى الشرف»، انظر، «معجم المقحفي» ٣٥١.

(2) جبل الفائش: بيت فايش، قرية من ناحية مسور المنتاب، وحصن الفايش من بلاد حاشد على مقربة من غُربان، انظر، «اليمن الكبرى» ١٨٧، «الجامع الوجيز» ١٧٧/٣.

(3) يسلطن: أي أعلن انضمامه لجانب السلطان، أي السلطان العثماني.

---

(١) في ع: المعري، م: المعرلى.

أَوْلى بالأحرارِ، وأنَّ مَنْ أطاعَ لا بدَّ يطلبون منهُ غيرَ المستطاع.

فلما فرَّ مَنْ فرَّ صاروا يغزُونَ العجمَ ليلاً ونهاراً، حتّى أنَّ العَجَم أدخَلُوا بعضَ البيوتِ رتبةً، فقتلوهم وأخذوا البنادقَ، وقدْ كان عبدُالله باشا، حينَ خرجَ، آلى أنَّه لا بدَّ يَطمِسُ اسمَ حاشد وبلاد الشرف، ومِنْ أولى ما يُذكَرُ أنَّ الإمامَ عليه السلامُ، لمّا وصلتْ إليه الأخبارُ من الشرفِ، وأرجفَ مِنَ المنافقين مَنْ أرجفَ، خرجَ إلى صلاةِ الجمعةِ، فخطبَ خطبةً عظيمةً بليغةً، ثم تضرَّعَ إلى اللهِ سبحانَه بدعاءٍ أبْكى العيونَ، وأيقَنَ معه كلُّ سامعٍ أنَّ الأعاجمَ مُخْذَلون.

ولقد استجابَ اللهُ دعاه، وحقَّق له ما أَمَّلَهُ ورَجاه، فإنَّ العَجَمَ حينَ وصلُوا الشَّرفَ، رماهُم اللهُ بالأمراضِ العظيمةِ المؤدِّيةِ إلى التلفِ، ففي كلِّ يومٍ يرحلُ منهم جماعةٌ إلى الأمواتِ، فكانَ اللهُ هو الذي نصرَ عبدَهُ، وكفاه كلَّ مهمٍّ وشدَّة، لم يَكِلْهُ إلى أحدٍ من خَلْقِه لتكونَ له عليهِ منّة، بل تولّى سبحانَه نُصرةَ الكِتابِ والسّنّةِ، وهٰكذا من فَوَّضَ أمرَهُ إلى الخالقِ، فإنّه ـ بلا شكٍّ ـ سيكفيه جميعَ البوايق.

وفي نصفِ شعبانَ، ليلةَ الثلاثاءِ خُسِفَ القمرُ من قريبِ نصفِ اللّيْلِ إلى الفجرِ حتى كَمُلَ خسوفُهُ، وكانَ أوّلُهُ أحمرَ وآخرُه أسودَ، وفي ذٰلك قالَ بعضُهم:

ـ الطويل ـ

إمامَ الهُدى بُشراكَ بالنَّصْرِ والتحِفْ ... وربٌّ كريمٌ سوفَ يُبْلِغُكَ الشَّرَفْ
فعمّا قليلٍ يذْهَبُ الكَرْبُ كلُّهُ ... ويُنْكَبُ إخوانُ العلوجِ عن الشَّرفْ
وكانَ يُحِبُّ الفالَ أحمدُ فانظروا ... فدايرُ سلطانِ الأعاجمِ قد خُسِفْ

بحـقِّ رسـولِ اللهِ والآلِ كلِّهــمِ … يَؤولُ جمـيعُ الأعـجمين إلى التَّلَفْ
وتُشْــرِقُ أرجــاءُ الــزّمــانِ بنـوركم … ويَذْهَبُ ما قدْ حلَّ بالنّاس مِن عَجَفْ
وتَـطْهُـرُ عَنْ رِجْسِ الأعـاجم أرضُنا … ويُغْـفَــرُ ذنبٌ كانَ للدهــرِ قدْ سلفْ
فلا تأسَ يا مولايَ فاللهُ حَسْـبُـكُـمْ … وفـي اللهِ عمّــا فاتَ يا سيِّدي خَلَفْ

وفي شهر رجب من هٰذه السنةِ المذكورةِ، رتَّبَ الإمامُ، عليه السلامُ، مدينـةَ شُهارَةَ(1)، بعدَ أنْ وصلَ إليها سيفُ الإسلام، وعلَمُ الأعلامِ، عمادُ الأنام، يحيى بنُ الإمامِ(2)، فوجَدَها من أحصنِ المعاقِلِ التي لا يقدِرُ عليها العدُوُّ، وإنْ وَصَلَ بأعظمِ الجحافِلِ.

ثمَّ إنَّ سيفَ الإسلامِ لمَّا رآها، كما وصفنا، زادَها تحصيناً من جميعِ الجهاتِ، وجعلَ فيها ما يحتاجُ إليه الذي فيها من الرتبةِ ثلاثَ سنين، وذٰلك من الحبوبِ المتكاثرةِ، والمِلْحِ والحَطَبِ والقِشْرِ والسليطِ والمونةِ، وغيرِ ذٰلك من المحتاجاتِ، كالزّبيبِ والتَّمْرِ ورتّبوها بنحو أربعِ مئةِ نفرٍ. وشُهارةَ الفيش بنحوِ مئةٍ، وهو حصنٌ عظيمٌ مُطِلٌّ على شُهارةِ الأمير، ولمّا وَقَعَ تحصينُ / ٦٨ب
هٰذا المعقلِ بالرِّجال والمالِ عظُم ذٰلك في أذهانِ العجمِ، ورأَوْا أنَّهم إنْ

---

(1) شُهارة أو شَهارة: جبل مشهور في بلاد الأهنوم، شمالي حجة، من معاقل اليمن المشهـورة، صار معقـلاً للأمير ذي الشـرفين محمـد بن جعفـر الإمـام القـاسم، ت٤٧٨هـ، ولذٰلك ينسبونها إليه فيقال شهارة الأمير، وشهارة الفيش، الجبل الآخر الذي يقابل الجبل الذي عليه شهارة الأمير، انظر «نيل الوطر» ١/٢٩٩، «نشر العرف» ١٢/١، ٧٠٩، «صفة جزيرة العرب» ٢٣٨، «معالم الآثار» ٧٠.
(2) يحيى بن الإمام محمد حميد الدين، انظر «نزهة النظر» ٢/٦٢٩.

قصدُوها بالحصارِ، فليس لهم على ذٰلك اقتدارٌ، وإن قصدوا بلادَ حاشد، كانَ ذٰلك أعظمَ شاغل، وقد كان مَنّاهم بعضُ الأرذالِ دخولَ بلادِ حاشد من الجهةِ الغربيةِ، وترتيبِ شُهارة، فحينَ سَبَقَهُم الإمامُ، عليه السلامُ، إلى هٰذه الديارِ سقَطَ ما في أيديهم، وتمكّنت الهيبةُ في صدورِهم، ورجَعَ طاغيتُهم عن عزمِهِ، وهٰذه ـ أعني شُهارةَ ـ من أجلِّ معاقلِ اليمنِ، ادَّخرَها اللهُ سبحانَه معقِلاً لأهلِ بيت نبيِّه المؤتَمنِ في آخرِ الزمنِ، وقدْ قصدْتُها لزيارةِ الإمامِ القاسمِ[1] والإمام المؤيَّدِ[2] والأمير ذي الشرفين وغيرِهم من العلماءِ الأفاضلِ الأماثلِ فتأمَّلْتُ فيها، فوجدْتُها مِنْ أحصنِ المعاقلِ، وفيها من مآثرِ الأئمةِ الجامعُ الهائلُ، وفيها الأسدادُ العظيمةُ، وفي السدِّ الذي إلى جانبِ الجامعِ عينُ ماءٍ شاهَدُوها حين نَضَبَ الماءُ.

ولقد شاهدْتُ فيها من الهواءِ ما لا يُشارِكُها فيه غيرُها، وقد ذكر المؤرِّخون

---

(1) القاسم بن محمد بن علي، المنصور بالله، ت١٠٢٩هـ، كانت دعوته في محل حجور يعرف بحديد قاره شمالي الشرف، كانت له معارك طاحنة مع الأتراك حتى أقره الأتراك على ما تحت يده مستقلاً بها، انظر «البدر الطالع» ١/٤٧، «خلاصة الأثر» ٢/٢٩٣، «شرح ذيل أجود المسلسلات» ٢٢٧، «المقتطف» ١٤١.

(2) المؤيد بالله محمد بن القاسم بن محمد، ت١٠٥٤، تقلد الحكم بعد وفاة والده، فأقر الصلح المنعقد بين والده والأتراك، أرسله صنوه الحسن بن القاسم إلى صعدة لإخماد الثورة، ثم وجهه سنة ١٠٣٥ إلى فيفا وهي أرض نازحة متصلة بتهامة وتم له فتحها، نقض المؤيد الصلح مع الأتراك بعد قتلهم لأحد الموالين للمؤيد في صنعاء، وكانت له مع الأتراك معارك طويلة انتهت بطرد الأتراك من اليمن سنة ١٠٤٥، انظر «غاية الأماني» ٨١٥، «خلاصة الأثر» ٤/١٢٢، «البدر الطالع» ٢/٢٣٨، «فرجة الهموم» ٢١٩، «المقتطف» ١٤٥.

أنّه كانَ فيها اثنتا عشرة مئةَ بيتٍ، والآن فيها نحوُ مئتي بيتٍ، وسبعةُ مساجِدَ، وأوَّلُ إمامٍ استوطَنَها ذو الشرفين.

قال مؤلِّفُ سيرتِه[1] مفرّح بن أحمد الربعي في وصفِ شهارة ما معناه: أنّه جبلٌ شامخٌ، ومعقلٌ باذخٌ، لا يتهيّأ له حصرٌ، ولا يُخْشَىٰ فيه قهرٌ، وإنما سمِّيتْ شهارةَ لاشتهارِها، وكانت تسمى مُعتَقا فيما تقدم، وفيها يقول مفرح بن أحمد شعراً: [الكامل]

وإذا امـرءٌ رامَ الـنّـجـاةَ فإنّـمـا سببُ النجـاةِ بمَـعْـتَـقٍ في مَعْتَقِ
ثَبـتَـتْ قواعِـدُ أُسِّـهِ بمـحـمَّـدٍ لصـلاحِ دينِ محمـدِ المستغـرقِ

وإنّما سُمِّيَ معْتَقاً؛ لأنّه كانَ يلتوي به الطريدُ، وتأتي إليهِ العبيدُ، فإذا لحقَتهُمْ مواليهم، قالت الأهنوم: شاوِروهم وشاوِروا مُعتَقاً، وذُكِرَ - واللهُ أعلمُ - أنَّ أسعدَ الكاملَ طلَعَها في مبتدإِ أمرِهِ في ثمانينَ رجلاً، وقال: استقرُّوا هاهنا، فسُمِّي الموضعُ أقَرَ، وأنَّ صاحبَ اليمنِ في ذٰلك الزمانِ حاصَرَهُ عليها، ونزلَ بموضعٍ يُقالُ له: أقر، وأنّه نزلَ عليهم فقتلهُمْ، فقال صاحبُ اليمنِ: شَهَرَنا هٰذا الجبلُ شَهَرهُ الله، فسُمِّي شُهارة.

قال مفرِّحُ بنُ أحمدَ - رحمه اللهُ -: روى لي خيُّ والدي، قال: لم ينجُ من القرامطةِ في الزّمانِ الأول إلا جبلَ الأهنوم والعَيَّان من بلادِ شاكر[2]. ومن

---

(1) سيرة ذي الشرفين محمد بن جعفر بن الإمام القاسم بن علي العيَّاني، ت٤٧٨هـ، منه نسخة في مكتبة الجامع الكبير الغربية، ١١٧.

(2) شاكر: من قبائل همدان ثم من بكيل من ولد شاكر بن ربيعة بن نِهْم وهما قسمان: وايلة ودُهمة، ومن لحام دُهمة: العمالسة وآل عمار وآل سالم وآل سليمان وذو غيلان =

مغارسِ شُهارة: الكرْمُ والآسُ والخوخُ والتفاحُ والمشمشُ والبلسُ والخرنوبُ والـرزُّ والعلسُ والبُرُّ والشعير والذّرةُ، ومِنْ معادِنِها ما ذكَرَهُ الرّواةُ في قديمِ الـزمان. منها: حجرُ البِلّوْر يُؤخذُ منه الشيءُ منفرداً، ويمكِنُ أنَّ له معادنَ مستورةً، ومِنْ ذٰلك: الكُحْلُ، يُوجدُ في شيءٍ من مساقطِ أوديتها، واللهُ أعلمُ بعنصُرِ ذٰلك أينَ هو، ومِنْ ذٰلك شبُّ الفؤادِ والشّبُّ الحميدي، ومنها عروقُ الملحِ، ومنها طينٌ في معادنَ، منها أبيضُ ليِّنٌ الرخِّ، أشبَهُ بالصابون، ولهُ في غسلِ الأدرانِ فِعلٌ، وذكروا أنه بجبلٍ في نواحيها، يُقال له عَيْشَان، معدنٌ من الذهب.

وسمعتُ الشريفَ الحسنَ بنَ علي الزيدي يقول: وطِئْتُ معاقلَ اليمنِ وحصونَها، فما فيها لشهارةَ نظيرٌ.

وروى الشريفُ المحسنُ بنُ محمدٍ الديلمي من طبرستان، وكان وصَلَ إلى شُهارةَ في شهرِ جمادي من شهورِ سنة ٤٨٥، فقالَ: اسمُها وذكرُها في بلدِنا، وما وصَلَها إنسانٌ إلاّ كانَ له في بلدِنا حالٌ وشأن يُتَبَرَّكُ منه، وقال: مذكورٌ عندَنا في قصةٍ، أنَّ أميرَ المؤمنين عليَّ بن أبي طالب ـ عليه السلامُ ـ كان يذكُرها باسمِها ويسَمِّيها قبةَ الإسلامِ، حولَها ثلاثُ مئةٍ وستين وادياً، في ناحيتِها معادنُ أربعةٌ: معدنُ ذهبٍ، ومعدِنُ فضّةٍ وكحلٍ، فهٰذا ما كان مِنْ روايتِه.

٦٩أ وذكرَ الشيخُ عليُّ بنُ محمد الحبيشي / أنّه وجدَ في صعدةَ كتاباً قديماً

= أهل برط والمهاشمة وبنو نوف وآل الدوى، وبلاد شاكر ما بين مأرب ونجران، انظر «معجم المقحفي» ٣٤٠.

بخطِّ الهادي، عليه السلامُ، أو في عصرِ الهادي، يقول فيه: إنه يكونُ أوّلُ عزٍّ أهلِ البيتِ مِنْ موضعٍ بناحيةِ تهامةَ، أوّلُ اسمه «شين» وآخرُه «ها»، واللهُ أعلمُ.

هٰذا مضمونُ ما ذكرَهُ مؤلِّفُ السيرةِ، رحمه اللهُ تعالى.

فصل

ثم إنَّ الإمامَ، عليه السلامُ، بعثَ الكتبَ والرسائلَ إلى بلادِ حاشد وغيرِها، يحثُّ الناسَ على الجهادِ من حينِ خرجَ عبدُالله باشا، فتثاقلت حاشدُ عن الإجابةِ، لولا[1] نفرٌ قليلٌ بالنسبةِ إلى كثرتِهم، فإنهم مئةُ ألفٍ أو يزيدونَ، والسَّبَبُ في التثاقلِ: أنَّ فيهم جماعةً من أهلِ الشِّقاقِ، الذين لا يخلو منهم عصرٌ من الأعصار، ولا مصرٌ من الأمصار، عداوةُ المنافقين لأهل الحقِّ. قالَ اللهُ تعالى: ﴿وكذٰلك جعلْنا لكلِّ نبيٍّ عدُوّاً من المجرمين﴾(1)، وما زالت هٰذه عادةً مستمرةً، فلا نجدُ إماماً من أئمةِ الحقِّ إلّا وقَدْ نَصَب له العداوةَ جماعةٌ من أهلِ الشقاوةِ. اللّٰهُمَّ أنْزِلْ بهم بأسَكَ الذي لا تردُّهُ عن القومِ المُجرمين.

ثم إنَّ هٰؤلاءِ المذكورين ما زالوا يُثَبِّطونَ الناسَ، ويردعونَهُمْ بشدَّةِ البأسِ، حتى حصلَ معهم الإياسُ، هٰذا، ولم يكنْ مقصدُ الإمام ـ عليه السلامُ ـ بتلك الكتبِ التي بعثَها إلى حاشد إلّا إقامةَ الحُجَّةِ عليهم، لا إنَّه متَّكل إليهم(2)، ولكنَّه معتصِمٌ باللهِ تعالى، فلقَدْ سمِعناه مِراراً يقولُ: ليس

(1) الفرقان: ٣١.

(2) الجملة قد يبدو فيها اضطراب، والمقصود غير متكل عليهم.

[1] في م: الا.

الـرّكُـونُ إلى أحـدٍ، إنما الرّكونُ إلى اللهِ سبحانه، وإنما عرفنا الناس لئلاّ يقولوا: تركَ الإمامُ الواجبَ، ولمْ يُعرِّفْ أحداً.

ثم إنّه وصلَ إلى الحضرةِ جماعةٌ من حاشد نحوَ المئتين والعشرةِ، فقرَّر الإمامُ صرفَهم من بيتِ المالِ.

وفي أوَّلِ يومٍ من رمضانَ، أرسلوا من يقبِضُ صرفَهُم من وكيلِ بيتِ المال، فلما وصلَ إلى بابِ المقامِ، وقعت المخاصمةُ بينَ الرسولِ وحاجبِ الإمامِ حتى أفضى الحالُ إلى شُهْرةِ السلاحِ، فَطُعِنَ ذلك الرسولُ، ورجلٌ من أصحابِ الإمامِ، وضرَبَ الصوتُ إلى حاشد، الذين كانوا في المدينةِ، فغاروا، وكادتْ تثورُ فتنةٌ عظيمةٌ فيما بينَ عسكرِ الإمامِ ـ عليه السلام ـ وبينَ مَنْ حضرَ من العسكرِ، وخرجَ الناسُ لإطفاءِ الفتنةِ مِن أصحابِ الإمامِ، ومِنْ عُقّالِ حاشد، فبينما همْ على ذلك، إذ أشرفَ الإمامُ ـ عليه السلام ـ من سطحِ البيتِ، فلمّا رأَوْه سَكَنوا، وكأنَّما صُبَّ الماءُ على النارِ، وقد كان بعضُ حاشد رَمَى ببندقٍ، ثمَّ إن عُقَّالَهم وصلوا بعقيرٍ إلى الإمامِ ـ عليه السلام ـ

ثم بعدَ ثمانيةِ أيامٍ، عزمَ أكثرُ العسكرِ المذكورين بلا إذنٍ من مولانا، عليه السلامُ، إلاّ خوفاً مِمّا وقع، وأبدَوْا أعذاراً كاذبةً، وكانَ رجلٌ منهم يتفوَّهُ على الإمامِ في الطريقِ بما لا يليق.

وكانت بندقةٌ مشحونةٌ، وهي من البنادقِ العجمي التي تقرحُ بالكبسونِ، فبينمـا هم يسيرون في الطّريق عندَ عزمِهم من المقامِ، إذ قَرَحَت البندقُ فوقعتْ في صاحبِها وحينئذٍ أُسقطَ في أيديهم، ورأَوْا أنهم قد ضلّوا.

وفي شهر شعبانَ، وصلت الكتبُ إلى حضرةِ الإمامِ ـ حفظه اللهُ ـ من

اليمنِ الأسفلِ، من ذوي غيلان، الساكنين هنالك، يطلبونَ مِنَ الإمامِ أمراً بالجهادِ، وأنّهم تائبون إلى ربِّ العبادِ، عمّا سَلَفَ من عدمِ الطّاعةِ والانقيادِ، لمّا رأَوْا تأثيرَ ذلك في أنفسِهم وفي البلادِ، وحقّقوا أنهم قَدْ قَبَضوا حصنَ التَعْكَر(1)، وهوَ من أمنعِ حصونِ اليمنِ التي تُحكى وتُذْكَرُ. وحقّقوا أيضاً أنّهم غزا على قريةِ عيْقرة(2)، وهي قريبٌ من(1) بابِ مدينةِ إب، فيها من الحبوبِ ما لا يُحصى، فغارتْ عليهم العجمُ، وقد نهَبوا منها كثيراً، فوقعَ الحربُ بينهم وبينَ العجمِ، وقتلوا منَ العجمِ ثلاثين، ومن العربِ قُتِلَ واحدٌ فقط.

ثم إنهم حَمَلوا ما قَدَروا عليه من القريةِ وفرّوا، وجعلَ لهم الإمامُ ـ عليه السلامُ ـ أمراً في الجهادِ / وشرَطَ عليهم تقوى اللهِ وعدمِ الإفسادِ، وامتثالَ ٦٩ب أوامرِ ربِّ العبادِ.

ذكرُ كرامةٍ للإمامِ عليه السلامُ:

وهي أن رجلاً من عُصَيْمَات الوطا، يُقال له، مقبل بن علي الأجدع وقعَ فيما بينَه وبينَ غريمهِ شجارٌ وخِصامٌ، فحضرَ عندَ الإمامِ، ورجَّحَ لمقبل بن

---

(1) حصن التَعْكَر: جبل عالٍ في أرض ذي الكلاع من مخلاف جعفر، يطل على مدينة ذي جِبْلَة ومدينة إب من الجنوب وعلى مدينة ذي سُفال والجَنَد من الشمال، انظر «معجم البلدان» ٣٤/٢، «مراصد الاطلاع» ٢٦٥/١، «صفة جزيرة العرب» ١٣١، «المفيد» ١٩٩، «معجم المقحفي» ٩١، «البلدان اليمانية» ٥٥.

(2) عيْقرة: من عزلة أنامر أسلفها غرب مدينة إب، شمال مدينة جبْلة، انظر «معجم المقحفي» ٤٧٧، «المدارس الإسلامية في اليمن» ٨٢، ٢٤٣.

---

(١) سقطت من ع.

علي شيطانُه بعقرِ عقيرٍ عندَ الإمامِ، بأنْ يُسْعِفَهُ بما طلَبَ، فأقنعهُ الإمامُ ـ عليه السلام ـ بحكمِ اللهِ سبحانَه، فذهَبَ مُغضَباً من الحضرةِ، وما زالَ يمُدُّ يدَه في قطعِ السبيلِ لتأليمِ[1] الإمامِ، حتى أنّه أخذَ على رجُلٍ من قبّاضِ[2] الإمامِ فلوساً، فاتّفقَ أنّه في بعضِ الأيامِ أرادَ أنْ يدْهَنَ بُنْدُقَهُ بقاز، وكانت مشحونةً، وقد نَسِيَ أنّه شحنها، فأخذَ قارورة القاز، وسكبَ إلى بطنِ البندق، فلما لم يخرجْ القازُ من أسفلِها حَرَّكَ المقصَّ فقرحَتْ، ووقعتْ في حَجَرٍ، وانفلقَت الرّصاصةُ فلقتين: فلقةٌ دخلتْ في مذاكِيره، وفلقةٌ في ثدي زوجتِه حتى شجَّتْه. وقرحت القارورةُ القازَ فجرحتْ مَنْ حولَه، وكانوا أحدَ عشرَ نفساً، ووقعَ فيه أيضاً من صوارفِ الرّصاصةِ جروحٌ كثيرة، وصفَ لنا هٰذا هو وغيرُه حينَ وصلَ تائباً إلى الإمامِ ـ عليه السلام ـ وعلِمَ وتيقّنَ أنّ ذٰلك عقوبةُ العصيانِ لإمامِ الزّمانِ.

ولقدْ وَصَل إلى الإمامِ ـ عليه السلامُ ـ معترفاً بالحَوْبَةِ[3]، مُقِرّاً بأنَّ ما وقَعَ عقوبةٌ، وأظهرَ التوبةَ وأبلى بلاءً حسناً في وقعةِ القاسمِ كما سنذكُرُه إنْ شاءَ اللهُ تعالى.

فصل

وفي شهرِ رمضانَ، ثَقُلتْ وطأةُ العجمِ على أهلِ الشرفِ، وما زال أعوانُ

---

(1) لتأليم الإمام: أي ليجعل الإمام متألماً.

(2) قَبّاض: هو الموظف الذي يمر على المزارعين في موسم الحصاد لقبض ما عليهم من أموال مطلوبة ويسمى أحياناً «الجابي»، انظر «وثائق يمنية» ١١٧، ٤٣٥.

(3) الحَوْبَة: الحاجة والمسكنة والفقر، انظر «لسان العرب» ـ مادة: حوب ـ.

العجمِ من العربِ المخذولين يخادعون أهلَ الشرفِ، ويرغّبونهم في الطاعةِ التي هي عنوانُ التّلفِ، ويمنُّونَهُمْ الأمانيَ الكاذبةَ، ويُبطنون لهم الشرَّ والخداعَ، فأطاعهُمْ من المشايخِ والرّعاعِ مَنْ أطاعَ. فصاروا يطلبون ممن أطاعَ ما لا يُستطاعُ حتى وقعَ نفورُهم وهرَبَ كثيرُهم بعدَ الطاعةِ لمّا أظهروا لهم الكامنَ، وطلبوا منهم البنادقَ، وصادروهم أعظمَ مصادرةٍ بالحربِ والضَّرْبِ، واشتدَّ عليهم الخَطْبُ، فأخذوا من أهلِ الجَبْرِ بعضَ البنادقِ، وفرَّ مِنَ الناسِ كلُّ صادقٍ، وأخرَبَتِ العجمُ أكثرَ البيوتِ في مدينةِ الشاهلِ، وأقدموا على الجوامعِ العِظامِ فاستأصلوها بالهَدْمِ. فظهرَ بذلك كذبُ ما يدّعُونه من الإسلامِ، فلما رأى العجمُ ما بهم قد نَزَلَ وألمَّ من نفورِ أهلِ الشرفِ وكثرةِ الموتِ والتلفِ والغزوِ فيهم، عن إمكانِ الفرصة، حتى أنَّ رجلاً غزا على جماعةٍ من العجمِ في طريقٍ فرماهم، وقتل منهم وسلب منهم أربعَ بنادقَ وبغل.

وأوْصلوا خُمْسَ الغنيمةِ إلى الإمامِ، عليه السلام، ونحنُ بالمقام، وحينئذٍ أيقنت العجمُ أنّه لا يُرجى لهم صلاحٌ، ونادى المنادي: لا مقامُ لكم فارجِعوا، فشرَعوا في خرابِ بعضِ بيوتِ بني كعب ونوسّان، وهمْ عمدةُ أهلِ الشرف، وفرسانُ هٰذا الميدانِ، والمشارُ إليهم بالبنانِ.

وفي أواخرِ شهرِ رمضانَ، وصلت الكتبُ إلى حضرةِ الإمامِ، عليه السلامُ، من بني كعب ونُوسان أنها تراجعتْ رجالُ الشرفِ للجهادِ، وضايقوا أعداءَ اللهِ العجمَ في الأغوارِ والأنجاد، فأمدَّهم الإمامُ ـ عليه السلام ـ بالمونةِ والزّادِ، ووقعَ بينهم وبينَ العجمِ في بعضِ تلك الأيامِ حربٌ عظيمٌ، وأنزلَ اللهُ الذِّلّةَ على العجمِ، وهمْ مثلُ الجرادِ المنتشرِ، فصارَ الواحدُ من بني كعب

ونوسان، يغلبُ من العجمِ مئةَ إنسان.

وفي هٰذا الشهرِ، وصلت الكتبُ إلى الحضرةِ، أنّها خرجتْ عسكرٌ مِمَّنْ في صنعاءَ متوجهين نحوَ عَمْران ثم بلغوا رَيْدةَ، وأظهروا أنَّ مرامَهُمْ التحصيلُ، وفي الباطنِ مكيدةٌ، / وصحبتَهم الشقيُّ عيالُ سريح، راجحُ بن سعد، ومعظمُ
١٧٠أ
المقصودِ أنهم يتشمّمون الأخبارَ ويخادِعون الناسَ، فغزتهم بنو عبدِالحاج المجاهد مصلح داحي العبدي، وجماعةٌ من أقاربِه، ووقع بينهم حربٌ شديدٌ، حتى علموا أنَّ الأمرَ جِدٌّ ليس بمزاحٍ. وكانت العجمُ حينئذٍ في قريةٍ تسمى حَمِدَة(1)، قريبٌ من نقيل الغولة(2)، فلما وقع الحربُ، رجعوا على أدبارِهِم إلى رَيْدَةَ، وكتبوا بما وقعَ إلى الوالي، وبعدَ مدّةٍ عشرةِ أيام خرجَ من صنعاءَ نحو الستِّ مئةٍ من العساكرِ حتى وصلوا عَمْرانَ، ثم انتقلوا إلى الصَّرارةِ(3)، وحصلَ الإرجافُ منهم على أهلِ السُّودة.

وفي أواخرِ الشهرِ الكريمِ، وصل مكتوبٌ من الياور عليّ بن مثنى الحسيني بأمرِ المشيرِ عبدالله باشا، تضمَّنَ المكتوبُ معاودةَ طلبِ الصُّلْح ومضمونهُ:

أنّهُ قَدْ وقَعَ سفْكُ الدّماءِ حتى بلغت القتلى إلى المليوناتِ، وأن

---

(1) حَمِدَة: مدينة بناحية عيال سريح في الغرب من عَمْرَان، انظر «صفحات مجهولة» ٩٧، «تاريخ اليمن الثقافي» ٢/٨٣، «معجم المقحفي» ٤٨٦.

(2) أي غولة عجيب، جبل في أقصى البون في الجهة الشمالية الغربية من رَيْدة بمسافة ٨كم، انظر «تاريخ اليمن الثقافي» ٢/٨٣، «معجم المقحفي» ٤٨٦.

(3) الصَّرارة: قرية في جبال عيال يزيد، شمال غرب عَمْرَان، انظر «أئمة اليمن» ٢٥٧، «معجم المقحفي» ٣٧٨.

التشويقات والمعاونات من بعض القرانات من باب تفريق شمل المسلمين، وهٰذا إشارةٌ منه أنَّ البنادقَ الفرنصاوي التي خرجتْ في أوائلِ هٰذا العامِ المسماةُ أبوسك، خرجتْ معونةً للإمام ـ عليه السلام ـ من الفرنصيص، وليسَ الأمرُ كذٰلك، وإنما استروَجُوا الأخبارَ الكاذبةَ مِمَّن نقَلَ إليهم، وأما خبرُ هٰذه البنادقِ، فقد بلغني عن بعضِهم؛ أنَّه لما وقَع الحربُ في العامِ السابقِ فيما بينَ السلطانِ عبدِالحميدِ واليونان، وهمْ فرقةٌ من فرقِ الكفّارِ، كانوا تحتَ الذمَّةِ، وصاروا يتَّجِرونَ في استنبول، وهمْ في الغايةِ من الكثرةِ، ولا سلاحَ لهم، فسوَّل لهم الشيطانُ، وبعضُ القرانات الكُفْريّة بأنّهم يشْرونَ لهم سلاحاً ويُخفونه، ويغدرون بالمسلمين على حينِ غفلةٍ؛ ليكونَ لهم مملكةٌ كغيرِهم من المِلَلِ الكُفْرية، وتواعدُوا للخروجِ في يومٍ واحدٍ، والفتكِ بالمسلمين، وأوْعَدَهُمْ بعضُ إخوانهم من الكُفّار بالخروجِ معهم للاستيلاءِ على الممالكِ العثمانيةِ، فلما حانَ الميعادُ، خرجوا حاملين للسّلاحِ ، وأضرموا نارَ الحربِ، وثبَّتَ اللهُ المسلمين، فكانَ المسلمُ يأخذُ السِّلاحَ من الكافرِ ويقتُلُه، حتى وقعتْ ملحمةٌ عظيمةٌ، استُشْهِدَ فيها من المسلمين آلافٌ مؤلفةٌ، حتى أُرْمِلَتْ كذا مِنَ النّساء، وضعفُ ذٰلك من الكُفّارِ، حتى وصل أراملُ الكفارِ إلى عدن، وطلبَ السلطانُ إعانةً لأراملِ المسلمين، وقتلَ اللهُ أكثرَ اليونانِ حتّى لم يبقَ منهم إلّا نفرٌ يسيرٌ أُجْلُوا إلى ساحلِ بحرِ الفرنصيصِ ، فصاروا هنالك يضبطون البنادقَ الفرنصاوي، وأخرجوها معونةً للعربِ لمّا بلغهم أنَّ الحربَ بينهم وبينَ أصحابِ السلطان، فكان ذٰلك أعظمَ معونةٍ حتى بلغَ قيمتُها فيما بين أهلِ اليمنِ عشرةَ ريالات، وبمعيّتها ثلاثون معبراً، وأما من الفرضة، فحدّثني من لا أتّهمه: أنهم ابتاعوا ذٰلك من خمسةِ ريالاتٍ، ومعَ كلِّ بندقٍ

صندوقُ مونةٍ فيه مئتا حبّةٍ، وصارتْ أفعالُ هٰذه البنادقِ يفوقُ أفعالِ المرْتِ السلطاني، فلهٰذا إنهم يتبرمون منها، ـ أعني العجم ـ.

واعلم أنَّها جرتْ عادةُ اللهِ سبحانَهُ وتعالى بموجبِ وعدِهِ الصادقِ، وحكمهِ السابقِ بنصرِ المؤمنين، وأن طائفةً من هٰذه الأمةِ لا تزالُ على الحقِّ ظاهرين لا يضرُّهُمْ مَنْ خالَفَهُمْ إلى يومِ الدينِ. وهٰذا وعدٌ صادقٌ لم يتخلَّفْ أبدَ الآبدين، فما يقعُ نادراً إلّا هو عقوبةٌ بسببِ التَّساهُلِ في الأوامرِ والنواهي، وقد وردَ مُصَرَّحاً به في بعضِ الأحاديثِ النبويّةِ، الذي تضمَّنَ معناه، أنه قال، عليه الصلاةُ والسلامُ: «كيف بِكُمْ إذا تداعَتْ عليكم الأممُ تداعيَ الأَكَلَةِ على القَصْعةِ»، قالوا: وذٰلك من قلّةٍ بنا يا رسولَ الله، قال: «لا، وإنكم لأَكْثَرُ ما
٧٠ب تكونون، ولٰكنّكم تركْتُمُ الأمرَ بالمعروفِ / والنهيَ عن المنكرِ فصِرْتُمْ غثاً كغُثاءِ السَّيلِ» أو كما قال، عليه وعلى آلِه أفضلُ الصلاةِ والسلام، وكذٰلك قولُه ﷺ: «إذا تبايَعْتُمْ بالعينةِ، وتبعْتُمْ أذنابَ البقرِ، وتركتم الجهادَ، سَلَّطَ الله عليكم ذُلًّا لا نزعُهُ منكم حتى ترجعوا إلى دينِكُم» الحديث، أو كما قال. وهٰؤلاءِ السلاطينُ بنو عثمان، لا يُنْكَرُ جهادُ أسلافِهم للكفّارِ، وحياطةُ الدينِ، إلّا أنَّ المتأخرين منهم خصوصاً من بعدِ الألفِ وقبلَها، تمادَوْا في الظُّلْمِ والطغيانِ، وبَدَّلُوا شرعَ اللهِ بقانونِ السُّلطانِ(1)، وشرعوا ما هو مضادٌّ لشريعةِ الرحمٰنِ، ومخالفٌ للسنةِ والقرآنِ ما يُفضي بقائلِه والعاملِ به إلى الكفرِ الصُّراحِ. نسألُ اللهَ السلامةَ.

---

(1) قانون السلطان: المقصود القوانين الوضعية التي أصدرتها الحكومة العثمانية، اقتباساً من الغرب، وهو ما يسمى بالتنظيمات.

وقد حظرهُ[1] عليهم جماعةٌ من العلماءِ الأعلامِ، ثمَّ ما زالَ يتزايدُ الشَّرُّ إلى هٰذه الغـايةِ، أيامَ السلطان عبدِالحميدِ بن عبدِالمجيد خان، فإنه صارَ يتعاطى أموراً سَوَّدتْ وجهَ الإسلامِ، وعادَ ضررُها على الخاصِّ والعام، منها تمكينُ النّصارى مِنْ وفْدِ اللهِ الحجاجِ إلى بيتِ اللهِ الحرام، فصاروا يسومُونَهُمْ سوءَ العذابِ بالكرنتينةِ، حتى أنهم فوّتوا الحجَّ على بعضِ الحُجَّاج، ولم يكنْ مقصدُهم غيرَ منعِ الحجِّ، لمّا عرَفوا أنَّه أعظمُ شعائرِ الإسلامِ، وبهِ يحصـلُ الاجتماعُ التمام[1]، وأنَّ المسلمين ربما تجمّعُوا هنالك على قائمٍ يقومُ فيُلمُّ شعثَ أمورِ المسلمين، لا سيما وقد عرفوا أنَّ قيامَ المهدي المنتظرِ يكونُ من هنالك، فكانوا أحرصَ الناسِ على إبطالِه، حتى أنّهم في العامِ السـابقِ جعلوا استخانة[2] في أعلى مكةَ على طريقِ الطالعِ إلى الجبلِ، وجعلوا فيهـا حكيمين من النّصـارى، وصارَ أعوانُهم يأخذونَ الأمراضَ من الطرقاتِ والبيوت على جهةِ الإكراهِ، ويُدخِلونه الاستخانةَ، ويكونُ آخرَ العهد به. ويُلْقون على مَنْ مَرَّ منَ الطريقِ ماءً مِن المصّاصةِ، فلا تقعُ في جسمِ رجلٍ إلاّ صارَ مثلَ حرقِ النار، هٰكذا حدّثني من أثقُ به، ويزعُمون إنما ذٰلك على جهةِ المداواةِ تغميراً على من لا عقلَ له، فقيَّضَ اللهُ سبحانَه، وله الحمدُ بعضَ أمراءِ البلادِ النجديةِ، فدعى الحكيمَ الأكبرَ الذي هنالك، ثم سألَهُ: أنتَ الحكيمُ الأكبرُ؟ فقال: نعم، فاخترط نصلُه السبيكي وضربَه حتى بَرَدَ، والحكيمُ الآخرُ شَرَدَ، فلحقَهُ بعضُ أولٰئك العسكرِ فقتَلَهُ، فقيلَ: إنهم دخلوا الاستخـانةَ فوجدوا فيها أناساً من المسلمين قد ذُبحوا وعُلِّقوا بأرجُلِهم فوقَ طشتٍ لإخراجِ الدَّمِ إليه.

---

(1) هي حذره. (2) الاستخانة: أي مستشفى.

---

(١) في ع، م: التام.

هٰكذا أخبرني من كانَ في هٰذا العام من الحُجّاجِ من بعضِ أقارِبنا، وأخذوا مِن الاستخانةِ جميعَ الحجاجِ صرفاً صرفاً، فلمّا أراحَ اللهُ المسلمين منه هربَ الشريفُ - أعني شريفَ مكةَ - إلى الطائفِ، فلم يحجَّ تلكَ السنةَ. وطالبت النّصارى بدمِ تلكَ المقاتيلِ، فأظهرَ الشريفُ مكتوباً سابقاً على النصارى، أنَّ من دخلَ منهم مكةَ فهو هدرٌ، فلم يَقْنعِ النصارى بذٰلك بل أذِنوا بالحربِ، ونصبوا المدافعَ في البحرِ، فأجابَ عليهم أصحابُ السلطانِ أنهم العربُ، فدونكمْ، فقيل: إنّه تأهّبَ ابنُ رشيد(1)، أميرُ نجدٍ للحربِ، فلما رأى النّصارى أنه لا قدرةَ لهم، أهدروا دماءَهم وللهِ الحمد.

ومن عظائمِ جرائمِ هٰذا السلطانِ، أنّه رهنَ بلادَ مصرَ من الإنقليز قِراناً من قِراناتِ النصارى، ومكّنهم من قلاعِها وحصونِها.

ومن العجائبِ، أنّه وقعَ مرضٌ في بعضِ المهاجرين من الشامِ لطلبِ العلمِ، فأرادَ النصارى إخراجَهم من البلادِ، فنهاهم أهلُها عن ذٰلك، وقاموا مع المهاجرين، وحثَّ العلماءُ الناسَ على منعِ الكُفّارِ، وكادت تثورُ فتنةٌ، فكتبَ الإنقليزُ إلى السلطانِ بالواقعِ، وكتبَ العلماءُ والأعيانُ إلى السلطانِ بما كان، فلمّا وصلت الكتبُ إلى السُّلطانِ، أرسلَ العسكرَ والمدافعَ، فلما وصلوا
٧١أ أيقنَ العلماءُ والأعيانُ أنَّ السلطانَ لا يرضىٰ بإهانةٍ / على أهلِ الإيمانِ،

---

(1) المقصود محمد بن عبدالله آل رشيد، كان حليفاً قوياً للعثمانيين، وأما المعاصر للإمام فكان عبدالعزيز بن متعب، ومتعب الثاني بن عبدالعزيز، انظر «قلب جزيرة العرب» لفؤاد حمزة، ٣٤٢، الزركلي ١/١١٤، «عنوان المجد» ٢/٨٣، «القول السديد في أخبار إمارة آل رشيد» (طبع ملحقاً لنبذة ضاري بن فهيد الرشيد)، دار اليمامة، ١٣٨٦هـ، (١٣٣-١٧٣)، ص١٤٨.

فتلقَّوْا العسكرَ، وما عرَفوا أنَّه قَدْ أبطنَ خِلافَ ما أظهرَ، فأوثقوا العلماءَ في الحبسِ، وأرسلوا بعضَ العسكرِ إلى المهاجرين، وهم نحوُ أربعِ مئةٍ، فألقَوْا عليهم المدافعَ والبنادقَ وهمْ قيامٌ للصلاة حتى هَلكوا عن آخرِهم، فإنّا للهِ وإنَّا إليه راجعون. فهلْ يفعلُ هٰذا مَنْ فيه مِسْكةٌ من الدين! لا واللهِ، وإنّما يُقْدِمُ عليه مَنْ خلَعَ رِبْقةَ الإسلامِ من عُنُقِه، ولم يستحِ من اللهِ ومِنْ رسولِه وصالحِ المسلمين، فليتَ شعري ما يُجيبُ به خالقَه يومَ يلقاه؟ فيا لها من مصيبةٍ عليه عظيمةٍ، وفاقرةٍ جسيمة! تركتْ قلوبَ المسلمين سقيمةً، وآهاً له من خَطْبٍ صكَّ المسامعَ، وحقَّ أَنْ تُسْكَبَ عندَ ذِكْرِهِ المدامعُ، اللّٰهمَّ انصرْ دينَ الإسلامِ، فإنَّه قد أشرفَ على الخرابِ والانهدام، وارْحَمِ الغُرباءَ، فإنَّها قد ضاقتْ بهم الجبالُ والآكامُ، يا أرحمَ الراحمين!

فيا مَعْشَرَ المؤمنين، ويا حُثالةَ الموحِّدين، تيقَّظوا من غفلتِكُمْ وراجِعوا دينَكُمْ من قبلِ أنْ يُصَبَّ عليكم البلاءُ صبّاً، وتدعون إلٰهَكم فلا يستجيبُ لكم، ولا تطمئنوا إلى الحياة الدّنيا، فإنها لا تبقى على أحدٍ من العالمين. وإنما هي طيفُ خيالٍ عمّا قريبٍ تصبحُ كأحلامِ النائمين، وإنّ هٰذا السلطانَ الخبيثَ اللّعينَ، قدْ كدَّرَ على المسلمين مشاربَ الدنيا والدين، فاخلَعُوه قبلَ أنْ يبيعَكُم من الكافرين، وتصبحوا مِنْ طاعتِهِ نادمين، اللّٰهُمَّ إنا[1] نُشهِدُكَ أنما بما أنْزَلْتَ مؤمنون، ومِمّا زعَمَهُ المترَفون بريئون، فاكتُبْنا مع الشاهدين، يا إلٰه العالمين.

وفي أواخرِ شهرِ رمضانَ، حصلَ معَ الإمامِ، عليه السلامُ، عارِضٌ زائلٌ،

---

(١) سقطت من ع.

فتألَّمَتْ لألمِه الفضائلُ، ومعَ ذٰلك المرضِ الشديدِ، فإنَّ الإمامَ ـ عليه السلامُ ـ لم يعتذِرْ عن تدبيرِ ما وقعَ من الأمورِ المهمّةِ، وتحصيلِ ما فيه نفعٌ للأمّةِ، ثم مَنّ اللهُ بالشفاءِ فالحمدُ للهِ، وفي هٰذه المدةِ وصلَ إلى حضرةِ الإمام هٰذه الأبياتُ من السيدِ الأديبِ محمدِ بنِ عبدِالله الخزان، وهي:

[الطويل]

علوتَ على العلياءِ يا ابنَ الأكارمِ ... وَرِثْتَ منَ الآباءِ كلَّ المكارمِ

سَبَقْتَ جميعَ الناسِ في كلِّ مفخرٍ ... بلَغْتَ ارتفاعاً فوقَ هامِ النّعايمِ

أَقَمْتَ قَناةَ الدّينِ في كلِّ بلدةٍ ... وهدَّمْتَ بُنيانَ الخَنا والمظالِمِ

وأَحْيَيْتَ شَرْعَ اللهِ، أَنْفَذْتَ حُكْمَهُ ... وَعَثَّرْتَ ما قَدْ كانَ من كلِّ ظالمِ

وفُزْتَ بكلِّ الفضلِ للمجدِ أَنْتَ قدْ ... بَنَيْتَ بناءً غيرَ واهي الدّعائمِ

حَوَيْتَ كراماتِ الأئمةِ كلَّها ... ولَمْ يحتَوُوا(١) ما فيك كلُّ الهواشمِ

فلولاكَ يا مولايَ واللهِ مقسماً ... لعمَّ الورى في الأرضِ ظلمُ الأعاجمِ

وأَضْحى بها الدينُ الحنيفُ مُهَدَّماً ... ويعتمُّ في أنجادِها والتهايمِ

ولا انتَصَبَتْ في العصرِ للحقِّ رايةٌ ... ولا عَلَمٌ يمتازُ بينَ العوالِمِ

ولا مَنْ يلوذُ المؤمنونَ بهِ ولا ... مغيثٌ لَهُمْ يدْعاً لدفعِ المظالمِ

فكَمْ كانَ مِنْ ظُلْمٍ وجورٍ لظالمٍ ... وكَمْ بغيِ باغٍ وانتهاكِ محارمِ

ولكنَّ ربَّ العالمين اصطفاكَ مِنْ ... خِيارِ بني الزهرا التّقيّ الحرائِمِ

إمامُ الهدى المنصورُ أفضلُ قائمٍ ... من العِترةِ الأطْهارِ نسلِ الفواطمِ

قد اختارَهُ اللهُ الحكيمُ خليفةً ... لحِفْظِ حُدودِ اللهِ من كلِّ ناقمِ

---

(١) الأصوب: لم يحتو.

/ له صاحَ طيرُ السَّعْـدِ منـذُ قيامِـهِ ألا قامَ محيي الـدينِ مِنْ آلِ قاسمِ ٧١ ب

وإنَّ إمـامَ العصـرِ هٰذا هو الـرِّضـا لقـد جاءَ قِدْماً نَعْتُـه في المَـلاحمِ

فَمَنْ رامَ حصـرَ المَـدْح فيه مكمَّـلاً فلَمْ ينحَصِـرْ مني ومِنْ كلِّ ناظمِ

فَمُنْـذُ نَشـا في شِدَّةِ البأْسِ عادلاً معَ الـرأي والتـدبيرِ أحـزمُ الحزمِ(١)

إلى أنْ حوى كلَّ الفضـائلِ واستوى بِعِـلْـمٍ وجـودٍ يزدري جودَ حاتـمِ

وصِـرْتَ أميرَ الـمؤمنـينَ مدَمِّـراً لأهـلِ المعاصي بالسيوفِ الصَّوارمِ

وأنـتَ ملاذٌ للمـطيعـين ملجـأً وأنـتَ لدَرْءِ الـحـادثِ الـمُتفـاقمِ

حليفُ النّدى نافي الرَّدى قاهرُ العِدى وجـالي الصَّـدا حتفـاً لكـلِّ مُقـاوِمِ

زكـيٌّ تقـيٌّ ذو كَرامـةٍ حليمٌ لدى الأحـداثِ أعـدلُ حاكِمِ

فجَـدَّدْتَ دينَ الحقِّ مولايَ ناصـراً وشَـيَّدْتَـهُ عَدْلاً بحـدِّ الـعـزايمِ

فلا زِلْـتَ بالـنَّـصْـرِ الـعـزيزِ مؤيَّداً ودُمْـتَ لِحِـفْظِ الـدِّينِ يا خيرَ قائمِ

وفي ليلةِ عيدِ الفطرِ وقـعَ مطرُ ديمـةٍ، عمَّ الأرضَ جميعاً، أعني قُطْرَ اليمنِ، وخـرجْنا لصلاةِ العيدِ في مقامِ حضرةِ الإمامِ ـ عليه السلامُ ـ فلمّا أحْرَمَ الناسُ لصلاةِ العيدِ، نزلَ المطرُ، فلمَّا كَمُلَتِ الصلاةُ انكفَّ المطرُ حتى كَمُلَتِ الخطبةُ، ومما قيلَ في التهنئةِ بالعيدِ لجنابِ الإمامِ السعيدِ:

[الطويـل]

يُهَـنِّـيكَ بالـعيدِ الـذي أنْتَ عيدُهُ بِكَـمْ قَدْ تحـلّى بالـفضـائِـلِ جيدُهُ

فللّٰهِ دهـرٌ أنـتَ قامـوسُ مَجْـدِهِ وخـيرَ(٢) زمـانٍ أنـتَ فيه وحـيدُهُ

فأنْـتَ الـذي أَحْـيَيْتَ كُلَّ فضـيلةٍ ورسـمُ الـعُـلَى لا شكَّ أنْتَ مُعِيدُهُ

(١) فيه خلل عروضي، ويمكن أن تكون «أحزمٌ من الحزمِ».

(٢) في أ: حب.

بَدَا مِنْكَ بدرٌ لَيْسَ يُخْشىٰ أُفولُهُ ... فلا مَفْخَرٌ إلاّ وأنْتَ مُشيدُه
عجِبْتُ لمن يَشْكو مِنَ الدَّهْرِ ضيْمَهُ ... ومثلُك يا مولايَ عزٌّ وجودُه
أبى اللهُ إلاَّ أنْ يُتِمَّ لكَ العُلا ... ويُشرِقَ في أفْقِ الكَمالِ سُعودُه
ومَنْ رامَ مِنْ هٰذا الإمامِ خلافَهُ ... فإنَّ إلٰهَ العالمين يُبيدُه
يقولونَ قَدْ جاءَ العدُوُّ مشمِّراً ... وقَدْ كَثُرَتْ أَعْوانُهُ وجنودُهُ
وخابَ مِنَ الأَنصارِ كلُّ مؤمِّلٍ ... سوى ملِكٍ لا يُسْتَطامُ عبيدُه
فقلتُ لَهُمْ هٰذا هو الفَرَجُ الذي ... سَتُمْطِرُ بالنَّصْرِ العظيمِ رعودُه
وكيفَ يَخافُ الضَّيْمَ واللهُ حَسْبُهُ ... ومَوْلاهُ مَوْلاهُ العظيمُ عضيدُه
وهٰذا نزولُ الغَيْثِ أعظَمُ شاهِدٍ ... فنسأَلُ ربَّ العالمين يَزيدُه
يُثَبِّتُ أَقداماً(١) ويُصْلِحُ فاسِداً ... ويُذْهِبُ رِجْزاً للعَدُوِّ يريدُهُ
فلا تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ ... فما اختلفتْ يا قومُ قطُّ وعُودُهُ
فَعَمّا قليلٍ يُظْهِرُ الحقُّ في الوَرى ... يحقِّقُ في كلِّ البلادِ بنودَهُ
ويُنْزِلُ عِلجَ الرومِ في شرِّ منزلٍ ... ويقَعُ إنْ شاءَ الإلٰهُ وريدَهُ

١٧٢أ / وفي ثالثِ عيدِ الفطرِ، جهَّزَ مولانا ـ عليه السلامُ ـ مَنْ بقيَ في المقامِ من حاشد ووادعةَ لمواجهةِ العدوِّ الذي في الصَّرارةِ، وجعلَ المقدَّميَّ عليهم سيفَ الإسلامِ ، محمدَ بنَ المتوكل، عليه السلامُ، وكان حينئذٍ عامِلاً على بلادِ السودةِ (٢فأرسلهم إليه٢)، فلما وصلوا السودةَ وحضرَ سيفُ الإسلامِ ، أَبى أهلُ السودةِ أنْ يفتحوا لهم البيوتَ والحصونَ وناوشوهم بالحربِ حتى تكوَّنَ

---

(١) في ع: أقلاماً.

(٢ ٢) الأصح: فأرسله إليهم.

رجلٌ من المجاهدين في بني منصور، فكانَ مقرُّ سيفِ الإسلام، ومن صحبته في جبلِ بني عَبْد(1)، ولم يقبَلُوهم إلا بخداعةٍ، وكان السببُ في هٰذه الأمورِ الظاهرةِ البشاعةِ أنَّ المنافقين أعوانُ الأعجمين(١)، أَرْجفوا على أهلِ السّودة، وأنّه لا قدرةَ لهم على مقاومةِ العجمِ ، وهمْ في غايةِ ما يكونُ من الكَثْرةِ، وأخذوا لهم الأمانَ، وقادهم الخذلانُ، واستحوَذَ عليهم الشيطانُ، حتى أظهروا المخالفةَ على إمامِ الزمانِ. وكلُّ ذٰلك صادرٌ من المشايخِ الذين صارَ الظُّلْمُ في صدورِهِم كالجبالِ الشوامخِ ، ومرامُهم الاستبدادُ بالأمرِ، فخيَّبَ اللهُ أَمَلَهُم.

ثمَّ إنَّ العَجَم لما رأَوْا أنه لا يمكنُ استمرارُ الطاعةِ من أهلِ الشرفِ، ضاقَ بهم الحالُ، لمّا رأَوْا مِنْ قَتْلِ الرِّجال، ونهبِ الأثقالِ ، فعزَموا على الارتحالِ ، فانتقلُوا من قرى بني كعب، ونوسانَ والجبرِ، وما يلي ذٰلك، ولحقتْهُم رجالُ نوسانَ وبني كعبٍ بالحربِ، وقد صاروا في أعظمِ ما يكونُ من الذلّةِ والهوانِ، حتى صارَ النَّفَرُ القليلُ يتبعون الكثيرَ من العجمِ فلا يُقابلونهم إلّا بالفِرارِ حتى وصَلُوا موضعاً يُسمى الراحةَ، شرقيُّ وادي مَوْر. وكان خروجُهم من الشرف يومَ الخميس، خامسَ شهرِ شوال بما بقيَ معهم من الأثقالِ ، وكان بعضُ الحُمولِ سُخرِيّاً لأهلِ الشرفِ، فلحِقوهم بالحربِ

---

(1) جبل بني عَبْد: بنو عَبْد، من قبائل بكيل بجوار جبال عيالِ يزيد وأعمال عَمْرَان، انظر «نشر العرف» ١/٣١٩، «البدر الطالع» ١/١٣٣، «معجم المقحفي» ٤٢٣-٤٢٤.

---

(١) في ع: العجم.

حتى استطرحوا تلكَ الدَّوابَّ، وباتَتِ العجمُ ليلةَ الجمعةِ في الراحةِ، وكانَ مرامُهم يقطعون مَوْراً فمنَعَهُمْ نزولُ السيلِ، ومَكَثتِ العجمُ يومَ الجمعةِ في القريةِ المذكورةِ، وقد نفذَت عليهم الميرةُ والمونة.

وكان الإمامُ ـ حفِظَهُ الله ـ قد أرسلَ الشيخَ مسعودَ البارقَ وصحبتَه جماعةً ليلقىٰ العجمَ، وكذلك سيفُ الإسلامِ، عمادُ الدين بنُ الإمام ـ حفظه الله ـ أرسلَ السيِّدَ الظافرَ والسيفَ الباترَ حسينَ بن قاسم عامر، وصحبته جماعةٌ من بني عَرْجلة[1] والغنايا[2] وتبعتْهُمْ جماعةٌ من بني نسر[3]، فلما وصل السيدُ حسينُ بنُ قاسمٍ والشيخُ الصادقُ مسعودُ البارق إلى الجَميمةَ[4]، وجدوهم قد داخَلَهُمْ الرُّعْبُ والوَهَنُ والخصالُ الذميمةُ، فتأمّنوا من العجمِ وظنّوا الهزيمةَ، ومنعوا المجاهدين من التعرُّضِ للعجمِ من بلادِهِم.

وقعةُ الدومةِ والراحةِ ووادي أخرف[5]:

---

(1) بنو عَرْجلة: من قبائل حاشد ثم من عِذَر، وهم قسمان: شرقي وغربي، ومن الشرقيين: السكيات والبراغشة، ومن كبار الشرقيين: ابن زغبة وابن رطاس وابن فلحان والشعوني والشوعي، انظر «معجم المقحفي» ٤٣٧.

(2) الغنايا: من قبائل حاشد ثم من العُصَيمات، انظر «معجم المقحفي» ٤٨٥.

(3) بنو نسر: من قبائل الأهنوم، انظر «معجم المقحفي» ٦٥٨.

(4) الجَمْيمة: اسم مشترك لعدد من المواضع، قرية في سيران الشرقي من بلاد شهارة، وقرية في مَبْيَن حجة من عُزْلة الظفير، وقرية في عُتُمة، وناحية من نواحي حجة، وجبل الجُمْيمة، في بني حُشيش شمالي صنعاء، انظر «معالم الآثار» ٣٣، «معجم المقحفي» ١٢٩.

(5) أخْرَف: وادٍ في الشمال الشرقي من حجة، وهو من بلاد حاشد، وإليه تجتمع روافد سيول عديدة، ويصب إلى وادي مَوْر في تهامة، انظر «صفة جزيرة العرب» ١٢٨، =

وصفتها: أنّه لما عرفَ ذلك السيدُ، شرفُ الإسلامِ حسين بن قاسم عامر عَزَم هو ومَنْ صحِبَهُ والشيخُ مسعود البارقُ على غزوِ العجمِ إلى الراحةِ، فغزَوْهُمْ إلى هنالك عصرَ يومِ الجمعةِ، واستمرَّ الحربُ إلى يومِ السبتِ.

وفي يومِ السبتِ شدَّت العجمُ نحوَ بني جَديلة[1] فتبعهُم المجاهدون بالحربِ إلى سوقِ الدَّوْمةِ، واجتمعَ المجاهدون عليهم من كلِّ جهةٍ، وظنّوا أنها الهَلَكةُ، ولحقت الغارةُ من بني كعب والحماريين[2] صحبةَ الشيخ يحيى بن عليٍّ المعازي والشيخِ صالحِ بن يحيى يمن، حتى هجموا على العجمِ إلى محطتِهم في سوقِ الدَّوْمة.

ثم في يومِ الأحدِ باكَرَتْهُمُ الأنصارُ بالحربِ من كلِّ جهةٍ، حتى وصلوا إلى أسفلِ وادي أخرف في الشقيف[3]، ووقعَ هنالك حربٌ عظيم، وأشرفتِ العجمُ على التّلَفِ، وقلَّ عليهم الزادُ والعَلَف، وحصلَ فيهم القتلُ الذريعُ، وكان عاملُ الإمام ـ عليه السلام ـ في ظُلَيْمةَ / السيّدَ العلامةَ الورعَ لطف بن ٧٢ ب

= «الإكليل» ١/٤٥٠، «معجم المقحفي» ٢٠.

(1) بنو جَديلة: قبيلة من بطون حاشد. من طيىء، من لحامها، الثعالب، ثعلبة بن جدعاء، وثعلبة بن ذهل، وثعلبة بن رومان، وبنو تيم، وبنو حَبْتر، وبنو طريف، وبنو ثمامة، وبنو لام، ومساكنهم شمال بلاد عَفْار بمحافظة حجة، انظر «طرفة الأصحاب» ٤٨، «معجم المقحفي» ١١٤.

(2) الحماريون: من قبائل حجور الشام، انظر «معجم المقحفي» ١٩٠.

(3) الشقيق: بلدة على ساحل البحر الأحمر شمالي جيزان، انظر «معجم المقحفي» ٣٦٠.

علي ساري لمـا بلَغـه ما ذُكِر، ضَرَبَ المرافعَ(1) وأمرَ أهلَ ظُلَيْمةَ بالغارةِ، فغاروا بأجمعِهم إلى وادي أخرف، وكان قد نَفَذ على العجمِ الطعامُ بالكليةِ وفشق(2) المدافع، فظنوا الهَلَكَةَ، ولولا أنّهم وجدوا لهم منفذاً من نحوِ بلادِ السّودة جهـةَ العـدن، لكانَ ذلك الوادي مقبرةً لهم، ولكنَّ العجمَ سارعوا بالهربِ، واتسعتْ لهم الطرقاتُ من جهةِ العدن، وكان الخَلَلُ من بلادِ السّودة سيما قبيلةِ ابن حِكم(3)، فإنهم منعوا المجاهدين من دخولِ القرى المُشْرفةِ على بني جَديلةَ، فارتحلوا من أخرفَ حتى وصلوا إلى السُّودةِ بعدَ اللَّتيا والتي، وصارتْ أمورُهم غيرَ محمودةٍ، ولم يزلْ سيفُ الإسلامِ، عمادُ الدين يحيى بنُ الإمـام ـ حفـظه الله وبلّغـه المرامَ ـ في تلك الأيامِ يمُدّ المجاهدين بالزَّاد والمونة، ولقد حصَل من النصرِ المبينِ ما أقرَّ اللهُ به أعْيُنَ المؤمنين، لأنَّه كان مرامُ الأعاجمِ قصدَ جبالِ الأهنوم من الجهةِ الغربيةِ، حسبما سوّلَ لهم ذلك بعضُ الشياطين الإنسيةِ، فخيّبَ اللهُ أمَلَهم، ولم يُصْلحْ عملَهُمْ، وردَّ كيدَهُمْ في نحورِهِم، ولما بلغَ الإمامَ ـ عليه السلامُ ـ أن أعداءَ اللهِ محصورون في وادي أخرفَ قد أشرفوا على التلفِ، عزمَ أنْ ينهضَ بنفسِهِ، لولا أنّها لم تَطُلِ المـدَّةُ، وخشيَ من خيانةِ العدّةِ، ولما سمع الناسُ بهاتين الوقعتين استبشر لذلك المؤمنون، وعظُمَ الكربُ على المنافقين.

ومما أُخْبِـرْنا به، أنّ رجلاً من البدوِ غزا إلى مطرحِ العجمِ، وسلبَ

---

(1) المرافع: الطبول.

(2) فشق: أي رصاص وقذائف.

(3) بنو حَكَم: عُزلة في بلاد السُّودة، انظر «اليمن الكبرى» ١٦٦، «صفة جزيرة العرب» ٩٧، «طرفة الأصحاب» ٤٨، «نيل الوطر» ٢/١٥٨.

أحدهم بندقاً، فصاحت العجمُ بالنّفيرِ أنْ اضربوا نوبةَ عطش(1)، بمعنى ارمُوه جميعاً، فرمَوْا فقتلوا من أنفسِهم نحوَ العشرين، وسلَّمَ اللهُ الرجلَ، ولقد طارتْ قلوبُ العجمِ من هٰذا الخطبِ الأعظَمِ، وعلِموا أنَّ الأمرَ جِدٌّ ليس بالهزْلِ، وكان قد أعلنَ بالطاعةِ للعجمِ أكثرُ البلادِ، أعني الجَميمةَ وبلادَ ظُليمة، وغالبُ جبلِ الأهنوم لولا فضلُ الحيِّ القيوم، حتى أنَّ الذين تولَّوْا الحربَ كان أكثرُهم ممن قد أظهرَ طاعةَ العجمِ، فكانَ ذٰلك معدوداً من كراماتِ هٰذا الإمامِ الأعظمِ، حتى أن رجلاً من الجَميمةِ يُسمى يحيى بن جابر، كان قَدْ قَصدَ العجمَ وأظهرَ الطاعةَ، فأخذوه معهم وساموه سوءَ العذاب، وكذٰلك السيّدُ عليُّ بنُ أحمد رجل من آل منصور، ساعدُ الشيطانِ الغَرور، فلما وقَعَ الحربُ، أيقنَ أنّه لا يسلمُ ففرَّ؛ لأنَّه كانَ ممَّن مَنَّى العجم، وحَسَّنَ لهم الأمرَ، ثم إنَّ العجمَ لما استقروا في السُّودةِ، طلبوا من أهلِها السياقَ، وكفايةَ العساكرِ، وسامُوهم سوءَ العذابِ، وهٰذا جزاءُ مَنْ خالفَ قرناءَ الكتابِ، على أنَّ العجمَ في وجلٍ مما بِهِمْ قد نَزَل، فلم يلبثوا في السُّودةِ غيرَ ثمانيةِ أيامٍ، وكان مطرحُ سيفِ الإسلامِ بمَنْ معه في جبل بني عبد، والسيدُ شرفُ الإسلامِ، حسينُ بُن قاسم عامر في حبُور بمَنْ معه، ولم يزالوا يعشّرون ليلاً إلى مطرحِ العجمِ.

وفي هٰذه المدةِ وصلَ مكتوبٌ من الياورِ علي بن مثنى الحسيني إلى حضرةِ الإمامِ، وفيه مراوغةٌ وطلَسٌ وكذبٌ.

---

(1) نوبة عطش، أي: ضربوه جميعاً، كلمة تركية، آتش ومعناها نار، تكون مثل أمر، كان يقول القائد: نار، اطلق، والآتشجي، أي: الرامي Fire man ، انظر Red-house, 91 .

فأجاب الإمامُ ـ عليه السلامُ ـ بما لفظُهُ:

«حضرةَ الياورِ المكرَّمِ والأميرِ المفخَّم عليٌّ بن مثنى الحسيني، أنارَ اللهُ له سبُلَ الرشادِ، وكشفَ له حقوقَ مَنْ أنزلَ عليه: ﴿إنما أنتَ مُنْذِرٌ، ولِكُلِّ قومٍ هادٍ﴾، وجنَّبه طريقَ الغوايةِ التي سلكها أولوا الإلحادِ، وزمّوا إليها كلَّ عاصٍ للهِ في كلِّ وادٍ، والسلامُ عليه ورحمةُ الله وبركاته»

صدورُها بعدَ وصولِ مشرِّفكم المتضمِّن أنه سألكم الباشا / عن جوابِ الكتابِ، فلمْ يصلْ إلينا كتابٌ غيرَ ما قدْ وصلَ جوابُه إليكم وأعرضتُّموه علينا، ولقدْ عتِبْتُمْ علينا بأنا الذي نسعى في سفكِ دماءِ المسلمين، وأنّا نَبْرأُ إلى اللهِ من سفكِ دمِ مسلمٍ حرامٍ بغيرِ حقٍّ، وإن الباشا الآن ربما يُصَدِّق المتحذلقين، ويسمعُ كلامَ المنافقين الذين يسوقونه ويشجِّعونه، ويقولون له: «قد قرَّبنا الناسَ إلى تحتِ الدكّةِ»، فلم يبقَ إلّا تَركبَ.... الخ، وفيه بعضُ مراوغةٍ، والسؤالُ معادٌ في الجواب». ١٧٣أ

وفي هذه المدةِ تلقّى المجاهدون الذين في جبلِ بني عبد صحبةَ سيفِ الإسلامِ، أهلَ الجلبِ[1] الذين يجلبون المحتاجَ للأعاجمِ، الطعامَ وأخذوه، فأرادت العجمُ القدومَ عليهم وناوشوا الحربَ، ورأوا الغارةَ نازلةً من جميعِ البلادِ من جبلِ الأهنوم وظُلَيمةَ وغيرِهما، فارتاعت العجمُ لذلك، ورجعوا إلى السُّودةِ، وقد خالطَهم الوهَنُ.

وفي يومِ الاثنين، سادسَ عشرَ شهرِ شوال، ضاقَ المقامُ بالعجمِ في

(1) الجُلاب: وهم التجار الذين يجلبون البضائع إلى صنعاء أو غيرها، انظر «وثائق يمنية» ١٦٢.

السُّودة، وكثُرتْ فيهم الأمراضُ والفناءُ في الرِّجالِ والدّوابِّ حتى عَسَرَ عليهم نقلُ الأثقالُ، فحينئذٍ عزَموا على الانتقالِ بعدَ أنْ أنزلوا بمَنْ أطاعَهُمْ من أهلِ السُّودةِ النَّكالَ، وفجروا بنسائِهم، وقد كانَ من أملِهم أنْ يدخلوا الجهةَ القِبْليةَ من جهةِ حُبُور، لكنّهم لَمّا رأَوْها مشحونةً بالرجالِ هابوها، وخافوا مِنْ دعوةِ الوَيْلِ والثبورِ، وصاروا يتوعّدون أنّهم لا بدَّ يكونُ دخولُهم الجهاتِ القبليةَ من خَمرٍ، نسأَلُ اللهَ أن يدفعَ شرّهُم المستمرَّ، ويُنْزِلَ بساحتِهم الرُّعبَ، كماءٍ منهمِرْ.

ولمـا وصلوا إلى الصَّـرارةِ واجتمعـوا بمَنْ خرجَ من صنعاءَ، رأَوْا ما لا يقدِرون عليه دفعاً من موتِ الرجالِ والجمال والبِغال، وبقُوا هنالك متحيِّرين، ولما وقعَ هٰذا الفتحُ المبينُ، وأغاظَ اللهُ المنافقين، قال بعضُهم في ذٰلك، عفى اللهُ عنه:

[الكامـل]

اللهُ أكـبـرُ هٰـكـذا الألـطافُ — وكـذٰلـكَ الإكـرامُ والإتـحـافُ
بُشـرى ـ أميرَ المؤمنين ـ لكَ الهنـا — فَرّوا ولا حَرْبٌ ولا إيجـافُ
لمّـا لجـأْتَ إلـى إلٰـهـكَ عالِمـاً — أنْ لا سِواهُ في الـخـطوبِ يَرافُ
أَوْلاكَ مَوْلاكَ الـجـليلُ بفـضـلِهِ — ما لا يُحـيطُ بوصـفِـه الـوُصّـافُ
وكـفـاكَ شرَّ عدوِّكَ الـكلبِ الـذي — ضاقَـتْ لِعَـظْمِ جنـودِه الأكْتـافُ
لمـا أتـى متـكَـبِّـراً متـجـبِّـراً — قدْ قادَهُ الإعـجـابُ والإسـرافُ
آلىٰ على الـربِّ العـظيمِ ، وكـلُّ مَنْ — آلـى فلا يُرجـىٰ لهُ إسْـعـافُ
وتقـاعـدَ الأقـوامُ عنْ نصـرِ الهُـدى — نَفَـقَ الـنِّـفـاقُ وصُـدِّقَ الإرْجـافُ
خابَ الـذي كُنّـا نؤَمِّـلُ خيرَه — وتـزلْـزَلَ الأصـحـابُ والأُلّافُ

حَسِبُوا بأنَّ اللهَ ليسَ بناصرٍ   حاشاه ليسَ لِوَعْدِهِ إخلافُ
لَمْ يعلمُوا أنَّ الإلٰه بفضلِهِ   ويمجْدِهِ لِكُرُوبِنا كشّافُ
لَمْ يجْعَلِ الرحمٰنُ عندَكَ للوَرى   مِنْ منَّةٍ لِصَنيعِها وقّافُ
بل كانَ خالِقُنا تولّى أمرَهُم   سُنَنُ الإلٰه بها مضىٰ الأحقافُ
لم يَعْلَموا أنَّ الإمام مؤيَّدٌ   حقّاً وإنْ زَعَمتْ بذا الآنافُ
٧٣ب / فَعَلَتْ جيوشُ دعائِه ورجائِه   في الرُّومِ ما لا تفعلُ الأَسْيافُ
عجَباً لِمَنْ ألقى القيادَ لِربِّه   ولجا إلى مولاهُ كيفَ يخافُ
يا ويحَ أقوامٍ أساءوا ظنَّهمْ   هَدَمُوا بِناءً شادَهُ الأسلافُ
وَطَوَوْا قلوبَهُمُ على هَدْمِ الهُدى   تبّاً وجَدْعاً هٰكذا الأجلافُ
جُبِلُوا على حبِّ الحُطامِ كأنَّهم   حُمُرٌ ولٰكنْ مالها آكافُ

فأرسلَ الإمامُ، عليه السلام، هٰذه الأبيات إلى مدينة صَعْدَةَ المحميةِ، فَذَيَّلها السيِّدُ العلامةُ محمدُ بنُ يحيى شريف بما لفظُه:

[الكامل]

قد عملوا الأسفارَ فوقَ مُتُونِهم   بئسَ المثالُ وبئسَ قومٌ خافوا
ضَلَّتْ عقُولُهُمُ لِسوءِ فِعالِهِمْ   فصفاتُهُمْ نَطَقَتْ بها الأعرافُ
لم يعْلَموا أنَّ المُهَيْمِنَ فوقَ مَنْ   رامَ الفسادَ وفوقَ مَنْ قَدْ خافوا
قدْ أيَّدَ الدينَ الحنيفَ بسيفِ مَوْ   لانا الذي هُوَ للعِدى نقّافُ
لم يخْشَ في دينِ الإلٰهِ مَلامةً   لَوْ نالَهُ في ذٰلكَ الإجْحافُ
قدْ حازَ عِلْماً باهِراً وفصاحةً   وشجاعةً لم يُؤْتَها الأسلافُ
فأذَلَّ أعداءَ الإلٰهِ بعَزْمِهِ   قَعَدَتْ قُلوبُهُمُ لها إرْجافُ
منْ بعْدِ أنْ مَلأوا بجمْعِهِمُ الثَّرى   وارْتاعَتِ الأوْساطُ والأطرافُ

فتفـرَّقُـوا أيدي سَبَـا وأعنـاقهم ... مِنْ ذي الجـلالِ الحَتْفُ والإتـلافُ
فانجـابَ أقتـامُ الـظلامِ وأسفـرَتْ ... أوْسـاطُ تلكَ الأرضِ والأشعـافُ
ثمَّ الـصـلاةُ على الـنـبيِّ وآلِـهِ ... ما دامـت الأنـفـالُ والأحْـقـافُ

وقال السيِّدُ العلامةُ أحمدُ بن إبراهيمَ من أشرافِ صعدةَ:

حمـداً لمـن آلاؤهُ أصْـنـافُ ... ونـوالُـهُ من فَوْقِـنـا أضْـعـافُ
لمـا الْتَـوَتْ وتعقَّـدَتْ وتكَـرَّرَتْ ... منـا الـقـلوبُ وأكـثـرَ الإرْجـافُ
أهـدىٰ إلـيْنـا جَوْهـراً شفـافـا ... أزْرىٰ بمـا قَدْ قالَـه الأسْـلافُ
للهِ درُّ الـعـالِـمِ الـحَبْـرِ الـذي ... قَدْ صاغَ نظْمـاً ذَاقَـهُ الـعُـرّافُ
فلقـدْ حوىٰ علمَ البـديعِ مكمَّـلاً ... حتّـى غدا لكـرويـنـا كشّـافُ
فبـذا البشـائـرُ والْهَنَـا لإمـامِنـا ... الـمنصـورِ مَنْ دانَتْ له الأشـرافُ
مَنْ قامَ للدِّينِ الـحـنـيفِ مُجـرِّداً ... سيفـاً هدا «(١)مـا له أغـلافُ(١)»
فإذا الكتـائبُ والمـواكبُ والـركـا ... ئبُ والـذَّخـائـرُ بعـدَهـا إردافُ
حتـى غدا للدينِ منـهُ شوامِـخٌ ... ما أنْ يمـيدَ بأهـلِهـا الأطْـرافُ
وتَـزلْـزَلَتْ أرضُ الأعـاجمِ عَنْ يدٍ ... حتّى أخْـرَجَتْ أثقـالَهـا تَنْضـافُ
فأتَتْ إليهِ كالسَّحـابِ تكـاثفتْ ... أوْ كالـبحـارِ فمـوجُهـا زغّـافُ
/ قَدْ أمَّلُوا أنْ يُطفِئـوا نورَ الهُـدى ... خابُـوا وخـابَـتْ تِلْكُـمُ الألْـفـافُ ١٧٤أ
لمْ يعـلمُـوا أنَّ الإلـهَ مؤيِّدٌ ... لِوَلِـيِّهِ ما دامـت الإيلافُ
لمْ يكْتَـرِثْ بجمـوعِهم وسِلاحِهمْ ... بلْ شَدَّ عزْمـاً ما لَه وصَّـافُ
مُتَمسِّكـاً بالعُـرْوةِ الـوُثْقى التي ... لا تنـفـصِمْ أبـداً فليسَ يَخـافُ
فتـعـجَّـبَ الأرْوامُ مِنْ عَزَمَـاتِـه ... متـحـيِّرين فمـا لَهُـمْ إسـعـافُ

(١ ـ ١) في البيت خلل عروضي يُقرأ: «ما إن له أغلافُ».

لا تعـجَبـوا من عزمِ ليثٍ قارِمٍ		لم يُثْـنِـهِ الإرْهـابُ والإرْجـافُ
اللهُ أيَّدَهُ وحـقَّـق وعْـدَهُ		واللهُ ليسَ لوَعْـدِه إخْـلافُ
لا زالَ محفُـوظـاً ومنْصُـوراً على		الأعـداءِ تَسْـري فوقَـهُ ألـطافُ
ثمّ الـصَّـلاةُ على الـنـبيِّ وآلِـهِ		ما لاحَ برْقٌ رغْـدُه قصَّـافُ

ثم لمّا ارتحلتْ العجمُ من السُّودةِ طرَحوا في اللومي والصّرارة، وطفَقَتْ أعـوانُهم من العربِ يَغُرُّونهم ويحثُّونَهُمْ على دخولِ القِبلةِ(1)، والتزموا لهمْ بإصـلاحِ بلادِ حاشـد، ثم ما زالـوا يُكـاتِبـون بلادَ حاشـد، وينْصِبون لهم المخـادعـاتِ والمكايدَ، ويرغِّبون ويُرهبون، كافأهم اللهُ بما كانوا يعملون، وكاتَبوا الإمامَ ـ عليه السلامُ ـ بأنْ يُرجِعَ المدفعَ، ويُسلِّمَ السلاحَ من البلاد أجمع، وطلبوا الصلحَ من الإمام، عليه السلامُ، من طريقِ بعضِ أعوانِهم من العربِ اللِّئامِ، وقد كان أطْمَعَهُم الإمامُ بالمساعدةِ للصلحِ، وبعدَ أنْ أجابَ عليهم، بأنهـا كانتْ ستقـعُ المصالحةُ لو لمْ يُجَهِّزوا العساكرَ من كلِّ جهةٍ وأيَّسهم عن المدفعِ، فحينئذٍ صاروا يتهدَّدون.

ثم إنَّ الإمامَ ـ عليه السلامُ ـ أعادَ المكاتبةَ إلى حاشد يحثُّهم على جهادِ عدوِّهم، وإنَّ العجمَ لما تعذَّر عليهم الدخولُ من الجهاتِ الغربيةِ، جهاتِ الرعية، وجدوا لهم طريقاً سهلاً من بلادِكم، فلمْ يَسْمَعْ لقولِه إلَّا مَنْ أجابَ سابقاً، أعني الذي صحبةَ سيفِ الإسلامِ، محمدِ بنِ الإمام المتوكل الذين في جبلِ بني عبد، ثم إنَّ سيفَ الإسلامِ، العلامةَ، عمادَ الدين يحيى بن

---

(1) القبلة: بلد واسع من أعمال المحويت، والقبلة: عُزْلة من ملحان، انظر «معجم المقحفي» ٥٠٦.

الإمام ـ حفِظَهُ الله ـ أنشأ هٰذه القصيدةَ الفريدةَ تبرُّماً من العربِ، وإثارةً لهِمَّةِ سيفِ الإسلامِ، محمد بن المتوكل ـ حفظه الله ـ وأرسلَها إليه، وهي هٰذه(1):

[المديد]

عُدْ عنْ ذي المبسمِ الشَّيمِ ... وأُهَيْلِ الضَّالِ والسَّلمِ
مَنْ لهمْ في كلِّ جارِحةٍ ... جارحٌ يأتيكَ بالسَّقَمِ
كلُّ عبّاسٍ يُضاحِكُهُمْ ... خِيفةً يا قلبُ واحْتَكِمِ
وانثَني نحوَ الأُلى غرَسُوا ... باسقاتِ العزِّ في الضَّرَمِ
والْتَفِتْ نحوَ الذينَ لَهُمْ ... مِنْ حُصونِ الفَخْرِ والكَرَمِ
كلُّ حصنٍ ليسَ يَهْدِمُهُ ... هادِمُ اللَّذاتِ والألمِ
سادةٌ سادوا لمجدِهمُ ... قادةُ الأبطالِ في الظُّلَمِ
سادةٌ سَنُّوا الخُروجَ على ... كلِّ فسيقٍ ومجتَرِمِ
سلَكُوا منهاجَ والِدِهِمْ ... في قِتالِ البَغْيِ بالخُذُمِ
/ ولهُمْ في كلِّ معركةٍ ... كلُّ فخرٍ غيرِ مُنْهَدِمِ ٧٤ ب
خلَّفَ مِنْ قَبْلِهِ سَلَفٌ ... لمْ يقِفْ شَخْصٌ ولم يحمِ
وإذا ما جئْتَ عندَهُمُ ... فأنخْ وجْناكَ والْتَطِمِ
فهمْ للجودِ مَعْدَنُهُ ... وهمُ الرُّفّادِ للدِّيَمِ
وهمْ للمَجْدِ أعْمِدَةٌ ... وهمْ في النّاسِ كالعَلَمِ
وهمُ الأبطالُ يومَ وغىً ... إنْ يكنْ قد فرَّ كلُّ كمي
وهمْ في يومِ مفخرةٍ ... هَدَفُ الأبصارِ للكَرَمِ

(1) انظر «أئمة اليمن» ٢٦٠.

وَهُـمُ كلُّ الأنـامِ وكـ ـلُّ بنـي الأيامِ كالـعَـدَمِ
أقْـرِهِـمْ يا مُرْسَـلي عجـلًا بسـلامٍ رِيفَ بالـسَّـلَمِ
نَشْـرُهُ كالـمِـسْـكِ جوْهَـرُهُ جوهـرٌ في سِلْكِ مُنْـتَـظِمِ
ثم نادي في ربـوعِـهِـمُ بلسـانٍ واضـحِ الـكَـلِمِ
خبِّـرونـــا يا أَحِـبَّـتَـنـــا يا أُهَـيـلَ الـحِـلِّ والـحَـرَمِ
يا بنـي الـمـخـتـارِ سيِّدِنـا طاهـرِ الأعـراقِ والـشِّـيَمِ
كيفَ أنْـتُـمْ إنْ تكـنْ جَمَـعَـتْ(١) أُسْـرةُ الأعـداءِ من عجـمِ
بجـيوشٍ ما لهـا عَدَدٌ قطَنَـتْ في أرفـعِ الأُطَـمِ
وأتَـتْ بالـخـيلِ راكـضـةً ويـأيْديهـا عُرى الـلُّجُـمِ
وأَعَـدَّتْ مِنْ مدافِـعِـهـا طاحـنـاتِ الـطَّوْدِ والأَكَـمِ
صَوْتُـهـا كالـرَّعْـدِ إنْ مَرَحَـتْ تُتْـحِـفُ الآذانَ بالـصَّـمَـمِ
ومِـن الـمَـرْتِـينِ ما حَسِـبَـتْ أنَّـهُ مُسْـتَـأْصِـلُ الـقِـمـمِ
برصـاصٍ نَبْـلُهـا مطَرٌ نازِلٌ من واكـفِ الـدِّيَمِ
ولـهـا في سَيْرِهـا زَجَـلٌ دونَـه يأتـيكَ بالـرَّخـمِ
واسـتـعـانَـتْ مِنْ شقـاوَتِـهـا من بنـي الأعـرابِ كلِّ غمِ
وَجَـفَـتْ منـهـا الـقـلوبُ ومـا رَجَـفَـتْ منْ كلِّ مُعْـتَـصِـمِ
عالِـمٌ أنَّ الإلَـهَ على كلِّ جيشٍ أيِّ منـتـقِـمِ
غيرَ أنَّ الـعُـرْبَ قاطِـبـةً أُلْـبِـسُـوا بالـظُّلْمِ والـظُّلَمِ
لمْ يُراعـوا أمـرَ قائِـمِـهِـمْ والـوفـا بالـعَـهْـدِ والـذِّمَـمِ

(١) في م: طلعت.

فابْتُلوا بالتُّركِ تطحنُهُمْ   طحنَ مَنْ لمْ يَدْرِ بالنُّقَمِ
وانْزوى نصرُ الإلٰه لَهُمْ   عَنْهُمُ مِنْ سُوءِ فِعْلِهِمِ
كيفَ إنْ جاءَتْ على عَجَلٍ   راكِضاتُ الكُردِ والعَجَمِ
زاعماتٍ أنها سُبُعٌ   لِلهامِ الذّين مُلْتَقِمِ
/ بِلِسانِ الحالِ قائلةٌ   يا لَثارِ الكُفْرِ والصَّنَمِ ١٧٥أ
يا لثاراتِ الفُجورِ وثا   راتِ دِنِّ الخمرِ والبُرمِ
يا لَثاراتِ العُلوجِ ذوي   البَغْيِ والعُدوانِ والتُّهمِ
يا لثاراتِ المجوسِ ومَنْ   مثلُهُمْ مِنْ أخبثِ الأُمَمِ
يا لَثاراتِ الّتي كَحَّلَتْ   طَرْفَها في غَفْلةِ الظُّلَمِ
يا لثاراتِ التي سَحَبَتْ   بُرْدَها للخَدْشِ للقَدَمِ
يا لَثارات الذين إذا   جمعوا سُبحَانَ ربِّهمِ
وتدورُ الخمرُ بَيْنَهُمُ   ويَمَلُّ الخمرُ كلَّ فَمِ
يا لثاراتِ التي رَقَصَتْ   بِحبالِ النَّقْرِ والنَّغَمِ
يا لَثاراتِ الغُلام إذا   صارَ في الأفعالِ كالرَّخمِ
يا لثاراتِ الحشيشِ إذا   عادَ عقلُ المرءِ في عَدَمِ
يا لَثاراتِ اللُّواطِ وثا   راتِ زنّاءٍ ومُغْتَلِمِ
كم يهوديٍّ له كِفْلٌ   وافرٌ يُهديه للعَجَمِ
يا لثاراتِ الفسوقِ معا   كلُّ علجٍ غيرِ منفطمِ
من ذوي التَّوْحيدِ قاطبةً   خيرُ هٰذا الخَلْقِ كلِّهمِ
مِنْ أُولي العَدْلِ المنزَّهِ   للهِ باري الخَلْقِ والنَّسَمِ
من بني الزهراءِ أجمعِهم   ورعاةِ السيفِ والقَلَمِ
من جماعاتٍ عُيُونُهُمْ   عندَ نومِ النَّاسِ لم تَنَمِ

من جمـاعـاتٍ متى سَئِمَ الـ ... ـصَّـوْمَ منّـا معشـرٌ تَصُـمِ
من جمـاعـاتِ التشيُّعِ مِنْ ... كلِّ شخصٍ واضحِ اللَّقمِ
هل لكـمْ يا جيرَتي أَرَبٌ ... أنْ تشِبُّوا نارَ ذي سَدمِ
وتثوروا في الوغى غَضَباً ... لهُداةِ البَيْتِ والحَرمِ
«(١تَنْصُروا مَنْ خابَ ظنُّهُمُ ... حينَ ظَنّوا المجدَ بالأُمَمِ
ظنُّ أهلِ الدينِ كلِّهِمِ ... وإمامِ العُرْبِ والعَجَمِ١)
إنَّ همْداناً إذا دُعِيَتْ ... لجهادِ التُّرْكِ لم تجمِ
وإذا سارَتْ إلى بلَدٍ ... حَفِظَتْهُ حِفْظَ مُلْتَزِمِ
وحَمَتْ أهلَ البلادِ مِنَ الـ ... ـعَسْفِ والعُدْوانِ والخِصَمِ
وتولَّتْ مَنْ لَهُ سَبَبٌ ... مِنْ صِغارٍ غيرِ منفصمِ
بولاءِ الآلِ مُتَّصِلٍ ... يا لَهُ فخراً على الأُمَمِ
وتُعادي كلَّ منحرفٍ ... عَنْهُمُ للدِّين مُخْتَرمِ
ومتى قالَ الإمامُ لها ... أيَّ قولٍ منهُ تَلْتَزِمِ
وحَباها كلَّ ما جمعتْ ... كفُّه مِنْ مالٍ ومن نِعَمِ
٧٥ب / ثمَّ ولَّتْ عنهُ مُدْبِرةً ... ويلَها مِنْ باعثِ الأُمَمِ
وإذا ما بلدةً دَخلَتْ ... أَخَذَتْها أخذَ مُنْتَقِمِ
كم يتيمٍ مالَهُ أَخَذَتْ ... وشيوخٍ من ذوي هَرَمِ
وعجوزٍ من بني حسنٍ ... سُلِبَتْ بالقَهرِ والعِظَمِ
وتولَّتْ كلَّ منحَرِفٍ ... عن إمامِ الحقِّ ذي الكَرمِ

(١ ١) سقطت من أ.

وأهانت كلَّ متَّصفٍ بولاءِ الآلِ مُلْتَزمِ
وإذا جاءَ العدُوُّ لها ولَّتِ الأدبارَ كالغَنَمِ
وتَتالَتْ عندَه هَرَباً هاربٌ في إثرِ مُنهزِمِ
كم أناسٍ يهرُبون وما إنْ لنارِ الحربِ مِنْ ضَرَمِ
وأناسٍ يهرُبون ولمْ يصِلوا ميقاتَ حجُّهِمِ
خالَفُوا رأيَ الإمامِ ولَمْ يَسْتحوا من بارِىء النَّسَمِ
أكلوا سيْبَ الإمامِ ولمْ يدفعُوا عنه أذى العَجَمِ
كلُّ هٰذا جالبٌ غَضَباً مِنْ إلٰهِ الحقِّ ذي النِّقمِ
وإمامِ الناسِ والنَّفرِ الذاكرينَ اللهَ في الظُّلَمِ
غَضَبٌ للهِ لا لِهَوىً بل لِهَتْكِ الناسِ والحُرَمِ
ثمّ قالوا كيفَ يلقاهمُ المولى [........][1] ويستلم
كَيْفَ لَمْ يَشْكُرْ فِعالَهُمُ ورآهُمْ أيُّما شَمَمِ
وانْزَوى عَنْهُمْ وعاتَبَهُمْ صَدَقُوا لكنْ على لَمَمِ
كيفَ يَرْضى عَنْهُم وهمُ لم يُرَوْا إلَّا على سَقَمِ
وعَلَى تَرْكِ الصَّلاةِ وخَرْمِ عُهودِ اللهِ والذِّمَمِ
وترى مولَى الأنامِ إذا جاءَهُ ذو الدِّينِ لم يَلُمِ
يا بني الزهراءِ قائِمُكُمْ قائلاً أهلاً بِذي الهِمَمِ
أيُّها الأشْياعُ قاطِبةً قاتِلوا للهِ والرَّحِمِ
قبلَ أنْ تأتي عُقوبَتُنا مِنْ سماءٍ أوْ مِنَ العَجَمِ

---

(١) بياض بالأصل وتقديره: «بعفو».

ويُصَلّي ذو الجلالِ على أحمدِ والآلِ فاختَتِمِ

ثمَّ إنَّ أعداءَ الله العَجَم نقلُوا المحتاجاتِ مِن عَمْرانَ ومن صنعاءَ، وقد كان كَتَب عبدُالله باشا إلى حسين حلمي الوالي أنْ يشتريَ جمالاً تحملُ أثقالَهُمْ، حيثُ ماتَتِ البغالُ، فبالغوا في أثمانِ الجمالِ، وأرسلوها إلى الشرفِ، فماتَتْ.

ثم لما وَصَلوا الصَّرارةَ، أرسلَ حسين حلمي أنْ يشتريَ لهم بهائمَ، فاشترى كثيراً، وسَخَّروا ما قدَروا عليهِ، حتَّى سَخَّروا جمال المساني[1] فهلكت.

ثم إنَّهمْ ارتحلوا مِنَ اللّومي والصرارة بفخرِهم وخُيَلائِهم، وللإدبارِ أمارةٌ، فلمّا وصلوا السِّنتين دخلوا البيوتَ، وكانَ أهلُها مِمَّنْ أصرَّ على التَّحاكم إلى الطاغوت[2].

١٧٦أ وأمّا الإمامُ ـ عليه السلامُ ـ / فإنَّه لمّا بلَغَهُ تحركُ العجم إلى السِّنتين، أرسلَ لسيفِ الإسلامِ محمدِ بنِ الإمامِ بالمبادرةِ بمَنْ معهُ، الذين كانوا في جبل بني عَبد، فلمّا وَصلوا إلى الحضرةِ الشريفةِ، وقَعَتِ المشاورةُ فيما يَصْلُحُ

---

(1) جمال المساني: المساني جمع مسنى، انظر «حوليات يمانية» ٦٥٠.

(2) حكم الطاغوت: هو الحكم بالقواعد والتقاليد القبلية الجاهلية وليس بأحكام الشرع وإنما بالتقاليد والأعراف التي يلجأ إليها أبناء القبائل لحل مشاكلهم مما كان يخالف أحكام الشريعة الإسلامية، كالمبالغة في تقدير الدية، وعدم توريث النساء مقابل إعطائهن ما عُرف بالزيارة والعيارة، انظر «مئة عام من حكم اليمن» ١٥٤، «رياض الرياحين» ١٥٠، «وثائق يمنية» ٥٤.

لهٰذهِ الطائفةِ الفاجرةِ الكافرةِ، فوقَعَ الرأيُ الشريفُ بأنَّ العُقّالَ الحاضرين من حاشد في المقامِ يفتحونَ بيوتَهم للمجاهدين، فأرسلَ الإمامُ ـ عليه السلامُ ـ وعرَّفَهم بالرأيِ، فامتثلَ جميعُ مَنْ حضرَ لفتح بيتِهِ لِمَنْ عيَّنَ الإمامُ من المجاهدين، لتشتيتِ النَّظرِ على طائفةِ الأعجمين، وأنَّ العدوَّ إذا لم يُتَلَقَّ بحربٍ، فلا بُدَّ يتَّخذُها دارَ مقرٍّ، فأجابتْ رجالُ العُصَيْمات العلوِّ والسفل، ورجالُ عِذرٍ للهِ درُّهُمْ من فتيةٍ حازوا المفخرةَ! فعزمَ سيفُ الإسلامِ ، وعزمَ مَنْ حصلَ مِنْ بني صُريمٍ وبني قيس وخيار[1] والعُصَيْماتِ وعِذرِ صحبةَ وكيلِ الصرفِ السيدِ الهمامِ والليثِ الضرغامِ عبدالله بن يحيى، أبو منصر، وحبّذا من رجلٍ صدقَ وصبرَا! فلمّا وصلتْ رجالُ عِذرِ والعُصَيْمات إلى بني صُريم وخيار وبني قيس، قلّبُوا لهم ظهرَ المِجَنِّ، وأبَوْا أن يفتحوا لهم البيوتَ، وعزمَ بعضُهم عندَ العجمِ، فوقع مطرحُ سيفِ الإسلامِ في غيل القَشَّام[2]، وأمّا النقيبُ محمد مبخوت الأحمر، والشيخُ الصادق مسعود البارق، ومَنْ صحبتَهم من المجاهدين، فإنَّ مطرَحَهم في العقيلي[3]، وصاروا يتغزَّوْنَ العجمَ في كلِّ ليلة إلى مطرَحِهم.

ومِنَ الوقائعِ في هٰذا الأسبوعِ، أنَّ العجمَ خرجَ منهم جماعةٌ نحوَ

---

(1) خيار من حاشد ثم من بني صُرَيم، انظر «معجم المقحفي» ١٤٤، «اللباب» ١/٤٤، «أئمة اليمن» ٢/٣١٥، بها سوق الغيل.

(2) غيل القَشَّام: بين مدينة خمر ومدينة حوث من بلاد حاشد، انظر «أئمة اليمن» ٢٦١.

(3) العقيلي: نسبة إلى آل عقيل من قبائل ناحية حريب وهم أربع لحام: آل ضيف الله، وآل عبدالله، وآل الصالحة، وآل شعنون، انظر «معجم المقحفي» ٤٥٥.

طابـورين، قاصدين العَيَّانة(1)، فأرسل إليهم قرينُ الشيطانِ جبرانُ الغشمي بعقيرٍ على أنْ يرجِعوا، فلما رَجَعوا من هنالِكَ تلقّاهم مسعود البارق ومحمد مبخوت، ووقعَ بينهم الحربُ حتى أدخلوهم السُّنتين، وكانَ فيهم ما كانَ من الحَيْن.

الوقعة الثانية:

وصفتها: أنَّ الشيخَ مسعودَ والشيخَ محمداً، بمن معهما من القوم، تلَقَّوْا العجمَ الواصلةَ من جهةِ الغولةِ، فكَمَنُوا في غولة عجيب من ليلةِ الإثنينِ إلى ظُهرِ الثلوثِ، فلما رأَوْا حمولةَ العجمِ مقبلةً أخذوها، وقد رتَّبوا الكوالَ(2) التي تجاهَ العـدوِّ، فخـرجت العجمُ من قلعـةِ القحـوم(3)، وتلقَّاهم المجاهدون بالحربِ حتى استولوا على الحمولةِ، فلمّا وصلوا إلى قريبِ بيت زَوْد(4)، سوَّل لهم الشيطانُ أنْ يأخـذوا ما غَنِمَـه المجـاهـدون قهـراً، فبدأوا المجاهدين بالحربِ، وقُتِلَ مِنْ بيت زَوْد مقتولٌ، فحضرَ عقلاءُ القريةِ وتراجعوا، وطرحَ لهم المجاهدون بُنْدُقاً على أنْ يُخْلوا سبيلَهم ، فما انتهى سفهاءُ القريةِ، بل

---

(1) العَيَّانة: قرية من عُزلة الثلث بجبل حراز، انظر «غاية الأماني» ٢/٧٧٣، «معجم المقحفي» ٤٧٥.

(2) الكوال: أي القلاع، والمراد ترتيب الجنود في القلعة، انظر «صفحات مجهولة» ٤١.

(3) القُحـوم: نسبـة إلى بني القُحُوم في قرية غولة عجيب، شمالي قاع البون وبلاد عَمْـران، وكـذا في بني عكاب من بلاد كحلان ينسبون إلى القُحُوم بن الحسن بن علي بن القاسم بن علي العياني، انظر «معجم المقحفي» ٥٠٨.

(4) بيت زَوْد: قرية من ناحية خارف بالغرب من ريدة، انظر «الإكليل» ٢/٣٠٣، «التعداد السكاني لصنعاء» ٢/٤١٧، «معجم ما استعجم» ١/٢٨٩.

تعرَّضوا للمجاهدين مرةً أخرى، فرمى المجاهدون منهمْ آخراً فقتلوه، وغارتِ العجمُ من السنَّتين نحوَ ثمانِ مئةٍ، وصارَتْ الغنيمةُ: بعضُها بيدِ المجاهدين والبعضُ استولى عليه أهلُ بيت زَوْد، ثمَّ إنَّ العجمَ قصدُوا أهلَ بيت زَوْد، وظنُّوا أنَّهم الذين أخذوا الحمولةَ، فنهبوا القريةَ بما فيها، وقطعوا ستَّة رؤوسٍ من أهلِ بيت زَوْد، وكانت تلكَ عقوبةً لأهلِ بيت زَوْد، وكلُّ منْ يصحبُ المعرودَ[1] معرودٌ، وأمَّا المجاهدون، فكانوا نحوَ العشرين، ولم يصلْهم ضَرَرٌ بعدَ أنْ رمتْهُمُ العجمُ بالبنادقِ والمدافعِ ، فكانَ اللهُ هو المدافعَ.

ثم إنَّها وصلت الأخبارُ، أنَّه زادَ الموتُ والأمراضُ في العجم لما وصلوا السَّنتين حتى أيقنوا بالحيْن، ورأوْهم ينقلون منهم في كلِّ يومٍ نحوَ الخمسين أمراضاً إلى صنعا، ومَنْ أَحْسَنُ من اللهِ صُنْعَا؟!

وقعةُ الغيل:

وصفتُها: أنَّه لما كانَ في يومِ السبتِ ٢٠ شهر القعدةِ من السنةِ / ٧٦ب
المذكورةِ أرادَ الشيخُ صالحُ بنُ يحيى الأخرمُ وجماعتُه أنْ يرفعوا المجاهدين من الغيل؛ زَعْماً منهم أنَّهم سيكونون سبباً لوصولِ العجمِ إلى محلِّهم، هٰذا الظاهرُ، وفي الباطنِ ما لا يعلمُه إلَّا اللهُ! فأبى المجاهدون أنْ يرتفعوا، وعزموا أنْ يُقاتلوا مَنْ قصَدَهُمْ، وكتبوا بذٰلك إلى الإمامِ ، عليه السلامُ، فأجابَ ـ عليهِ السلامُ ـ أنْ يرتفعوا، فوصلَ الجوابُ إلى سيفِ الإسلامِ ، سيدي محمد بنِ الإمامِ ، يومَ السبتِ المذكورِ، فخبَّا الجوابَ ونام، وصالحٌ الأخرمُ يكِدُّ عليهم في الرحيل. ومرامُ سيفِ الإسلامِ أنْ ينقلوا في الليلِ ، فإنَّه أخفى للوَيْل،

---

(1) المعرود: التعريد: سرعة الفرار في الهزيمة، انظر «لسان العرب» ـ مادة: عرد ـ.

فلمْ ينتبهْ سيفُ الإسلامِ من ذلك المنامِ إلا وقدْ نهضَ أعداءُ اللهِ العجمُ من السَّنتين والجِراف بعدَ أن أضرُّوا في البيوتِ وأهلِها، وأوقدُوا أخشابَها ورُحرُحها، وقصَدوا المجاهدين إلى الغيل. وقُدِّر المجاهدون نحوَ مئةٍ وخمسين لا غيرَ، فوصلت العجمُ هنالك وقتَ العصرِ فما أحسَّتْ بهم الرسايسُ والعيونُ إلا وهُمْ قريبٌ من المطرحِ، فرمى رجلٌ من العيون ببندقٍ وصاح لما رآهم مقبلين، وقدْ كانَ سيفُ الإسلامِ قبلَ ذلك اليومِ عيَّنَ المُحارِبَ في الجبلِ الذي فوقَ الغيل، وفرَّقهم ثلاثَ عنواتٍ، جعلَ لكلِّ قومٍ عنوةً، فلما سمِعوا البُنْدقَ من المِرْخامةِ(1)، خرجَ كلُّ قومٍ إلى عنوتهم المعيَّنةِ، فما وصلتْ إلاّ والمجاهدون في متارِسِهِمْ متأهِّبين للحربِ، ووقعَ ابتداءُ الحربِ من عنوةِ الشيخ مسعود البارق، وكانت عنوتُهُ أطرفَ عنوةٍ من جهةِ الشرقِ، ولم يبدأ الشيخُ مسعودٌ بالحربِ حتى صارت العجمُ في الوسط، فافترقَتِ العجمُ أيضاً ثلاثَ فرق: فرقةٌ توجَّهت المِرْخامةَ مما يلي الغيل، وفرقةٌ العَفَّير(١)(2)، وفرقةٌ طريقِ المحجّة، مع شدِّهم ومدافِعِهم، فوقعَ الحربُ من بعدِ العصرِ إلى المغربِ، وانهزمت العجمُ إلى العفَّيرة، وباتوا هنالك، وقد وَقَع فيهم من القَتْلِ ما يزيدُ على الخمسين، وسلَّم اللهُ جميعَ المجاهدين، وكانَ ذلك مِنْ حُسْنِ صنيعِ ربِّ العالمين، فإنَّ العربَ إذا سقط فيهم القتلُ

---

(1) المِرْخامة: قرية في عزلة بني منصور وأعمال بعدان قرب العروسين من بلاد العود، انظر «معجم المقحفي» ٥٨٣.

(2) العَفَّيرة: عزلة في جبل حبشي بالحجرية، انظر «معجم المقحفي» ٤٥١.

---

(١) في ع: العفيرة، والأصل العفير.

الكثيرُ لا بُدَّ أنْ يَهِنوا، فعزمَ المجاهدون بعدَ انقضاءِ الحربِ إلى وَادِعةٍ[1]، وهمْ في نشاطٍ ودِعَةٍ، لِقِصَرِ مُدَّةِ الحربِ؛ حيثُ لمْ يحصُلْ معهم مَلَلٌ أو تعبٌ ونَصَب.

فلما وصلَ المجاهدون إلى وَادِعةَ أبَوْا أنْ يفتحوا لهم، فطَلَع بعضُهم بيتَ الأعضُب[2]، وبعضُهم في بيتِ المقهوي المسمَّىٰ شقاري، وإنَّ مِنْ أحسنِ صنيعِ اللهِ أنَّ في بيتِ الأعضُب سمسرةً، كان فيها ورثةُ سيدي إسماعيل بن مطهَّر، وكانت المفاتيحُ عند سيدي العلّامةِ صفيِّ الإسلامِ أحمدَ بنِ قاسِم حميد الدين فاستصْحَب المفاتيحَ صحبته.

وقعةُ القاسم في وادعة:

ثم إنَّهُ في يومِ الأحدِ ٢١ شهر القعدةِ، نهضت العجمُ بخيلِهِم ورَحْلِهِم ومَدافِعِهِم، ويادروا الهجومَ على المجاهدين وهمْ في غِرَّة، فما شعرُوا بعدَ شروقِ الشمسِ إلَّا وهمْ قِبلَهُمْ في بيتِ الخياري وسطَ الضلعةِ، شرقيَّ بيتِ الأعضُب، وقُدِّر العجمُ نحوَ عشرين ألفاً. والعربُ دونَ المئتين فتبادر المجاهدون إلى بيتِ الأعْضُب بذلك السببِ نحوَ مئةِ رجلٍ لاغير، وتفرَّق بقيةُ

---

(1) وَادِعة: من قبائل حاشد الهمدانية، يتوزعون في بلاد حاشد على مقربة من خَمِرْ، ووادعة الشام، شرقي صعدة في ناحية الصفراء، ووادعة عسير، شمالي نجران بغرب، انظر «تاريخ اليمن الثقافي» ٥٨/١، «اليمن الكبرى» ١٩٣، «معالم الآثار» ٦٨، «معجم المقحفي» ٦٨٨.

(2) بيت الأعُضُب: هو لقب محمد بن علي بن محم بن الحسين بن علي بن عبدالله بن محمد بن يحيى بن حمزة وأولاده في حوث، انظر «معجم المقحفي» ٣٩.

القومِ في مواضعِ الخُلَلِ كالغَوْل ونحوِه من المواضعِ التي يُخْشىٰ منها، ودارَ الحربُ بينهم وبينَ مئةِ رَجُلٍ، وافترقت العجمُ ثلاثَ فرقٍ: فرقةٌ نزلوا الوادي إلى غيل الهرابة[1] يُسمّى السقايف، وفرقةٌ هجمت على المجاهدين إلى بيتِ الأعضُب، وفرقةٌ خراب الحسفة وعتود، فأمّا الذين هجموا على المجاهدين إلى بيتِ الأعضُبِ، فإنّهم تقدّموا حتى وصلوا إلى عُقْرِ البيوت، فأرسلوا عليهم البنادقَ وهُمْ كالجرادِ المُنْتشر، فكانتْ تأخذُ الرصاصَةُ مُستَطاعَها من القومِ
١٧٧أ حتّى انهزموا، فردَّهُم الضبّاطُ إلى الهجومِ، / فهجَموا المرّةَ الثانيةَ، فرماهُم المجاهدون حتّى رَأَوْا الموتَ علانيةً، فلما رأت العجمُ ما قد نزلَ بهم، وألَمَّ مِنَ القتلِ الكثيرِ، والأمرِ العسيرِ، ضرَبُوا لهم بالنَّفيرِ بتركِ الهجومِ، وقد كانوا حَسِبوا مِنْ قبلِ ما رأوْا، أنَّ الأمرَ يسير، وأنه لا يبقى من العربِ إلاّ قتيلٌ وأسيرٌ، حتى يكونوا عبرةً للمعتبرين، ونكالاً للآخرين، فخيَّبَ اللهُ أمَلَهُمْ وأحبطَ عملَهُمْ، واللهُ لا يُصْلِحُ عملَ المُفْسدين، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين،

ثم ما زال الحربُ متَّصلاً إلى بعدِ الغروبِ، وانجلتِ المعركةُ عنْ أكثرَ من أربعِ مئةِ قتيلٍ من العجمِ، كما أخبرَ بذلك منهمْ مخبرٌ صادقٌ غيرُ متَّهمٍ، والحقُّ ما شهِدَ به الأعداءُ، ولم يُقْتَلْ من المجاهدين غيرُ رجلين، أحدُهما: الشيخ جابرُ بنُ علي جخدم، وابنُ الحلحلي من عذر، من أصحابِ الشيخ معيضِ مغربة، والسيدُ العلامةُ إسماعيلُ بنُ حسن، وعبدُالله بنُ ناجي الحسيني، والشيخُ حسين بن صالح بن جراد، والشيخُ مقبل بن علي الأجدع، والسيدُ العلاّمةُ عبدُالله بن يحيى، أبو منصر، وغيرُ هٰؤلاءِ أكوانُ السلامةِ، مع

(1) الهَرابَة: في وادعة ببلاد حاشد، انظر «معجم المقحفي» ٦٧٧.

أنهم ما زالوا يُقاتلون في كلِّ معركةٍ، لم تَمْنَعْهُمُ الأكوانُ عن إرضاءِ الرحمٰن.
ولمّا كانَ بعدَ العشاء، رأى المجاهدون أنّه لا خيرَ لهم في البقاءِ في بيتِ الأعضُب خشيةً مِنْ أنْ يؤولَ أمرُهم إلى المحاصرةِ والعَطَبِ، فخرجوا من هنـالك على طريقِ الغولِ، وكان مِنْ لُطفِ اللهِ وحسنِ تدبيرِهِ أنَّ فرقةً من المجاهدين ثبتُوا في الغولِ بعدَ أن كادوا ينهزمونَ، فأُمِدُّوا بجماعةٍ من وَادِعةَ، وكانَ في الغَوْلِ سفيانُ صحبةَ السيدِ الماجدِ حسين بن مجد الدين، ولو أنَّ العجمَ استولتْ على الغولِ، لأَحدَقَتْ بهم العجمُ من كلِّ جانبٍ؛ لأنّه لم يبقَ غيرُ جهـةٍ خاليةٍ عن المحـارب. فلمّـا خرجَ المجاهدون رأتْهم العجمُ وتغافلت عنهم كأنهم لا يعلمون، ورَمَوْا إلى الهواءِ كما تلك عادتُهم التي يعتادون، ومع ذٰلك فهمْ حريصون على خروجِهم رأساً برأسٍ خوفَ أن يقعَ مثلُ ما وقعَ من الشّدةِ والبأس.

ولقد أخبرني مَنْ يوثَقُ بخبرِهِ: أنَّ طاغيةَ العجمِ عبدَالله باشا لما نزلتْ به هٰذه النازلةُ، رأى أن يُنْزِل عارَها ببعضِ البوشِ الذين في تلك، فقالَ: إنّهم قصَّـروا عن المحـافـظةِ حتى خرجَ المجـاهدون، ولم يَزَلْ يستنطِقُهُمْ ويسومُهم سوءَ العذابِ، وأرسَلَهُمْ إلى صنعاءَ، وأودَعُوهم في الحبسِ.

ثمَّ إنَّ المجاهدين بعدَ عَزْمِهم من بيتِ الأعضب باتوا في النَّجيد، وليسَ بموضعِ حربٍ وكيد، فانتقلوا آخرَ اللَّيلِ إلى القُحاز[1]، وعزمَ الشيخُ مسعودُ

---

(1) قُحازة: قرية قريبة من وعلان، من بلاد الروس، على بعد ٣٠كم من صنعاء جنوباً، انـظر «معجم المقحفي» ٥٠٧، والقَحّـار، موضـع جوار جبل المصباح من وصاب السافل، «معجم المقحفي» ٥٠٧.

البارق بجماعةٍ، فرابطوا في جبلِ الحراز[1]، وهو الجبلُ الحاكمُ على النجيد، فكانَ ذٰلك على العجمِ من أعظمِ الكَيْدِ، فصارُوا يتغزَّوْنَ العجمَ في كلِّ ليلةٍ، وصار مطرحُ العجم في وادعةَ وفي النجيد، فقطع المجاهدون الطريقَ فيما بينَهما، وإنّها لما وقعتْ هٰذه الوقعةُ العظيمةُ ـ أعني وقعةَ بيتِ الأعضب ـ نزلَ بالأعاجمِ أعظمُ الرّعبِ والرّهبِ؛ لأنّهم كانوا يُصَدِّقون المنافقين الذين يُخبِرونَهم أنّه لا يتلقّاهُمْ أحدٌ بحربٍ، ولما نزلَ بهِمْ ما نزلَ، وعظُمَ الخطبُ عليهم وأشكـلَ. كتَبَ عبـدُالله باشـا إلى الإمـامِ ـ عليه السلامُ ـ في يومِ الرّبوعِ، ثالث وعشرين شهرِ القعدةِ، كتاباً تضمَّنَ: «إنّي أسألُكَ بِجَدِّكَ فخرِ الكائناتِ الذي افتخرتُمْ بالمنسوبية إليهِ، أن تُطيعَ السلطان، ولا تكونَ سبباً لسفكِ الدماءِ، وإنَّ الصناعاتِ والنفوسَ الذاهباتِ منذُ مدَّةِ أحدَ عشرَ شهراً صارَ بذمّتِكَ»، وكان مضمونُ الإجابةِ من الإمامِ ـ عليه السلامُ ـ: «إنَّك لمّا أقسَمْتَ علينا بما أقسمتَ، لَزِمَ الإذعانُ، ولكنْ بما يَرْضىٰ به الرحمٰنُ»، وذكرَ أموراً ممّا لا يَصْلُحُ إلّا بها ذٰلك الشأنُ، فلما وردَ على عدوِّ اللهِ الجوابُ، أجابَ: «إنّي لم أكنْ مأموراً بالصُّلْحِ»، فردَّ عليه الإمامُ ـ عليه السلام ـ: «إنّا
٧٧ب نستعينُ على كلِّ ذي عدوانٍ بلا حولٍ ولا قوةٍ إلّا باللهِ العليِّ العظيم، / ولا تحسَبَنَّ أنَّ محاربةَ أولادِ سيِّدِ ولدِ عدنان كمحاربةِ اليونان». فلم يصِلْ إليه الجوابُ إلّا وهو نازلٌ في الباعرةِ. وكان ـ أعني عبدَالله باشا ـ يفتخرُ أنّه من

---

(1) جبل الحراز: الحراز: صقع واسع غرب صنعاء بمسافة ٨١كم، مركزه مناخة في رأس جبل حراز، ويشمل قضاء حراز على ناحيتين: مناخة وصعفان، ومن مناخه: عزلة هَوْزن ومسار ولهاب وبني إسماعيل والنجدين، انظر «الإكليل» ١/٢٠٣، «صفة جزيرة العرب» ٢٠٩، «صفحات مجهولة» ٤٥، «معالم الآثار» ٧٧.

جملةِ مَنْ حاربَ اليونانَ.

ثم إنَّه لما كان يومُ الاثنين، ثامن وعشرين ذي القعدة، عزم المجاهدون على أن يغزوا العجمَ إلى محطَّتهم، فنفرتْ فرقةٌ من بركةِ القُحاز، مطرحِ سيفِ الإسلام، وفرقةٌ من جبلِ الحرازِ مطرحِ الشيخِ مسعود وجماعتِهِ، وفرقةٌ من مطرحِ غيلةَ، وكان فيه صفيُّ الإسلامِ، السيدُ العلّامةُ أحمدُ بن قاسم حميد الدين، وجماعةٌ يسيرةٌ، فوقَعَ عزمُ هٰذه الفِرَقِ، كلُّ فرقةٍ من جهةٍ، ووقعَ الحربُ بينهم وبينَ العجمِ من العصرِ إلى بعدِ الغروب، فلما رأت العجمُ ما نزلَ وألمَّ، خافوا أن يبقى المجاهدون، فهجموا صبحَ الأحدِ على مَنْ في جبلِ الحرازِ، وكان على قلوبِهم أعظمُ الحرار، فوقعَ الحربُ بينهم وبينَ الشيخِ مسعودٍ ومَنْ صحبَته إلى نصفِ النهار، وكانوا نحوَ الثمانين لا غيرَ. فلما رأى المجاهدون كثرةَ العجمِ والعجزَ عن مقاومتِهم، انحازَ بمَنْ معه إلى الباعرةِ، ولما خلّى جبلَ الحراز، وزال الاحترازُ، رأت العجمُ أنْ قدْ خلا لهم الجوُّ، لأنَّهم كانوا في وَجَلٍ مِنْ قَبْضِهِ، فلما أُجْلوا عنه أصحابَ الشيخِ مسعودٍ، نزلوا على أثرِهِم بشدِّهم ورَحْلِهم حتى وصلوا غيلةَ، فوقع الحربُ بينهم وبينَ مَنْ في غيلةَ، وكان فيه صفيُّ الإسلام، والشيخُ أحمدُ بن أحمد مساعد الحسيني، ونفرٌ يسيرٌ، وكانوا على طريقِهِم إلاَّ أنَّهم لمَّا رَأَوْا أنَّه لا طاقةَ لهم، انحازوا عنها، وتقدمتِ العجمُ على مطرحِ سيفِ الإسلامِ في بركةِ القُحازِ، فوقع بينهم الحربُ وامتدّ.

وقعةُ الرأسِ وبِرك القُحاز:

وصفتها: أنّه وقَع الحربُ إلى محلٍّ يُسمَّى الراس، وحَمِيَ الوطيسُ، وصبرَ أولو الباسِ، واختلطَ الناسُ، وكانَ يوماً مشهوداً، وكادت العجمُ أنْ

تُحيطَ بالعربِ مِنْ جميعِ الجهاتِ، إلّا من جميلِ إحسانِ الحميدِ المجيدِ، وحُسْنِ تدبيرِهِ للعبيدِ، أنّهـا خَلُفَتْ للعجمِ خالفـةً جاءَتْ مِنْ ورائِهم، منَ الذين لم يكونوا في المطْرَحِ، ولكنّهم غارةٌ، فافتشلَ حينئذٍ العجمُ، وخفَّتْ بعضُ قوّتِهم، ودامَ الحربُ إلى العشاءِ، والنصرُ بيدِ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يشاءُ. ولم يُقْتَلْ في هٰذه الحربِ من المجاهدين غيرُ شهيدٍ واحدٍ وثلاثةُ مُكاوين، وأمّا العجمُ فأخبَرني مَنْ أَثِقُ به أنّه طافَ متارِسَهُمْ بعدَ ذٰلك فلمْ يجدْ حجرةً إلّا وفيها دم.

ثمَّ إنَّ سيفَ الإسلامِ انتقلَ بمَنْ معه مِنْ أولٰئكَ الأبطالِ إلى بيتِ ماعر، وقد حازوا من المجدِ الظّاهرِ، ما فاقوا به على الأوائلِ والأواخرِ، وانحطَّ بعضُ القومِ إلى رَيْشَان(1).

وفي اليوم الثاني، اجتمعَ القومُ جميعُهم إلى الخانقِ(2) وباتوا فيه إلى آخرِ الليلِ، وفي آخرِ الليلِ عزمَ سيفُ الإسلامِ وصفيُّ الإسلامِ ومَنْ معهما من

---

(1) رَيْشان: ريشان في اليمن كثير، وفي القديم اسم جبل مِلْحان بالمحويت، ومصنعة ريشان: حصن وبلدة من عزلة شهاب الأسفل ناحية بني مطر، وريشان: قرية أعلى ضُلاع قرب شاهرة، وحصن رَيْشَان: أعلى مدينة موزع قرب العقمة، وريشان: قرية في العَشّـة من أعمال خَمِر، ومحلة في جبل مسور، انظر «اليمن الكبرى» ١٧٠، «صفة جزيرة العرب» ١٢٤، «الإكليل» ٢/٢٣٨.

(2) الخانق: وادٍ مشهور في جنوب صعدة بمسافة ٥كم فيما بين جبلي الصَمَع والسِنّارة، والخانق: وادٍ في سعوان، والخانق: محلة في عُزْلة عيال حاتم بناحية جبال عيالِ يزيد، انظر «صفة جزيرة العرب» ١٦٣، «الإكليل» ٨/١٨٦، «تاريخ صنعاء» ٣٣٥، «حوليات يمانية» ٣٩٢، وفيه الخانق، راجعة إلى قبيلة وادعة همدان.

المجاهدين الكرامِ إلى قَمْعةَ(1).

وقعةُ قَمْعَة:

وصفتها: أنَّ سيفَ الإسلامِ ومَنْ صحِبَهُ مِنَ القبائِلِ المجتمعةِ قَبَضُوا جبلَ قَمْعَةَ، ونزلتِ الأعاجمُ مِنْ طريقِ الباعرةِ والبنادقُ عليهم من كلِّ جهةٍ متناثرةٌ، حتى ظنّوا أنّها قد دارتْ عليهم الدائرةُ، فلمّا وصلوا إلى جبلِ قَمْعَةَ، هجموا على سيفِ الإسلامِ، ومَنْ معه فأصدقُوهم الرَّمْيَ بالبنادِقِ، وباشَرَهُمْ بالطَّعْنِ كلُّ صادِقٍ حتَّى إنَّ الشيخَ مبخوت قفاز(1)، استلَّ نصلتَه وخالطَ العجمَ، فلما رأَوْا ذٰلك انهزموا بعدَ أنْ وقعَ فيهم القتلُ الذريع من جملة القتلى كثيرٌ من كبارِ العجمِ.

أخبرني السيدُ العلامةُ عبدُالله بنُ يحيى، أبو منصر: أنَّ العجمَ هجمُوا عليهم، وكانوا كلَّما انهزموا ردَّهُم الضابطُ، فأَجْمَعَ المجاهدون عليه / حتى ١٧٨أ
قتلَه الله، فلما قُتِلَ انهزمت العجمُ،

ولقد أخبرني السيدُ المذكورُ أنه طافَ متارسَ العَجَمِ، فوجدَ في كلِّها سيَلانَ الدَّمِ من كثرةِ القتلى والمجارِيحِ، وسلَّم الله المجاهدين.

وفي هٰذا اليوم ـ أعني يومَ الربوع ٢ شهر الحجة سنة ١٦ ـ، امتدَّ الحربُ من الباعرةِ إلى أهرِ الجبلِ المطلِّ على القُفلةِ من جهةِ الغربِ، فبُهِتَ لذٰلك

---

(1) قَمعة: في قاع الحقل بآنس يوجد بها حَمَّام، «معجم المقحفي» ٥٢٣.

---

(١) في أ، م: قفز، على هامش هٰذه الورقة جاءت العبارة التالية: مبخوت القفاز، من عُصيمات الوطا من أصحاب منشى بن حرمان، انظر ق٧٧ب من نسخة ع.

العجمُ؛ لأنَّهم ظنوا أنّه لا يَقْدِرُ على مقاومتِهم أحدٌ، فكان الحربُ الذي في الباعرةِ وجبل حديد فيما بينهم وبينَ سيِّدي شرفِ الإسلام حسينِ بنِ قاسم عامر، وقد ذكرنا سابقاً أنَّ الإمامَ حفظَ اللهُ بقاءَهُ في حُبورٍ، فلمَّا وصلت العجمُ وادعـةَ عرَّفَهُ بالانتقالِ إلى حاشفٍ(1)، فلما نزلت العجمُ تلقَّاهم بالحربِ، واتَّصلَ الحربُ إلى جبل حديد كما أخبرني بذلك السيدُ العلامةُ عزُّ الإسلامِ محمـدُ بنُ يحيى بن الهـادي، وكان مِمَّنْ باشرَ الحربَ يومئذٍ. وكانَ الإمامُ ـ حفظه اللهُ ـ قد رتَّب المحاربَ في القُفلةِ، فعيَّنَ لرجالِ الشرفِ وحجور جبل عزان وعَيْشـانَ يمـانيَّ القفلةِ، وعيَّن لرجـالِ الأهنـوم الجهـةَ الشماليةَ من الحضيراتِ إلى مضايم، وجبل أهِر، وبيت أبو قشة، وعيَّنَ عسكرَ الإمامِ في المقامِ، وحثَّهم على الثَّباتِ وألْزَمَهُمْ بإخلاصِ النيَّات، وعزمَ الإمامُ ـ حفظه اللهُ ـ ونحنُ معهُ لنقلِ الأثقالِ إلى أيِّ جبلٍ من الجبالِ، وعلى نيَّتِهِ العودُ للقتالِ ومباشرتُهُ النزال. وكان ـ حفظَهُ اللهُ ـ قد نَقَلَ أهلَه إلى الشرفِ، إلى قريةٍ من بني كعبٍ يُقال لها مُضَر. فخرجَ وخرجْنا معه يوم الثلاثاء غرَّةَ الحجةِ سنـة ١٣١٦، بعد صلاةِ الظهرِ، وكان المبيتُ في قريةٍ تسمى الولي، فيها مشهدٌ يزعُمون أنه للسيِّد السراجي، فبتنا في المشهدِ المذكور في غبطةٍ وسرور.

وفي صبح الربوعِ، انتقلَ ـ عليه السلامُ ـ للطُّلوعِ إلى بعضِ الجبالِ، واستلحَقَ بعضَ الأثقالِ، وكانَ وقوعُ الحربِ فيما بينَ العربِ والعجمِ في

---

(1) حاشف: بلدة جنوبي شهارة، انظر «طبق الحلوى» ٣٤٤.

ذلك اليومِ - أعني يومَ الربوعِ - ٤ شهر الحجة، فأمّا مَنْ في جبلِ عَزّان(1) وعَيْشان، فترامَوْا هُمْ والعجمُ، وخلَفتْ خالفةٌ منهم من طريقِ القُفلِ وبيت دشيلةَ حتى وصلوا إلى طرفِ جبلِ عَيْشانَ، فلمّا رأتْهُمْ رجالُ الشرف وحجور حصلَ بهم الوهنُ، ففرُّوا همْ ومَنْ في القفلةِ، وأمّا رجالُ الأهنومِ فإنَّهم ثبتوا في متارِسِهم، ونَصَرَهُمُ الحيُّ القيُّومُ، وقاتلوا قِتالاً شديداً، وحصلتْ خالفةٌ من الأعاجمِ مِن جهةِ مضايم حتى تركوا المجاهدين من تحتِهم فثبتوا إلى بعدِ العشاءِ، وذلك فضلُ اللهِ يؤتيهِ مَنْ يشاءُ، وقُتِلَ من الأعجمين ما يزيدُ على الأربعين واستُشْهِدَ من المجاهدين الشيخُ الذي هو إلى رحمةِ اللهِ مُسارع، محمدُ بنُ قاسمِ بنِ شايع، وكان من الذين أبلَوْا في هٰذا اليومِ بلاءً حسناً، واستأهلوا جزيلَ الثَّناءِ، حتّى أنه أخبرني بعضُهم أنّه اعتُقِلَ، فلم يُحَلَّ له العقالُ إلا بعدَ الموتِ، وكانَ ممَّنْ صدَقَ الضِّرابَ الشيخُ يحيى حجاب وغيرُهُ من رجالِ الأهنوم، فإنَّهم في هٰذا اليومِ فخروا على الخصوصِ والعمومِ.

ثمَّ إنَّ العجمَ صبحَ الخميسِ، رَمَوْا إلى حصنِ الإمامِ في القَفْلَة لينظروا هل بقي فيه أحدٌ فَرَمَوْا بالمِدْفَعِ نحوَ أربعَ عشرَة ضربةً لم تُصِبْهُ واحدةٌ من تلكَ الضَّـرَبـاتِ، حتى إنَّ بعضَ كبارِ العجمِ لمَّا لَمْ يقدر الطوبجيُّ على إصابتهِ صاحَ عليه، وأمرَهُ أن يُثْبِّتَ له ذٰلك ليرمي فيهِ، فرمى فلم يُصِبْ شيئاً، وحين تيقَّنوا أنه لم يبقَ أحدٌ في القفلةِ دخلوها، وهمْ في أعلى ما يكون من الـذِّلَّـةِ، وكان الإمامُ - عليه السلام - قد دَفَنَ في الحِصْنِ المذكورِ بارودأ،

---

(1) جبل عَزّان: في حاشد على مقربة من قَفْلَة عُذَر، أعلى مدينة في السودة، انظر «اليمن الكبرى» ٩٥، «صفة جزيرة العرب» ١٨١، «معجم المقحفي» ٤٤٢.

وجَعَلَ فيه حَسَكاً، وعيَّن من يُشعِلُهُ عندَ الخروجِ،

٧٨ب فلمَّا خرجَ أصحابُ الإمامِ من الحِصنِ المذكورِ / أشعلوا الذُّريرةَ فانقطعتْ، ولم تُغْنِ شيئاً، لما سبقَ في علمِ اللهِ سبحانَهُ من إرادةِ حِفْظِ الحصنِ المذكورِ كرامةً لهٰذا الإمامِ المنصورِ. فلما رأت العجمُ الذريرةَ عندَ دخولِهِم وأُخْبِرُوا بذٰلك، خافوا مِنْ أنَّه قدْ يكونُ فيه شيءٌ، فأرسلوا لليهودِ، وكانَ في القفلةِ نحوُ ثلاثين يهودياً، وأجبروهم على حفرِ الدّارِ وإخراجِ البارودِ فأخرجوه، ووضعتْهُ العجمُ في الدارِ، وأشعلوا النارَ فقرَحَ ولم يؤثِّر شيئاً.

ثم إنَّ العجمَ مكثوا في القفلةِ الخميسَ والجمعةَ في أضيقِ حالٍ وإكدارٍ لما أرسلَ عليهم ذو الجلالِ من الرُّعبِ والأوْجالِ والجوعِ والعطشِ، فإنَّهم لمّا وصلوا إلى هنالك نَضَبَ ماءُ البئرِ، فكان ذٰلك مِنْ لُطْفِ العليمِ الخبيرِ، وكان ذٰلك أعظمَ كرامةٍ صدَّتْهُمْ عن المقام(١)، حتى إنهم شربوا مياهَ البِرَكِ المتغيّرةِ التي لا يصحُّ التطهُّرُ بها حتى إنه بلغنا: شربوا الأبوالَ، فلما ضاقَ بهم المقامُ، وعلِموا أنَّ ذٰلك مِنْ محاربةِ الملكِ العلّامِ نَكصوا على أعقابِهم، وأَزْمَعُوا الرجوعَ على أدبارِهِم، فخرجوا من القفلة سَحَرَ ليلةِ السبتِ، خامسَ شهرِ الحجةِ، وأرادوا الإحراقَ لبيتِ الإمامِ ـ عليهِ السلامُ ـ فجمعوا الحطبَ والأبوابَ، وأشعلوا النارَ، ولٰكنَّهُمْ لم يُشْعِلوها إلّا وقتَ عزمِهِم، وكانَ ذٰلك من الحفظِ الرّباني، فإنَّ بعضَ المجاهدين دخلوا على أثَرِهِمْ وأطفأوا النار، ولم تؤثِّرْ إلّا تأثيراً يسيراً، فالحمدُ للهِ حمداً كثيراً. وأما الدياوين والمخازين(1) التي

---

(1) الدياوين والمخازين: أي الدواوين والمخازن.

---

(١) في ع: المكان.

حولَ بيتِ الإمامِ فلم يتعرّضُوا لها بسوءٍ، ولم يُغيّروا بها شيئاً، حتى إنّهم تركوا بقيةَ أثاثٍ كان فيها، تُرِكَ لكونِهِ لا يُعْبَأُ به، فهٰذا ما كانَ مِنْ أمرِ العَجَمِ.

وأمّا الإمامُ ـ عليه السلامُ ـ فإنَّه لما وصلتْ إليه أخبارُ العربِ، وأنهم افتشلوا أضربَ عن الرجوعِ ، وتيقّنَ عدمَ صدقِ تلك الجموعِ ، وتوكَّلَ على ربِّه، وطلبَ منه النُّصرَةَ، وفوَّضَ إليهِ أمرَهُ، فأيَّدَهُ بما ذكرْنا من النَّصرِ المبينِ، وأمدَّهُ بالملائِكَةِ المسوَّمين، فكانَ ما ذكرْنا، وحينَ وصَلَ إليه البشيرُ بهزيمةِ العَجَمِ ورجوعِهِمْ على أدبارِهِم حَمَدَ اللهَ وأثنى، وأَعْلَنَ بالشُّكْرِ فَرْداً ومثنى، وبقيَ في جبلِ كوكب يومَ السَّبْتِ والأحد والاثنين والثلوث، وعزَمَ على العَوْدِ إلى القفلةِ يومَ الرَّبوعِ، يومَ عرفةَ، فكانَ ذٰلك مِنْ أعظمِ الأعيادِ المشرَّفةِ، فاجتمعَ في ذٰلك اليومِ عيدان، وبهرَ العقولَ هٰذا الفضلُ والامتنانُ، فإنَّه كانَ قد تزلزَلَ أكثرُ الناسِ ، وحصلَ معهم القنوطُ والإياسُ، وظنّوا أنها الحالقةُ، ونجمَ النِّفاقُ، وزعَمَ المنافقونَ أنّه لا يبقى للشجرةِ المحمَّديةِ ورقٌ ولا ساقٌ، فخيَّبَ اللهُ ظنونَهم، وردَّ اللهُ الذين كَفَرُوا بغيظِهِم لمْ ينالوا خيراً، هنالك عضَّ المنافقون أناملَهُمْ، وقرعوا الأسنان أسفاً على سلفٍ من العصيانِ.

وقد قال بعضُهم هٰذه الأبيات: [الطويـل]

أيا راكبـاً ظَهْـرَ العنـاجيجِ طاوياً خِفـافـاً وقـدْ أضنى العتـاقَ المُذاكيا
تحـمَّـلْ هَداكَ اللهُ مني رسـالـةً إلـى مَنْ غدا للطالـبـين مُوالـيا
تمـدَّى إذا أرخـى الـظلامُ رواقَـهُ يَدَيْه ويدعُـو مَنْ يجيبُ الـمُـنـاديا
وقـد سَمِـعَ الإرجـافَ من كلِّ مُخبِـرٍ فظَنَّ وأحـمـى في الـفؤادِ المَكـاويا
/ أبـى اللهُ إلّا أنْ يؤيِّدَ دينَـهُ ويرفَـعَ منـهُ كلَّ ما كانَ واهـيا ١٧٩أ
ويخـذِلَ أربـابَ الضَّـلالِ وحِـزبَـهُ ويَخْـفِضَ منـهـمْ كلَّ ما كان عالـيا

ويَهْـزِمَ أجنـادَ الأعـاجمِ كُلَّهـا … فيُصبحَ مُلْكُ الرومِ في الناسِ عافِيا
ألـم تَرَ علجَ الـرُّومِ رامَ بزغْـمِـهِ … مُحـالاً ومنّـاهُ الـغَـرورُ الأمـانيا
فوافـىٰ بأجنـادٍ وجيشٍ عَرَمْـرَمٍ … وأصـبـحَ جبّـاراً على اللهِ عاتـيا
فكَمْ من مروتٍ قد أعـدَّ ومِـدْفعٍ … وأعـلاجٍ سوءٍ قد أجـادَ الـمَـراميا
وكـم ذاتِ أخـفـافٍ وكـمْ ذا حافـرٍ … وكـمْ ملأوا مِمّـا أعَـدُّوه واديا
يقـودُ طَغـامُ الشـامِ نحوَ إمامِنا … وآبـاؤُهُـمْ قِدْمـاً تَوَلَّـوْا مُعـاويا
ووالاهُـمُ قَوْمٌ لِئـامٌ يقـودُهُـمْ … لواءٌ من الـخُـسْـرانِ قَدْ كانَ طاويا
فبـاعـوا بِبَخْسٍ حُلَّةَ المجدِ والعُلى … لقـد أرْخَـصُـوا واللهِ ما كان عالـيا
هنـالـكَ كلُّ المجـرمين تَزَلْـزَلـوا … ونـافَقَ أقـوامـاً فظنّـوا الـدَّواهيا
وأمّـا أُولي الإيمـانِ فاعتَمَـدُوا على … إلٰـهٍ وقـالـوا حَسْـبُـنـا اللهُ كافِيا
فكـانَ إلٰـهُ الـعـالمين هُوَ الـذي … كفـاهُـمْ وأوْلاهُـمْ نَصيراً وحـامِيا
رمـاهُمْ إلٰـهُ النّـاسِ بالـرُّعْبِ والفَنـا … ولا وِزْرَ مِمّـا قضـى اللهُ واقـيا
فآبَ عدوُّ اللهِ أقـبـحَ أوْبـةٍ … وراحَ ذلـيلاً مُوجَـعَ الـقـلـبِ خاسـيا
وذاقـوا الـذي ذاقـوهُ نصفين مثلَهـا … فلِلّهِ أقـوامٌ أبـادوا الأعـاديا
ولاقَـوْا مِنَ الأنصـارِ عَزْمـاً ونجْـدَةً … وحَـرْبـاً عوانـاً قد أشـابَ النَّـواصِيا
فلِلّهِ أيامٌ بوادعـةٍ لَقَـوْا … وفـي قَمْـعَـةٍ يوْمـاً يَهُـدُّ الـرَّواسِيا
وفي الغيلِ قدْ لاقى الأعـاجِمُ وقعـةً … ووافـاهـمُ ليثُ الـسَّمَـنِـيَّةِ حافِـيا
وفـي القَفْلـةِ الغَـرّاءِ يومٌ محجَّـلٌ … هنـالـك لاقَـوْا أحْمَـرَ الموتِ قانيا
بأيدي رِجـالٍ جاهـدوا بعـزيمـةٍ … وصِـدْقٍ فكـانَ اللهُ عونـاً وراعـيا
من السّـادةِ الأشْرافِ مِنْ آلِ هاشمٍ … حمـاةِ الهُـدى والـدينِ حالاً ومـاضيا
من النَّفَـرِ البيضِ الذي صارَ وِرْدُهُمْ … على رغـمِ آنـافِ العَـواذلِ صافِيا

وقوم العُصَيْماتِ الذين تخالُهُمْ ... لدى الحربِ إنْ لاقوا أسوداً ضواريا

مع العِذْرِيين الكُماةِ لدى الوغى ... لَقَدْ شيّدوا رُكْنَ العُلى[1] والمَبانيا

ولله قومٌ من بكيلٍ أغرَّةٍ ... تواطَوْا على مَجْدٍ فحازُوا المعاليا

فسُفيانُ منهمْ ثم وادعةُ الأُلى ... وَجَدْناهمُ فيها سُيوفاً مَواضِيا

وقومٌ من الأهنومِ باعوا نُفوسَهُمْ ... مِنَ اللهِ لَمْ يَرْضَوْا بما كان فانيا

ويا ويحَ قومٍ من صريمٍ وخارفٍ ... لقد هَدَموا بيتاً من العزِّ بانيا

/ وقدْ رَفضوا العهدَ المكرَّرَ وارتدُّوا ... رِداً بلا شكٍّ مِنَ الذُّلِّ باليا ٧٩ب

تَبَرَّوْا من الأنصارِ أن يفتحوا لَهُمْ ... فحازُوا المخازي كلَّها والمَساوِيا

وجاؤوا بشيءٍ ما رأى الناسُ مِثْلَهُ ... فتبّاً لقومٍ يكسبونَ المَخازِيا

وإيه بني عثمانَ كيفَ تركْتُمُ ... النَّصارى جميعاً والعدوُّ المناويا

وحارَبْتُمُ حِزْبَ النبيِّ محمَّدٍ ... نبيِّ الهُدى مَنْ قامَ للهِ داعِيا

فما هٰكذا يُجْزَىٰ النبيُّ بآلِهِ ... فلولاهُ حقّاً ما رقَيتوا المَراقيا

وإنَّ إلٰهَ العرشِ حربٌ لكلِّ مَنْ ... يحارِبُهُمْ فَلْيَخْشَ مَنْ كان خاشيا

وقل لأمير المؤمنين لكَ الهَنَا ... وحسبُكَ ربٌّ لم يَزَلْ لكَ واقِيا

أمدَّك بالنَّصْرِ الذي ليسَ مِثْلُه ... ولا كانَ فيما كانَ قِدْماً وآتيا

وخصَّكَ بالفضلِ الجزيلِ ولمْ يَزَلْ ... على كلِّ حالٍ بالجميلِ مُوافيا

فَصِرْتَ بما أولاكَ فَرْداً وملجأً ... مَحَلُّكَ فوقَ الشمسِ أصبحَ ساميا

فأنتَ وحيدُ الدّهرِ مِنْ غيرِ مِرْيَةٍ ... وأنتَ فريدٌ لا يُرىٰ لكَ ثانيا

فيا نجمَ أهلِ البيتِ لا زلتَ دائماً ... تَهْدي ضلالاً وتُرشِدُ غاويا

ولا زلتَ منصوراً عزيزاً مؤيَّداً ... وَمِنْ حِلَلِ الإيمانِ لا زِلْتَ كاسِيا

---

(١) في ع: البنا.

وصلَّى إلٰـهُ العرشِ في كلِّ لحظةٍ ... صلاةً وتسليماً يفوقُ العواليا
على المصطفى المختارِ والآلِ مَنْ لهم ... على رغمِ عُذّالي جعلتُ وداديا

قال سيدي العلامةُ أحمدُ بن قاسم حميد الدين حماه اللهُ تعالى:

[الطويل]

حَمَدْتُ إلٰهي حَمْدَ مَنْ كان راضيا ... بكلِّ قضاءِ اللهِ سِرّاً وخافيا
وأُثني ثناءً بالصَّلاةِ مُسَلِّماً ... على أحمدٍ والآلِ ما دامَ تاليا
وبعدُ فَقَدْ وافَتْ إليَّ قصيدةٌ ... مُخَبِّرَةٌ بالبِشْرِ تحكي المعاليا
أَتَتْ بثيابِ الفَخْرِ تَزْهُو بحُسْنها ... كغانيةٍ حسناً تُباهي اللآليا
وتحكي مِنَ الشمسِ المُنيرةِ نورَها ... وحيناً تُماري البدرَ إنْ كانَ ساريا
وطوراً تُباهي النجمَ[1] في[2] شأوِ برجِهِ ... وتُبْدي على الجَوْزاءِ حيناً تعاليا
وتعطي نضيرَ الرَّوْضِ زَهْراً ورونَقاً ... وتُهدي لِغُصْنِ البَانِ مِنْها التّهاديا
وتُذْكي ذكاءَ المِسْكِ مِنْ عَرْفِ نَشْرِهَا ... وتكسو الغواني مِنْ جلاها الدَّراريا
وتُولي نسيمَ الصُّبْحِ روحاً وراحةً ... وتُعطي الصَّبا عندَ السَّماع التصابيا
ولا غروَ أنْ تاهتْ فَقَدْ فاقَ حُسْنُها ... نظامَ الأُلى سادوا فحازوا القوافيا
ففي لفظِها سِحْرٌ أتاهُ عقولَنا ... وفي طيِّها معنىً أفادَ التَّهانيا
وفي لفظِها سَبْكٌ أجادَ مُجيدُها ... جمالَ الهُدى مَنْ كانَ في المجدِ عاليا
ومعجزُ إريانٍ إذا ما جهلتَهُ ... حرين العُلى مَنْ كانَ في النظم قافيا
١٨٠أ / لإثرِ الفَرَزْدَقِ والكُميتِ ودَعبلٍ ... بحُسْنِ نظامٍ قدْ أراحَ فؤاديا
بحُسْنِ ثناءٍ للإمامِ وسادةٍ ... يزيلونَ عَنْ دينِ الإلٰهِ المَخازيا

(١) في ع: البرج.
(٢) في ع: سقطت.

وينْفُون أعلاجاً مِنَ الأرضِ غيَّروا ... قواعدَ إسلامٍ وسَنّوا المَعاصِيا
فلِلّهِ نظمٌ جاءَ بالبِشْرِ والثنا ... لِخَيْرِ إمامٍ قامَ للدّينِ حاميا
لقد تاهَ عقلي عندَ ترديدِ لفظِهِ ... فَلَمْ أَدْرِ سِحْراً أو يكونَ ملاهيا
وقدْ كانَ كلُّ الناسِ عندَ سماعِهِ ... يهشّون أطراباً إذا كنتَ قاريا
وطابَ به الإنشادُ في كلِّ مجلسٍ ... وصارَ مناديهم يقولُ مناديا
ألا إنَّ رَبَّ الخَلْقِ أكرمَ عَبْدَهُ ... إمامَ الهُدى مَنْ كان للعزِّ بانيا
بلُطْفٍ عميمٍ أعجزَ الناسَ وصْفُهُ ... ونصرٍ عظيمٍ قد أذلَّ المُعاديا
وشلَّ قلوباً كانَ غالبُ أهلِها ... يظنُّونَ كلَّ الظنِّ أنْ لا تلاقيا
وأبدى لأهلِ الحقِّ عِزاً أحَلَّهُمْ ... محلَّ الثُّريا فوقَ مَنْ كانَ باغيا
وخابَ الأُلى ظنُّوا بأنَّ عدوَّنا ... سيلقىٰ إذا ماجدٌ ما كانَ راجيا
وآمَنَ بالآياتِ كلُّ مكذِّبٍ ... وأيْقَنَ كلُّ الناسِ أنْ لا مناديا
كرعبٍ وموتٍ ثمَّ تعجيلِ نِقمةٍ ... وتشتيتِ آراءٍ فأعْيا المُداويا
فإنْ هَمَّتِ الأعداءُ يوماً لِقَصْدِهِ ... أتَتْها الرَّزايا والمنايا تَوالِيا
وإنْ فَخَرَتْ أعداؤُه بفلوسِها ... وجاءَتْ به في المَكْرِ يبغي المَساويا
سيُعطيهِ ربُّ الناسِ مالاً يُعِدُّهُ ... لِدَفْعِ الذي للمكرِ قدْ كانَ باغيا
وإنْ جَمَعَتْ يوماً عِداةٌ جُمُوعَها ... ورامَتْ به سوءاً ودَسُّوا الدّواهيا
أتاهُ سريعُ النَّصْرِ من بعدِ يأْسِهِ ... عنِ النّاسِ إلّا مَنْ أتاه مُواليا
كمثلِ ليوثٍ ثَبَّتَ اللهُ جَأْشَهُمْ ... (١)«فلاقَتْ فوق غيل عواديا»
فأسْقَتْهُ مُرّاً مِنْ رصاصٍ مُذابةٍ ... وألقَوْا عليه المَقْتَ كُرْهاً وراضِيا

---

(١) البيت فيه خلل عروضي، يُقرأ: «فلاقت فُويقَ الغيل منها عواديا».

ومِنْ بعــدِهِ لاقَتْــهُ في سَوْح هجرةٍ لِقــاسِمِنــا المنشــورِ أُســداً ضواريا
بوادعــةٍ ذاقَ الــعَــدُوُّ فِعَــالَــهُــمْ فأضـحى صريعــاً في المُنيرةِ هاويا
وفــي قَفــرةٍ بين الــنــجيدِ وغيلةٍ ومــا كان من نحــوِ القحـازِ مُحـاذيا
إلى الهيجـةِ الخضرا إلى حَوْلِ قفلةٍ إلــى رَأْس عَزّانٍ ومــا كان عالــيا
وفــوق حضيراتٍ وفي رَأْسِ قمعَــةٍ حروبٌ وأحــداثٌ تُشيب النَّــواصِيا
فأَسْمِــعْ بقــومٍ كانَ صادقُ حَرْبِهِمْ بقمعــةَ يومــاً ليسَ في النَّـاسِ خافيا
بقمعـةَ رَعْـدُ الحَـرْبِ أصبحَ قاصِفاً فأمْــطَرَ عِزّاً للبَــرِيَّةِ سامــيا
فمِنْ بَعْــدِهــا عادَ العــدوُّ مُقَهْقَــراً بلا أَرَبٍ أخـفــاهُ في الـنَّفْسِ طاويا
فلِلَّهِ يومٌ عادَ فيهِ إمــامُــنــا إلــى نُصْــرَةٍ لم يَلْقَ بُؤســاً وشــانيا
٨٠ب / لقــدْ كان عيداً للأحــبَّــةِ لازِمــاً كعــيدٍ به سنَّ الإلــهُ الأضــاحِــيا
لئِــنْ سُنَّ يومَ الـعـيدِ لبسُ جديدِنــا وذبــحُ أضــاحــينـا لِمَنْ كان راضيا
ففي مِثْلِ هٰذا اليومِ قدْ صارَ فرضُنا وسـنَّتُنــا نحــرَ الــذي كان باغِيا
ففيهِ لأهــلِ الــدِّينِ فَخــرٌ ومَشْهَــدٌ وفـيهِ نِســاءُ الـعُـجْـمِ ظلَّتْ بواكيا
فيا ربِّ وفِّــقْــني بحـقِّ كتــابِكــا بخــاتمــةِ التَّقــوى يكــونُ ختــاميا

ولما ارتحل أعداءُ اللهِ العَجَمُ، يومَ السبتِ المذكورِ، ناوشَهم المجاهدون بالحــربِ، والعجمُ في غايةٍ ما يكــونُ من الــذِّلَّــةِ، فمـا زالَ يَقْتُــلُ منهم المجاهدون ويسلبون، وهمْ على شيءٍ لا يَلْوُون، وربما سمِعَتِ العجمُ قروحَ البنادقِ مِنْ وَسَطِ البُطنة(1)، فيظنّون أنهم العربُ قد هجموا عليهم، فيرمون

(1) البُطنة: عُزلة البطنة في ناحية القَفْلَة من بلاد خَمِر، وهي منطقة واسعة ذات أرض خصبة أغلب زرعها الـذُرة، وفيهـا سوق الأمان، انـظر «معجم المقحفي» ٨١، «الإكليل» ١/٢٨١، «طبق الحلوى» ٨٠.

إلى وسطِ الهيجةِ بالمدافعِ ، فيقعُ في أصحابِهم، وهمْ لا يرَوْنهم مع حيلولةِ الأشجارِ وكثرتِهِمْ، حتّى قتلوا منهمْ الشيءَ الكثيرَ، ومَنْ يخذلِ اللهُ فما له من وليٍّ ولا نصير، وكـانتْ طريقُهم من بيتِ الشيخِ الصـادقِ مسعودٍ البارقِ، فأحرقوه وارتحلوا على جهةِ السُّرْعةِ، ومضَوْا حالَ مرورِهم على رَجُلٍ من أهلِ البطنةِ، يُقال له: أبو سعيد، وقد كانَ أحرزَ أثقالاً إلى حرف، وبقي عندها، وألـزمَ زوجتَـه تنقـلُ إليه الزّادَ فبصرتْهُ العجمُ، بدلالةِ بعضِ أعوانِهم أهلِ السُّدُم(1)، فوافَوْا إليه، فقُتِلَ منهم خمسةُ أنفارٍ، وكوّنوه في يدِه وصاحوا: اخرجْ وأنتَ آمِنٌ، فخرجَ إليهم فقتلوهُ، وأخذوا ما معه، وكانت دراهمَ كثيرةً، وغير ذٰلك من الأثاثِ والبنادقِ، والظاهرُ أنَّ سبَبَهُ الزكاةُ؛ فإنَّه كان لا يؤدِّي الزكاةَ، وما ذهبَ مالٌ في برٍّ أو بحرٍ إلا وسببُهُ الزكاةُ، فلا يلومَنَّ أحدٌ إلَّا نفسَهُ وهواه.

ثم إن العجمَ باتُوا تلكَ الليلةَ في الباعِرَةِ، وفي الصباحِ توجّهوا وادعةَ بحسراتٍ متتابعةٍ لمّا رَأَوْا مِنَ الآياتِ المانعةِ، والأمورِ التي هي لأَطْماعِهِمْ قاطعةٌ، فمكَثُوا هنالِكَ يومين وقد خالَطَهُمْ الوَجَلُ ونزلَ بهم الحَيْنُ، ولما خافوا من ثوراتِ القبائِلِ ، أظهروا التجلُّدَ، وزعَموا أنهمْ لا بدَّ يرجعون من طريقِ حُوث، فقدَّموا المجاريحَ والأمراضَ إلى قَبْلِهم، وهُمْ مئةٌ وثلاثةٌ وستون حَسْبَما عَدَّهُمْ الجاسوسُ، وبعدَ عَزْمِ المجاريحِ والأمراضِ ، رتَّبوا عَجْمَر خوفاً من المجـاهـدين، وانتهضـوا جميعـاً طريقَ خيار، وكانَ ذٰلك من حُسْنِ صنيعِ الجبَّار، ليأخذَ لإمامِ المسلمين بالثّأرِ مِمَّنْ بارزَهُ بالمخالفةِ والاحتقارِ، فلمّا

---

(1) السُدُم: قرية من خولان العالية، التي تضم بلاد سنحان واليمانيتين، انظر «معجم المقحفي» ٢٢٣.

وصلوا إلى هنالك، عاثوا في الدِّيارِ، وأحرقوا بيوتاً كثيرةً بالنّارِ، حتى أنّه بلغني عمَّن أثقُ به أنّهم رجعوا لبيوتِ علوي من نحوِ الميل، فكانَ ذٰلك على العقوبةِ أكبرَ دليلٍ. وكان المذكورُ مِنَ المنحرفين على الإمامِ، حتى إنّه أقْدَمَ في أوائلِ هٰذه السنةِ على مؤونة الإمام ـ عليه السلام ـ إلى الطريق، وانْتَهَبَ مِنْها زَعْماً منه أنَّ الإمامَ ـ عليه السلامُ ـ لم يُسَلِّمْ للمجروحِ ما طلبَ.

ثم إنّه أرجَعَ بعْضَها، وأبقى من ذٰلك شيئاً أذْهَبَ ديارَهُ، وسيحمي اللهُ سبحانَهُ عن قريبٍ إثاره، وهٰذه البيوتُ قلاعٌ عظيمةٌ لا يمكنُ إعادَتُها إلاّ بأموالٍ جسيمةٍ، وأخربوا أيضاً بيوتَ شوايط(1)، وهو أيضاً من المخالفين ذوي التخليطِ، فكانَ ذٰلك من التسليطِ.

ثمَّ إنَّ اللهَ سُبحانَهُ وله الحمدُ، سلَّمَ بيوتَ الصادقينَ هنالك منهم: يحيى حمّود داود، وكانَ من الصادقين في الجهاد، لهُ المشاهدُ الجميلةُ في الحاضرِ والبادِ.

ومن أعجبِ ما يُحكى، ما أُخبرَنا به غيرُ واحدٍ: أنَّ العَجَمَ ضربُوا على ذٰلكَ البيتِ / الاحتياطَ، وداروا عليه، فكأنه أُلقيَ إليهم ما يمنَعُهُمْ فتركوه، ١٨١ أ
وكذٰلك بيتُ حمودِ بنِ ناشر وكان مِمَّنْ جَاهَدَ وحُمِدَ في المآثر.

ولقد أخْبَرَنا حمودُ بنُ ناشر أنّه حثَّ الناسَ على الجهادِ وأجابه رجل(١): سلامةُ بيوتِنا من الخراب أولى بنا، فأخْرَبَتِ العجمُ بيتَه، وسلَّمَ اللهُ بيتَ

(1) شوايط: عُزلة من أعمال ذي سُفال، نُسب إليها المقرىء أحمد بن علي الشوايطي، ت٨٦٤هـ، انظر «طبقات صلحاء اليمن» ١٤٤.

(١) في ع: رجات.

حمود، ولعلّه كان هو المقصودَ، ثم إنَّ العَجَمَ لما قضوا التَّسليطَ في خيارِ الـذين لم يَفْتَحوا بيوتَهم للأخيارِ، توجّهوا نحوَ خَمِرٍ، فباتوا بها وعاثوا. ثم توجَّهوا مِنْ صبحِ تلكَ اللَّيلةِ نقيلَ الغولة[1]، وباتوا في رَيْدة وشَيْبَرة[2]، ورحّلوا منها الحبوبَ، إلى عَمْرَانَ، وذٰلك بسببِ مخالفَتِهم لإمامِ الزمانِ، ومَنْعِهم مِنْ أداءِ الزّكاةِ الواجبةِ على كلِّ إنسان، وحينَ وصلُوا هنالك، أيقَنَ المسلمونَ بأنَّ اللهَ قد كَفى عَبْدَه شرَّ العلجِ وكَيْدَه.

فصل

وأمّـا الإمامُ عليه السلامُ، فإنّه لمّا حطَّ الأثقالَ، كما ذكرنا في بعضِ الجبالِ، وقدْ كانَ أرجفَ المنافقون بأنَّ العَجَمَ لا بدَّ يقصِدونَ جبالَ الأهنومِ وشُهارة، وكـانَ هنـالـك سيفُ الإسـلامِ، وعَلَمُ الأعْـلامِ وعمادُ الكِرامِ، يحيى بنُ الإمـام، دبَّـرَ أمـورَ تلكَ المعاقِلِ أجلَّ تدبيرٍ، وحَزَمَ الأطرافَ، وحَسَمَ مادَّةَ الخِلافِ. فلمّا وصلتِ العجمُ القفلةَ، وبلغَهُمْ ما قدْ أُعِدَّ لَهُمْ بالجُملةِ من الأبـطالِ، وأنَّهُمْ لا يقدِرون على مرامِهم إلَّا بذهابِ النّفوسِ والأمـوالِ، رجَعُـوا عن المَقْصَدِ، وتبيَّن بذٰلك للخاصِّ والعامِّ حسنُ سياسةِ سيفِ الإسلامِ، وأنّه أوْحَدُ الرّجالِ أهلِ الكمالِ.

ولقد وصلَتْنا[1] الأخبارُ[2] برجوعِ الأتراكِ منهزمين مِنَ القَفْلَة، ونحنُ إذْ

(1) المقصود غولة عجيب، في أقصى البون في الجهة الشمالية الغربية من رَيْدة بمسافة ٨كم، انظر «تاريخ اليمن الثقافي» ٢/٨٣، «معجم المقحفي» ٤٨٦.
(2) شَيْبَرة: قرية في بلاد حاشد من الصَّيد، انظر «معجم المقحفي» ٣٦٩.

(١) في ع: أخبرتنا.
(٢) في ع: الأخيار.

ذاكَ بحضرةِ الإمامِ ـ عليهِ السلامُ ـ في جبلِ كوكب، فصِرْنا بذٰلك نُفْضي العجبَ، ونتحيَّرُ ونتردَّدُ في تصديقِ وقوعِ مثلِ هٰذا، لمّا ذكرنا، أنَّ العَجَمَ خرجوا بالقوَّةِ الكافيةِ، وليسَ لَهُمْ مَطْمعٌ غيرَ نكايةِ الإمامِ، وأخذِ المدفعِ المأخوذِ، ولو بلغوا إلى مَطْلعِ الشمسِ كما نُقِلَ ذٰلك عنهم. فلمّا وقعَ ما وقعَ، وصرَّفهُم اللهُ عن ذٰلكَ المطمعِ تحيَّرتِ العقولُ الزكيّاتُ، وقَطَع جميعُ النـاسِ أنَّ هٰذا الإمامَ ـ حفظهُ اللهُ ـ مِنْ أهلِ الكراماتِ الخارقةِ والأنفاسِ الصادقةِ، وصارتْ ألسنَتُهُمْ بذٰلك ناطقةً.

ولقد ظهرَ للإمامِ، عليه السلامُ، في هٰذا المخرجِ كراماتٌ كثيرةٌ وأمورٌ خارقاتٌ شهيرةٌ.

وقد ذكَرْنا بعضَها في هٰذه الوريقاتِ السابقةِ، ولٰكنَّها تزدادُ حُسْناً بالتَّكرار، وإنَّما قصدْنا بجمعِها لتكونَ عِبرةً لأُولي الأبصارِ، فإنَّه لم يقعْ مثلُها لمن سَبَقَ من الأئمةِ وقد ظهرَ وجهُ الحكمةِ، وهو رعايةُ جانبِ الحقِّ في هٰذه الأُمَّةِ، لما كان في هٰذه الأزمنةِ مِنْ قلَّةِ الدينِ وضَعْفِ اليقين. فمن الكرامات:

ما أخبـرَنـا بذٰلـك الثقـاتُ، أنَّ العسـاكرَ الخارجةَ مِنْ طرفِ السلطانِ عبـدِالحميدِ لمحاربةِ الإمامِ السعيدِ سبعون ألفاً بأعظمِ ما يكونُ من القوَّةِ البـاهِرَةِ، وهي الزادُ المتكاثرُ الواسعُ، وآلاتُ الحربِ مِنَ البنادِقِ والمدافعِ ونحو ثلاثينَ مئةَ بغلةٍ وهروال.

ولقـد أخبرنا الجمُّ الغفيرُ، أنه صارَ الدَّقيقُ في الحُدَيْدةِ كالتلِّ الكبيرِ، حتى ذهبَ أكثرُه من الأمطارِ، فأوَّلُ كرامةٍ أكرمَ اللهُ بها هٰذا الإمامَ، ومَنَّ بها على المسلمين والإسلامِ أنّه غَرِقَ في البحرِ بابورٌ فيه ثلاثةُ آلافٍ، فكان ذٰلك

مما يُؤْذِن بخفيِّ الألطافِ.

ومن ذٰلك، أنّهم أخرجوا الذخيرةَ منَ الزّادِ، فلم يجدوا ما يحملُها بسبَبِ ما ذَكَرْنا مِنْ موتِ الجمال. ولقدْ سَمِعْنا الوالي حسين حلمي يقولُ، وقَدْ وصلَ إليه رجلٌ مِنْ بندر الحُديدةِ يسألُ منهُ أنْ يحوِّلَ له بشيءٍ من الدّقيقِ الخارجِ، فقال أهلُ اليمن: عَجْزُهُ أخرجَ الشيطانَ مثلَ الحبلِ دقيقاً ولم يقدِرُوا على حَمْلِهِ /، حتى فَسَد أكثرُهُ من الأمطارِ وسبخةِ البحرِ الزخّار. ٨١ ب

ومن الكراماتِ الباهرة:

أنّه لما تجهَّزَ الطاغيةُ عبدُالله باشا للخروجِ على الإمامِ، عليه السلامُ، كنّا نحدِّثُ نفوسَنا أنّه: إنْ بدا بالشّرف، فإنّها إنْ شاءَ اللّهُ هنالك تذهبُ قوّتُهُ، ويطولُ به الأَسَفُ، وإن بَدا ببلادِ حاشد، وقصدَ الإمام ـ عليه السلامُ ـ ففي[1] ذٰلك تمحيصٌ وامتحانٌ لما عُرِفَ من تخاذُلِ حاشد وتهافُتِهِمْ على الحُطامِ النافذِ، حتى إنّه صارَ بعضُ المخذولين، إخوانُ الشياطين، يناشدُ الإمامَ ـ عليه السلامُ ـ ويعرفُ الخاصُّ والعامُّ، أنّه لا طاقةَ لنا، وأنَّ الإمامَ يتفضَّلُ بإرجاعِ المِدْفعِ، فكانَ مِنْ حُسْنِ تدبيرِ اللهِ، أنّه وقَعَ الابتداءُ بالشّرفِ فذهبتْ هنالك صَوْلَتُهُمْ، وانقلبوا خاسئين كما تقدَّمَ.

ومِنْ ذٰلك، أنّه كانَ مرامُهم الرجوعَ من الشرف إلى جبالِ الأهنومِ، فمنَعَهُمْ عنْ ذٰلكَ الحيُّ القيّومُ، وآلَ أمْرَهُمْ إلى أنْ انعكَسَتِ القضيَّةُ،

---

(١) في ع: ففي بعض.

فعزموا[1] جهةَ وادي أخرف كما سبقْنا، فلم ينْجوا مِنْهُ حتّى أيْقنوا بالتّلَفِ، ولم يتمكّنُوا ممّا أرادوه، ومِنْها قضيةُ بيت زَوْد، وهي من أعدلِ الشهود.

ومنها أنَّ بني قيس وخيار ألجأهُم الملكُ الجبَّارُ فأبَوْا أنْ يفتحوا بيوتَهم للمجاهدين حتّى أنهم آخِرَ الأمرِ، طلَبُوا منهمُ الانتقالَ من سوقِ الغيل وتبرّأوا منهم، وآذنوهم بالحربِ إذا بقوا، فعرّفَ سيفُ الإسلامِ إلى حضرةِ الإمامِ ـ عليه السلامُ ـ بما وقعَ من أولٰئك الطّغامِ ، فأجابَ عليهم الإمامُ ـ حفِظَه الله تعالى ـ أنِ انتقلوا[2]، فوصلَ إليهم الجوابُ في وقتِ الظّهيرةِ، فلم يطّلعْ عليه أحـدٌ، خوفـاً من الفشيلةِ، وأراد إخفـاءَهُ إلى اللّيلِ ويعزموا، فالليلُ أخفى للويلِ ، فنامَ سيفُ الإسلامِ ، ولمْ يشْعُرْ سيفُ الإسلامِ إلاّ وهُمْ ينبّهُونَهُ عندَ العجمِ كما تقدَّمَ، وكان ذٰلك يُعَدُّ من الكراماتِ، لأنّه لو وقعَ عزمُ المجاهدين مِنَ الغيلِ بلا حربٍ، لتجـرَّأ العجمُ على القتـالِ ، وحسبـوا بهـزيمةِ ذٰلك الانتقـال. وكان في هٰذا الحربِ من حُسْنِ صنيعِ اللّطيفِ الخبيرِ، ولُطْفِ التقدير أنَّ العجمَ لم يصِلوا إلاّ في وقتِ العصرِ، فوقعَ الحربُ مدّةً يسيرةً إلى غروبِ الشمسِ ، وسلَّمَ اللهُ المجاهدين، فلم يُصَبْ منهمْ أحدٌ، فكانَ ذٰلك مِنْ أعظمِ المقوّيات للمجاهدين من حيثُ انقضاءُ الحربِ في مُدَّةٍ يسيرةٍ، وهمْ في نشاط.

ومن الكرامات:

ما وقـع في بيتِ الأعضُبِ، فإنَّ الواحدَ من المجاهدين غَلَب مئةً من

---

(١) في م: فعرجوا.

(٢) في م: ينقلوا.

العجمِ، بعدَ أنْ تيقنت العجمُ أنَّهم سيغلبون المجاهدين لكثرتِهِمْ وقلّةِ المجاهدين.

ولقد أخبرني الشيخُ الماجدُ أحمدُ بنُ أحمد مساعد أنها وقعتْ عنوةٌ[1] في المنازلِ التي خارجَ بيتِ الأعضبِ، فكانَ هنالك وحدَهُ؛ خشيةَ أنْ تغلِبَهم العجَمُ على الماءِ، فما زالَ هو والعجمُ يقتتلون طولَ ذٰلك اليومِ، وكانَ ينتقلُ في المتارِسِ إيهاماً للعَجَمِ أنَّ هنالك عسكراً كثيراً. وأخبرَني بهٰذا غيرُ واحدٍ، قال: وكان إذا اشتدَّ عليه الأمرُ توسَّل بالإمامِ، عليه السلامُ، فتنفرجُ عنه تلكَ الشِّدَّةُ.

ومن الكراماتِ أيضاً، ما وقع في القَفْلَةِ، من ذٰلك:

أنَّ الإمامَ عليه السلامُ، كان قد رتَّبَ القَفْلَةَ برجالٍ من الشرفِ وحجور وغيرِهم، فافتشلوا قبلَ وصولِ العجَمِ، ولو أنَّهم ثبتوا ونُصِروا على العجمِ لافتخروا بذٰلك على الخاصِّ والعامِّ، وعَدُّوا ذٰلك صنيعةً لهم على الإمامِ، كما هو عادةُ الناسِ في هٰذه الأزمنةِ. وكانَ اللهُ سبحانَه هو الذي تولَّى نصرةَ الإمامِ وحمايتَه، وإنزالَ الرُّعْبِ والوهنِ في قلوبِ العجمِ اللِّئامِ / ولم تُغْنِ ١٨٢أ
عنهم البنادقُ والمدافعُ، وكيفَ لا، واللهُ هو الناصرُ والمُدافعُ.

ولقد رأينا مِنْ دَأْبِ العربِ وعاداتِهِمْ المستقبَحَةِ أنَّه إذا نَصَرَهُمُ اللهُ في أيِّ موطنٍ نسبوا ذٰلك إلى أنفُسِهِمْ وصاروا يتبجَّحون بما صَنَعوا حتى يُخْرِجوا الإمامَ ـ عليه السلامُ ـ بكثرةِ المطالبِ والاقتراحاتِ التي تضيقُ بها الصُّدورُ، ويتسعُ لها نطاقُ الشرور.

---

(١) في م: عنوته.

ومن الكرامات أيضاً:

أنَّ العجمَ وصلوا إلى فوق قُطبين[1]، وكانَ فيه أثقالٌ كثيرةٌ لبيتِ المالِ، أَوْدَعَها الإمامُ هنالك، فحيلَ بينهم وبينَ ما يشتهون، ومَنَعَهُمُ اللهُ عن الوصولِ إلى شيءٍ من ذلك، مع أنّه لا دافعَ ولا مانعَ إلاّ الرَّبُّ الخافضُ الرافعُ.

ولقد كلَّمْتُ الإمامَ ـ عليه السلامُ ـ في بعضِ الأيامِ عن شأنِ الأثقالِ الموضوعةِ في المحلّاتِ القريبةِ منَ المقامِ الشّريفِ، وأنه ينبغي أنْ تُنْقَلَ إلى محلٍّ غيرِ معهودٍ لا يعلمُهُ الأعداءُ، فأجابني ـ عليه السلامُ ـ بأنَّه «قد اتَّسَعَ الخرْقُ على الراقعِ»، وأنّه لا يُمكِنُ حملُ الجميعِ لكثرتِها، وتقديمُ الأهمِّ فالأهمِّ، وأنَّ مالَها غيرُ الله.

وسمعتُ منه ما يدُلُّ على الوثوقِ باللهِ، والتوكّلِ عليه، فعلمتُ أنّه سيمنعُهُ اللهُ تعالى عن كَيْدِهِمْ.

ولقد كنتُ أسمعُ قبلَ خروجِ العجَمِ في هذه الكَرّةِ، تبرّماً من حاشدٍ وعدمَ رضاءٍ على الإمامِ ـ عليه السلامُ ـ لِعَدَمِ إعطائِهم من الحُطام، ﴿فإنْ أُعطوا منها رضوا، وإن لم يُعْطَوْا منها إذا همْ يسخطون﴾[2].

ثمّ لمّا وقعَ هذا المخرجُ، ولم يُمكِّنِ اللّهُ العَجَمَ مما أرادوا، وظهرَ للنّاسِ ما أكرمَ اللهُ به الإمامَ، وما كفاهُ من شرورِ العَجَمِ اللّئام، ازدادَ النّاسُ للإمامِ محبّةً وودّاً، وأذْعَنَ له الخاصُّ والعامُّ، ولم يستطيعوا لكراماتِهِ ردّاً.

---

(1) قُطبين: من قرى حاشد في البَطْنة، انظر «معجم المقحفي» ٥١٨.

(2) التوبة: ٥٨.

وقد كانَ وقعَ في هٰذا المخرجِ الإرجافُ، ونَجَمَ النِّفاقُ والخِلافُ مِمَّن يعبدُ اللَّهَ على حرفٍ، ويُحِبُّ أهلَ الجورِ والاعتسافِ، حتى إنّه وقعَ الإرجافُ في بلادِ صعدةَ وخولان الشام، وكاتَبَ بعضَ المشايخِ الطَّغامَ، فلمَّا وصلتْ إلى عُمّالِ الإمامِ هنالك الأخبارُ برجوعِ العَجمِ الأشرارِ، وأنّهم قد ارتَدُّوا على أدبارِهِم، أمَرُوا الناسَ بإشعالِ النَّارِ، وكانَ رجوعُهم قبلَ عيدِ الأضحى بيومين، فتمَّ للناسِ السرورُ بالعيدين، واستبْشَرَ بذلك الناسُ بعدَ أنْ كانَ قدْ حصلَ معهم الإياسُ، فللَّهِ الحمْدُ من قبلُ ومن بعدُ.

ولقد نظرَ اللهُ سبحانَهُ إلى عبادِهِ لمَّا علِمَ ما هُمْ عليه من الضَّعْفِ في الأبدانِ والأديانِ، وقلَّةِ الناصِرِ والأعوان.

ومن الكرامات في هٰذا المخرج ما ذكرنا من إخْرابِ بيوتِ المُنْحرفين من بني علوي[1] وشوايط، ومنعِ اللَّهِ الصَّادقين من التسليط.

ومنها أيضاً: ما وقعَ من الخرابِ والنَّهْبِ في قرية شيبرة كما قدَّمْنا خبرَه، وكانوا من المنحرفين المنقادين للعجمِ، وكانوا أوَّلَ منْ أظهرَ للعجمِ الطاعةَ، وخالفَ سبيلَ الجماعةِ.

/ ومن الكـرامـات الباهرةِ، أنَّ بئرَ القفلةِ المسمى ببئرِ الغاربِ نضبَ ٨٢ ب
ماؤُها، وغارَ عندَ وصولِ العجمِ، ولم يبق فيها إلا حَمَـأٌ مسنون، ولقد كانَ العجمُ يُلْقون آنيةَ[1] التّنكِ فيه، فتنقطع الحبالُ، وتسقُطُ آنيةُ التنكِ إلى البئر،

---

(1) بنو علوي: من بطون عك، من علماء زَبيد، انظر «معجم المقحفي» ٤٦١.

---

(١) في م: آنيات.

وبعضُها مغطّاةٌ لا يمكنُ دخولُ الماءِ فيها، وكأنها ذُهِلَتْ عقولُهُمْ من العطشِ. ولقد أُخْرِجَ من تلك الآنية بعدَ عزمِ العجمِ نحو أربعين زمزميةً، ولقد شربوا من المياهِ المتغيّرةِ التي تُسْتَقْذَرُ شيئاً كثيراً، حتى بلغَ أنّهمْ شربوا البولَ، واللهُ أعلمُ بصحةِ هٰذا القول.

وممّا قاله سيفُ الإسلامِ محمدُ بنُ الإمامِ المتوكلِ جواباً على قصيدةِ مولانا العلاّمةِ العمادِ سيفِ الإسلامِ، يحيى بنِ الإمام ـ عليه السلامُ ـ تلك القصيدةُ المتقدمةُ، وتأخّرَ الجوابُ عنها إلى الغِيل، فقال ـ حماه الله تعالى ـ:

[المديد]

ما شجاني بارقُ الأَضَمِ ... لا وَلا ذو البانِ والعَلَمِ
لا وَلا تلك الربوعُ وما ... تَحْو مِنْ خيرٍ ومِنْ نِعَمِ
ورياضٌ في الربوعِ سَنَتْ ... زَهْرُها يَزْهُو لمبتَسِمِ
وغُصونٌ كلّما رَكَعَتْ ... مِنْ قريبٍ بعدَهُ تَقُمِ
وصَبا نجدٍ تُلاعِبُها ... في بكورِ الصُّبْحِ والظُّلَمِ
وكؤوسُ السُّحْبِ دائرةٌ ... بشرابِ المُزْنِ والدِّيَمِ
وحمامُ الأيكِ صادحةٌ ... تسْرُدُ الألحانَ بالنّغَمِ
تشدو[1] بالألحان مُطْرِبَةٌ ... شَدْوُها يرقىٰ من الصَّمَمِ
لا ولا خودٌ أَلِفْتُ بها ... في صِباً في دهرِ مُبْتَسِمِ
مِنْ صَبا نَجْدٍ وآنِسَةٍ ... حُسْنُها كالبَدْرِ في البُهَمِ
إنْ رَنَتْ أَغْنَتْ حدائِقَها ... عن غرارِ السّيْفِ والسَّهْمِ

---

(١) في م: تشدُّ، إلا أنه بها ينتظم الوزن.

حورُ عينٍ لا يُشاكِلُها ساجياتُ العَيْنِ من رِيَمِ
ناحلاتُ الخَصْرِ من هَيَفٍ ليسَ ذاك النُّحْلُ من سَقَمِ
تسْحَبُ الأَذْيالَ إنْ خَطَرَتْ مشيُها كالأَنْيُقِ الرُّسُمِ
إنْ تَقُلْ قولاً فمِقْوَلُها لُؤلُؤٌ في سِلْكِ منتَظِمِ
طالَ ما عِشْنَا بمنطِقِها تُتحِفُ الأَسْماعَ بالكَلِمِ
مِنْ لِسانٍ لَيِّنٍ عَذِبٍ سَلِسِ الأَلفاظِ حشوَ فمِ
رِيْقُهُ شَهْدٌ لِراشِفِهِ إنها كانت دَوا الأَلَمِ
زانَهُ ثغرٌ به دُرَرٌ[1] وشِفاهٌ لونُها كدَمِ
وجوادُ الطَّرْفِ يُطْعِمُه زهرَ خدٍّ منةً يَسِمِ
نشرُهُ مِسْكٌ يفوحُ بهِ طيِّبُ الأرجا لمُنْتَسِمِ
طالَ ما طابَ الزَّمانُ لنا وسَوادُ الحادثاتِ عَمِي
خلٌّ هٰذا كلُّه فلَقَدْ جاءَ لفظٌ زينَ بالحِكَمِ
ملأَ الأَحْشاءَ نارَ غضىً وحَشاها أيُّما ضَرَمِ
مِنْ هُمامٍ سيِّدٍ سَنَدٍ صارَ في الشُّعَارِ كالعَلَمِ
خاضَ تيَّارَ البديعِ كما خاضَ بابوراً بمُلْتَطِمِ
فاقَ أهلَ النَّظْمِ أجْمَعَهَمْ مِنْ بني فِهْرٍ ومن هَرَمِ
إنَّ قيساً والأُلى سَلَفوا مثلَ عمرٍو وثُمَّ قيسِهِمِ
والبعشريَّ وابنَ مامَتِهِمْ بإزا المَمْدُوحِ كالخَدمِ
حينَ نادى في بني حَسَنٍ بمنادٍ مُفْصِحِ العَلَمِ
خبِّرونا يا أحِبَّتَنا كيفَ أنْتم يا أُولي الحَرَمِ

---

(١) في ع: درن، وفي أ: دور.

إنْ تَكُ الأعداءُ قد جَمَعَتْ … زُمْرَةَ الباغي مِنَ العَجَمِ
وتَبادَرتْ نحوَنا عَجَلاً … خيرةُ الأخيارِ في الأُمَمِ
في ثيابِ الكِبْرِ تائِهةً … تَسْحَبُ الأَذيالَ في الأضمِ
قد أَعَدَّتْ كلَّ قوّتِها … تبغِ هَدْمَ الدِّينِ والحَرَمِ
ولِثارِ الكفرِ قَدْ نَقَمَتْ … قصدُها أنْ تأتِ بالنِّقَمِ
إنَّنا إنْ تساءَلوا فَلَنا … في العُلى غاياتُ لم تُرَمِ
فَسَلْ آباءً لنا عَمَروا … شامخاتِ المجدِ بالهِمَمِ
صَبَرُوا واللهِ إذْ عَزَمُوا … والْتَوَوْا بالحزمِ والحُرَمِ
بَذَلوا للربِّ أَنْفُسَهُمْ … فأضاءَ الحقُّ في البُهَمِ
١٨٣أ / ورَعَوْا حقَّ الأُلى نَصَحوا … ورأَوْا فَضْلاً لِسَبْقِهِمِ
واستمالوا النّاسَ نَحْوَهُمُ … بجميلِ الفَضْلِ في الأَزَمِ
وعَفَوْا عن كلِّ قادِحَةٍ … عَفْوَ ذي فَضْلٍ ومُحْتَشِمِ
وإذا ما جاءَ وافِدُهُمْ … وهوَ ذو ضَعْفٍ وذو عَدَمِ
عادَ عَنْهمْ شاكِراً نِعَماً … وهْو ذو مالٍ وذو حَشَمِ
يطربوا للجُودِ إنْ سُئِلوا … وَهُمُ يعطوا بلا كلمِ
وتَرى مَنْ لاذَ نَحْوَهُمُ … غيرَ مخذولٍ ومُهْتَضَمِ
جَعَلوا التَّأْثيرَ عادَتَهُمْ … وغُموضَ الطَّرْفِ عِزِّهِمِ
وكذا أنفقوا مآثرَهم … نكتسي ثوباً كثوبِهِمِ
نُكْرِمُ الأضيافَ إنْ وَفَدوا … من لُحومِ الضأْنِ والدَّسَمِ
كلُّ ما وافاهُمُ جائِعٌ … عادَ متخوماً(١) من التُّخَمِ

(١) في م: مبطوناً.

ونُجيرُ الجارَ مِنْ ضَرَرٍ ... في ذُرانا الجارُ لم يُضَمِ
وعلومُ الآلِ نَتْبَعُها ... وهٰكذا القرآنُ ذو العظَمِ
وسبيلُ الحقِّ نسْلُكُهُ ... إنْ تعامى عنه كلُّ عمي
ونخوضُ الحَرْبَ يومَ وغىً ... نَتّحِفُ الباغين بالنِّقمِ
ونسقّي الأعداءَ كأسَ ردىً ... مِنْ سِهامٍ حلَّ بالسهمِ
ما نهابُ الموتَ إنْ مَرَحَتْ ... ويريرَ الطبِ والبرمِ
وخيولُ العُجْم إذْ سَبَحَتْ ... بعلوجٍ تشبهُ الأكَمِ
وطوابيرٌ لها عَدَدٌ ... غيرُ محصورٍ ومُنْقَسِمِ
كم صَبَرْنا في الوطيسِ لَهُمْ ... وأسودُ العُرْبِ في الأَجَمِ
وبذَلْنا فيه أنْفُسَنا ... رغبةً في الفوزِ بالنِّعمِ
وأخَذْنا الثأرَ مِنْ عَجَمٍ ... ومِنَ الأعرابِ ذي النَّدَمِ
واسألوا عنا وقائِعَنا ... إنها غرّاءُ كالنُّجُمِ
إن أرادَ الخصمُ يُنْكِرُها ... صارَ منحوساً بكلِّ فمِ
تَشْهَدُ العُقْبانُ إذْ شَبِعَتْ ... وكبارُ النَّسْرِ والرَّخمِ
وسباعُ القَفْرِ كمْ رَجَعَتْ ... مِنْ لُحومِ التُّركِ بالبَشَمِ
وكذاكَ الآنَ نحنُ على ... مِثْلِ تِلْكَ الحالِ لم نجمِ
كلُّ ما زادَتْ جموعُهُمُ ... طالَتِ الآفاقُ بالشَّمَمِ
تنصُرُ الباري بعين هٰذا ... في رضى اللهِ لم تَنَمِ
نَلْقَهُمْ بالجِدِّ إنْ رَجَفوا ... ونشبُّ النّارَ بالضَّرمِ
ونُريهُمْ في اللُّقا عجباً ... ونُزيلُ السّاقَ عَنْ قَدَمِ
ويُرى الباغي أُصَيِّرُهُمْ ... في الوغى لحماً على وَضَمِ

وإمامُ الحقِّ يَعْضِدُهُ ... إنْ دعانا عاجِلاً نَقُمِ
كلٌّ ما نادى نُجيبُ له ... لم يَقِفْ سَعْياً على القِمَمِ
طائعين الأمرَ حالَ رضا ... وإذا البأسا أَتَتْ تَهِمِ
نُفْدِهِ بالنَّفسِ راضيةً ... وهو فيها غيرُ محتكِمِ
ونقولُ الحقُّ طاعَتُهُ ... خيرَ موثوقٍ لمُلْتَزِمِ
ونحُثُّ الخَلْقَ أجمَعَهُمْ ... نحوَ داعيةٍ لِعِزِّهِمِ
إنّه للناسِ نِعمَ أبٍ ... لو أنالُوه عن الخَطمِ
ينجحُ المُسْتَمسِكونَ به ... فهو مِثْلُ البحرِ في الخِضمِ
أوْجَبَ الرحمنُ طاعَتَهُ ... عمَّ مَنْ قَدْ كانَ في الحُلمِ
ليسَ يَسْعَدُ في الدُّنا وَغْدُ ... وينالُ الفَخْرَ في الأضمِ
غيرَ مَنْ والاهُ مُحْتَسِباً ... لا يَشيبُ العَزْمُ بالسَّأمِ
والأُلى خافوا وقَدْ نَقَضُوا ... مِنْ وثيقِ العهْدِ والذِّمَمِ
حازوا الخُسْرانَ إذْ صَفَقوا ... صَفْقَ ذي عيرٍ لذي سَلَمِ
يكْفِهِمْ في اللّومِ أنّهُمُ ... استبدوا شِيَماً لمدحهِمِ
واكْتَسَوْا ثوبَ الهَوَانِ وقَدْ ... لبسوا قِدْماً كِسا الكَرَمِ
وسلاحَ الحربِ قدْ طَرحوا ... مَنهم في الآنِ كالحَرَمِ
إنَّ صَبْرَ الحُرِّ مَنْقَصَةٌ ... وهو ينظرْ غيظَ ذي وَرَمِ
كيف يأخذْ مالَهُمْ سَفِلٌ ... من عدوٍّ ناقصٍ قَدَمِ
ويَرَوْنَ الذُّلَّ يَشْمَلُهُمْ ... ونكيرَ الحَبْسِ والرَّسمِ
ولقد قالَ الأُلى غَرَزُوا ... لقَدِ اسْتَسْمَنْتَ ذا وَرَمِ
ليْتَهُمْ ماتوا بأجمعِهِمْ ... قبلَ خِزيٍ واضحِ الوَضَمِ

فوفـاةُ الـعـزِّ مكـرمـةٌ وحـياةُ الـذُّلِّ كالـعَـدَمِ
حاشَ أنْ نتـركْ حمـائِـلَنـا أو نُلينَ الـطَّبْـعَ للغَـشَـمِ
سَنَـثِـقْ باللهِ خالِـقِـنـا وهـو في الـبـأسـاءِ مُعْـتَـصَمِي
إنَّ حَبْـلَ اللهِ مَسْـكَـنُـنَـا فهـو حَبْـلٌ غيرُ مُنْـفَـصِـمِ
/ ونُـصَـلِّي في الـخِـتـامِ على سيِّد الأَعـرابِ والـعَـجَـمِ ٨٣ب
وهُـداةُ الآلِ سادتُـنـا ما تلي يومـاً على الـخَـتـمِ

وقال سيدي العلامةُ صفيُّ الإسلامِ أحمدُ بنِ قاسم بنُ الإمامِ ـ حرسَهُ اللهُ ـ في ذلك وأرسلها إلى سيف الإسلامِ: [المديـد]

حَمْـدُ ربِّ الـبـيتِ والـحَـرَمِ واجـبٌ في الـبـؤسِ والـنِّـعَـمِ
وصـلاةُ اللهِ دائـمـةً ما أضـاءَ الـبـدرُ في الـظُّلَمِ
تَبْـلُغُ الـهـادي وعِـتْـرَتَـهُ منـهـمُ الـمنـصـورُ ذو الـكَـرَمِ
خيرُ داعٍ في الأوانِ إلـى حربِ أهـلِ الـفِـسْـقِ والـقَـهْـرِ
خيرُ مَنْ يُرْجـىٰ لمـكـرُمَـةٍ خيرُ مَضْـمـودٍ لمُـسْـتَـلِمِ
صاحـبُ الـسَّيْفِ الـطويلِ على قمَـمِ الـبـاغـينَ والـعَـجَـمِ
أصـلُ مولانـا وعـالِـمُـنـا سيفُ هٰذا الـدِّين والـعَـلمِ
عَلَمُ الأَعـلامِ نادينـا لبـنـاءِ الـمَـجْـدِ والـشِّـيَمِ
مُرسِـلُ الـنَّـظْمِ الـبـديعِ فمـا قَبْـلَهُ نظمٌ بمـنـتـظِمِ
حبّـذا درٌّ بُصَّـرتـهِ لَفظُ مَنْ أَمـلاه كالـنُّـغَـمِ
فاقَ مُنْـشـيهِ عُلًا وسـنـاً إذْ أجـادَ الـنَّـظْمَ بالـحِـكَـمِ

---

(١) في م: لا ورا فيه.

حِكَمٌ مملوءةٌ عِبَراً   لأُلي الأفكارِ والهِمَمِ
بنظامٍ كان موقِعُهُ   في قلوبِ النّاسِ كالسَّهَمِ
قَدْ أصابَ السَّهْمُ مقصدَهُ   لا ورىً مِنْهُ بذي سَلِمِ
دَلَّهُمْ نظماً إلى جِسرٍ   مدحُ أهلِ العِزِّ والشِّيَمِ
مدحُ مَنْ سادوا لِهَجْرِهِمِ   كلِّ محبوبٍ ومتَّهَمِ
ونهى عن مثلِ ما سلفا   مِنْ مديحِ الخَوْدِ والرَّسَمِ
ولذا قَدْ قالَ مُبْتَدِياً   عُدْ عَنْ ذي المَبْسمِ الشَّيمِ
ولَعَمْري لستُ ذا غزَلٍ   ليسَ مدحُ الغِيدِ مِنْ شِيَمِي
غيرَ أني لا ألومُ فتىً   من أُلي التَّشبيبِ في الحُرُمِ
وكذاكَ الوصفُ للسَّفَلِ   إنّهم في الوصفِ كالنَّعَمِ
وحقيقُ اللُّومِ أجمعُهُ   بلسانِ الوَعْظِ والقَلَمِ
ولذي الدَّعوى بأنَّ لَهُمْ   مِسْكةً في الدِّينِ والشِّيَمِ
وفتىً لا زالَ في تَعَبِ   عَنْ دُعاءِ الحقِّ في صَمَمِ
وذوي الأحسابِ قاطبةً   مِنْ بني الزَّهْراءِ كلُّ كَمِي
سيَّما هَمْدانَ أجمعُهم   شيعةُ الساداتِ من قِدَمِ
كيفَ دانوا للعُلوجِ وهُمْ   قادةُ الأشرافِ في الظُّلَمِ
كيفَ ذُلُّوا بعدَ مجدِهِمُ   كيفَ هانوا بَعْدَ عَزْمِهِمِ
كيفَ فرّوا من بيوتِهِمُ   لِعُلوجِ التُّركِ والخَدَمِ
كيفَ مِنْ خوفِ العِدا رَهَنُوا   كلَّ شيخٍ كانَ ذا عِظَمِ
كيفَ قادَ العُجْمُ قادَتَهُمْ   نحوَ سجنِ القَصْرِ في رَقَمِ
ثم ساقُوا التِّبْنَ والحَطَبا   لمْ يقولُوا نحنُ مِرْدَهِم

وكذا ساقُوا لهمْ نَفراً ... وكذا الحِمَى على وَضَمِ
وحَمُوا البِلادَ سوائحهم ... لا يَمَسُّ العُجْمَ بالكَلِمِ
دلَّتِ الآياتُ أنَّ بهمْ ... ذلَّ أهلِ السَّبْتِ واللُّوَمِ
ليتَ آباءً لهم سَلَفوا ... شاهَدُوا ما حلَّ من سَقَمِ
في بنيهم ثمَّ ما نَصَبَتْ ... في قُراهم من بني الرقمِ
ويَرَوْنَ العِلْجَ(1) كيفَ رَمَّ ... أنفه ناهيك عن وَرَمِ
فَوْقَ مَنْ قَدْ كانَ محتِده ... يجذبُ الأعْلاجَ باللِّمَمِ
فاعجَبوا يا قومُ واعتَبِروا ... كيفَ عمَّ الذُّلُّ كلَّ كَمِي
بعدَ حربٍ قامَ عيشُرُها ... بينَ أُسْدِ العُرْبِ والعَجَمِ
كانَ فيه الفتحُ للعَرَبِ ... (2)باغتنامِ المالِ والحُرَمِ(2)
(3)بعدَ أسرٍ لِلْعِدا أبداً ... ثم حصرٍ مِنْ ذرىً نقمِ(3)
(4)كانَتِ الدَّوْلاتُ للعَرَبِ(4) ... عندَ أنْ كانوا على الذِّمَمِ
حينَ أنْ كانوا على شِيَمٍ ... ثابتون(5) الرعي في الوضمِ
ثم لما خانَ أكثرُهُمْ ... عهدَه المزيورَ بالرَّقمِ
وعَصَوْا عمداً أئمَّتَهُمْ ... مِنْ بني المختارِ ذي العِصَمِ

وهي طويلةٌ، وقال في آخرها:

---

(1) في ع، م: العجم.
(2 2) سقطت من ع، في م: عند أن كانوا على الذمم.
(3 3) سقطت من ع.
(4 4) سقطت من ع.
(5) هنا خلل نحوي يجب أن تكون: ثابتي الرعي.

١٨٤أ / نحنُ بالقرآنِ عِصمتُنا   ويطيِّهِ شُيِّدَ الإثمِ[١]
لُبْسُنا للعُجْمِ إنْ دَهَمُوا   سُوَرُ القُرآنِ في الظُّلَمِ
كمْ أرانا اللّهُ قُدْرَتَهُ   بزوالِ الكَرْبِ والغَمَمِ
بعدَ يأْسٍ كان عَنْ فَرَجٍ   وخطوبٍ تأتِ بالهَرَمِ
كم مرارٍ من تطوُّلِهِ   قدْ أعادَ الخطبَ كالحُلُمِ
نعمةٌ منهُ وتكرمةٌ   لإمامِ الحقِّ ذي الهِمَمِ
ربِّ وفِّقْنا فلا أحدٌ   يُحبطُ الأعمالَ بالسَّأَمِ
وانْصِرِ المولى وناصرَهُ   وارْفعِ البَلْوى معَ العَجَمِ
والْحِقِ الشكرَ مختتَمي   بصلاةِ اللهِ والسَّلَمِ
تبلغُ المختارَ والفُضَلا   في ابْتداءِ نظمي ومُخْتَتَمِي

وقال الحقيرُ راقِمُ الأحرفُ في ذٰلك: [المديد]

جوهرٌ غالٍ من الكَلِمِ   أمْ يدورُ التمُّ في الظُّلَمِ
أمْ نجومُ الفضلِ زاهرةٌ   أمْ شموسُ الفضلِ في العَلَمِ
بلْ بحورُ الشعرِ زاخرةٌ   وَرَدَتْ في عقدِ مُنتظَمِ
من جنابِ السادةِ الكُمَّلِ   من نجومِ المجدِ والكَرَمِ
من عمادِ الدينِ سيِّدِنا   مَنْ غَدا في العِلْمِ كالعَلَمِ
سيفُ الاسلامِ الذي حكموا   أنه أزرى بكلِّ كَمِي
ثم عزُّ الدين فاضلُنا   ماجدٌ أرْبى على هَرَمِ
وصفيُّ الدين عالِمُنا   أوْحدُ الآحادِ في الشِّيَمِ

(١) هنا خلل نحوي وآخر عروضي.

سادةٌ شادوا عُلاً ونـداً بضعـةٌ مِنْ سيِّدِ الأُمـمِ
وَرَدَتْ بالأمسِ باكـيةً[1] دمـعُـهـا يجـري كمـا الـدِّيَمِ
من بنـي كهـلانَ حين عُمُـوا وتـلَقَّـوْا الـحـقَّ بالـصَّـمَـمِ
هدَمُـوا الـمَجْـدَ الـذي عَمَـرَتْ لهـمُ الآبـاءُ في الـقِـدَمِ
نَقَـضـوا الـعَـهْـدَ الـذي عَقَـدوا ما وَفَـوْا بالـعَـهْـدِ والـذِّمَـمِ
لبِـسـوا ثوبَ الـنِّـفـاقِ ولَـمْ يَسْـتَـحُـوا مِنْ باعـثِ الـرِّمَـمِ
حينَ قادوا الـتُّـرْكَ واتَّـزَرُوا بإزارِ الـذُّلِّ والـوَخَـمِ
لم يخـافُـوا بطشَ خالِـقِـهِـمْ (2وحـلولَ الـبُـؤْسِ والـنِّـقَـمِ2)
كيفَ صُمُّـوا عنْ إمـامِـهِـمُ واسـتـجـابـوا داعـيَ الـعَـجَـمِ
أغـضَـبُـوا الـرحـمٰـنَ خالِقَـهُـمْ وغَـدَوْا لحـمـاً على وَضَـمِ
يا لَهـا مِنْ فِعْـلَةٍ فعَـلُوا ترَكَـتْ طَرْفَ الـكَـمـالِ عَمِـي
ليتَـهُـمْ قامـوا معـاً ـ جَبُـنـوا ـ غيرةً منـهُـمْ على الـحَـرَمِ
حاشـدٌ ثوروا لهـا فلَقَـدْ كَشَـفَـتْ مِنْـكُـمْ عُرى الـبَـرمِ
ما خلا قومٍ لهـم شِيَمٌ جُنُـداً فاقـتْ على الـشِّـيَمِ
الـعـصـيـمـيون والـعـذري الأسـودُ الـقـادةُ الـصِّـمـمِ
نصـروا دينَ الإلٰـهِ ومـا ساعَـدُوا الأروامَ في الـسَّـلمِ
يا بنـي الـزهـراءِ لا تهِـنُـوا أنـتـمُ الأعـلونَ في الأُمَـمِ
أنْـتـمُ سُفْـنُ الـنـجـاةِ إذا ظلَّتِ الـنِّـيرانُ في الـظُّلَمِ
أنـتـم غَوْثُ الـوَرى أبـداً ولأهـلِ الـجـورِ كالـلُّجَـمِ

---

(1) في م: شاكية.

(2 2) سقطت من ع.

يا لُيوثَ الحربِ إنْ هَصَرَتْ فَهيَ كالآسادِ في الأَجَمِ
إنَّ ربَّ العرشِ حَسْبُكُمُ وكَفى بالواحِدِ الحَكَمِ
لا تخافوا إنْ دَهَتْ أَزَمٌ فَهُوَ المدْعُوُّ في الأَزَمِ
فثِقوا باللهِ خالِقِكُمْ لا تخافُوا سَطْوَةَ العَجَمِ
وبِحَبْلِ اللهِ فاعتصِمُوا فهْوَ حَبْلٌ غيرُ مُنْفَصِمِ
واصبِروا فالصَّبْرُ عادتُكُمْ يا نجومَ الدَّهْرِ في الظُّلَمِ
وبفضلِ اللهِ خالِقِنا وغياثُ الخَلْقِ والرِّيَمِ
يهزِمُ الجمْعَ الكثيرَ وإنْ حَسِبُوهُ غيرَ مُنْهَزِمِ
وصلاةُ اللهِ دائِمةٌ تبلغُ المختارَ كالدِّيَمِ
وكذاكَ الآلَ قاطبةً مَنْ هُمُ ذُخْري ومُلْتَزَمي

جميعُ هٰذه الأبياتِ تأخرتْ عنْ قصيدةِ سيفِ الإسلامِ، وعمدةِ العلماء الأعلامِ، إلى أنْ وقعَ المطرحُ في غيل القَشَّام، فأُرْسلتْ جميعُ الجواباتِ من هنالك، وكان الأمرُ كذٰلك وللهِ الحمدُ.

فصل

٨٤ب

في ذكرِ لواحقَ مِنْ حوادثِ هٰذا العامِ، ينبغي ذكرُها استطراداً في سيرةِ هٰذا الإمامِ، عليه السلامُ، لتكونَ عِدّةً لمن اطّلَعَ عليها من الأَنامِ.

فمن الحوادثِ العظيمةِ:

تواترُ موتِ العلماءِ الذين يُستضاءُ بأنوارِ عُلومِهِمْ في ديجورِ الظّلامِ، فيا لَها من داهيةٍ دهيا وخَطْبٍ أعيى، مؤذنٍ بخرابِ الدنيا، فمِمَّنْ توفي في أوائلِ هٰذا العامِ أو قبلَه بقليلٍ:

ـ السيدُالعـلامـةُ، بقيةُ علمـاءِ الآلِ، وبدرُ الكمالِ، الأزهريُّ، فخرُ الدين عبدُالله بنُ أحمدَ العنثري[1]، وكان المذكورُ مستقِرّاً في هجرةِ ضَحْيانَ، وكـان ضريرَ البَصَـرِ، قرأ العُلومَ في مدينـةِ صنعـاءَ، وبرزَ في ذُلك، وفَاقَ الأَقْرانَ، وصارَ إليه مرجعُ الأعيانِ، ولم يَخْلِفْهُ هنالك مثلُهُ على التفصيلِ والجملةِ.

ـ وفيهـا أيضـاً توفي القـاضي العلامةُ عزُّ الإسلامِ، محمدُ بن أحمدَ العَراسي[2]، وكانَ المذكورُ مُباركاً في التدريس.

ـ وفيها أوْ قبلَها بقليلٍ القاضي العلامةُ عبدُالملك بنُ حسين الآنسي[3] من علماءِ صنعاءَ، وكان من الزُّهْدِ والوَرَعِ بمكانٍ.

ـ وتَبِعَهُ في آخرِ العامِ ابنُه القاضي العلامةُ، محمدُ بن عبدِالملك[4]، وقد كانَ بلغَ في العلمِ مبلغاً عظيماً.

ـ وفي شهر جمادى الأولى من هٰذه السنةِ، توفي السيدُ العلامةُ محمد

---

(1) عبدالله بن أحمد بن محمد بن حسين بن يحيى الضحياني المعروف بالعنثري، انظر «نزهة النظر» ٢/٣٧٢.

(2) محمد بن أحمد العراسي، دفن بمقبرة برقان، «أئمة اليمن» ٢٦٤، «نزهة النظر» ٢/٥٠٢.

(3) عبدالملك بن حسين بن محمد بن عبدالفتاح الآنسي، انظر «نزهة النظر» ٢/٤٠٠، «أئمة اليمن» ٢/٢٣٦، دفن في خزيمة، مقبرة صنعاء.

(4) محمد بن عبدالملك بن حسين الآنسي، انظر «نزهة النظر» ٢/٥٥٣، «أئمة اليمن» ٢٩٢.

علي الجديري[1].

ـ وتبعه بمدَّةٍ يسيرةٍ العلامةُ صفيُّ الدين أحمدُ بنُ[2] محمد الجرافي، وكـان المـذكـورُ مِمَّنْ جدَّ في طلبِ العلمِ الشـريفِ، وهو صاحبُ الرؤيا المشتهرة، وصفتها فيما أخبرَنا به الثقاتُ الأفاضلُ أنه: رأى الفقيهُ المذكورُ النبيَّ ﷺ، وهو راكبٌ على فرسٍ، فسألَهُ الرائي: إلى أينَ يا رسولَ الله؟ فأجابَه بأني غائرٌ على الولدِ محمدِ بن يحيى، يعني الإمامَ ـ عليه السلام ـ وكانت تلك الرؤيا قبلَ خروجِ الرَّديف، وفي ذٰلك كرامةٌ عظيمةٌ للإمامِ ـ عليه السلامُ ـ وقد بيَّنَ الواقعُ أنها حقٌّ وصِدْقٌ، وكيفَ ﷺ، وهو ﷺ، «حَرْبٌ لمن حاربَهم، سلمٌ لمن سالَمَهم»، ولعمري، ما ردَّ هٰذا الجمْعَ العظيمَ، ولا هزمَ هٰذا الجيشَ الجسيمَ إلَّا غارةُ هٰذا النبيِّ الكريمِ، عليه أفضلُ الصلاةِ والتسليمِ.

ـ وتوفي في شهرِ رجبٍ من هٰذه السنةِ العلامةُ زيدُ بن أحمد الكبسي[3]، وكان قد طَعَنَ في السِّنِّ، ولم تزل العجمُ يُجْرُون له في كلِّ شهرٍ ثمانين ريالًا، وكان مليحَ الوعظِ، له مَلَكَةٌ في حسنِ الكلامِ.

---

(1) محمد بن علي بن محمد بن علي بن السيد أحمد بن علي الجديري الحسني الصنعاني، انظر «أئمة اليمن» ٢٧٤.

(2) أحمد بن محمد بن أحمد بن علي بن حسين الجِرافي، انظر «أئمة اليمن» ٢٨٠، «نزهة النظر» ١/١٤٠، «لامية نبلاء اليمن» ٢٦.

(3) زيد بن أحمد بن زيد بن عبدالله بن الناصر بن المهدي الكبسي، انظر «أئمة اليمن» ٢٧٧.

ـ وفيهـا توفي القـاضي العلامةُ الصفيُّ[1] أحمدُ بنُ أحمد العنسي من علماءِ ذِمار، وكان إليه المرجعُ في تلك الديارِ.

ـ وفيهـا أو قبلَهـا بيسيرٍ، توفي السيدُ العـلامـةُ داودُ / بنُ عبدالرحمٰن القديمي من علماءِ زبيد، وكان المذكورُ من أهلِ الإنصافِ والعدلِ والتَّوْحيدِ والزهدِ والورعِ الشديدِ، ولم يَخْلِفْهُ مثلُه على التفصيلِ. ٨٥أ

فهٰؤلاءِ العلماءُ الأعلامُ الذين توفَّاهُمُ الموتُ في هٰذا العامِ، انهدَّ لموتِهِمْ ركنُ الإسـلامِ، واستـوحَشَتْ لذلـكَ البِقاعُ والآكامُ، والقِلاعُ والآطامُ، ولم يخلِفْهُمْ مثلُهم والسَّلامُ، ونخشى بعدَ ذٰلك أن يَصُبَّ اللّٰهُ على عبادِهِ صوبَ الانتقامِ، فإنَّ في بقائِهم رحمةً للأنامِ.

وفي هٰذه السنة انقضَّ كوكبٌ عظيمٌ سُمِعَ له دويٌّ.

وفي هٰذا العامِ أظهرت العجمُ العدالةَ، وعزَلوا المشائخَ، ونصَبوا عُقَّالاً في كلِّ قريةٍ. ثمَّ إنَّ الرّعايا من سوءِ حظِّهم صاروا يُنوِّهونَ بما جرى لهم من الظُّلْمِ مع المشائخِ، حتى إنهم صاروا يأخذونَ الرّيالَ للدَّوْلةِ، وعشرةَ ريالاتٍ لهم، فبعدَ أنْ تمكَّنوا ممّا أرادوا في نصبِ العِقالِ، قلبوا ظَهْرَ المِجَنِّ للرّعايا، وطلبُـوا منهم العشـرةَ ريالات التي كانـوا يُسَلِّمون للمشائخ، وأعادوا بعضَ المشائخِ، فظهر بذٰلك عدمُ العدالةِ، وأنَّ الظُّلْمَ بأدمغَتِهِمْ راسخٌ، وبعدَ ذٰلك صاروا يطْلُبـون أولادَ الـرَّعـايا، يُدْخِلُونهم المكـاتبَ، ومرامُهم بذٰلك إفسادُ الأولادِ، وأن يَشِبُّوا على محبةِ الدولةِ، وفِعْلِ أنواعِ الفَسادِ.

---

(١) سقطت من ع.

وفيها أيضاً صاحتِ العجمُ على (ذو غيلان)، وأجْلَوْهم من اليمن، بعد أنْ وقعتْ بينَهُمْ وبينهُمْ حروبٌ، وآلَ الأمرُ إلى تفرُّقِ ذو غيلان، ولم يبقَ لهم في اليمنِ أمانٌ، وحاقَ بهمْ ما كانوا يخشونَ من الذُّلِّ والهوانِ. وحقٌّ على اللهِ أنْ لا يرفعَ شيئاً من الدُّنيا إلَّا وضعَهُ كما صحَّ عن سيِّدِ ولدِ عدنانَ.

وفي نصفِ شهرِ رمضانَ خُسِفَ القَمَرُ، فانظُرْ إلى هٰذه الحوادثِ العظيمةِ والخطوبِ الجسيمةِ في هٰذا العامِ، مِنْ ذٰلك الجوعُ الذي منع الهجوعَ وفرَّق الجموعَ، والموتَانُ الذي ظهرَ أمرُهُ وبانَ. ولقد بيعتِ الذَّخائرُ بأرخصِ الأثمانِ، وإنَّ مِنْ حكمةِ الحكيمِ الذي لا يعْقِلُها إلا ذو العقلِ السليمِ، أنَّه لما سَبَقَ في علمِهِ تعالى، أنَّه لا بدَّ مِنْ خروجِ هٰذه العساكرِ التي ضاقَ بها الفضاءُ، وأنَّهم لا بُدَّ يقصدونَ هٰذا المركزَ الذي لم يبقَ تحتَ أديمِ السماءِ مَنْ يدعُو إلى اللهِ غيرُه، فقدَّم سبحانَه الابتلاءَ بالقَحْطِ والغلاءِ منذُ ثلاثِ سنين، حتى هلَكَتِ المواشي، وضعُفَ القاعدُ، دعْ عنك الماشي، وعُدِمَتِ الحبوبُ وعَلَفُ الدوابِّ، فلم يتمكَّنِ العدوُّ مِنْ مطلوبِهِ، بل رأى في جميعِ أمورِهِ عكسَ محبوبِه، ففرَّ وتَقَهْقَرَ بعدَ أنْ عَبَسَ وبَسَرَ وتعاظَمَ وتكبَّرَ. ولقدْ عادَ
٨٥ب إلى صنعاءَ ولم يقضِ وطرا، / بلْ دخلَ بحالةٍ مُزْرِيَةٍ قد غلبَتْهُ الكآبةُ والمكدر(١).

ومن الكراماتِ التي لا تُنْكَرُ، أنَّه لما وصلَ إلى حَوْلِ صنعاءَ، مَنَعَ العَسْكَرَ من لُقْيَاهُ نزولُ المطرِ، ولما حطَّ الرحالَ في مدينةِ صنعاءَ أزالَ، سُئِلَ عنْ ما كانَ في ذٰلك التِّرحالِ، فأجابَ السؤالَ: إنَّ محاربةَ الإمامِ محاربةٌ

---

(١) في م: والكدر.

لذي الجلالِ، وأنّه لا يقدِرُ عليهِ بحالٍ من الأحوالِ، وجعلوا مَضْبَطَةً حكوا فيها صفةَ ما كانَ، ليُرسِلوا بذلك إلى حضرةِ السلطانِ، واعتذرُوا عن بلوغِ المرادِ، وأنَّ الإمامَ - حَفِظَهُ الله - ممنوعٌ من ربِّ العبادِ، لأنَّ عبدَالله باشا، كما بلغَ، خرجَ بأوامرَ منها: أخذُ الإمامِ، وأخذُ السِّلاحِ، وطلبُ النِّظامِ، فبعدَ العجزِ عن الأُولى، أيِسوا من تحصيلِ بقيةِ المرامِ، فقد أبقىٰ الله لَهُمْ ما يُغيظُهُمْ ويُذِيقُهُمُ الحِمام.

وكان دخولُ الطاغيةِ المذكورِ صنعاءَ في آخرِ شهرِ الحجة سنة ١٦.

فصل

دخلت سنة سبعة عشر:

وفي شهـر محرَّم المذكورِ، مفتاحِ السنةِ، تتَابَعَتِ الوفودُ إلى الحضرةِ الشريفةِ - أعلى الله شَأْنَها - للتهنئةِ بذلك الفتحِ العظيمِ، وما مَنَّ الله تعالى بهِ مِنْ دفـع هٰذا العـدوّ اللّئيمِ، ووصلَ العسكرُ الذين جاهدوا يطلبونَ من الإمـامِ - عليه السـلام - المـونـةَ التي رامـوا بها العجمَ، وهي أنواعُ مَرْتٍ وشاشخان، وأبو سـك[1]، فكان الإمامُ - عليه السلامُ - كلَّما وصلَ إليه أحدٌ شكرَ سَعْيَهُ، وسلَّم لهُ بِقَدْرِ الأعطالِ التي يأتي بها، مع أنَّ بعضَهُمْ لم يَرْمِ بالمبلغِ الذي أتى به، فتغاضىٰ الإمامُ - عليه السلامُ - وسلَّم ما قالوا، فبلغَ قيمةُ ذٰلك مالاً جزيلاً، ومعَ ذٰلك، فقد كانَ أرسلَ الإمامُ - عليه السلامُ - إلى جميعِ المواضعِ التي وقعَ الحربُ فيها مونةً كثيرةً، أُلوفاً مؤلفةً.

---

(١) في أ، ع: استك.

ولما بهرَ الناسَ ما شاهدوا من كراماتِ الإمامِ -عليه السلامُ- وما نزلَ بأعداءِ اللهِ العجمِ من الانتقامِ، أذْعَنَ الخاصُّ والعامُّ بالطّاعةِ، ووصلَ السيِّدُ المقامُ صفيُّ الإسلامِ، أحمدُ بنُ إبراهيمَ الهاشمي(1)، وصحبتَه جماعةٌ من السادةِ الكرامِ، للتهنئةِ والزيارةِ. ولقد كانتْ لهم الفضيلةُ والمنقبةُ الجليلةُ، فإنهمْ عند وصولِ العجمِ إلى القفلةِ، أرسلوا -أعني السيِّدَ الصفيَّ وجماعةً من أفاضلِ مدينةِ صعدة- بمئةِ قدحِ دقيقِ حنطةٍ، معونةً للجهادِ، فأحْيَوْا بذلك مآثرَ أسلافِهم الأمجادِ.

ثم إنّه في هٰذه المدّةِ، وصلَ عُقّالُ الشّرفِ يطلبونَ من الإمامِ إرسالَ العاملِ السابقِ، السيدِ العلّامةِ الأبَرِّ صفيِّ الإسلامِ أحمدَ بنِ مثنى عنتر؛ لإقامةِ الشَّرْعِ الشريفِ، فطلبَهُ الإمامُ -عليه السلامُ- إلى الحضرةِ، وألْزَمَهُ العَوْدَ إلى الشرفِ، فاعتذرَ ثم أُسْعِفَ، وبعدَ عزْمِهِ من الحضرةِ قاصداً نحوَ
١٨٦أ عمله في الشرفِ، وصلت الكتبُ إلى الحضرةِ الشريفةِ، / من بعضِ مشائخِ حجورِ، يطلبونَ منَ الإمامِ -عليه السلامُ- عاملاً يُقيم شرائعَ الإسلامِ، وتُخْمَدُ به الفتنُ العظامُ، وكانَ الإمامُ قدْ كَتَبَ إليهم صحبةَ السيِّدِ صفيِّ الإسلامِ، يأمُرُهُمْ بالطاعةِ والامتثالِ لشريعةِ المَلِكِ العلّامِ، فكانَ وصولُ مُكاتَبَتِهِمْ إلى الإمامِ تطلبُ قبلَ وصولِ مكاتيبِ الإمامِ، فكتبَ حينئذٍ الإمامُ إلى سيدي صفيِّ الإسلامِ، يأمُرُه بالعَزْمِ إليهم، وضبْطِ أمورِهِمْ، وكانتْ فيما

---

(1) أحمد بن إبراهيم بن أحمد ينتهي إلى الإمام الحسن بن داود الذي تولى الإمامة سنة ٩٨٠هـ، ولد برحبان صعدة سنة ١٢٦٠هـ، كان خطيب جامع صعدة، ت برحبان صعدة سنة ١٣٤٢م، بايع الإمام المنصور بالله، انظر «نزهة النظر» ١/٤٥، «فرجة الهموم» ٧١.

بيْنَهُمْ فِتَنٌ عِظامٌ، هيَ المَوجِبَةُ للالتجاءِ إلى الإمامِ، فعَزَمَ السيِّدُ الصفيُّ بعدَ ورودِ الأمرِ من الحضرةِ، فلمَّا وصلَ بلادَ حجور[1]، تلقّاه أهلُها بالسَّمْعِ والطَّاعةِ، وطلَبَ منهم الرهائنَ، فَسُلِّمَ أكثرُهُمْ، وأبى كلُّ منافقٍ خائنٍ، وأظهروا العداوةَ والكامن، وجمعَ صفيُّ الإسلامِ الرهائنَ إلى حصنِ كُشَر.

ثم لما خالَفَ مَنْ خالَفَ، بَدا لِمَنْ كانَ قد رَهَنَ أنْ يتجمّعوا ويفكُّوا الرّهائنَ قَهْراً، فلما وصلَ الخبرُ إلى صفيِّ الإسلامِ، كتبَ بذلك إلى الإمامِ، فأمدّه بعسكرٍ، وأمرَهُ بمناجزَةِ مَنْ عَصَى، «والحرُّ تكفيهِ الملامةُ، والعبدُ يُقْرَعُ بالعَصا» فحينَ عرفَ أهلُ حجور بالجِدِّ في الأُمورِ، عادُوا إلى الطاعةِ، وسَلَّمَ الرَّهائنَ مَنْ أبى مِنْ أهلِ الضغائنِ، إلا الشيخَ الرديءَ محمد الهندي، فإنّه أطاعَ شيطانَه، وساعد طغيانَه، فمنعَ الرهينةَ.

وكان المذكورُ من أركانِ الطاغوتِ، ومِمَّنْ أظهرَ المعاصي وبارزَ بكبائرِ الذنوبِ مالكَ النواصي، حتّى إنَّ مَنْ وصَلَتْ إليه مِنَ النِّساءِ راغبةً عن زوجِها، زوَّجَها مَنْ أرادَتْ، ولا تحتاجُ إلى طلاقٍ، وليس لزوجِها إلاَّ قولُ عارفٍ من أهلِ الشّقاقِ، وهو نصفُ الدَّفْعِ يُسلّمهُ الزوجُ الآخرُ، ولذلك قال القائلُ: «مُعز النابرات»، وحينَ أظهرَ الهنديُّ[1] الخِلافَ، تجهَّزَتْ عليه

---

(1) حَجُور: بلد واسع من بلد همدان في الشمال الغربي من صنعاء، وتشمل حَجُور الشام، وحَجُور اليمن وحَجُور البشرى، ويقال حَجُور أبو منصور وبلاد الشرف الأعلى والأسفل، ومن بلدان حَجُور الشام: وَشْحَة وكُشَر في أنهم، والقُفل في أفلح، انظر «تاريخ اليمن الثقافي» ١/٥٥، «اليمن الكبرى» ١٦٦، «معجم المقحفي» ١٥٧.

---

(١) سقطت من ع.

العساكرُ المنصورةُ، وقامت الحربُ على ساقٍ، وشُدِّدَ عليهِ الحصارُ، ووَقَعَ القتلُ في بعضِ أقاربِهِ وأولادِهِ الفُجّار.

وفي هٰذه المدّةِ، وصَلَ عُقّالُ بني صُرَيمٍ، أهلُ الظاهرِ متأسّفين على ما مضى، وسَلَفَ منهمْ من عدَمِ المناصرةِ، وبذلوا رهائنَ الطاعةِ، وطلبوا العفوَ عن الإضاعةِ، فقَبِلَ منهمُ الإمامُ عليه السلامُ التوبةَ، واستوثَقَ منهمْ في ملازمةِ الشّريعةِ، وأداءِ الواجباتِ، واجتنابِ المُحرَّماتِ الشنيعةِ، وأنْفَذَ صحبتَهم العاملَ السّابقَ، السيدَ العلامةَ صفيَّ الإسلامِ، أحمدَ بن قاسم بن الإمامِ، فعزموا به راشدين، ولأمرِهِ وقولِهِ طائعينَ سامعين. فلما وصلَ خمْر، أُسْقِطَ في أيدي النفاقِ؛ لأنَّهُمْ صاروا يُوهمون العجمَ أنهم داخلون في دولتِهم / وكانَ العجمُ قد قَبضُوا مِنْ بعضهم رهائنَ حينَ خروجِهِمْ إلى بلادِ القِبْلةِ. ٨٦ب

وفي شهرِ ربيع الأول من هٰذه السنةِ، أرسلَ الإمامُ عليه السلامُ، السيِّدَ المُقامَ عزَّ الإسلامِ محمدَ بنَ يحيى بن الهادي(1)، من أولادِ المؤيَّدِ الكبيرِ محمد بن القاسم، وجدُّه المنسوبُ إليه الحسنُ بنُ القاسم المسمى بالهادي، ادّعى في مدّةِ المتوكلِ قاسمِ بنِ حسين، وكانت دعوتُه في شُهارةَ، والشيءُ بالشيءِ يُذْكر، وكان إرسالُه عاملاً في الضلعة(١) وبني حبيش وما يليه(٢) من

(1) محمد بن يحيى بن أحمد بن الحسن بن محمد بن الإمام الهادي الحسن بن القاسم بن المؤيد بالله محمد بن القاسم، صاحب المدائر بجهة حُبُور وبلاد ظليمةَ، أرسل الإمام المنصور بالله إلى حجة، ثم إلى بلاد يريم سنة ١٣٠٩هـ، وعينه ناظراً في مدينة ساقين، ت في الشرف سنة ١٣٣٨هـ، انظر «نزهة النظر» ٥٩٢.

(١) في أ: الآحوم.

(٢) في م: وما يليهما.

البلادِ؛ لإقامةِ الشَّرْعِ، وإزالةِ ما يؤدِّي إلى الفسادِ.

فلمّا وصلَ السيِّدُ العزيُّ هنالك طلبَ الرهائنَ، فسُلِّمَ أكثرُهُمْ وأبى أهلُ الضغائنِ، ووقعَ بينَهُ وبينَ شيخِ بني طلق حربٌ، وآلَ الأمرُ إلى الطاعةِ وبذلِ الرهينةِ، ثمَّ ما زالَ أمرُ الإمامِ ـ عليه السَّلامُ ـ ينمو ويزيدُ في تلك البلادِ، وينضافُ إليه أكثرُ مَنْ ولايتُهُمْ إلى العجمِ في تلك الناحيةِ، وسيأتي ما آلَتْ إليه الأمورُ.

وفي شهر جمادى الأولى من هٰذه السنةِ، أرسلَ الإمامُ سيفُ الإسلامِ محمدُ بنُ الإمامِ المتوكل عاملاً على بلادِ السُّودةِ. وكان ابنُ ناشر منحرفاً عن طاعةِ الإمامِ بسببِ تسويلِ الشقيِّ الشيطانِ جبران الغشمي. فلما أُخْبِرَ أنَّ الإمامَ ـ عليه السلامُ ـ قد أرسلَ العاملَ وأمرَهُ بمنابذةِ كلِّ مَنْ هُوَ عن الحقِّ مائلٌ، وَصلَ ابنُ ناشر إلى السيدِ العلامةِ أحمدَ بنِ قاسم إلى خَمِرٍ مستعيناً ببني صُريم ليتشفَّع بهم إلى الإمام، فكانَ وصولُهم هم وإيَّاهُ إلى الحضرةِ الشـريفـةِ يومَ عَزَمَ العـاملُ عزُّ الإسلامِ معلناً التوبةَ، باذلاً لرهينةِ الطاعةِ، وضمِنَ على ذٰلـك أُولٰئِـكَ الجماعةَ، وأطلقَ بعضَ الحصونِ لرتبةِ الإمامِ، وأظهرَ الانقيادَ، وتخلَّى عن البلادِ، ورُقِمَتْ على ذٰلك المواثيقُ، واستقرَّتِ الأمـورُ في جميعِ بلاد السُّـودةِ، وانحسمتْ مادَّةُ الشـرورِ، ونفـذتْ أحكامُ الشريعةِ، وخمدتْ نيرانُ الظُّلْمِ والقطيعةِ.

وفي شهرِ جمادى أيضاً، طلبَ الإمامُ ـ عليه السلامُ ـ جماعةً من ذو غيلان بعـدَ أنْ وصـلَ منهم جماعةٌ مِنْ رؤسائِهم، باذلين أنفسَهم للجهادِ، فألزمَهُمْ الإمامُ بعصابةٍ نافعةٍ نحو أربعِ مئةِ رجلٍ للجهادِ في أيِّ محلٍّ كانَ،

فوضعوا الرهائنَ على تحصيلِهِ ذٰلك القدرَ، وصرفهم الإمامُ، وعزّموا. وبعدَ
٨٧أ نحوِ شهرٍ، وصلَ منهم عصابةٌ /، وفي خلالِ ذٰلك، وصلتْ عُقّالُ حَجور، وعَـرَضَ عليهم الإمـامُ السّعْيَ في إصـلاحِ الهنـديّ، قبلَ النّدمِ، وتفاقمِ الأمورِ. فعزّموا لأخذِ ما عندَ الهنديِّ، وقد أخذَ عليهم بجهادِهِ إنْ أبىٰ قبولَ الهدايا، فلمّا وصلوا إليه راجعوه، فأبىٰ إلّا معاندةَ الربِّ الأعلى، فكتبوا بذٰلك إلى الإمـامِ ـ عليه السـلامُ ـ فجهَّـز ذو غيلان ، وأمـرهُمْ بمنـابـذةِ حزبِ الشيطانِ، فلما وصلوا إلى قريبِ بلادِ الهنديِّ، تقالَّ عددُهُمْ، وظنَّ أنَّهُ الغالبُ عليهم، ولم يعلمْ أنَّ جُنْدَ اللهِ هُمُ الغالِبونَ.

ثم إنَّ ذو غيلان قصَدوا بيوتَ الشقيِّ الهنديِّ من فوقِها، وتفرّقوا شعبتين، وصحبتْهُم جماعةٌ من رجالِ حَجُور الذين صدقوا، فلما رآهم الهنديُّ، وقد أصدقوا الحملةَ، ورأى ما لا قِبَلَ له بِهِ من النَّصْرِ، فرَّ هو ومَنْ مَعَهُ، واستولى المجاهدون على تلك الدِّيارِ، وأضرموا في جوانبِها النارَ، وصارتْ عِبْرةً لأُولي الاعتبار، فرُتِّبَتِ الحصونُ، ولحِقَ الهنديُّ بالشيخِ محمد هادي الخميسي، وقد سقطَ ما في يديه، ولاحت لوائحُ الإدبارِ عليه، وقُتِلَ من أصحابِهِ في ذٰلك الحربِ أربعةٌ، ومن المجاهدين واحدٌ، فلما رأى أهلُ حَجُور ما منَّ اللهُ به من النَّصرِ، أذعنوا للطّاعةِ، وفي عينِ بعضِهم قذىً واستقامت أمورُ الشريعةِ، وصارَ المقدّميُّ السيدُ لا يُحابي أحداً، بل يهدِمُ الأمورَ القبيحةَ الشنيعةَ.

وفي هٰذه المدةِ وصلت الأخبارُ إلى الحضرةِ، بأنَّ الشيخَ نصيرَ الدين عليَّ بن المقدادِ قدْ تصالحَ هو والعجمُ، ووضعَ الحربَ وتركَ الجهادَ. فوجَمَ لذٰلك الحاضرُ والباد.

ثمَّ إنَّه وصلَ إلى الحضرةِ الشيخُ المجاهدُ عبدُالله بن علي راجح، متبرِّماً مما وقعَ من الشيخ الجمالي من المصالحةِ، ومساعدةِ ابنهِ الشيخ المجاهد عزيزبنِ عبدالله [على ذلك][1].

ثمَّ إنَّـه كتبَ لابنـهِ الشيخ عزيز، وطلبَ وصـولَـهُ إلى المقامِ العزيز، وصـادَفَ ذلك على حينِ ابتداءِ مشاحنةٍ فيما بينَ الشيخِ الجمالي والشيخِ عزيز، فلمْ يسعْهُ إلَّا الوصولُ إلى المقامِ، منابذاً للشيخ الجمالي والعجم. وإنما كانَ سببُ المصالحةِ مِنَ الشيخِ الجمالي، أنَّهُ كان بهِ جراحةٌ، فتاقتْ نفسُه إلى الراحةِ، فلمّا عرفَ أنه قدْ سقَطَ من أعينِ الناسِ، وذهبَ ما كان يعرفهُ عنهمْ من الهيبةِ له والبأس، ندِمَ غايةَ الندم.

وكانت العجمُ قدْ أعْطَوْهُ نحوَ ألفِ ريالٍ إكراميةً، وقرّروا له المعاشَ في كلِّ شهرٍ، ولكنَّه لم يجدْ لذلك ما كان يجدُهُ من اللَّذَّةِ في الجهادِ، وأنَّ جميعَ أهلِ البلادِ الآنسيةِ مِمَّنْ وَقَر في قلوبهم حبُّ العترةِ الزكيةِ، والتمسُّكُ بسفينةِ النجاةِ المصطفويةِ، فهم في نصرةِ ذلك لا يَمَلُّونَ، ولو هَلَكت الدِّيارُ والأموالُ والبنون، فجزاهم الله عنْ أهلِ بيتِ نبيِّه خيرَ ما يؤمِّلون.

ثمَّ إنَّ الشيخَ عزيزاً أبقاهُ الإمامُ في المقامِ، لينظر ما تؤولُ إليه الأمورُ مِنْ فتنةِ الشيخِ الجمالي؛ / لأنَّ الإمامَ حفظه الله منتظرٌ لفيئتِهِ ورجوعِهِ. ٨٧ ب

وفي أوَّل جمعةٍ من شهرِ رجب في السنةِ المذكورةِ، وقعَ مطرٌ عظيمٌ في بلادِ صنعاءَ، وكان ابتداؤُهُ على جبلِ نُقُم، وفيه بَرَدٌ كبيرٌ، وقعَ أكثرُهُ فوقَ

---

(١) الإضافة من م.

صنعاءَ إلى داعي الخير[1] وسَعْوانَ[2]، ودخلَ السَّيْلُ صنعاءَ، وكان مُعظمُ دخولِهِ من جهةِ بابِ اليمنِ، حتى أخربَ الخيامَ التي في عرضَيْ بابِ اليمن، وقُتِلَ من العجمِ نحو عشرين، وأخذَ كثيراً من البنادقِ.

وفي شهرِ شعبانَ من السنة المذكورةِ، عزَمَ مَنْ بقيَ مِنَ الرَّديفِ، الذي خرجَ صحبةَ عبدِالله باشا راجعين إلى الرومِ، وأدخلوا صحبتَهم نحوَ خمسِ مئةٍ من المحابيسِ الذين في القصرِ، والسببُ في ذلك: أنَّ حسين حلمي وعبدَالله باشا الواليَيْن للقطرِ اليمني، أَمَرَهُمْ السلطانُ بتحصيلِ ثمانين ألف رجلٍ من اليمن نظاماً. فصار التحيلان بتحصيلِ ذلك ما أمكنَ، حتى أنَّ مَنْ وصلَ إليهم شاكياً ومشتكياً حبسوهم، فبلغ أنَّهم حصَّلوا إلى سلخ رمضان سبعةً وعشرين مئةً، أدخلوهم متفرِّقين، ومَنْ وَصَلَ الحُديدةَ حلَقوا ذَقْنَهُ وألبسوهُ وأدخلوهُ البحرَ.

وفي خامسِ شهرِ رمضانَ الكريمِ، وقَعَ بَرْدٌ عظيمٌ، حتى ماتَ منه ثلاثةُ رجالٍ في قريبِ حُوث من الغرباءِ. ونزل ثلجٌ على جبلِ حضور وغيرِه من الجبالِ المرتفعةِ، وضُربَتِ الأشجارُ، وبقيَ الثلجُ ثلاثةَ أيامٍ، ودامَ البردُ ثمانيةَ أيامٍ حتى شقَّ الحالُ بالأنامِ.

ولقدْ أخبرني مَنْ أثِقُ بهِ، أنَّه أخذَ عَتَلَةً من الطِّينِ اليابسِ وكَسَرها فوجدَ الثَّلجَ داخل ذلك، فسبحان القادرِ الحكيمِ.

---

(1) داع الخير: قرية في قاع صنعاء الجنوبي، وهي المعروفة باسم بيت معياد، انظر «صفحات مجهولة» ٦٧.

(2) سَعْوان: وادٍ مشهور بالشرق الشمالي من صنعاء بمسافة ٨كم، يطل عليه جبل نُقُم من جنوبه، انظر «الإكليل» ٢/١٠١، «صفة جزيرة العرب» ١٥٥.

وفي الشهرِ المذكورِ، عظُمَتِ الفتنُ، واشتعلتْ نارُ المحنِ فيما بينَ قبائلِ حاشد، وظهرَ لنا بموجبِ ذلك أنَّ المُرَاد بالحديثِ المرويِّ عن النبيِّ ﷺ وآلِهِ، أنَّها تُصَفَّدُ فيه مردةُ الشياطين غالباً، وإن ما يقعُ بخلافِ ذلك فتأثيراتُ من تسويلاتِ المردةِ أغْرَقَتْ في عُمْق تلكِ النفوس الشريرةِ، وباضَتْ في رؤوسِها، وقيلَ خُصَّ من عموم قولِه: صفِّدَتْ زعيمَ زُمْرتِهِمْ، وصاحبَ دعوتهم لِمكانِ الأنظارِ الذي أُجيبَ فيه، فيقعُ ما يقعُ بإغوائِهِ لا بأعوانه.

وفي هذه المدةِ وصلَ إلى عاملِ الإمامِ -عليه السلام- السيِّدُ العزيُّ محمدُ بنُ يحيى بن الهادي، وبنو طلق، وكانوا تحتَ ولايةِ العجمِ، فطلبُوا الانسلاخَ إلى دولةِ الحقِّ، وفتحوا الحصنَ المسمَّى الطِلَّيْلي(1)، فأرسلَ إليه عسكراً ورتبةً، وبعدَ مدَّةٍ يسيرةٍ وَسْوَسَ لهم الشيطانُ أنَّ العجمَ لا بدَّ يخرُجون وتصيرُ بلادُهم دارَ حَرْبٍ، فانقلبوا ورامُوا أصحابَ الإمامِ إلى الحصنِ. واجتمعَ أهلُ البلادِ واستعانوا بمَنْ يليهم، وحاصروا مَنْ في الحصنِ فغارَ المقدَّميُّ / بجمعٍ كثيرٍ، (ا فتفرَّق أهلُ البلادِ ا) وعادَ الطَّالبُ مطلوباً، ورجعوا ٨٨أ
إلى الطَّاعةِ، فطلبَ منهم المقدَّمي الرهائنَ فرهنوا، ووصلَ العُقَّالُ ورهائنُهم إلى الحضرةِ الشريفةِ، فكسا الإمامُ العُقَّالَ وأوْدَعَ الرَّهائِنَ الحَبْسَ.

وفي رابعَ عشرَ شهرِ شوال غزا المقدَّميُّ السيِّدُ عزُّ الإسلامِ إلى حصنِ بُرَعِ في عُزْلَةِ بني قُطيلي(2) في بلادِ السَّوْدةِ، فقبضَ الحصنَ المذكورَ ولم يلقَ

---

(1) الطِلَّيْلي: عُزْلة من بلاد رَيْمة من أعمال كُسْمة، انظر «معجم المقحفي» ٤٠٤، ٢٨٢.

(2) بنو قُطيلَ: من قبائل عيال في بلاد عَمْران، انظر «معجم المقحفي» ٥١٩.

(ا ا) سقطت من ع.

كَيْداً.

وفي هٰذه المدةِ أيضاً، عزمَ السيدُ صفيُّ الإسلامِ أحمدُ بنُ مثنى عنتر إلى بلادِ حجور الشامِ، فقبضَ منهم الرهائنَ، وأذعنَ للحقِّ كلُّ خائن.

وفي ثاني شهرِ القعدةِ من السنةِ المذكورةِ، طلبَ مَنْ في عَفَّار من العجمِ شيخَ البلادِ ابنَ صعصعةَ ليحبسوه، ففرَّ فَرَمَوْهُ، فوقعتْ فيه رصاصةٌ وسلَّم، ثم رموا مَنْ في حصنِ عَفَّار إلى السوقِ. فقتلوا سبعةً من القبائلِ، فاجتمعَ القبائلُ وأعلنوا بالفساد.

وفي هٰذه المدّةِ وصلَ مكتوبٌ من بعضِ رؤساءِ العجمِ، رجلٌ يُسمَّى عبدالرشيد بك، وكانَ إرسالُه صحبةَ رجلٍ من العجمِ يُسمى محمد علي رضا، فوصلَ مقامَ الإمامِ -عليه السلامُ- وقد تزيَّا بزيِّ العربِ، وأظهرَ التنسُّكَ لتحصيلِ الماءِ، وصورةُ المكتوبِ:

الحمدُ للهِ خالقِ الكونينِ، والصلاةُ مع آلهِ وصحبهِ على مَنْ قالَ: إني تاركٌ فيكُمْ الثَّقَلَيْنِ، والسَّلامُ على مَنْ أُمَرَ باغتنامِ الفرصةِ بينَ العَدَمَيْنِ، ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ على سلطانِنا الذي هو خادمُ الحَرَمَيْنِ.

بعدَ السَّلامِ كما ينبغي بالمقامِ على مَنْ تَشَرُّفُ به وسادةُ الإمامِ، وهو المتميِّزُ بسيادةِ أصْلِهِ وجلالةِ فَضْلِهِ، ما بينَ خواصِّ الأنامِ، يترجَّى صاحبُ هٰذهِ العريضةِ مِنْ علوِّ جنابِهِ أنْ تعفوَ عن جسارَتِه، عَنْ قبولِ هديَّتِهِ بيدِ رسولِهِ

---

(1) محمد علي رضا، هو مدير بوليس صنعاء، كان اليد الفاتكة لوالي صنعاء حسين حلمي، انظر «أئمة اليمن» ٢/٣١٠.

الذي يقولُ عندَ بيانِ المُرادِ «نملةٌ جاءَتْ بِرِجْلٍ من جرادٍ بوسليماني» (١كذا أي١) عالي نهادٍ؛ لأنَّ جسارةَ المُهْدي قد حصلتْ لمّا وَرَدَ في الخبرِ «تهادُوا تحابُّوا» من لسانِ سيِّدِ البشرِ، وكما نظرَةُ العالي أحسنُ النظرِ.

ومما يؤيِّدُها في كتابٍ مُبين، الائتمارُ بأمرٍ، فأصلِحوا المودَّةَ بين المسلمين، وهٰذا ما يمكن إلَّا باعتبارِ المساهلةِ والمباهلةِ وبعدَهما المجادلةُ بالذِّكْرِ، فإنَّ الذِّكرى تنفعُ المؤمنين كما نصحَ بهم في مواضِعِ التنزيلِ من ربِّ العالمين، بهٰذا القدرِ يكفي لتبليغِ المرادِ، واللهُ الموفِّقُ والهادي إلى سبيلِ الرّشادِ عندَ ظهورِ الجَوْرةِ والفُسّادِ.

يا مولاي:

ما كانَ مرادي إفادةَ المشهورِ، لكنْ بطولِ البحثِ في أثناءِ التودُّدِ من المعقولِ والمسطورِ/، ولهٰذا صرتُ مجبوراً، والمجبورُ عندَ كرامِ الناس ٨٨ب
معذورٌ، السببُ لهٰذه الجراةِ ما صارَ إلَّا مِنْ صاحبِ هٰذه البراءةِ الذي من أعزِّ الأصدقاء لجنابِكُمْ علي رضا أفندي سابقاً، ولاحقاً قد التمسَ بالمرّةِ من العاجزِ أن أكونَ بينَ البحْرَيْنِ حاجز، شمَّرْتُ ساعدي، أَجْرَيْتُ ما بيدي متوكِّلاً على اللهِ المُبْدي، توسَّلتُ عنه بابَ الولايةِ، وقرأتُ ما نصيبي من الآيةِ، فقدْ أخذتُ الكفايةَ، أرسلتُ إليكم بكلامِ الجديرِ، ومن اللهِ التيسير؛ لأنَّ اللهَ لطيفٌ خبير، وآخرُ دعوانا، اللّٰهُمَّ اجْعَلْنا مِنْ زُمْرةِ الصالحين، وعلى سعادةِ الدارَيْنِ فائزين، بجاه سيدِّنا ونبيِّنا محمدٍ الأمين.

تحرير في اليوم ١٣ جمادى الأولى، سنة ١٣١٧هـ

(١ ١) في أ: كراي.

ثمَّ إنَّ علي رضا لما وصلَ بالمكتوبِ، ورامَ الاتّفاقَ بالإمامِ ـ عليه السلام ـ ليلقىٰ ما في المرامِ، لمْ يتفقْ له مواجهةُ الإمامِ، بل أرسلَ الإمامُ، الشيخَ يحيى بن يحيى دوده لأخذِ ما عندَهُ، وما جاءَ به، فألْقى إليهِ أنَّ وصولَه للمصالحةِ بينَ الإمامِ والعجمِ من طريق المكتبجي وعبدالرشيد بك، والهديةُ طيبٌ وكسوةٌ، فأرجَعَ الإمامُ الهديةَ، ولم يقْبِضْها بالمرّةِ، وأجابَ على المكتوبِ بما صورتُه:

إلى من تحلّى بمكارمِ الخلائقِ ومحامِدِها، وسَلَكَ في أحسنِ الطرائقِ ومراشدِها عبدالرشيد بك، أرشدَهُ اللهُ لحسنِ الختامِ، وزادَهُ من الخيرِ والإنعامِ، وأتْحَفَهُ بالسَّلامِ والرحمةِ والإكرامِ. وإنَّهُ وَرَدَ إلينا كتابُكُم الكريمُ الرائقُ الوسيمُ الجاري على صراطٍ مستقيمٍ، مترجماً عنْ محبةٍ لعترةِ الرَّسولِ، عُقِدَتْ عليها القلوبُ، وطُوِّقَتْ بها الأعناقُ إلَّا صارتْ أجرةَ الرسولِ على التبليغِ، فجديرٌ أنْ لا يخالطَها غِشٌّ ولا يشوب.

ذكرتُم الأمرَ الداعي إلى إرسالِ رايةِ المحبةِ، والمقتضي نشرَ ألويةِ المودّةِ، ولا غرْوَ، فقدْ سَبَقَتِ الأرواحُ إلى التعارفِ قبلَ خَلْقِ الأشباحِ، وثمِلَتِ القلوبُ بسُلافِ التآلفِ قبلَ وجودِ الكاسِ والراحِ، وأَهْدَيْتُمُ النصيحةَ في صلاحِ المسلمين والإسلام، لمّا وردَ أنها أفضلُ مِنْ عامّةِ الصلاةِ والصِّيامِ، فحمَدْنا اللهَ على وجودِ مَنْ يُراعي أوامرَ اللهِ بينَ الغافلين، ويعرفُ حقوقَ آلِ بيتِهِ بين المائلين. فنقول:

اعْلَمْ أنّا لا نريدُ عُلُوّاً في الأرضِ ولا فساداً، ولا مخالفةً ولا عناداً لسلطانِ الإسلامِ، ولا اقتضاءَ المحاربةِ، وعدمَ المقاربةِ بيننا وبين المأمورين

في اليمن إلاّ محبّتهم لفتحِ الأبوابِ التي يأكلونَ بها الأموالَ الميريّة، ويدخلونَ بها على ظُلْمِ ضعفاءِ الرّعيّةِ، فصاروا يستجلبونَ غضبَ السلطانِ الأعظمِ علينا، وينسِبونَ القبيحَ الكاذبَ إلينا، حتى تركَ جهادَ المِلَلِ الكُفْريّةِ، الذين قدْ أخذوا أعظمَ البلادِ الإسلاميّةِ، ووجّه / القوةَ اللائقةَ إلى ١٨٩أ
محاربةِ العِتْرةِ الزكيةِ، وفي كلِّ عامٍ تَجْمَعونَ القُوّةَ علينا مرةً أو مَرّتين، ولم يسمعوا قولَ الرسولِ ﷺ وآلِهِ: «أنا حربٌ لمَنْ حارَبْتُمْ، سَلْمٌ لمن سالَمْتُمْ» مخاطباً لذريّتِهِ، مع أنّا معترفون بحقِّ سلطانِ الإسلامِ، وحمايتِهِ للبيتِ الحرامِ، ولم يدْعُنا إلى مخالفةِ المأمورين في اليمنِ إلا ما شاهدناه، ما يكادُ السماواتُ يتفطّرْنَ منه، وتنشقُّ الأرضُ، وتخرُّ الجبالُ هدّاً، ولم يبقَ واجبٌ أوجَبَهُ اللهُ إلاّ رُفِضَ، ولا مُحَرَّمٌ قبيحٌ إلا استُبيحَ ونُقِضَ، وقد كَرَّرَ اللهُ وجوبَ الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ. (١وإلا أهلكَ اللهُ الأكابرَ والأصاغرِ، وإذا تكلّمَ أحدٌ بالأمرِ بالمعروفِ أو النهي عن المنكر١)، قالوا: ذنبُ كلِّ أحدٍ على نفسِهِ، وردّوا القرآنَ، وسنّةَ سيّدِ ولدِ عدنانَ وما لمَّحْتُمْ مِنَ المُصالحَةِ فقد أسْعَفْنا إليها مراراً، وامتثَلْنا في قبولِها أمرَ اللهِ، ثم ينكشفُ أنّهم إنما أشْعَروا بها لمقاصِدَ خفيةٍ واستدراجاتٍ نفسيةٍ، إمّا لاستطلاعِ حقيقةِ أمرِنا من قوةٍ أو ضعفٍ، أو حركةٍ أو سكونٍ، وإمّا لظنّهم الغفلةَ منّا عن إجراءِ لازمِ الحربِ، ومضاعفةِ العيونِ، وفي كُتُبِ السِّيَرِ ما يُغني عن المعلومِ والمظنونِ، فإنْ كان عزيزُ جنابِكُم وجنابِ حضرة المكتبجي بك المتحف شريفِ السّلامِ على قدمٍ راسخٍ، وشأوٍ شامخٍ، أفَدْتونا بمعنى المصالحةِ تفصيلاً، وما العنوانُ

(١ ١) سقطت من ع، م.

لِصِدْقِها، وما الحابِسُ لعطرِ عَبْقِها، فمن اعتذاراتِهِمْ أنّهم بعدَ استخراجِ ضميرِ القالي والمُوالي، سنرجعُ إلى البابِ العالي،

والسلامُ مسكُ الختامِ، ١٣ جمادى الأولى، سنة ١٧

وبعدَ أنْ اطّلعَ على الجوابِ، علي رضا أفندي، حاولَ أنَّ الإمامَ يكشفُ شيئاً مما سيقعُ عليه المصالحةُ، فكتبَ الإمامُ ـ عليه السلامُ ـ ما لفظُه:

مزيدُ خيرٍ إلى حضرةِ قائمِ مقامِ رشيد بك، دامَ إجلالُه، لا تعتَبْ علينا من إجمالِ الجوابِ واستطلاعِ حقيقةِ الصّفاتِ والشروط التي نبني عليها أساسَ المصالحةِ، فالموجِبُ لذٰلك ما قَدْ سبقَ من المتوسطين، ثم ينكشفُ أنَّ المرامَ بالإشاعةِ لاسم المصالحةِ أمورٌ فيها دِقّةٌ لا يعقِلُها إلا العالِمونَ، بعدَ أنْ بذلُوا لنا قفل شَمر، وما إليها من المحلات كحُجر أبو منصور، وعزلة بني خولان والشاهل وبلاد الشرفين وما حاذاها، وقابلَها بخطِّ الاستواء إلى عَفّار وكُحْلَان مع بذلِ جانبٍ من الآلاتِ الحربيّةِ تحتَ العاريّةِ التي يُستعانُ بها على مَنْ خَرَجَ عن دائرةِ أحكامِ اللهِ مِنْ أهالي تلك الجهةِ؛ لأنّها بلادُ شرٍّ مستمرٍ بما لا يتفقون[1] على الأوامر، ولا يخضعون بكثرةِ القتلِ فيهم، فهمْ من تاريخ أحمد مختار باشا إلى هٰذا التاريخ، ولم يبْرح الخلافُ من المحارباتِ منهم، ولا يزدادون بكثرةِ القتلِ، وموتِ رهائنهم إلا بُعداً وشدةً، فغرامتُهم على الدولةِ أضعافُ خراجِهم بيقينٍ، ولا يسكنون إلا بعساكرَ كافيةٍ لليمنِ كلِّه، وكذٰلك بذلوا جانباً من الفلوس للأشرارِ من حاشد وبكيل في كلِّ

---

(١) في م: يتوقفون.

شهرٍ، سكّنهم بذلك عن التحفظات[1] في الطرقاتِ وسائرِ البلاد، وكذلك بذلوا لنا جميعِ المنكَرات، وأنْ تكونَ الشريعةُ المطهَّرَةُ هيَ المعتمَدَةَ في الخراجاتِ والمعاملاتِ، وإنا نرجو من حضرةِ الوالي المفخَّمِ حسْبَما يظهرُ من أحوالِهِ إجراءَ العدالةِ الكليّةِ فقد عبقت / روائحُ العدالةِ في كثيرٍ من الحوادثِ، فاللهُ يثبّتُهُ ويُلْهِمُهُ إلى استمرارِها وكمالِها. ٨٩ب

ثمّ إنَّ محمد علي رضا أفندي عَزَمَ من الحضرةِ، والإمامُ ـ عليه السلام ـ يَعْلَمُ يقيناً أنه لا يتمُّ شيءٌ من ذلك بالمرّةِ، ثمّ لما كانَ إلى شهرِ القعدةِ في السنةِ المذكورةِ، عاوَدَ محمد علي وعبدالرشيد بك المكاتبةَ إلى الحضرةِ الشريفةِ، بأنه لا بأسَ[2] بما شَرَطَهُ الإمامُ لكنْ لا يتمُّ ذلك إلَّا بمكتوبٍ من الإمامِ إلى السلطان، وسوّدوا مُسْوَدّاً مضمونُه: أنَّه لم تقعِ المحاربةُ لِمَنْ سبقَ منَ الوُلاةِ إلَّا بسببِ الظُّلْمِ، وأمَّا مع وصولِ هٰذا الوالي وظهورِ عدلِهِ فقد رغِبْنا في المصالحةِ ونحوَ هٰذا، فأجابَ عليهم الإمامُ ـ عليه السلامُ ـ بأنّه لا يمكنُ ذلك، وأنكمْ إذا أردتُمْ المصالحةَ فيكونُ الكتبُ منكُمْ، [3]وإلَّا أوْصِدوا البابَ[3]، ورأى الإمامُ ـ حفظه الله ـ أنَّ ذلك مِنْ خِداعِ العَجَمِ، وأنَّهم يُريدون شهادةَ الإمامِ للوالي عندَ السلطانِ وذلك مما لا يُؤسِّسَ قواعدَه ويُصْلِحُ فاسِدَه.

وفي هٰذه المُدَّةِ، أرْسَلَ الإمامُ ـ عليه السلامُ ـ سيفَ الإسلامِ محمَّدَ بنِ

---

(١) في م: التخطفات.

(٢) في م: بجميع ما.

(٣ ٣) سقطت من ع.

الإمامِ الهادي - عليه السلام - لإصلاحِ بلادِ خولان الشام، فيما بين خلفي وجوهري، وكانت فيما بينَهم وقعةٌ عظيمةٌ بلغَ فيها القتلى من الطرفَيْن عشرين قتيلاً، فعَزَم السيِّدُ الهُمام، عزُّ الإسلامِ نحوَ شهرٍ في المقامِ هو والشيخُ مطلق وابن مرداس، ثم عزَموا من الحضرةِ، وقدْ جعلَ الإمامُ - عليه السلامُ - في يدِ سيفِ الإسلامِ كيفيَّةَ حَسْمِ المادَّةِ على ما يطابِقُ الشَّرْعَ الشريفَ. وأمَرَهُ لا يظهرُ ذُلك عليهم حتى يأخذَ الضَّوابطَ من الفريقين. فلما وَصَلَ إلى هنـالـك صَلُحَتِ الأُمورُ [وحسمت مادة الشرور][1] بعد اللتيا واللتي، ومِنْ حينئـذٍ نُفِّـذَتْ أحكامُ اللهِ في تلك البلادِ، وانقَمَعَ كلُّ مَنْ كانَ يرفعُ رأسَهُ للفسادِ. ولم يَزَلْ سيفُ الإسلامِ مُباركاً في الإصدارِ والإيراد.

كرامةٌ اتَّفَقَتْ:

هي أنَّ رجـلاً من كبـارِ أصحابِ الخميسي يُسَمَّى هادي هباب نَصَبَ المـداعـةَ، والتقط النارَ، وجعلَها على التنباق، ثم خلَّاها، [2]وخرَجَ السوقَ المسمى سوقَ العريض، فسقطت النارُ من بوري المداعةِ إلى قربِ المونةِ[2]، وكـان هنـالـك مونـةٌ كثيرةٌ، أبـو سك من التي أعـدُّوهـا لحـربِ الإمـامِ، فتلاسكت[3] النارُ حتى وصلَ إلى المونةِ فرأى الناسُ الحريقَ، فظنّوا أنّه مِنْ جهـةِ المقدّمي، فلمّا عرفوا حقيقةَ الأمرِ غاروا ليُطفئوا النارَ، فكانت المونةُ تفرَحُ حتى خافوا منها، ومنعَتْهُمْ عَنْ إطفاءِ النارِ، حتى كَمُلَ حريقُ البيتِ والمونةِ.

---

(١) الإضافة من م.

(٢ ٢) سقطت من ع.

(٣) هي تلاصقت.

كرامةٌ أخرى:

وهي أنَّ أصحابَ الهنديِّ والخميسيِّ أتفقوا أن يغزوا الشعيبَ وحَجُور، فلما وصلوا المحلَّ المقصودَ، قَتَلَ رجلٌ من أصحاب الهنديّ رجلاً من أصحابِ الخميسيّ، وكان ذٰلك غايةَ الإدبار.

كرامةٌ أخرى:

وهي أن السيّد أحمدَ بن قاسمَ من الساداتِ الساكنين في حَملة لمّا تقدمَ المجاهدون على بعضِ بلادِ الخميسي، سَوَّلَتْ له نفسُهُ أنْ يرقى إلى سطحِ بيتِهِ ليلاً ليضربَ بالمدافع للغارةِ إعانةً للخميسي، فتردّى من رأسِ السطحِ، وتلفتْ روحُـه، ومـعَ ذٰلك فإنَّ السطحَ مغمورٌ، وقد كان وصلَ إلى حضرةِ الإمامِ وتعهَّدَ، ثمَّ نَكَثَ الأَيْمَانَ، وأطاعَ الشيطانَ /، واللهُ المُسْتعان[1]. ٩٠أ

[وفي شهر القعدةِ، خرجتْ من صنعاءَ نحو ستٌّ مئةٍ من العسكرِ العجميّ يريدون بلادَ السُّوْد وبيت عواش، وما إلى ذٰلك من البلادِ التي كانَ استَفْتَحَها عزُّ الإسلامِ محمدُ بنُ يحيى بن الهادي. وسببُ خروجهم أنَّ الشقيَّ مقبلَ بن يحيى فارع جعلوه مُديراً في كُحلان، فأرجفَ عليهم بأنَّهم إنْ لم يقوموا على تلك البلادِ، فلا بدَّ أن الإمامَ يأخذُ عَمْرانَ، فلمَّا وصلَ العسكرُ المذكورون إلى كُحْلان رَمَوْا إلى بيتِ عواش نحوَ أربعين ضربةً.

وفي اليومِ الثاني هَجَمُوا على بيتِ عوّاش، فوقعَ الحربُ، ولم يتمَّ لهم الدخولُ عُنْوةً نهاراً. وفي الليلِ دخلوا على حينِ غفلةٍ، وكانَ فيه أهلُه ونحوُ

---

(١) وقع نقص في النسخة أ «قدر خمس وثلاثين صفحة»، أكملناها من ع، م.

عشرةٍ من المجاهدين، فوقعَ حربٌ فيما بينهم، وقُتِلَ من العجَمِ عشرةٌ، ومن المجاهدين اثنان، وأحرقوا البيوتَ ورجعوا كُحلانَ.

وفي يومِ الخميسِ، سابعَ شهرِ القعدة، تناوشوا الحربَ، وتقدَّمَتِ العجمُ على المجاهدين، فوقعَ الحربُ بينهم، وثبَّتَ اللهُ المجاهدين، فهزموا العجمَ هزيمةً فاضحةً، وقطعوا ثلاثةَ رؤوسٍ، ونهبوا مِنْ متاعِهِمْ ومونتِهِمْ، وصارَ فيهم نحو أربعينَ مُكاناً أدخلوهم عَمْرَان.

وفي ليلةِ الجمعةِ، غزاهم المجاهدون إلى كُحْلانَ، وحصلَ عندَ العجَمِ من الرعبِ ما لا يوصَفُ بلسانٍ.

وفي أواخرِ شهر القعدةِ، انتقلت العجمُ الذي في كُحلان وفي عَفَّار إلى مدينةِ عَمْرَان، وهم قدرُ ثمانِ مئةٍ، ودخَلَ كبيرُهم الكمندار غالب باشا إلى صنعاءَ؛ لأخذ التدبيرِ من الكلْبِ الكبيرِ. وبعدَ نحوِ أسبوعٍ، خرجَ مِنْ صنعاءَ وصحبتَهُ أربعةُ طوابيرَ، فدخلوا عَمْرَان وبعدَ ثمانٍ، انتقلوا إلى الخِدرةِ(1).

وفي يومِ الأحدِ، ثامنَ شهرِ الحجةِ، تقدَّموا على مَنْ في بلاد السودِ من المجاهدين، وكان قد تفرَّق أكثرُ المجاهدين للعيدِ، ولم يَبْقَ إلاَّ جماعةٌ من ذو غيلان، ثمَّ من آلِ جزيلان وأخلاطٍ من الناسِ، وقد كان اجتمعَ هنالك قبلَ العيدِ نحوُ ثمانِ مئةٍ من المجاهدين، فلما قَرُبَ العيدُ كَتبوا إلى الإمامِ -عليهِ السلامُ- يطلبونَ القُسَحَ، فأجاب عليهم الإمامُ أنه لا يفتسِحُ إلاَّ من كان بيتُه قريباً يُمكِّنُه الغارةَ، ونهاهم من تخليةِ المراتب، وسمِعْنا من الإمامِ:

---

(1) الخدرة: من أكبر قرى جبال عيال يزيد، شمال غرب مدينة عَمْرَان، انظر «الأمير علي الوزير» ٦٦٠، «معجم المقحفي» ٢١٢.

أنَّ العـربَ بلا عقـولٍ، وأنَّ العجمَ يعـرفـون أنهم لا يتـركون العيدَ، فَهُمْ يتربَّصون تفرُّقَهُمْ لذلك، ثم تلوحُ الفُرصةُ، ويقعُ القدومُ، فكانَ الأمرُ كما قال ـ عليه السلامُ ـ.

ذكرُ وقعة السُّود:

لما رأى العجمُ تفرُّقَ المجاهدينَ للعيدِ، كما ذكرنا غيرَ بعيد، لاحَتْ لهم الفرصةُ، فتقدَّموا في يومِ الأحدِ سابعَ شهرِ الحجة سنة ١٧، وصفةُ ذلك:

أنَّ مَنْ بَقِيَ من المجـاهـدين تفرَّقوا في المراتبِ، ووصَلَ الكتابُ لذو محمد من المقدّمي عزِّ الإسلامِ بأنْ يكونَ عنوتُهم شرقيَّ الطليلي في محلٍّ يُسمى العفيرة، فعـزمـوا مِنْ هنـالـك، فوصلوا إليه بعـدَ طلوعِ الشمسِ، وواجَهَتْهُمُ العَجَمُ بالحَرْبِ، وقدرُ ذو محمد مئةُ رجلٍ والعجمُ نحوُ ستُّ عشرةَ مئةً، فاشتعلت نارُ الحـربِ، وثبَتَ ذو محمـدٍ غايةَ الثّباتِ، واستُشْهِدَ مِنْ نُقبائِهِمْ النقيبُ محمدُ بنُ عبدالله جزيلان، واثنان من النقباء من بني عمّه، وأربعةُ مجاريحَ، وقُتِلَ من العجمِ نحوُ ثلاثين، ونحوُ مئتيْ مجروحٍ، ولمْ يمدَّ (ذو محمد) أحدٌ من أهلِ المراتبِ الأُخرِ إلّا السيِّدَ المقامَ فخرَ الإسلامِ، عبدَالله بن يحيى، أبا منصرٍ، فإنَّه لما رأى ما نزلَ بذو محمد غارَ بمَنْ معه ليمـدَّهُمْ، وكانَ صحبتَه نحوُ خمسةٍ وعشرين، فما زالوا يتسلّلون من خَلْفِهِ هاربين حتى لم يبقَ إلّا بنفرٍ يسيرٍ، وكانَ وصولُه على حينِ الهزيمةِ من ذو محمد، ففعلَ في العدوِّ ما قَدَرَ عليه من النكايةِ، وفرَّ سائرُ النّاسِ، واستوْلى العَجَمُ على تلك المحلّاتِ، وانتقلَ السيّدُ الفخريُّ بِمَنْ بقِيَ معه، فاجتمع بسيِّدي الضّياءِ إسماعيلَ بنِ حسنِ الوادعي.

وكان بقاؤُهُمْ في محلٍّ يسمى بيت العقاري، وتقدَّمَتْ عليهم العَجَمُ، وأَبْلَوْا بلاءً حسناً من بعدِ الظُّهْرِ إلى العشاءِ، وخرجوا مِنْ هنالِكَ، وقدْ وقَعَ في العَجَمِ قتلٌ كثيرٌ، والحمدُ للهِ العليِّ الكبيرِ، ووقعَ حربٌ فيما بينَ العَجَمِ وبينَ المجاهدينَ، الرتبةِ الذين في قرضه.

وقعةُ بيت البوني:

وفي يومِ الثلاثاءِ، وهو يومُ عيدِ الأضحى، تقدَّمتِ العجمُ على بيوتِ الشيخِ المجاهد مبخوت بن علي البوني، وكانَ فيه الشيخُ مبخوت، وجماعةٌ من قبائلِهِ نحو العشرين، فقاتَلُوا قِتالاً عظيماً وصَبَرُوا على وَقْعِ المدافع، ولم يقدِرِ العجَمُ على أخذِ ذٰلك عُنْوةً، حتى إذا كان اللَّيْلُ خَرَجَ الشيخُ مبخوتٌ منه طوْعاً؛ خشيةَ أن يحوطَ عليهم العَجَمُ، وجَمَعَ حَطَباً وأَحْرَقَهُ بيدِهِ، وكان جملةُ من قُتِلَ من العَجَمِ أربعين قتيلاً، ثمَّ إنَّ المجاهدين انتقلوا إلى بيتِ الحِصْنِ المُسَمّى المفتاح، ورتَّب المقدّم حصنَ الطلقي المسمّى سماع، وبيت الحلال، والمعمر، وبقيت العجمُ في السُود.

وقعةُ حصن سماع:

وصفتُها: أنّه لما كان يومُ الخميسِ ١٩ شهر الحجةِ، سنة ١٧، تقدَّمتْ العَجَمُ على المجاهدين الذين في حصن سماع وبيتِ الحلال والمعمر، وكان الرؤساء هنالك في تلك المحلّات: السيدُ فخرُ الإسلامِ، عبدُالله بن يحيى أبــو منصــر، والسيّدُ الضياءُ إسمــاعيلُ بنُ حسنٍ الــوادعي، والسيّدُ العمــادُ يحيى بن أحمدَ المقدّمي، والحاجُّ الفاضلُ حسين الجمل، والشيخُ حسين الدقيمي، والشيخُ محمد بن علي جعفر، ورجالُ خارف، والشيخُ غالب صليح

مِنْ أهلِ أهلاب أبي الحسين، وصُحبتهم جماعةٌ من المجاهدين الصادقين، فلما هجَمَ العجمُ أصدَقَهُمُ المجاهدون الرَّمْيَ مع عقـول راجحة، فانهزمت العَجَمُ، ثم عادتْ إلى الهجومِ مرَّةً ثانيةً، فرماهم المجاهدون، فلمَّا رأَوْ كثرةَ القَتْلى وأنَّـه لا سبيلَ إلى أخذِ ذٰلك عُنْوَةً، انهزموا إلى مَطْرحِهِمْ في محلِّ الشيخ سعـدِ مقبـل الهناني، وصارُوا يرمُون بالمدافعِ ، واستمرَّ الحربُ من الفجرِ إلى الليلِ ، فلما كثرَ وقعُ رصاصِ المدافعِ على الحصنِ انهدَمَ، وصارَ مَنْ فيه لا يرتاعُونَ لذٰلك، بل ثبتوا فيما بقي منه بغيرِ هَدْمٍ ، فلمَّا دَخَلَ اللَّيْلُ، هَجَمَ العَجَمُ في وقتِ العشـاءِ، فاختلطوا هُمْ والمجـاهـدون حتّى ترامَـوْا بالحجارةِ، فلمَّا رأى العجَمُ أنَّ العربَ لا يخرجون من الحِصْنِ حتى ينزعوا مجـاريحَهم وأدواتِهِم، صاحَ النفيرُ: أن افرِجُوا لهُمُ الطريقَ حتى يخرجوا، فخـرجـوا وحملوا المجاريحَ، وانتقلوا إلى الحِصنِ المسمّى دربَ الشجب، قريبـاً من الأوَّلِ وإلى المـربـطةِ، وللهِ درُّهُمْ من عصابةٍ بانوا عن شجاعةٍ ونجابةٍ، طوَّلوا عُنُقَ الجهادِ، وفازوا برضى ربِّ العبادِ، واستُشْهِدَ حفيدُ الشيخ محمـدِ بنِ علي جعفر والشيخُ غالب صليح، والمجاريحُ كثيرٌ، وأما العجمُ ففيهم نحـوُ أربعِ مئةِ قتيلٍ على ما قيل، فلمّا رأتِ العجمُ هوْلَ ما ألمَّ، واستغارَ المجاهدون صبحَ الجمعةِ والسبت من كلِّ جهةٍ، أيقنوا بالقاضيةِ، وعلِمُـوا أنَّهم لا طاقةَ لهم بالفرقةِ الناجيةِ، فبادروا بالارتحالِ والرجوع إلى الخدرةِ، وتبعَهُمُ المجاهدون بالحرب، وكانَ ارتحالُهُمْ يومَ الأحدِ ٢٢ شهر الحجة، ثم ارتحلوا مِنْ هنالِكَ عَمْرانَ، وقد ذاقوا طعمَ الضَّرْبِ والطِّعانِ.

وفي هٰذه المدّةِ، وقعت الفاقرةُ العظمى من أهلِ مُسْتَبا[1] التي في ضمنِها

(١) مُسْتَبـا: ناحية من أعمال حجة في الشمال الغربي منها، يتبعها: وادي الحمرة، =

الكرامةُ العظيمةُ التي لم يُعْهَدْ مِثْلُها، وصفةُ ذٰلك:

أنَّ أهْلَ مُسْتَبا بعدَ أنْ دخلوا في الطاعةِ ورهنوا، سَوَّلَ لهم الشيطانُ وساعَدَهُمْ على ذٰلك الخذلانِ بنو سعدٍ وبنو رزقٍ بأن يغدروا بالمقدَّمي صفيِّ الإسلامِ، أحمدَ بن مثنى عنتر ـ رحمه الله ـ ولعلَّه كما يُقالُ، قد أخذوا جُعْلاً على ذٰلك من الشَّقِيِّ محمد هادي الخميسي، وكان المقدَّمي حينئذٍ في أطرافِ بلادِهِمْ وعندَهُ جماعةٌ يسيرةٌ لا يجاوزونَ العشرةَ، فكتبَ إلى السيِّدِ الصفيِّ بعضُ مشائخِ البلادِ المذكورةِ، يطلبُ منه الاتفاقَ إلى قُرْبِ البيتِ الذي هو فيه، فأسْعَدَهُمُ السيِّدُ الصفيُّ إلى ذٰلك، وكان قدْ وصَلَ إليه صبحَ ذٰلك اليومِ، سبعةُ مشائخَ من الذين أولادُهم رهائن، وطلبُوا منهُ الوصولَ إلى أولادهِمْ، فقبضَ بنادِقَهُمْ، وأرسلَ معهم رجلين إلى أولادِهِمْ ليعزموا معهما إلى أولادِهِمْ، وكانَ الرهائنُ في بيتِ التّهامي، وكانوا قد تمالوا على الذين طلبوا الوفْقَةَ من المقدَّمي ليقضوا غرضه، وهُمْ يُخرجون الرهائن، فلمَّا خرجَ السيِّدُ الصَّفيُّ للقاءِ الجماعةِ، قعدَ يُحادِثُهُمْ فغَدرُوا، وعشروا بما في أجوافِ البنادقِ إليهِ، وإلى الجماعةِ الذين معه، فأمَّا هو فوقعتْ فيه نحوُ خمس رصاصاتٍ، تساقَطْنَ منه مثلَ حصى الحذفِ، وأمَّا مَنْ معه من المجاهدين فاستُشْهِدَ منهم أربعةٌ، وهمُ الشيخُ محمدُ بن علي جعمان من رجالِ الأهنوم، أهلِ الصدقِ والإيمانِ، والشيخُ عبدُالرحمٰن حشيش من رجالِ سفيانَ، وسعد الجرافي، وعليُّ بنُ محمد جياش من رجالِ الحَيْمَةِ، وقَعَتْ فيه رصاصةٌ، وكانَ إلى

= الخميس، الجراشة، بنو رَسَّام، السهلة، غارب المدومي، جبل عبيد، غزي مستبا، شاطىء البرد وغيرها، انظر «معجم المقحفي» ٥٩١.

جانبِهِ شيخٌ من أعداءِ اللهِ أهلِ الغَدْرِ، بلْ هو المحرِّضُ على الغَدْرِ، فجرَّدَ النَّصْلَةَ علي بن محمد جياش وطعَنَهُ وماتا جميعا في ساعةٍ واحدةٍ، وبانَ بذلك عند شجاعةٍ باهرة.

ثم إنَّ المقدَّمي صفيَّ الإسلامِ، دخلَ البيتَ الذي هو فيه، وكانَ الباقي معه ثلاثةَ نفرٍ، فاصْدَقُوا أهلَ الغدرِ بالرَّمْي، وقَتَلوا من أعداءِ اللهِ كثيراً، واستُشْهِدَ أحدُ أولئك النَّفرِ في حالِ المحاصرةِ، ثم إنَّ السيِّدَ الصفيَّ أرسلَ أمراءَ إلى رجالِ عاهم[1] يطلبُ منهم الغارةَ. فلمَّا وصلَ إليهم الصوتُ أسْرَعُوا إلى صفيِّ الإسلامِ صحبةَ السيدِ الأجلِّ الهُمام، قاسمِ بنِ إسماعيلَ، فلما رآهُمُ الغادرون أُسقطَ في أيديهم وفرُّوا من حولِ البيتِ، بعدَ أنْ وقعَ بينَه وبينهم حربٌ يسيرٌ، فلما انهزموا دخلَ السيِّدُ العلَمُ، فأخرجَ سيدي الصفيُّ من البيتِ ودفَنَ القتلى، وأمَّا السبعةُ المشائخُ الذينَ عزَمُوا إلى الرَّهائنِ، فإنَّهم لمَّا وصلُوا إلى هنالك، سمع العسكرُ الذين كانوا عندَ الرَّهائنِ الحربَ فأغلقوا عليهم البابَ وخَسِرَ أملُهُمْ وخابَ، ولله الحمدُ.

وحينَ سمعَ أهلُ حَجُور بما وقع مِنْ هٰذه الكرامةِ العُظمى، التي تُخَلَّدُ في بطُونِ الأوراقِ ويُعلَنُ شأنُها في الآفاق، صلُحَ كلُّ مَنْ كانَ مِنْ أهلِ النِّفاقِ، ونفذَ حكمُ اللهِ وأمرُهُ في تلك البلادِ بالوفاقِ، وكانوا لا يعرفونَ مِنَ الإسلامِ إلَّا اسْمَهُ، ولا مِنَ القُرآنِ إلَّا رَسْمَهُ، من جملةِ ذٰلك ما ذكرْنا من

(١) عَاهِم: جبل في هَمْدَان ثم من حَجُور في غربيها، سُمي باسم عَهْم بن الراتع، وإليه ينسب وادي عاهم النازل إلى حيران. انظر «الإكليل» ٢/٨٤، «اليمن الكبرى» ١٠٧، «معجم المقحفى» ٤٢٠.

أَمْرِ النبار، وكذٰلك استحلالُ الرِّبا الذي هو مِنَ الذُّنوبِ الكبار، وكذٰلك تبرُّجُ النساءِ والاختلاطُ وعدمُ السراويل، فألزمَ الإمامُ ـ عليه السلامُ ـ بالتَّستُّرِ ولبسِ السَّراويلِ، وألْزَمَ بنحوِ خمسِ مئةِ سروالٍ فخيطت في شُهارةَ وغيرِها. ومِنَ المُنكَرَاتِ ختانُهم بدحس(1) العانة من أعلاها، فنهاهُم الإمامُ عن ذٰلك، وجعل على مَنْ عاد إلى ذٰلك أدباً بالغاً.

كرامةٌ:

وفي هٰذه المُدَّةِ وقَعَتْ كرامةٌ عظيمةٌ للإمام ـ عليه السلامُ ـ كما أخبَرَنا بذٰلك الأخُ العلاَّمةُ وجيهُ الدِّين عبدُالوهَّاب بن محمد المجاهد(2)، وهي: أنَّ رجلاً من سادةِ شُهارةَ الذين كانوا يعتادون أخذَ الزَّكاةِ (١«نزلَ بِلادَ حجور، المحلَّ الذي كان يعتادُ أخذَ الزكاة»١) مِنْه، وصارَ يقدَحُ في عِرْضِ الإمامِ ـ صانَهُ اللهُ ـ ويطلبُ من الزَّرَعَةِ المعتادَ، فوثَبَ عليه كلبٌ فأخذ بيضَتَهُ.

مفاخرةٌ(3) بينَ ماءِ غارب أثلة، ماء قَفْلَة عُذَر، وبين بئرِ الباشا في صنعاء، وفي هٰذه المدَّةِ قالَ الحقيرُ راقمُ الأحرفِ في المفاخرةِ بين البئرين:

[الكامل]

---

(1) الدحس: أي سلخ الجلد من أعلى العانة، وكانت تلك العادة قائمة في اليمن.

(2) عبدالوهاب بن محمد المجاهد الشماحي، ولد بذمار ١٢٨٩هـ، وانتقل إلى صعدة، ثم الأهنوم وظفير حجة، وصنعاء وغيرها، توفي بظفير حجة في شعبان ١٣٥٧هـ، انظر «نزهة النظر» ٤٠٨.

(3) «أئمة اليمن» ٢٦٢، سببها أن بئر غارب أثلة غارت حين خرجت الأتراك من صنعاء لحرب الإمام المنصور، وانظر حولها «نزهة النظر» ٢/٤٤٤، وهي ست وستون بيتاً.

(١ ١) سقطت من ع، والإضافة من م.

طالَ افتخاراً ماءُ بيرِ الغاربِ ... وسَمَا وقالَ: أنا رحيقُ الشّارِبِ
فُقْتُ المياهَ بخفَّتي وعُذوبَتي ... فأنا إذاً من مُفْردات الرّاغِبِ
أصْلي من الماءِ المباركِ زمزمٍ ... فاشرَبْ لِما قدْ شيتَه يا صاحبي
لم يعرِفوا للماءِ لوْناً ما خلا ... مائي فذلِكَ أبيضٌ كالرّائبِ
ومتى رأيتَ عذويةً في أيِّ ما ... فالأصلُ يجري مِنْ مُدامِ ترائبي
قلْ لِلْمَوارِدِ في الموارِدِ كلِّها ... مَنْ ذا الذي يُدْلي ببَعْضِ مناقِبي
لم يَبْقَ للباشيِّ بَعْدِي مفخرٌ ... ذَهَبَتْ محاسِنُهُ كأمسِ الذّاهبِ
فأجابَهُ الباشي وقالَ له صهٍ ... لا بُدَّ أن يَسْوَدَّ وَجْهُ الكاذِبِ
فأنا الذي فُقْتُ المياهَ بلا مِرَا ... وُصِفَتْ على رَغْمِ الحَسُودِ مشارِبي
وعُدولُ صنعا يشهَدُون جميعُهم ... أنَّ المُعَتَّقَ من رذاذِ سحايِبي
نَسَبي إلى الباشا كفاني مَفْخراً ... وبذاكَ طالَتْ لِحْيَتي وشواربي
وانظرْ إلى الوُرّاد حوْلَ مشارِعي ... كَمْ من شبابٍ يستَقُونَ وشايِبِ
«فعليّ»[1] تفخر يا بُوَيْرُ مُطاولاً ... فاحْذَرْ بأنْ ينشِبْنَ فيك مخالبي
ولَقَدْ نظرتُ إلى حماك فلَمْ[2] أجد ... غيرَ القُرودِ وباقرٍ وثَعالِبِ
فأجابه البئرُ المباركُ قائلاً ... الآن صحَّ لنا بأنَّكَ ناصِبي
أَعَليٌّ تفخرُ بالعُلوجِ وإنَّهُمْ ... أهلٌ لِكُلِّ معايبٍ ومثالبِ
أوَمَا علِمْتَ بأنَّ رهطي حاشِدٌ ... أُسْدُ الشَّرى بمشارقٍ ومغاربِ
ولَنا بأهلِ البيتِ أعلى مفخرٍ ... كمْ مِنْ إمامٍ قد أقامَ بجانبي
فأنا مُحِبٌّ للنبيِّ وآلِهِ ... قالٍ لِكُلِّ منافقٍ ومُشاغبِ

---

(١) تقرأ فعلامَ. في «أئمة اليمن» ٣/٥١، فعلى تفخرُ يا بؤير تطاولاً.

(٢) في الأصل: إلى جمالك.

أوَ ما عَلِمْتَ الرُّومَ حين تجمَّعوا ... حَوْلي فامْتَدَّتْ عليه ذُوابتي(*)
وأزَلْتُ عنهُمْ صُورَتي وتركْتُهُمْ ... يتلاهَثُون وذاكَ بعضُ عجائبي
حَسْبي مِنَ المجْدِ المؤثَّلِ أنَّني ... أصبحْتُ وِرْداً للإمامِ الطَّالبِ
أعني أميرَ المؤمِنين ومَنْ لهُ ... فضلٌ يطولُ على الشِّهابِ الثَّاقِبِ
يعسوبُ آلِ محمَّدٍ منصورُهم ... خيرُ الخلائِقِ مِنْ سُلالَةِ غالبِ
هٰذا الذي أحْيا معالمَ دِينِنَا ... حقّاً وقامَ بنَدْبِهِ والواجِبِ
وأذلَّ أعْلاجَ الأعاجِمِ كُلِّهِمْ ... حتَّى غَدَوْا غَرَضاً لسَهْمِ الثَّالبِ
مِنْ بعدِ هٰذا هلْ بقيْ لك مفخرٌ ... فاذْهَبْ أبا الأوْساخِ شرَّ مذاهِبِ
واحْذَرْ مِنَ الظُّلْم الوخيم وكَسْبِهِ ... لا يجْحدُونَ فضائِلي ومناقِبي
فهنالك الباشيُّ راحَ مغاضِباً ... ومؤاذناً بتناضُلٍ وتحارُبِ
جَمَعَ الجيوشَ مِنَ الأعاجِمِ واعتدى ... ببنادقٍ ومدافعٍ وكتايِبِ
وتجمَّعَتْ آسادُ حاشدَ كلُّها ... كَمْ مِنْ هُمامٍ كالهِزَبْرِ الواثِبِ
فتحاوَلوا وتقاتَلوا وتجاوَلوا ... وتناضَلُوا وتحاذَفوا بالذَّائِبِ
ثمَّ انجلَتْ تلكَ المعارِكُ كلُّها ... والباشِيُ المغلوبُ غيرُ الغالِبِ
مِنْ بعدِ ذٰلك ضمَّنوا وتحاكَمُوا ... شَرْعاً إلى سيفِ الإلٰه القاضِب
أعني عمادَ الدِّين مولانا الذي ... حازَ الكمالَ بفِطْنَةٍ وتجارُبِ
العالِمُ الطَّوْدُ الذي حازَ النُّهى ... [فضلاً من الرَّحمٰن أكرمِ واهبِ](٢)
فاللهُ يحفظُهُ ويحرُسُ ذاتَهُ ... ويقيهِ كلَّ نوائبٍ ومصائبِ
ثمَّ الصَّلاةُ على النبيِّ وآلهِ ... شُهْبِ الدُّجىٰ من طالعٍ أو غارِبِ

(*) خلل عروضي.

(١) لا تجحَدُنَّ مناقبي ومناصبي، «أئمة اليمن» ٥٢/٣.

(٢) الإضافة من م.

يتلو ذٰلك حكمُ سيِّدي العلامة سيفِ الإسلام، عماد الدين يحيى بن أمير المؤمنين ـ حفظه الله تعالى ـ(1): [الكامـــل]

من بعـدِ حمـدِي للإلٰـه الغـالبِ ... ثمَّ الـصَّـلاةُ على الـنبيِّ الغـالبِ
والآلِ ما ذُكِـرَ العُـذَيْبُ ومـا جرى ... عَذبَ الـزُّلالِ مِنْ عيونِ الغارب(١)
فلقَـدْ جَرى التحكيمُ لي مِنْ جانبي ... ماءَيْن بينَـهُـمـا قليلُ تنـاسُـب
مِنْ بعـدِ أنْ حَضَـرا وطَـالَ عليهِمـا ... حبـلُ الـشقـاقِ فلَيْسَ بالمُتقـارِبِ
حَضَـرَا لدى قاضي القضـاة وأبـرزا ... حُجَـجـاً ولـمَّـا يأتِـيا بشـواقِـبِ
فتكـافيا عنـدَ الخصـامِ وحـاوَلا ... أنْ يَحْضُـرا إذْ ذاكَ عنـدَ الكـاتِبِ
فأتـى على بُعـدِ الـمـزارِ مُلَفَّـعـاً ... باشِـيُّهُـمْ بمـطارفٍ ومـطالـبِ
ويُجـيبُـه الأثْـليُّ قالَ أنـا الـذي ... قدْ حقَّقَ القـاضي ببَعْضِ منـاقبي
والعُـرْبُ تعـرِفُني وتعـرِفُ مَحْتِـدي ... ويطولُ فخـراً في الـبَـرِيَّةِ شاربي
خصَّ الإلٰـهُ بيَ المـدينـةَ حيثُ لا ... غيري يُقـارِبُ أو يُداني جانـبي
وكـفىٰ بمَنْ هو عامِـري فخـراً إذا ... فاخـرتُ يومـاً بالإمـامِ الضَّـاربِ
يُحيي الهُدى الهادي(٢ إلى الحقِّ العلي٢) ... هَلْ مِـنْ مقـالٍ بعـدَهُ للشـاغبِ
وهـوَ الـذي رفـعَ افتخـاري والـذي ... بدأَ الـبـنـاءَ لكُـوَّتـي يا صاحـبي
ولِـذَا ترى الأشْياعَ تقـصِـدُ كُوَّتي ... (٣لـلاعتـزا والفعـل ذاك الـطالبِ٣)

---

(1) وردت أبيات منها في «نزهة النظر» ٢/٤٤٦.

(١) البيت فيه خلل عروضي، تقرأ «من العيون الغارب، المزنِ الزلال بعين بئر الغاربِ».

(٢ ٢) في م: اللذي نعش العُلا. في «أئمة اليمن» ٣/٥٣ محيي الهدى الهادي يحيى المنتقى.

(٣ ٣) جاءت في م «للاغتراف وذاك فضل الشارب». وتقرأ أيضاً «للإعتزاء وذاك فضلُ الشارب».

والمسجدُ المشهورُ للهادي الذي ... بلغَ العُلى بمضاربٍ ومواهبِ
في ساحتي، وشهودُ قولي كلُّ مَنْ ... لدفاترِ التاريخِ خيرُ مُصاحبِ
وأزالُ تشهدُ لي ومَنْ قَدْ حلَّها ... مِنْ مؤمِنٍ متشيِّعٍ أو ناصبي
والوارِدُونَ لصفوِ مائي مَعْشَرٌ ... هُمْ أهْلُ كلِّ رفاهةٍ وتجاربِ
فبِهِمْ فَخاري والزُّلالُ شرابُهُمْ ... لَيْسُوا مِنَ الأعرابِ أجهَلَ شاربِ
لوْ يعْلَمون بأنَّ مثليَ في الدُّنى ... لأتَوْا إليهِ كتائباً بمقانِبِ
ثمَّ انبرى الأثْليُّ يزْهُو قائِلاً ... يا ماءَ صنعا قُلْتَ قولَ الكاذبِ
/ والحقُّ يعلو والشريعةُ شأنها ... فصلُ الخصومةِ، فاسْمَعَنَّ مناقبي
مائي هوَ العذْبُ الزُّلالُ وخِفَّتي ... معروفةٌ وأنا سُلافُ الشَّارِبِ
وأنا الرئيسُ لكلِّ جارٍ طاهرٍ ... والفخرُ لي والماءُ بعضُ كتائبي
وأنا الدواءُ لكلِّ داءٍ مُعضِلٍ ... وأنا لأهلِ الدِّين أيُّ مُصاحبِ
كم طاهرٍ متطهِّرٍ كَلَّفْتُهُ ... تجديدَ تطهيرٍ لغيرِ الواجِبِ
دعْ عنكَ تطهيرَ الفروضِ فإنَّها ... لم تخلُ مِنْ أهلِ الفروضِ جوانبي
لا فضلَ فيك عليَّ إلاَّ أنَّ فيـ ... ـك خصائصاً فافْخَرْ بها يا صاحبي
منها اقترابُكَ مِنْ حشوشِ القصرِ ... وهي بطينةٌ من ذاك حاشا جانبي
ثم اقترابُكَ مِنْ دكاكين النَّصا ... رى كمْ مُعَلٍّ بالعُقارِ وشاربِ
ولكمْ غِناءٍ في فناكِ وقينةٍ ... كمْ راقصٍ كمْ زامرٍ كمْ طاربِ
لا يعرِفونَ سوى السَّفاهةِ سُنَّةً ... لا يرغبون لسُنَّةٍ ولِواجبِ
كمْ عاقِلٍ عن شُرْبِ مائكَ زاهِدٍ ... كمْ مُؤمنٍ عنْ قُرْبِ سوْحِكَ هاربِ
أوَ لَسْتَ أنْتَ مُشقَّقَ الأطرافِ مِنْ ... أهْلِ العِبادةِ يا عدوَّ الراغبِ
روَّجْتَ يا جارَ البوالعِ للوَرى ... تَرْكَ الصَّلاةِ فعَلْتَ فِعْلَ الخائبِ

لَوْ أنَّ فيكَ شهامةً وسعادةً   ما احتجتَ يوماً كوّةً للطّالبِ
ما طابَ مِنْ طيبِ شرابُكَ غيرَ أنَّ   النّاس تُشْغَفُ بالبعيدِ الهاربِ
أبْرَمْتَ في تحسينِ ذلك خِيلةً   وأرَدْتَ أنْ تسمو بأمْرٍ كاذبِ
لو كُنْتَ مثلي لمْ تُمانِعْ شارباً   لَعَرَفْتَ جانِبَكَ الوضيعَ وجانبي
ولأنتَ تُدْني مَنْ لمائِلِكَ شاربٌ   وتقودُه للتّركِ يا بْنَ العائبِ
كمْ مِنْ كريمِ الأصلِ قدْ ذلَّلْتَهُ   ولكم ترى من شاربٍ لك سائِبِ
أمّا شهودُكَ فالعدولُ سِواهُمُ   أهلُ التُّقى وأُهَيْلُ ماءِ الغاربِ
لو أنَّهُمْ ـ أعني شهودَكَ ـ راقَبُوا   أمْرَ الإلهِ لبادَرُوا بالواجبِ
ولهاجَرُوا ولَمّا تولَّوْا معشراً   سامُوهُمُ سوءَ العذابِ اللازبِ
ولأكرمُوا تلكَ النفوسَ وحاوَلوا   عِزّاً وفخْراً وارتفاعَ مراتبِ
ولَما رضَوا بالمُنْكَراتِ ولا أتَوْا   يا جارُ ذاكَ بفِرْيةٍ ومثالِبِ
وأنا الكريمُ وبالأئمةِ مَفْخري   وبكلِّ آبٍ للهوانِ مُجانِبِ
كاين ترى بفنا مشيدي عالماً   كمْ عاملٍ كمْ واعظٍ كم خاطبِ
وأنا بنصرِهُمُ الكفيلُ وسَلْ بذا   يومَ الحُسينِ وذاكَ بعضُ غرائبي
كمْ مِنْ بغاةٍ قدْ أرَقْتُ دماءَهم   وأتيتُهُمْ بمقانِبٍ وسلاهِبِ
ولَكَمْ أسيرٍ زُمَّ نحوَ شهارةٍ   ولَكَمْ سليبٍ منهمُ للسّالبِ
أعليُّ تبغي أنْ تكونَ مُفضَّلاً   يأبى الإلهُ وعسكري وقواضبي
يأبى إمامُ العصرِ من سادَ الورى   بسيادةٍ وعبادةٍ ورواتبِ
أعني به المنصورَ أكْرَمَ مَنْ دَعا   للهِ فاحْذَرْ سَطْوتي وعواقبي
وأقولُ: إنَّ الأمرَ في ذا واضحٌ   لِمُوافِقٍ ومخالفٍ ومُشاغِبِ
الماءُ جِنْسٌ واحدٌ ذا قولُ أهْلِ المذْهبِ المشهورِ خيرِ مذاهبِ

ويــه يقــولُ محـمــدُ وهــوَ الــذي	أقـضـي بهِ والـحُـكْـم أخـطرُ واجبِ
هٰذا الــذي عِنْــدي ولستُ بحـاجـزٍ	عَنْ رَفْـعــةٍ للحــاكـمِ الـمتكـالبِ
واللهُ يرحَــمُــنــا ويرحَـــمُ ضَعْـفَـنــا	ووقُــوفَنــا عنــدَ الحسابِ لحـاسبِ
ثمَّ الـصــلاةُ على الــنـبــيِّ وآلِــهِ	ما دامَ يُشْــرَبُ ماءُ بئــرِ الــغـاربِ

وعارض ذٰلك كثيرونَ من أدباءِ العصرِ، وليسَ بذاك، فلا يطولُ ذكرها.

كرامةٌ:

وفي هٰذه المدةِ وقعتْ فيما بينَ السّادةِ الذين تمالَئوا على الغَدْرِ بالمقدّمي السيد الصفيِّ أحمدَ بنِ مثنى، فاقتتلوا فيما بينهم، وهَلَكَ منهم اثنانِ وبقيَ واحدٌ، وكذٰلك وقَعَتْ فتنةٌ أخرى فيها بينَ العُقّال الذين ساعدوهم على الغدر، فاقتتلوا وفَرَّقَ اللهُ شملَهُمْ.

وفي هٰذه المـدّةِ كتبَ الإمـامُ ـ عليه السـلامُ ـ مكاتيبَ كثيرةً إلى قطرِ الشام، وأرسلَها صحبةَ النظامِ الهاربين من عسكَرِ العجَمِ، وكانوا يهربون مِنْ معسكرِ العَجَمِ، ويرمُون البنادِقَ، وبعضُهُم يأخُذُها ويصِلُون / إلى المقامِ الشريف، فينفقُ عليهم الإمامُ ـ عليه السلامُ ـ في المقامِ، ونفقة الطريقِ، ويكسو بعضَهم الذين كانَ الأعراب يأخذون كُسْوَتَهُمْ في الطريق.

وصورةُ المكتوب:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿يـا أيُّهـا الذين آمنوا ارْكَعُوا واسْجُدوا واعْبُدوا ربَّكُمْ وافْعَلُوا الخَيْرَ لعَلَّكُمْ

تُفْلِحُونَ﴾،[1] ﴿وجاهِدوا في اللهِ حقَّ جِهادِهِ، هو اجْتَباكُمْ، وما جَعَلَ عليكُمْ في الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ، ملَّةَ أبيكم إبراهيمَ هو سمَّاكُمُ المسلمين من قبلُ، وفي هٰذا ليكونَ الرسولُ شهيداً عليكم، وتكونوا شهداءَ على النَّاس﴾[2].

حمْـداً لِمَنْ نَصبَ الـدَّليلَ، ورفَـعَ السَّبيلَ المستقيمَ للسَّـالـكِ، وبيَّنَ المحجَّةَ البيضاءَ فلن يَهْلَكَ إلاَّ هالكٌ، والصلاةُ والسلامُ على مَنْ أنارَ أعلامَ الـرّشـادِ للعبـادِ، وأسَّسَ المـدارِكَ وخَفَضَ راياتِ الكفر، وطمَسَ سوادَ لَيْلِهِ الحالِكِ، وعلى آلهِ سُفُنُ النجا ونجومُ الاهتدا، الذين لم يشارِكْهُم في مناقِبِهم مُشارك،

صلاةً وسلاماً متلازِمَيْن إلى يومِ العرضِ على الربِّ المالك،

أما بعدُ،

فإنَّـا نحمـدُ اللهَ إليكم الـذي لا إلٰهَ إلا هوَ، ونُنْهي إلى جماعةِ أهْلِ الإسلامِ، ومَنْ جَمَعَتْنَا وإيَّاهُمْ دعوةُ الحقِّ في قُطْرَيْ العِراقِ والشَّامِ، ومَنْ وَفَّقَهُ اللهُ، فرفعَ رأسَهُ إلى الحقِّ مِنَ الأرْوام، أنَّ اللهَ سُبحانَهُ وتعالى افترضَ على كلِّ مُسْلِمٍ موالاةَ أهـلِ البيت النَّبـوي، وبَـذْلَ المَـودَّةِ لأسرةِ العُنْصر المصطَفَوي، والتمسُّكَ بهديهِم القويم السَّويِّ كما نصَّ على ذٰلك في كتابِهِ المُجْتبى، فقالَ تعالى: ﴿قُلْ لا أسألُكُم عليهِ أجراً إلاَّ المودَّةَ في القُربىٰ﴾، وأخرجَ الإمامُ أحمدُ والحاكمُ والطبراني وابنُ أبي حاتم أنه: سُئِلَ رسولُ اللهِ ﷺ: مَنْ قرابتُك الذين أوْجَبْتَ علينا مودَّتَهُمْ؟ فقال ﷺ: عليٌّ وفاطمةُ

---

(1) الحج: ٧٧.
(1) الحج: ٧٨.

وأبناؤهما. وأخرجَ الثعلبيُّ عن جعفرِ بنِ محمدٍ، قال: نحنُ حبلُ اللهِ الذي قالَ اللهُ: ﴿واعتصموا بحبلِ اللهِ جميعاً ولا تفرَّقوا﴾، وقد رُوينا عن النبيِّ ﷺ أخباراً كثيرةً مختلفةَ الألفاظِ مُتَّفقة المعاني، منها حديث: «إني تاركٌ فيكم ما إنْ تمسَّكْتُمْ به لَنْ تضلُّوا بعدي أبداً، كتابَ اللهِ وعترتي، أهلَ بيتي، فإنَّهما لنْ يفترقا حتى يردا على الحوضِ»، فانظروا كيفَ تخلِفوني فيهما». كما أخرجَ ذلك أصحابُ الأمهاتِ عن زيد بن أرقم، رضي اللهُ عنه.

قال الشريف الجرجاني: هذا الخبرُ يُفْهَمُ منه وجودُ مَنْ يكونُ أهلاً للتمسُّكِ بهِ مِنْ أهلِ البيتِ والعترةِ الطاهرةِ، في كلِّ زمنٍ إلى قيامِ السَّاعةِ حتى يتوجَّهَ لحثِّ المذكورِ على التمسُّكِ بهِ، كما أنَّ الكتاب كذلك.

فلذلك كانوا أماناً لأَهْلِ الأرضِ، فإذا ذهَبوا ذهبَ أهلُ الأرضِ، كذلك نَقَلَهُ الحافظُ المناوي، ومِنْ ذلكَ: «أهلُ بيتي كسفينةِ نوحٍ مَنْ رَكِبَها نجا، ومن تخلَّفَ عنها غَرِقَ»، وحديثُ: «أهلُ بيتي كباب حُطة، من دَخَلَه، غُفِرَتْ له الذُّنوبُ» إلى غير ذلك من الأحاديثِ، والأخبارُ التي سارَتْ مسيرَ الشَّمْس في الأقطارِ، فأهلُ البيتِ النَّبويِّ هُمْ أُمناءُ اللهِ على إبلاغِ الحُجَّةِ، وتأويلِ الحِكْمَةِ، وهمُ الأَئمةُ أبناءُ الأئمةِ، حتى يُقاتِلَ آخرُهُمُ الدَّجَّالَ.

وقد أخرجَ أبو الحسنِ المعازلي الشافعي عَنْ عليِّ بن الحسين رضي اللهُ عنه في تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿كمِشكاةٍ فيها مصباحٌ، المصباحُ...﴾، قال: المشكاةُ: فاطمةُ، والشجرةُ المباركةُ: إبراهيمُ عليه السلام، ولا شرقية ولا غربية: لا يهودية ولا نصرانية، يكادُ زيتُها يضيءُ، ولو لم تَمْسَسْهُ نارٌ، نورٌ على نورٍ، قال: فيها إمامٌ بعدَ إمامٍ، يهدِي اللهُ لنورِهِ مَنْ يَشاءُ، قال: يهدي

لِولايتِنا مَنْ يَشاءُ، والأحاديثُ في هٰذه المعاني، قدْ بَلَغَتْ حدَّ التواتُر، ونقلَها أساطينُ المحدِّثين الأكابرِ، فلا ينكرُها إلاَّ حسودٌ مكابرٌ، وقد اعتنى بجمعِها العُلماء الأوائلُ، ولم يَرْدَعْهُمْ عنها صولةُ أهلِ الباطلِ حتى طالَ الأمدُ /، وانْطَوَتْ قلوبُ أقوامٍ على البغي والبغضاءِ والحسدِ، فأخرجوا تلكَ الأحاديثَ عن كُتُبِ التعليمِ خشيةَ أن يتيَقَّظَ لها ذو القَلْبِ السَّليمِ، فيقومَ بما افترضهُ العزيزُ العليمُ مِنْ واجب الموالاةِ والتمسُّكِ بسفينةِ النجاةِ، ولقدْ صارَتْ تلكَ الأخبارُ بعدَ ظهورِها أخفى من السُّها بعد أن كانت أجْلا من ابن جلا وأبْهى.

ومعلومٌ قطعاً أنْ ليسَ المرادُ مِنْ تلكَ الأحاديثِ الصحيحةِ الإسنادَ التي اقتضتْ فرضيةُ الاقتداءِ بأهلِ البيتِ وموالاتِهم على جميعِ العبادِ إلاَّ متابعةَ إمامِهم الداعي إلى الله، والقائمِ بما يجبُ للهِ في أيِّ قرنٍ من القرون، فهم الآمرون بالمعروف، النّاهون عن المنكَرِ، وهمُ السَّوادُ الأعظمُ والجماعةُ الناجون، وإنْ كانوا بالنسبةِ إلى العامَّةِ همُ الأقلُّونَ، فالكثرةُ غيرُ معتبرَةٍ، كما أشارَ إلى ذٰلك العلاَّمةُ ابنُ قيِّم الجوزية في كتابه «مغيث اللهفان»(1).

وإنَّا لمّا رَأيْنا ما أحْدَثَهُ المأمورون في القُطْرِ اليمنيِّ مِنَ المُنكراتِ والظُّلْمِ الـدِّنيِّ، تحتَّمَ علينـا القيامُ ولم يَسعْنـا السكـوتُ خوفاً من اندراسِ معالِمِ الإسلامِ، وأداءً لفريضةِ اللهِ التي حتَّمها على الأنامِ، أعني: وجوبَ الأمرِ بالمعـروفِ والنهيِ عن المنكـرِ، فحينئذٍ فوّقَ إلينا العدوُّ سهامَ المُحاربةِ، وجمَعَ مِنَ الأقطارِ الشاسعة جنودَهُ وكتائِبَهُ، حتى صارتْ عنده محاربةُ أولادِ النبيِّ المختـار، أهمَّ وأقدمَ من محاربةِ الكُفّارِ الذين قد عَلَتْ كلمتُهُمْ في

---

(1) اسم الكتاب «إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان»، ط القاهرة.

جميعِ الأمصـارِ، ولعلّه لم يَبْلُغْ إلى المسـامـعِ، معَ ما صَحَّ عَنْ مُعلِّمِ الشَّرائعِ، وتواتَرَ بالبُرْهانِ القاطعِ، أنّه ﷺ، قالَ لأهلِ بيتِهِ: «أنا حَرْبٌ لمن حاربكُمْ، سَلْمٌ لمن سالَمَكُمْ»، وكما أخرجَ ذٰلك أحمد والحاكم والطبراني وغيرهم من أساطين المحدِّثين.

على أنّا قدْ رَفَعْنا حقيقةَ الحالِ إلى حضرةِ السُّلْطانِ رجاءً بأنّه سيلتَفِتُ إلى تغييرِ ما وقَعَ مِنَ الأعوانِ، فلاحَ بعدَ البحثِ والفَحْصِ، بأنّه قد كَتَمَ عنهُ جميعَ ما كانَ مِنْ طريقِ المأمورين، حتّى صارَ دونَ رفْعِهِ إليه خَرطُ القتادِ، والظنُّ أنّه لو رفعَ ذٰلك إلى سَمْعِهِ لبادَرَ إلى رفْعِهِ وقَطْعِهِ، فحينَ وقعَ البغيُ علينا، والاعتداءُ من الظّالمين لم يَسَعْنَا إلّا المدافعةُ والمفارعةُ، حتى يحكمَ اللهُ بيننا وهو خيرُ الحاكمين، هٰذا وإنَّ المقصودَ أوّلاً بالذاتِ من تحريرِ هٰذه التسـويدات الأعْـلامُ لمن أُكْرِهَ على حربِنا مِنْ أهْلِ البِلادِ الشاسعةِ، ممَّنْ جَمَعَتْنا وإيّاهُمْ مِلَّةُ الإسلامِ ـ ونِعْمَتِ ـ الجامعةُ المانعةُ، بأنّه يسوؤنا سفكُ دمائكم، على أنّه لا يُنْسَبُ إلى مَن انتمى إلينا غيرُ المدافعةِ، وأنَّ معظمَ القتلِ الواقعِ في العسكرِ صادرٌ من الضبّاطِ، وذٰلك بأنّهم يقدّمون العسكرَ لحربِ المسلمين، ثمَّ مَنْ نكصَ منهمْ أو تأخَّرَ، رمَتْهُ الطوبجية بالمدافعِ، وضربَتْهُ الضبّاطُ بالسيوفِ القواطعِ، فسَقَتْهُ رعافَ الموتِ وسُمَّهُ الناقعَ، فخسِرَ أعـظَمَ الخُسْـرانِ، وانقلبَتْ روحُهُ إلى النِّيرانِ، فإيّاكُم! ثم إيّاكم! أنْ تُلْقوا بإيديكم إلى التَّهلُكـةِ، أو تَرِدوا حِياضَ المـوتِ المُهْلِكـةِ، وإن كنتم لا تستطيعون الذَّبَّ عن أنفسِكُم، فلا أقلَّ من الهرَبِ والفِرارِ، وقُوا أنفسكم النّار والعـارَ، ولا تكـونُـوا من الذين قال اللهُ تعالى فيهم: ﴿إنَّ الذيـن توفّاهم المـلائكـةُ ظالمي أنفُسِهم، قالـوا: فيمَ كنتُمْ، قالـوا: كنّـا مُسْتَضْعفينَ في

الأَرض، قالوا: أَلَمْ تَكُنْ أرضُ اللهِ واسعةً فتُهاجِروا فيها، فأولٰئك مأواهُمْ جَهَنَّمُ وساءَتْ مَصِيرا﴾(1).

فهٰذا ما أوجَبَهُ اللهُ علينا مِنَ التَّبْلِيغِ والإعلامِ لمنْ جمعَتْنا وإيَّاهُم دعوةُ الإيمانِ، وملَّةُ الإسلامِ، معذرةً إلى ربِّكُمْ، فستذكرون ما أقولُ لكم، وأفوّض أمري إلى اللهِ، إنَّ اللهَ بصيرٌ بالعبادِ، والسلامُ بتاريخه/. ٩٠ ب

وفي هٰذه المدةِ أيضاً وصل إلى الحضرةِ الشريفةِ جماعةٌ من رؤساءِ بني جُماعة(2)، من السادة والعرب، منهم: السيدُ جمالُ الدين فايع، والقاضي الأجلُّ مصلح المجري وغيرهما من رؤوس بني جماعة، فأعلنوا بالطاعةِ، وأظهروا النَّدمَ على ما سلفَ من الإضاعةِ، وطلبوا من الإمامِ ـ عليه السلامُ ـ أن يُرسلَ صحبتَهم عاملاً لإقامةِ الشَّريعةِ وقبضِ الواجبات، ورَقَمُوا عُهودَهُمْ بذٰلك، وكان مرامُ الإمامِ ـ عليه السَّلامُ ـ: لا يقعُ إرسالُ العاملِ حتَّى يقدّموا الرَّهائن احترازاً من أن يَثْقُلَ الحقُّ، فيُظْهِرَ التمرُّد كلُّ خائن، فألحّوا على الإمامِ بأنّه لا يحتاجُ إلى ذٰلك، وأنّ وجوهَهم وعهودَهُم مُغْنِيَةٌ، ووصلوا أيضاً بكتبٍ من علماءِ ضَحْيان تضمَّنَتِ الإذْعانَ، وقد كانَ الإمامُ ـ عليه السَّلام ـ كتب إليهم سابقاً، وأقام عليهم الحجَّةَ، وأنَّ فائدةَ العِلْمِ العملُ، وإرشادُ الضالّ، والدّعاءُ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ، وكانت الإجابةُ بالإذعانِ وإظهارِ التَّوبةِ إلى

---

(1) النساء: ٩٧.

(2) بنو جُمَاعة: بطن من خولان، لهم بلاد واسعة من أعمال صعدة، تعرف ببلاد بني جُمَاعة، وبنو جُمَاعة من قبائل مغرب عنس وأعمال ذمار، انظر «قبائل العرب» ٢٠١/١، «الأمير الوزير» ٦١٣، ٦١٥، «معجم المقحفي» ١٢٧.

الملكِ الـدّيّان، ثم استقـرَّ الأمـرُ بأنْ أرسـلَ الإمامُ ـ عليه السلامُ ـ صحبةَ الواصلين، السيِّدَ شرفَ الإسلامِ ، حسين بن قاسم عامر.

ودخلت سنة ١٣١٨:

وفي شهر محرم، مفتاح السنةِ المذكورةِ، انتدبَ جماعةٌ من المجاهدين الذين في السود، نحوَ عشرين، منهم: سيدي الفخري عبدُالله بن يحيى، أبو منصور، والسيدُ يحيى بن أحمد القديمي، والشيخُ أحمد مساعد، فقصدوا أعـداءَ اللهِ العجَمَ إلى حمـدة، فلمّـا وصلُوا إلى جبل لقنة المشرفِ على حمـدة، فثبَّطَهُمْ المطرُ عن الوصولِ إليها، فباتوا تلكَ الليلةَ في قريةٍ من الأنهـوم[1] الأعلى، وتـوجَّهـوا إلى الجبـلِ المذكورِ يومَ ثاني صباحاً، فلما خرجت العَجَمُ مِنْ حمدة، رماهم المجاهدون [الأكهوم][2]، وغارت العجمُ من مطرحِ دَعَّان، ووقعَ حربٌ عظيمٌ، ثمَّ إنَّ المجاهدين صاروا يتردَّدون في بني صُرَيم حولَ التُسيع، ثم قصدوا العجمَ ليلةَ الاثنين إلى دَعَّان، ثم ليلةَ الثلوث أيضاً حتى وصلوا إلى أبوابِ البيوتِ، وخرجَ العجمُ يريدونَ القبضَ على المجـاهدين، وظنوا أنهم قادرون على ذلك، فثَبَّتَ اللهُ المجاهدين، وخرجوا من الغزوة في سلامةٍ، بعد أنْ حصلت النّكايةُ العظيمةُ في العجمِ، وللهِ الحمدُ على ما منَّ به وأنعم.

---

(1) الأنهوم: قرية في عزلة البعادن من ناحية الفرع وأعمال العُدين، انظر «مجلة الإكليل» ٢/٢٦ والأصح الأكهوم.

(2) الأكهوم: عزلة من ناحية عيال يزيد وأعمال عَمْران، منها: قرية بيت الوادعي وبيت عاطف، والنهي وكُشَر، انظر «معجم المقحفي» ٤٥، «تعداد صنعاء» ٢/٤٧٤.

ثم إنَّ العَجَمَ انتقلوا إلى الخِدرة، وبعضُهم في دَعَّان[1]، وفرعوا السود، وطلبوا مِنْ أهل الخدرة ودَعَّان تحصيلَ المحتاجِ، وعيّنوا عليهم ستين ألفاً، وكان أهلُ القريتين من ذوي النِّفاق، يزعُمون لو تابعوا لحِقَ لِضَرْبِهِمْ العجمُ، فوقعوا أينما كانوا يحذرون.

وفي شهر صفر من السنة المذكورةِ، وصل المشايخُ آل كباس[2] من رجالِ سِحار معلنين بالطاعة، وبذلوا الرّهائن والدخولَ فيما دخلَ به الناسُ، والامتثالَ لأوامِرِ الشريعةِ، وترك الطاغوت وأعمالهم الفظيعة الشنيعة، وطلبوا من الإمامِ أنْ يصحبَهم مَنْ يعلِّمهُم الشرائع، فأرسلَ صحبتَهم السيدَ الصفيَّ أحمدَ بن يحيى القاسمي.

وفي يوم الربوع ثامن شهر صفر سنة ١٨، وثبَ قائم مقام[3] اللَّعين على الوالي حسين حلمي فرماه[(1)] بفردٍ في درجةِ بيت الحكومة في صنعاءَ، فدخلت الرصاصةُ مِنْ فوق الثدي، ووقفتْ تحتَ الصُّلْبِ، وسقط الوالي. وحصلَ معه

---

(1) دَعَّان: بلدة في ظاهر جبل عيال يزيد من همدان، في الشمال الغربي من مدينة عَمْران بمسافة ١٨كم،انظر، «اليمن عبر التاريخ» ٣٦٩، «الإكليل» ١٦٢/٨، «معجم المقحفي» ٢٣٥.

(2) بنو كُباس: من البيوت المعروفة في صنعاء، منهم الشيخ عبدالله بن أحمد كُباس، انظر «معجم المقحفي» ٥٣٢.

(3) هو قائمقام قعطبة أحمد البباني السليماني الشركسي، كردي من شمال الموصل، انظر، «أئمة اليمن» ٣٢٣/٢.

---

(١) في أ: «الأكهوم».

حاصـلٌ، ووثبَ بعضُ الضبطية[1] على قائم مقام فرماهُ حالاً فقتلَهُ، وحُمِلَ الوالي إلى بيتِهِ في بئر العزب، وحلَّ لأنَّ الأَجلَ قد اقتربْ، وارتجَّتْ صنعاءُ، وكان السببُ لهٰذا، أنَّ الوالي عزلَ قائم مقام من العَدَين وحَبَسَهُ، وقد اتُّهِمَ جماعةٌ من المأمورين بالموالاةِ على ذٰلك الصنيع.

وفي يومِ السبتِ تاسعَ عشرَ صفر، أُخذت قائمةُ مدفعٍ من العَرْضي[(١)] ومؤنةٌ من الدّباية، ولم يُعْلَم من اختَلَسَ ذٰلك، واتَّهموا / في ذٰلك جماعةً من البوش، فقبضوا عليهم وأدخلوهم تحتَ الحفظِ إلى استانبولَ، من جملتِهِمْ علي مثنى الحسيني الياور المذكور سابقاً.

هٰذا وإنَّ هٰذه الحوادثَ التي ألمَّتْ بهٰذا الوالي الخبيث فيها منْ حُسْنِ صنعِ اللهِ ما لا يخفى؛ فإنَّه خرجَ مفوَّضاً في اليمن، وصار تارةً يهمُّ لمخاطبة الناس بالنِّظام، وتارةً يزعُمُ أنَّه لا بدَّ يجعلُ على كلِّ بيتٍ شيئاً معلوماً، وعلى كلِّ حانوتٍ كذٰلك، وعلى الأراضي، وتارةً يخاطبُ الناسَ أن يُدْخلوا أولادَهم الرشدية، فلم يتمَّ له المرامُ، إلَّا أنَّ كثيراً من أهلِ صنعاءَ أدخلوا أولادَهم المكاتبَ: مكتب الرشدية للأطفال، ومكتب المعارفِ، ومكتب الإعدادية، ومكتب الصنايع، ومكتب العربية، كلُّ هٰذه المكاتبِ فيها كثيرٌ من أهل صنعاءَ، وعلى الجملةِ قدْ أفسدوا أهلَ صنعاءَ حتى لم يبقَ منهم مَنْ لم يُخالطِ الدولةَ إلَّا مثل الشامة بجلد الثورِ الأَسود.

---

(1) العرضي: جنوبي سور صنعاء، حيث كانت تقيم قوات عبدالله باشا الشركسي، انظر «أئمة اليمن» ٢/٣٢٣.

---

(١) في ع: فرده.

وفي هٰذه المـدة، وصلتِ الأخبـارُ أنَّ حلمي شُفِيَ من الكونِ بعدَ أنْ أشرفَ على الموتِ، وأظهرَ أهلُ صنعاءَ الفرحَ والسرورَ، وطلَعَ بيتَ الحكومةِ، وكانَ هو الذي عمَّره عمارةً متقنةً، وكانَ مِنَ الاتفاقِ أنَّه لم يدخلْهُ بعدَ كمالهِ إلَّا يومَ رُمي.

وفي هٰذه المدة أيضاً، ماتَ حاكمُ صنعاءَ من جهةِ العجمِ فُجاَةً، واتُّهِمَ بأنَّه مسمومٌ، وعندَ الله يجتمعُ الخصومُ.

وفي يوم الأحد ٢٥ شهر ربيع أول سنةَ ١٨ رأى الناسُ شيئاً نزلَ من السماءِ مثلَ عنقِ الجملِ من فوقِ شُهارةَ حتى وقعَ في البُطَنةِ، وصارَ كلَّما وقعَ عليه من الزَّرعِ والسِّدْرِ اقتلعهُ حتَّى استفَّ الترابَ من الأرضِ، ثم ذهب ذلك إلى جهةِ المشرقِ.

وفي هٰذه المـدة تواتـرت الأمطارُ التي لم يُعْهَدْ مثلُها في بلادِ القبلةِ، وكَثُرَتِ السُّيولُ ونزل سيلُ عَمْرَان، فاجتحفَ[1] قريةَ اليهودِ بأهلِها وما فيها، وكادَ أن يدخلَ مدينةَ عَمْرَانَ، حتَّى أيقنَ أهلُها بالهلاكِ.

وقعةُ بلاد السُّود:

وفي ٢٢ شهر جماد آخر سنة ١٨، كانت وقعةُ بلاد السُود، وصِفَتُها: أنَّ العجَمَ أعْملوا الحيلةَ وانتهزوا الفُرْصةَ بمرضِ النَّاسِ وحصول الثمر، فخرج رجب أفندي من صنعاءَ وصحبتَه طابوران، وأظهرَ أنَّه قاصدٌ لحجةَ، وخرج

(١) في ع: فاجتف.

طابوران من طريقِ عيال يزيد وسَرَوْا ليلاً من قارن[1]، فما طلعَ الفجرُ يومَ الثلاثاءِ ٢٢ جماد آخر إلّا وهُمْ محيطون بالمقدَّمي السيد الفخري عبدالله بن يحيى أبو منصر، وهو في بيتِ الوالي، فنصبوا المدافع ورمَوْا بها إليهِ، ولم يكنْ غيرُ عشرين نفراً لديه، فثبَّتهم اللهُ وأنزلَ السَّكينةَ عليهم، وقاتَلُوا قِتالاً شديداً لم يُعْهَدْ مثلُه، ثم انهزمت العجمُ واستدابَ الحربُ بالمدافعِ والبنادقِ مِنْ دونِ هجومٍ إلى نصفِ الليل، واستغارت مع المجاهدين.

وفي يوم الاثنين هجمَ العجمُ إلى بيت السريحي على مَنْ فيهِ من المجاهدين من كلِّ جهةٍ، واستدامَ الحربُ إلى بعدِ العشاءِ، ثم إنَّ المقدَّمي السيدَ الفخري خرجَ ليلاً منْ بيت الوالي إلى محلٍّ يسمى عُمَيْر فلحقتْهُمُ العجمُ وتلاحَمَ القتالُ طولَ يومِ الربوعِ، ووقعَ في أعداءِ اللهِ مقتلةٌ عظيمةٌ. ثمَّ انتقلَ المجاهدون إلى بيتٍ عتيق، وتبعُهُم العجمُ، واستمرَّ الحربُ يومَ الخميسِ ثم يوم الجمعةِ، ثم يوم السبتِ والغاراتُ متواتِرةٌ، ولوائحُ النصرِ والثبات ظاهرةٌ، وكانتْ جملةُ المقاتيلِ من العجمِ مئةَ قتيلٍ والمكاوين كثيرٌ.

ثمَّ إنَّ المجاهدين صارُوا يغزُون أعداءَ الله كلَّ ليلةٍ.

وقعةُ بيت السريحي:

وصفتها: أنَّ العجمَ أرادوا رفعَ المطرحِ مِنْ بيت السريحي ومغراب شَلِفْ[2]، وبيوت العقاري وقرن عفيف، وكانَ المقدَّمي السيدُ الفخريُّ قد

(1) قارن: قرية في البون الأعلى، تتبع إدارياً ناحية جبال عيال يزيد بالشمال الغربي من عَمْران، انظر «البدر الطالع» ٢/٣١٩، «نيل الوطر» ٢/٣٧٣.

(2) شَلِفِ: غُزلة من العُدين وأعمال إب، انظر «طبقات صلحاء اليمن» ٢١١، «مصادر الفكر الإسلامي» ٣٧٦، «معجم المقحفي» ٣٦٠.

أرسل الرسائس(1) ينظرون متى عزمُهم ليلحقَهم المجاهدون، فلما كانَ ليلةَ الثلوثِ ٢٤ شهر رمضان ارتحلوا وتبعهم المجاهدون من قصبةِ الطوفِ. حتى دخلوا قريةَ الخِدرةِ، وقطعوا منهم ثمانيةَ رؤوس، وأسَرُوا / نفريْن، أحدُهُما ملازمٌ، وغنِموا من عفشتِهِمْ ومؤونتِهِمْ، ووقعَ بذلك الإشعارُ، وبالبشارةِ أُشعِلَتِ النارُ.

وفي هذه المدة وصلَ رسول الأمير (١علي بن محمد بن عائض١) العَسيري إلى الإمامِ -عليه السلامُ- رجلٌ يسمى الحاج حسن العَسيري، فكان صورةُ ما كتبَه الإمامُ -عليه السلام- إلى الأميرِ علي بن محمد ما لفظه:

بعد البسملة:

تاجَ ذوي المعـالي ويعسوبَها، وبغيةَ الرائدين ومطلوبَها، منْ كَشَفَتْ له العنـايةُ ستـورَها، وقابَلَتْه مطالعُ السَّعْدِ بنورِها، وأينعتْ له ثمارُ المحاسنِ، وتعطَّرَتْ بِنَشْرِ رائحتِهِ المجالسُ والمساكن؛ الأميرَبن الأميرِبنِ الأميرِ عليّ بن محمد بن عائض، أفاضَ اللهُ عليه أمْزانَ الرِّعاية العامرةِ، وخصَّهُ مِن الخيراتِ بالسِّهامِ القامرةِ، وجعلَهُ للمجاهدين حِرْزاً مكيناً، وحِصناً حَصِيناً، والسلامُ عليه ورحمـةُ اللهِ وبـركاتُه، وصلَّى اللهُ وسلَّم على محمدٍ الذي انتشر دينهُ القويمُ، ومشى على الصِّراطِ المستقيمِ، وعلى آلهِ، وعترتِه الذين صُرِفَتْ بهم المحنُ، وثُبِّتَتْ أقدامُهم عندَ موجَان الفتن. وبعد،

فلمـا ركِبْتَ أيهـا الـرئيسُ جوادَ العـزِّ المبين، ولبِسْتَ قميصَ المجـدِ

---

(1) الرسائس: العيون والجواسيس.

(١ ١) سقطت من ع.

الـرّصين، وجـانَبْتَ مركـز الباطل المَهين، أدْرَكْتَ درجةً، وقد تفاوتَتْ فيها الـرُّتَبُ، وتحـاكَتْ في إدراكِها الركبُ، فأصبحتَ مخيِّماً في قلبِ اليقين، وقوَّضْتَ خيامَك عنْ أوهاد الأسفلين: [الوافـر]

فأنـتَ الـيومَ لم تُعْـرَفْ بِعَـيْبٍ ولا دَنَّـسْـتَ ثوبَـكَ حينَ نشـأتـا
ولا سابَـقْـتَ في مَيْدانِ زُورٍ ولا أهْـلَ الـغِـوايةِ قدْ صحِـبْتـا

لذلـك صِرْتَ عيناً ناظرةً، وذاتاً فاخرةً، وأنّه قد بلغَنَا تشميرُك للسّاقِ، والعـزمُ للجهـادِ الشـاقِ: ﴿كُتِبَ عليكم القِتـالُ وهو كُرْهٌ لكم﴾(1)، متعمِّمٌ بالسَّحابِ ومتمنطقٌ بآلةِ الطَّعْنِ والضِّرابِ، وقد ذَلَّلْنا لكمُ العِدا، وجرَّعناهُمْ كؤوسَ الرَّدى، وحَفَرْنا في عَرَصةِ العزِّ ما يُبنى عليه أساسُ ما وَعَدَنا اللهُ بقوله: ﴿وَعَـدَ اللهُ الـذين آمنـوا وعَمِلوا الصَّالحاتِ ليستخلفَنَّهُمْ في الأَرض، كما استخلف الذين مِنْ قبلِهم، وليمكِّنَنَّ لهم دينَهم الذي ارتضى لهم، وليبدِّلَنَّهم من بعدِ خوفِهِمْ أمناً، يَعْبُدونَني لا يُشْرِكون بي شيئاً﴾(2).

وقد عَلِمْتَ أنّهم خرجوا علَيْنا في العامِ الماضي بسبعينَ ألفاً كالجرادِ المنتشـرِ، فغُلِبـوا هنـالِـك، وانقلَبُوا صاغرين بعدَ تقليلِ أعدادِهم، وذهابِ أمدادِهم، وحيثُ وقدْ ألهمكَ اللهُ بالغارةِ على الدين والدنيا، فأبْشِرْ بالبُلوغِ إلى الغـايةِ القُصـوى: ﴿إنْ تنصـرُوا اللهَ يَنْصُـرْكُم ويُثَبِّت أقدامَكُم﴾، ومعَ مكـانتِـك في سرحِ المحاربةِ لا يُخْشى إلّا منَ المخادعةِ والمجاذبة، فقدْ عَرَفْتَ عمَّك الطريدَ المسمى غيرَ سعيد، وعَرَفتَ دُليم الذي هو أغشمُ من غُشيم.

---

(1) البقرة: ٢١٦. (2) النور: ٥٥.

ونحنُ نثقُ بعد الله في جهودِكم، فقطّعوا قلوبَهم بِقَطْعِ المسالكِ حتى يكونوا ما بينَ مأخوذٍ وهالك(1)،

اسـمـعـاني تَحَمْحُمَ الصّـافنـاتِ وارتجـازَ الكلمـاتِ فوقَ الكلمـاتِ
أسمعـاني الـولـوالَ تحتَ العَجـاجِ وضـجـيجَ الـنّـسـاءِ على الأزواجِ

أسمَعَنا اللهُ عنكم خيراً، ورفَع عن المجاهدين بُؤساً وضَيْراً والسَّلام.

وهٰذا مع الأبياتِ معروضٌ على الأماجد الكُماةِ، وعلى مَنْ صَدَقَ وأنابَ إبراهيم بن عبدالوهاب، وهٰذه الأبيات(2): [الوافـر]

إذا صَدَقَ الـمُـخَـبِّـرُ عن عليٍّ نصيرِ الـدين فابْـشِـرْ بالـنَّـجـاحِ
فإنْ عسـيرَ ترْمِـقْـهُ بخَـيْرٍ لِكَشْـفِ لِثـامِ مُبَيَضِّ الـصَّـبـاحِ
فقـد طَمَسَ الأعـاجـمُ دينَ طهٰ بجُـنْـحِ ظلامٍ مُسْـوَدِّ الـفـتـاحِ
وقـدْ أخـذُوا نِسـاءً مُحْـصَـنـاتٍ فأينَ رجـالُـهُـنَّ أولـوا الـكِـفـاحِ
وقـد أخـذوا الـرِّجـالَ وعنـدَ سوءٍ وأربـابُ الـحـمـيَّةِ في نياحِ
فمَـنْ يلد الـذكـورَ فهـمْ نظامٌ ومَـنْ يلدِ الإنـاثَ فلِلسِّـفـاحِ /
ومـن يكـسـبْ من الأمـوالِ شيئـاً فلِلْخَـمَّـارِ يعْـلَمُ كلُّ صاحِ
فشـمِّـر ساقَ عَزْمِـكَ ثمَّ أَذِّنْ بقَـحـطانَ وألـمِـعْ بالـفَـلاحِ(1)
وكـرِّرْ في الـنِّـداءِ على عَسـيرٍ أُولي الـرَّاياتِ في روسِ الـرِّمـاحِ
وأنّـا نُشْـغِـلُ الأعـداءَ عنـكـم ونَـعْضِـدُكُمْ بمصقـولِ الصِّفـاحِ

(1) في «أئمة اليمن» ٢/٣٢٧ وردت بعض الأبيات.
(2) وردت الأبيات في «أئمة اليمن» ٢/٣٢٧.

(١) خلل ونقص تقرأ: «بقحطانَ بحي على الفلاح».

ونُحيي دِينَ خالِقِنا جميعاً ونصرُ اللهِ يأتي كالرِّياحِ[1]

وقعاتُ حطب والشرفة وجبل قعب من بلاد لاعة، وصفةُ ذلك:

أنَّ أهلَ بلادِ لاعةَ، كتبوا إلى حضرةِ الإمامِ - عليه السلامُ - يطلبونَ منه المددَ، وأنَّهم قد عَزَموا على الخروجِ عن طاعةِ العجمِ، وبَذَلوا نفوسَهم ونفيسَهم، وأرسلوا الرّهائنَ إلى الإمامِ تصديقاً لذلك المرامِ، فأجابَ عليهم الإمامُ بالمساعدةِ، ولكنْ أَمَرَهُمْ أنْ لا يُظْهِرُوا شيئاً حتى يقعَ تدبيرُ الحربِ بأمورٍ محمودةِ العواقبِ، فوقعَ العجَلُ من بعضِ أهلِ البلادِ، وكان هنالك نحوُ ثمانين من العجَمِ، فبادروهم بالحربِ، فانحازوا إلى الرقايقِ وآواهمُ الحاج عليّ صالح شرف الدين، وفتحَ لهم الحصنَ. وبعدُ، أخرجَهُمْ إلى سوقِ العريفِ بصلحٍ، ومن سوق العريفِ إلى بني العوّام، وحاصروهُم هناك.

فلمّا بلغَ العجمَ ما ألمَّ مِنْ جميعِ المراتبِ[2]، وكان المجاهدون قد قبضُوا حصنَ عولي والشرفة وحقيل وقعب والحطب، ورتَّبوا تلكَ الجبالَ بالأبطالِ من الرّجالِ.

وفي يوم السبتِ، سابع شهر رمضان سنة ١٨، بعدَ أن تجمَّعَ العجمُ إلى حجةَ، تقدَّموا على مَنْ في الشُّرفةِ وقعب، فكسرهم المجاهدون، ثم هجَمُوا مرةً أُخرى، ودامَ الحربُ إلى اللَّيلِ، وخرجَ المجاهدون، وانتقلوا إلى عولي.

---

(١) في م: النجاح.

(٢) الجملة فيها اضطراب إذ أغفل المؤلف جواب الشرط، وهو مُضَمَّن في الجملة التالية بالمعنى «وفي يوم السبت».

وفي يومِ تاسعِ رمضانَ، وقعَ الحربُ في الحنكةِ(1)، وبيت غزوان والريدي.

وكـان فيهـا جماعةٌ من المجاهدين، ودامَ الحربُ إلى الليلِ، ونفذت المؤونةُ على المجاهدين، فخرجوا ليلاً، وقدْ حصلت النّكايةُ في أعداءِ اللهِ، فكانَ جملةُ المقاتيلِ مئتين وستين قتيلاً من العجَمِ، ومنَ العربِ ثلاثةَ عشرَ قتيلاً قُطِعَتْ رؤوسهُم، ومما ينبغي الاحترازُ عنه في حربِ العجمِ، وغيرِهِم، أنَّ العجَمَ في هٰذه الـوقعـاتِ أظهروا الهزيمةَ خديعةً، ليُخرجوا العربَ من متارِسِهِمْ، فلمَّا لحقوهُم وتركوا متارِسَهُمْ ومَنْ يحمي ظهورَهم، عطفَتْ عليهم العجمُ، وأخرجوهم من حول الحطبِ، ثمَّ وقع القدومُ على الشرفةِ وقعب، وقد خلا لهم الجوُّ.

وقعة الخربة:

ثم بعدما وقعَ من الحربِ في قعب والشرفة، استقرَّ العَجَمُ نحوَ نصفِ شهرٍ، ثم تقدَّموا على الخربةِ، وكانَ هنالك قايد غزوان وجماعةٌ، فهجمتْ عليهم العجمُ بالمـدافـعِ والـرجـالِ، وحصـلَ في التـرك قتولٌ كثير، ومن المجاهدين الشيخ غالب صليح، ثم خرج المجاهدون منها.

---

(1) الحنكة: بلد في الشمال من رداع، والحنكة أيضاً، بلد وجبل في بلاد القُطَيب من ردفان الأجعود، انظر «صفة جزيرة العرب» ١٧٣، «معجم المقحفي» ١٩٦.

وقعةُ الشامخ، وصفتها:

أنَّ حصنَ الشامخ للنقباء آل النُفيس[1] من خارف، ثم من بني جَبْر، فتوجَّه لترتيبهِ النقيبُ أحمدُ بن يحيى بن فارع والشيخ سرحان المحجاني والشيخُ صالح بن يحيى الأخرم، وجماعةٌ من أصحابهم، وكانوا رتَّبوا جبل الرخم بجماعةٍ من بني صُريم، فخرجوا منه بغيرِ حربٍ، ورتَّبهُ العجمُ.

ثم كانت وقعةُ بني شاور[2]، وكان فيه رتبةٌ من المجاهدين، فهجمَ عليهم العجمُ، وخرجوا منه بعدَ أنْ وقعَ حربُ يومٍ وليلةٍ، فلما صارَ جبلُ الرخم وبني شاور بيد العجم، سقط في يدِ المجاهدين الذين في الشامخ؛ لأنَّ ذينك الموضعين آنية الشامخ.

ثمَّ إنَّ العجَمَ عمَّروا مَتْرَساً في بني شاور يسَعُ سبعَ مئةٍ، وجعلوا متارسَ للمدافعِ، ثم رَمَوْا الشامخَ بالمدافعِ ثلاثةَ أيامٍ، حتَّى هدموا البيوتَ فوقَ الماءِ / وعرَفَ النقيبُ أحمد بنُ يحيى إلى رتبة عولي بالغارةِ. فتراخَوْا عن ذلك وهجمَ العجمُ على المجاهدين، وكانَ القتلُ في ذلك الهجومِ من العجَمِ نحوَ ثلاثين قتيلاً، ثم إنَّ النقيب أحمد بن يحيى ومَنْ ذكرنا، رأَوْا أنْ

---

(1) البطن الثالث من خارف، بنو جَبْر من أعمال ذي بين وهم خُمَيس الغُزى وخُميس النُفَيْس وخُميس الغُولة وخُمَيْس الشِطبة وخُميْس ذي بين، وفيها مركز الناحية لبني جُبَر ومن إليهم من مرهبة وشاطب من بلاد بكيل، ومن بلدان بني جُبَر، ذَرْوَة ثم ورور، في رأس جبل ورور حصن صفار داود، انظر «الإكليل» ٢/٨٥، «اليمن الكبرى» ١٦٧، «معالم الآثار» ٦٤، «اللباب» ١/٤١٠.

(2) شاور: من بلاد حجة، انظر «صفة جزيرة العرب» ٢/٨٥.

لا بقاءَ لهم في الشامخ؛ لقلَّةِ الماءِ. ومِنْ أعْجبِ ما يُذكرُ، أنَّ العجَمَ هجموا على المجاهـدينَ في بني شاور من جهة الغربِ ومن جهة الشرقِ، وقدرُ الجميعِ خمسون مئة، وذلك وقت المغربِ حالَ خروج المجاهدين، فهجمَ العجمُ الـذين مِنْ جهـةِ الشـرقِ على الذين في جهةِ الغربِ، وظنّوا أنهم المجاهدون، فاكتسَرَ العجمُ الذين كانوا من جهة الشرقِ بعدَ قتلِ كثيرٍ من أصحـابِهم، ثمَّ ردَّ الذين في الشرق هجوماً على الذين في الغربِ، وطالَ بينهم الحـربُ إلى ساعـةٍ بعدَ العشاءِ، وقد خرج المجاهدون. فهٰذه صفةُ الـوقعاتِ التي كانت في بلادِ لاعةَ في هٰذا التاريخِ، وسمِعْتُ الإمام-عليه السلامُ- يتبرَّمُ من ذلك الصنيع، وأنَّه لم يقعْ على وفْقِ التَّدبير الذي ينبغي.

وفي هٰذه المـدة صلُحَتْ أحـوالُ بلاد جبل رازح، بعدَ أنْ كانَ حصلَ الخلافُ مِنْ بعضِهِمْ وحصلَ الشِّقاقُ ونجمَ نجمُ النِّفاقِ، وكانَ النَّاظرُ هنالك السيد صفيُّ الإسلامِ أحمد بن قاسم حجر، فلمّا عظُمَ الشرُّ أرسلَ الإمامُ عليه السلامُ سيفَ الإسـلامِ محمد بن الإمامِ الهادي وصحبتَه عسكرٌ كافٍ مِنْ رجالِ سفيانَ وسحار، فلمَّا وصلَ هنالك، وقعَ بيْنَهُ وبينَ المُخالفين حربٌ، ثمَّ ما زالَ يُعَمِّـرُ الحصـونَ، ويرتِّبُ المـواضِـعَ التي تُؤخَذُ من أهلِ البلادِ بالمخْنَقِ، فلمَّا رأَوْا أنَّه لا طاقةَ لهم، أذْعَنُوا وطرحوا الرَّهائنَ الكثيرةَ، وحكَّموا الشَّريعةَ في جميعِ ما كانَ، وحضرَ والي المقامِ الشريفِ بعدَ حضورِهِمْ هُمْ ووكيلِ بيتِ المالِ وديّاتِ القتول التي تعدَّوْا بقتلِها، وأهْدَرَ قتولَهم والمقاتيلَ السابقةَ من الفريقين، وكان جملةُ ذلك نحوَ عشرين ألفاً تنجَّمَتْ ثلاثَ سنين، وثبتَ الأمرُ، وظهرَ دينُ اللهِ على الخاصِّ والعامِّ، ومضت الأحكامُ الشرعيَّةُ في كلِّ قضيةٍ ولله الحمدُ. وكلُّ ذلك من آثارِ بركةِ الإمامِ عليه السلام.

ذكرُ عَوْدِ الجهادِ في البلادِ الآنسية

على يدِ نصيرِ الدين الشيخ علي المقداد راجح

وذلك في شهر رمضانَ سنة ١٣١٨ : قدْ ذكَرْنا فيما سبقَ شأنَ الصُّلْحِ الواقعِ بينَ الشيخ علي المقداد والعجم، ومع ذلك فإنَّ الشيخَ علي لم يأْمَنْ غَدْرَ العَجَمِ ، ولم يُمْكِنْهُ مواجهتُهُمْ، بل كانَ الذي تمَّ الصلحَ السابقَ الشيخُ عزيزُ بن عبدالله، ثم لمَّا فارقَ الشيخُ عزيز، ووصلَ المقامَ طالباً للجهادِ هو ووالدُه، وبقيا هنالك مدّةً، جعلَ لهمُ الإمامُ أمْراً بالجهادِ وعَزَما، وقد حرَّرا النِّيَّةَ. فلمَّا وصلا البلادَ كاتبوا الرَّعِيَّةَ، وصاروا يتربَّصُون الفُرْصَةَ من العَجَمِ.

ثمَّ إنَّ الشيخَ فخرَ الإسلامِ عبدَالله بن عبدالواسع راجح كتبَ إلى الإمامِ يجعلُ له أمراً في الجهادِ ومضايقةِ أعداءِ اللهِ في الأغوار والأنجاد، وما زالَ يتبرَّمُ كثيراً من أهْلِ البلادِ من سكونِ الجهادِ، فأجابَ الإمامُ عليه السلام على الشيخ الفخريّ بتحصيل ما طلبَ من المونةِ، وأرسَلَ له عصابةً مِنْ رجالِ أرحب رئيسهُم النقيبُ سنانُ بنُ حسين بن سنان والشيخ محمد بن أحمد القرماني، فلمَّا وصلوا إلى الشيخ الفخري، إلى بيته المسمى المَجْرى، حينئذ كتبَ إلى الشيخ الجمالي علي المقداد بأنَّه قد وصلتْ إلينا من الحضرةِ الشريفةِ عصابةٌ نافعةٌ من أهلِ الجهادِ، فإنْ رجَعْتَ إلى مناصرةِ الحقِّ واجتماعِ الكلمةِ هي المراد، وأنت المقدَّمُ كما كنتَ في الإصدارِ والإيرادِ، وإلاَّ فإنَّا لا نتركُ السَّعْيَ في مرضاةِ ربِّ العبادِ، وإنْ أدّى ذلكَ إلى هلاكِ النّفوسِ والأموالِ والأولادِ، فأجابَهُ الشيخُ الجمالي، يطلبُ الاتفاقَ إلى مدينةِ العبيد، وفي الوعدِ لمْ يصلْ الشيخ الفخريُّ للاتفاقِ لحصولِ ما عاقَ،

فلما وصلَ الشيخُ الجماليُّ إلى المدينةَ أمرَ الدوشان(1) بالإعلان: بأنَّ الشيخ علي يقول ويُعلنُ إلى الخاصِّ والعامِّ، أنَّه فاتحُ الجهادَ، وراجعٌ إلى مرضاةِ ربِّ العبادِ. وأنَّ مَنْ لم يُجاهِدْ من أهلِ السّلاحِ في البلادِ، فهو هدْرٌ، فبدر إليه الناسُ من كلِّ مكانٍ لمَّا سمِعوا ذلك الإعلانَ. وراجعَهُ بعضُ مَنْ يحبُّ الراحةَ والدَّعَة، فأبى إلّا معاودةَ الجهادِ، ولزومَ طريقته المرتفعة، وعزَمَ الشيخُ الجماليُّ بمن انضم إليه من أهلِ الجهادِ إلى الشيخ الفخريِّ إلى بيته قرب المجرى، وبعدُ، اجتمعَ الرأيُ، واتفقَ المرادُ على نشرِ رايةِ الجهادِ، فلمَّ ابلغَ أعداءَ اللهِ العَجَمَ ما اجتمعَ عليه أمرُ أولي الكَرَمِ، أيقَنوا بأنَّه قد انفتحَ لهمْ بابُ الشرِّ الأعْظَمِ، فكتبوا إلى الشيخ الجماليِّ بالمراجعةِ، فأجاب عليهم: إنكمْ أنتم الذين نقضتُمْ الصُّلْحَ، ونهبتُمْ الجُبَر، وجرىٰ منكم ما يؤذِنُ بقصدِ الشرِّ.

فلمَّا علموا أنَّه غيرُ راجعٍ، اجتمعوا وبادَروا المجاهدينَ بالحربِ، وقدِموا من الجمعةِ إلى ظهر رشيدة(2)(١) وكان خراباً، واستمرَّ فيه الحربُ من الصُّبحِ إلى بعدِ العشاءِ، وخرجَ منه المجاهدون، وانتقلوا إلى قرية نجدر، وإلى قرية

---

(1) الدوشان: المداح، المنادي والمعلن بما يقرره الرؤساء، انظر «رياض الرياحين» ٢٢٨.

(2) جبل رَشِيدة: في بلاد آنس، وآل رشيدة من قبائل همدان في الجوف، انظر «هذه هي اليمن» ٥/٧٦، «معجم المقحفي» ٢٦٨.

---

(١) في ع: ضهر رشده.

مقعـدة وكيه[1] ونجـدر. وكان الحربُ في مقعدةَ ونجدر يوماً وليلةً، وكانت الهزيمةُ في العَجَمِ، ووقعَ في العجمِ قتولٌ كثيرةٌ.

ثمَّ خرج المجاهـدون من هنالك ليلاً إلى قرية نجدر. ووصلَ الشيخُ الحسامُ محسن المقداد مدداً من الشيخ الجمالي، وكان باقياً في المجرى. وبعد وصول الشيخ الحسام نجدرَ، حرَّضَ المجاهدين على الحربِ، ورتَّب لهم المراتبَ في العقربي والقصبة. ثمَّ إنَّ العجمَ تقدَّموا على الرتبةِ الذين في القصبة فأصدقَهُمُ المجاهدون، وثبتوا، فانهزم العجمُ. وبعدُ، تقدَّموا على الرتبةِ التي في العقربي ورموا المجاهدين بالمدافعِ والبنادقِ، وبعدَ هجومِهم عليهم ضحوةَ النَّهارِ لم يَقدِروا عليهم، فانهزموا ووقعَ كثيرٌ من المقاتيلِ، من جملتهم أربعـةٌ من ضبَّاطِهِمْ وسبعةٌ مكاوين، وقُتِلَ من العسكرِ كثيرٌ، وغَنِمَ المجاهدون من أسلحتهم وذهباً. وبعد ذلك توقفت العجمُ عن الحربِ نحوَ ثمانيةِ أيامٍ، لمَّا علموا عجزَهُمْ عن بلوغِ المَرام، وكتبوا إلى صَنْعاءَ وإلى صنعاءَ، فوصلَ زكريا باشا وصحبتَه طابورٌ ومدفعٌ، وتقدَّم يوم ثاني وصولِه على القصبـة، وكـان أكثرُ الـرُّتبةِ قوماً قدِموا في سوقِ مدينةِ العبيدِ لدى الشيخ الجمالي، فهجمت العجمُ على القصبةِ، والرتبةُ فيها قليلٌ، وأتخذوها وقتَ الظُّهرِ بعدَ أنْ وقعَ منهم خمسةَ عشرَ قتيلاً.

وقعة نجدر:

وصفةُ ذلك: أنَّ العجمَ بعدَ أنْ أخذو القصبةَ، طمِعُوا في نجدر فهجموا

---

(1) وكية: عزلـة من ناحية المغربة، قضاء حجة، انظر «تعداد حجة» ١٤٨، «معجم المقحفي» ٧٥٢.

عليه وفيها الشيخُ الحسامُ، وجماعةٌ من المجاهدين الكرام، واستمرَّ الحربُ طوالَ ذلك اليومِ إلى نصفِ الليلِ، وأحاطَ العجمُ لكثرتِهِمْ بقريبِ نجدر من كلِّ جانبٍ، فخرجَ المجاهدونَ منها فجراً لمّا علموا أنه لا سبيلَ إلى البقاءِ، وذلك بعدَ أنْ وقعت النكايةُ في أعداءِ اللهِ بالقتولِ الكثيرةِ، ثم اجتمع المجاهدونَ إلى قريب المجرى بيت الشيخ الفخري.

وقعة المجرى:

وصفتُها: أنّه لمّا كان إلى يوم الخميسِ سادس وعشرين شهر رمضان، سنة ١٣١٨، تقدَّم العجمُ بفخرِهم وخُيلائِهِمْ ومدافِعِهِمْ على المجرى ووقع الحربُ الخميسَ وليلةَ الجمعة. وفي يومِ الجمعةِ همَّ أعداءُ اللهِ على المجاهدين، وبقيَ الحربُ إلى ثُلُثِ ليلةِ السبتِ، ووقعتْ في أعداءِ اللهِ مقتلةٌ عظيمةٌ نحو مئةٍ، والمجاريحُ كثيرةٌ نقلوهُمْ ثلاثةَ أيامٍ إلى الجمعةِ، وخرج المجاهدون نصفَ اللّيْلِ من المجرى إلى مدينة العبيد[1]، وأقاموا هنالك طولَ النهارِ. وفي اليوم الثاني عزَمُوا بابَ (   )[1]، فظنَّ العجمُ أنَّ المجاهدين قاصدون الجمعةَ فرجعوا إلى الجمعةِ ورجع الشيخُ الجماليُّ ومَنْ مَعَهُ إلى بئر قراعة في الحميضة، وأقاموا هنالك يومين به، وبعد ذلك عزمَ

---

(1) مدينة العبيد: قرية في آنس بين حمام علي ومدينة عُبال في الطريق إلى الحَديدة، وهي المعروفة اليوم باسم مدينة الشَرْق، انظر «فرجة الهموم» ١٠٠، «نشر الثناء الحسن» ١٠٠، «معجم المقحفي» ٤٢٦.

---

(١) بياض في كل النسخ.

الشيخُ الجمَـاليُّ بمن مَعَـهُ إلى عُتُمـة، قاصـداً للمِقْـرانة(1) لما ظهرَ منهم المخالفةُ والخيانةُ وعدمُ الامتثالِ والبغضُ للآلِ، فغزاهم ليلةَ الخميسِ ثالثَ عيدِ الفطرِ. فلمَّا وصلوا إلى قفر أدران(2) طلعَ عليهم الفجرُ، فأقاموا هنالِكَ كامنينَ طولَ يومِ الخميسِ إلى اللَّيلِ، وعَـزَمـوا المقـرانةَ، فأخذوها وقتَ السَّحَرِ، ونَهبوا جميعَ ما فيها، وأسرُوا الرِّجالَ، جمع مَنْ معَ شيخِهم صالح بن صالح المقراني، وبعدَ ذٰلك قتلوا الشيخَ المذكور هو وابنَه صبراً، ومن أصحابه ثلاثـةً وعشـرين رجلاً، وقُتِلَ من المجاهدين النقيبُ سنانُ بن حسين سنان وأحمد زاهر الأَرْحَبي وجماعةٌ، وغَنِموا من تلكَ القريةِ بما يُقوَّمُ بثلاثين ألفاً، فلما بلَغَ العجَمَ خبرُ هٰذه الوقعةِ شدُّوا أثقالَهُم، وقصدوا المِقرانةَ. فلمَّا بلغَ الخبرُ إلى المجاهدين أحرقوا القريةَ ورجعوا قاصدين ظهر أُلهان(3)، فلمَّا وصل العجمُ إلى المقرانة ورأوا المجاهدين قد انتقلوا، أُسفوا لعدمِ الفائدةِ من تلك الرحلةِ، معَ ما يلحقُهُمْ من مونة النقلةِ. ثم إنَّ المجاهدين لمَّا وصَلُوا ظهرَ أُلهـان قبضـوا قرية ألاحصم وعزجر وبيت العنسي، فرجعَ العجمُ قاصدين

---

(1) المِقرانة: من أعمال رداع، بالجنوب منها على مسافة ٦٢كم، على مقربة من ذَمَت شرقـاً، انظر «معجم البلدان» ١٧٤/٥، «مراصد الاطلاع» ١٢٩٨/٣، «اليمن عبر التاريخ» ٢٣٩، «اليمن الكبرى» ٤٦، «صفة جزيرة العرب» ٢٠٠، «الإكليل» ٣٥/٨.

(2) قفرادران: قرية في الضواحي الشمالية الشرقية لمدينة حجة، انظر «الإكليل» ٨٣/٢، «نيل الوطر» ٣٥٣/١، «قرة العيون» ٣٧٨.

(3) أُلهان: جبل في آنس، نسب إلى قبيلة الهان من ولد الهان بن مالك، انظر «الإكليل» ٣٨/٨، «معجم المقحفي» ٤٦.

للمجاهدين إلى تلك المحلاّتِ، وقد أصابَتْهُم في طريقهم المشقّاتُ.

وقعة عزجر:

وصفةُ ذٰلك: أنَّ المجاهدين لمّا قبضُوا تلكَ المحلاّتِ ـ كما ذُكِرَ ـ قصدهم العجم بعد رجوعهم من المقرانـة إلى حصنِ عزجر، واستمر الحربُ بينهم ثلاثة أيامٍ بلياليها حتى أحاط عليهم العجم، وحالوا بينَهُمْ وبينَ الغارةِ. وبعدَ ذٰلك استغارَ الشيخُ شجاعُ الدين عمر عاطف وصحبتَه جماعةٌ ليلاً لقصد التفريج على مَنْ في عزجر، ولم يمكُنْ دخولُهم، ووقَعَتْ ملحمةٌ عظيمةٌ في الليل نحوَ مئتي قتيلٍ وخمسةٍ وأربعين جريحاً، واستُشْهِدَ من المجاهدين الشيخُ صلاح مذكور، وكانَ في الجهادِ كاسمِهِ مذكور، والشريفُ دحان وغيرُهم، وخرجَ المجاهدون من الحصن المذكور بعدَ أن ظنَّ أعداءُ اللهِ أنهم قادرون عليهم.

وقعةُ الأحصم:

ثمَّ إنَّ المجاهدين انتقلوا إلى الأحصم وتبعَهُمْ أعداءُ اللهِ العجمُ، فوصلوا يومَ الخميسِ ثالثِ شهرِ القعدة، وأحاطوا بقريةِ الأحصم مِنْ جميعِ الجهاتِ، وأعانَهُمْ على ذٰلك كثيرٌ من القبائلِ الغُواة، فاستمرَّ الحربُ سبعةَ أيامٍ، فلمَّا علِموا أنَّهُ لا ملجأً لهُمْ غيرُ الخروجِ، خرجوا نهاراً واستُشْهِدَ من المجاهدين عشرةٌ، وعشرون مُكاناً، وقُتِلَ من العجم سبعون قتيلاً.

صورةُ مكتوبٍ كتبَهُ الإمامُ ـ عليه السلامُ ـ بقلمِهِ بعدَ وقوعِ بعضِ هٰذه الوقعاتِ:

«الحمدُ للهِ الذي جعلَ في كلِّ زمانٍ أوْساً وخَزْرَجاً، وصدقَ فيهم قولُه: ﴿ومَنْ يتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ له مَخْرَجاً﴾، والصَّلاةُ والسلامُ على خيرِ خَلْقِهِ محمدٍ، وآله الجامعين بينَ الخوفِ والرّجاءِ وبعدُ،

فإنَّه ورد إلينا كتابُ الشيخِ الهُمامِ المُجَرِّدُ نفسَهُ ونفيسَهُ لنُصرةِ الإسلامِ جمالِ الملةِ علي المقداد راجح، أفادَ رجوعَهُ إلى حَمْلِ الرايةِ العَلَويَّةِ ونُصْرةِ الملَّةِ الأَحْمَـديَّةِ، وصَـدَقَ قولَـهُ بالفعلِ الحميدِ للمشكورِ، المنادي بلسانِ الحالِ: إنَّكَ منصورٌ، وإنَّا عندَ ذٰلك سجَدْنا شكراً، وأمَرْنا المجاهدين أنْ لا يُخالفوا له أمْراً وعليه الموافقةُ لأوامرِ اللهِ سِرّاً وجهراً حتى يرى في المعاركِ غَلَبَـةً على العـدوِّ ونصـراً كما شاهَدْنا ذٰلك مرَّةً بعدَ أخرى. وسوفَ نحثُّ المجاهـدين بالنَّفْرِ إليهِ، ونـأمُـرُ المصدِّقين بتسليمِ ما قبَضُوهُ إلى الوكيل المنصوب إليه، والسلامُ».

وصدرت المؤنةُ حسبَ بيانِها، وقد سبقت مؤنةٌ أولى مصدَّرةٌ إلى الشيخِ الهُمام عبدالله عبده راجح يكونُ وصولُها إليكم عُقَيْبَ الحربِ في نجدر، انتهى الخطُّ بلفظهِ.

فصل

قد ذكَرْنا فيما سَلَفَ مِنْ هٰذه السيرةِ بعضَ إشارةٍ إلى الوقائعِ الآنسيةِ ولم نَسْتَقْصِ ذٰلك؛ حيثُ لمْ يكُنْ عندَنا ـ حالَ رقمِ ذٰلك ـ كيفيةُ ذٰلك، وتفصيلُ الـوقـائـعِ الـواقعةِ هنـالـك. وبعـدَ ذٰلك مَنَّ اللهُ سُبحانَه بالاتفاقِ ببعضِ المجاهدين الثقاتِ الذين شاهدوا تلكَ المعاركَ، وعلِموا تفاصيلَ ما وقَعَ مِنْ ذٰلك، فاقتضى الحالُ أنْ نذكُرَ جميعَ ما بلغَ إلينا مِنَ الوقائعِ الآنسيةِ في هٰذا

الفصلِ مجموعةً، ولمْ يتَّفِقْ لَنا العِلْمُ بتاريخِ كلِّ وقعةٍ على جهةِ اليقينِ، فجانَبْنا الوقوعَ في التخمينِ، وقدْ ورَدَ النَّهيُ عن القولِ بلا علمٍ، قال اللهُ تعالى: ﴿ولا تَقْفُ ما ليسَ لكَ بهِ عِلْمٌ، إنَّ السَّمْعَ والبَصَرَ والفُؤادَ كلُّ أولئكَ كانَ عَنْهُ مسؤولاً﴾(1)، ونستغفِرُ اللهَ من الزِّيادةِ والنقصانِ، ونعوذُ مِن اتِّباعِ الهوى وذَرْبِ اللِّسانِ.

اعلمْ ـ أرشدنا اللهُ وإيَّاكَ ـ أنَّا قدَّمْنا لكَ أنَّ أهلَ البلادِ الآنسيَّةِ فَطَرَهُمُ اللهُ على التشيُّعِ، ومحبَّةِ القائمِ من العِترةِ الزكيَّةِ، وسلوكِ ما قرَّرَهُ الأئمَّةُ الزيديَّةُ، فهُمْ على ذلك من قديمِ الزَّمانِ إلى الآن، لا يَرْدَعُهُمْ عن ذلِكَ تواتُرُ البُؤْسِ ولا هَلاكُ الأموالِ والنُّفوسِ. وإنَّه لمَّا ظهرَ طالعُ السُّعودِ، ونَجَمَ بدرُ الإمامِ الموجود، كتَبَ إليهم كتاباً جامعاً، وأَمَرَهُمْ بجهادِ أعداءِ اللهِ، فبعدَ وصولِ ذلك الكتابِ، تلَقَّاهُ الجميعُ بالقَبولِ وأشعلوا النار، وأظهروا الفرح والاستبشار وكان الشيخُ نصيرُ الدينِ علي المقداد هو المُجِدَّ في تحصيلِ المرادِ، ورأسَهُمْ في الإصدارِ والإيرادِ، فكاتَبَ أهْلَ البلادِ وأرْسَلَ بالرهينةِ إلى حضرةِ الإمامِ ـ عليه السلامُ ـ ورجَعَ الأمرُ بمحاصرَةِ معقلِ ضَوْران. وعندَ وصولِ الأمرِ، اجتمَعَ أهلُ البلادِ، وتقدَّموا على مدينةِ ضَوْرَان. وطَرَحوا في الخنقِ، وكانَ قَدْرُهُمْ ألفي نفرٍ، واستمدَّ المطرحُ إلى أسفلِ مَدْرَجِ المدينةِ. وفي خلال تلك المحاصرةِ، وصلَ سيفُ الإسلامِ محمدُ بنُ الإمامِ المتوكِّل بالأمرِ في محاصرةِ صنعاءَ، ثمَّ إنَّ شيخَ مدينةِ ضَوْرَان الشيخَ يحيى بن أحمد غيلان، وساداتِ المدينة وعقَّالها راسَلُوا إلى الشيخ الجماليِّ بالطاعةِ، وبذَلُوا الرَّهائِنَ والعقايرَ، وبايعُوا بالسَّمْعِ والطَّاعةِ على يدِ القاضي العلَّامةِ أحمدَ بن

(1) الإسراء: ٣٦.

محسِن الحضـراني، والتـزمـوا بحِفْظِ مَنْ لديهم مِنَ المـأمـورين والسِّـلاحِ والذخيرةِ وجميعِ ما في حكومةِ العجمِ . ثُمَّ بعدَ ذٰلك كانَ الطُّلابُ للشيخِ الجمالي وأعيانِ البلادِ من سيفِ الإسلامِ ، فبادَرُوا إلى ذٰلك المرامِ ، فمكثُوا هنـالـكَ ـ أعني لدى سيفِ الإسـلامِ ـ مدّةً يسيرةً، وأخـذَ منهم البيعـةَ ثم أصحَبَهُمْ بأخيهِ جمالِ الإسلامِ عليّ بن الإمامِ ، لإيصالِ جميعِ المأمورين الـذين في مدينةِ ضَوْرَان، وما فيها من السلاح والذخائرِ، وأرسلَ صحبتَهم نصيرَ الدين القاضي الأَجَلّ سعدَ بن محمد الشرقيَّ عاملاً على الجهةِ الآنسيةِ، فلما وصلوا إلى طَرَفِ البـلادِ، تلقّـاهم أهلُ مخلاف حاتم بقدر سبعِ مئةِ نفرٍ، ودخلوا صحبتَهم مدينةَ ضَوْرَان، وأسرُوا قائمقام محمود رؤوف، وأحمد آغا وجماعةً صحبتَهم، وأخذوا جميعَ ما في الحكومةِ من سلاحٍ ونفايسَ، وشدّوا ذٰلك صحبة سيدي الجمالي إلى دار الحَيْد، ثمَّ إنَّ القاضي سعد والشيخ الجمالي، رتّبوا المدينة والجبل برتبةٍ من أهلِها، وأخذوا منهم المواثيقَ والعهودَ وجعلوا رأسَ المدينةِ السيدَ عبدالله بن يحيى صاحبَ ضَوْرَان، وانتقلَ العاملُ والشيخُ الجمـالي إلى مطرحِ الجمعـةِ لحثِّ الناسِ على الجهادِ، وقَبْضِ الواجباتِ من البلادِ، فلما استقرَّ العاملُ في مطرحِ الجمعةِ، أذعَنَ لهُ الناسُ بالطاعةِ والامتثالِ وسوقِ الواجباتِ، ومكثُوا على تلكَ الحالِ مدةً يسيرةً، فلما بلغَ رتبةَ ضَوْران خروجُ غارةِ العجم مع أحمد فيضي أظهروا الخلافَ ونَسَوْا ما عاهدوا الله عليهِ، فلمّا ظهرَ منهم الخلافَ طلبَ العامِلُ والشيخُ الجماليُّ قومـاً من بني جَبر وبني شداد، وتقدَّم الشيخُ الجماليُّ لمحاصرةِ المدينةِ، فأخـذَ جميعَ المـدينـةِ إلا المصنعـةَ، ثم إنَّهـا وصلَتْ غارةُ العجمِ خمسةً وعشرين مئةً، فحصلَ الفَشَلُ مع المجاهدين من أهل البلادِ، وتفرَّقوا، كلُّ

واحدٍ خائفٌ على بيتِهِ، ولَمْ يَبْقَ غيرُ الشيخ الجمالي في نفرٍ يسيرٍ، فانتقلَ بِمَنْ معه إلى مطرح وأسلع. وبعد وصولِ غارةِ العجمِ بثلاثةِ أيام تقدموا على الشيخ الجمالي ومَنْ معَهُ، وكانَ الشيخُ الجماليُّ قد انتقلَ إلى جرفِ الظاهر فكانت.

وقعةُ جرف الظاهر:

قُتِلَ فيهـا كثيرٌ من العسـاكـرِ، وسلب المجاهدون بندقتين من سلاحِ العجمِ، وبعد ذلك انتقلَ المجاهدون إلى بيتِ العُميسي، وبعد وصلَ عدوُّ اللهِ صالح غشيم إلى طرف حمير لقصدِ المخادعةِ، فأجمعَ الرأيُ هو والشيخُ علي بن يحيى العُميسي على المُخادعةِ، فلمَّا كان إلى ثلثِ اللَّيْلِ، أرسلوا من يصيحُ أنَّ التُّركَ فيكم، فقامَ المجاهدون مرعوبين معَ عدمِ اختبارِهم في البلادِ، وخرجوا منتظرين وصولَ العجمِ فلَمْ يَصِلْ أحدٌ، فلمَّا علِمَ المخادعةَ أهلُ البلاد ارتحلوا عنها ليلاً وأصبحوا في مطرحِ الجمعةِ، ثمَّ انتقلوا إلى قرية كبة عُزلة بني راجح، وكانت.

وقعة كُبَّة:

وصفةُ ذلك: أنَّ العَجَمَ تبعوهُمْ على الأثرِ، فلمَّا وصلُوا الجمعةَ، كتبوا إلى جميعِ البـلادِ بوصـولِ العُقَّـالِ والمشـايخِ، فوصلوا إليهم إلا الشيخَ الجمالي، فأجابَ العجمُ بعدمِ الطاعةِ، فمكثوا في مراجعتهِ خمسةَ أيامٍ، وفي اليومِ السادس تقدَّموا على قريةِ كبّة وهجموا عليها بعدَ خرابِ حصونِها بالمدافعِ، ووقعَ في العجَمِ قتولٌ كثيرةٌ عندَ الهجومِ إلى حول البيوتِ. وبعدَ خرابِ كبةَ بالمدافعِ، انتقل المجاهدونَ إلى قرية الشرق، وكانت:

وقعة قرية الشِرْق[1]:

وذٰلك أنَّ أعداءَ اللهِ تبعُوا المجاهدين إلى قرية الشرقِ، وطَرحوا في ضَبر حَضْران[2]، وعندَ وصولِهم هجموا على حصنِ الشرقِ، وهم يظنُّونَ أنّهم لا بُدَّ يأخذونه في أسرعِ وقتٍ؛ لأنَّ أعوانَهم من العربِ، غشيم والعُميسي والعامري، هوَّنوا لهم الأمرَ وحقَّروا أمرَ المجاهدين، فوقعَ من الحصنِ والقريةِ إلى بعدِ الظهرِ، وبعدُ، خرجَ المجاهدونَ حتى اختلطوا همْ والعجمُ، فانهزمت العجمُ، ووقعَ فيهم قتلٌ كثيرٌ، وسلَبوا من أسلحتِهِمْ ورجعوا إلى مطرحِهِمْ، ثمَّ صاروا يَرْمونَ بالمدافعِ إلى البيوتِ، ويهجمون الكَرَّةَ بعدَ الكرَّةِ، ولم يقدروا على أخذِ ذٰلك عُنوةً، فلمَّا تيقَّنوا عدمَ القُدرةِ، عادوا إلى المخادعةِ بالمصالحةِ، فتوسَّطَ السيدُ عليُّ بنُ إسماعيلَ الطالعي مِنْ مخلافِ المنارِ، وسعى بالصُّلحِ. وأسعدَهُ الشيخُ الجمالي وطلَع إلى مطرحِ العجمِ، وصحبتَه قدرُ سبعينَ رجلًا من المجاهدين، ورجعَ من عندِ العجمِ يُعرفِ المحبين بتحصيل المونةِ والزادِ، ثمَّ طلبَتِ العجمُ وصولَه في اليوم الرابعِ فلمْ يسعدْ، فثارَ العربُ من ثاني ساعةٍ في النهارِ، وهجَموا إلى حولِ الحصنِ، فخرجَ المجاهدون حتى اختلطوا ووقعت الهزيمةُ، وتبعَهُم المجاهدون حتَّى وصلوا إلى قربِ محطّتهم. ووقع فيهم قتولٌ كثيرةٌ ثم توقَّفوا نحو ثمانيةِ أيامٍ حتى وصلتْ لهم المونةُ من مَناخةَ، وزيادةُ عسكرٍ، فتقدّموا تاسعَ يومٍ ورَمَوْا

---

(1) الشِرْق: جبل مشهور بالغرب من ضوران ومن أعمال آنس، تعرف بجبل الشِرْق. انظر «معجم المقحفي» ٣٥٤، «تعداد صنعاء» ١/١١٦، ٢٣٦.

(2) حَضْرَان: قرية في جبل الشرق من بلاد آنس، انظر «الإكليل» ٢/٣٨٥، «معجم المقحفي» ١٧٧.

بالمدافعِ في ذٰلك اليوم ثلاثَ مئةٍ وستين ضربةً، وفي آخر النهارِ هجموا على الحصنِ من كلِّ جهةٍ، وقدْ هدَمُّوه بالمدافعِ من جهةِ القبلةِ، فاختلطوا هم والمجاهدون في حوثرة الحصن. ووقع في العَجَمِ قتولٌ كثيرةٌ، جملتُهم مئةٌ وخمسةٌ وعشرون، في جميع المحارب في الشِرْقِ بعدَ التحقيق، واستُشهدَ من المجاهدينَ أربعةٌ، وعشرةُ مجاريحَ، ثم خرجَ المجاهدون من الحصنِ بَعْدَ أن كان غيرَ حصينٍ، وصاروا ينتقلون في البلادِ من وادٍ إلى وادٍ ويقطعون الطرقاتِ التي يُنساقُ منها إلى العجم المحتاجات.

ثم انتقلَ العجمُ من الشِرقِ إلى الجمعةِ، ثم إلى مطرحِ أُسلع. وفي هٰذه المدة بعدَ ارتفاعِ العجمِ بقدرِ شهرين، وقعَ قتلٌ فيما بينَ أهلِ صرب[1] حَباب، وأهلِ بني سلامـةَ فاستغـارَ الشيخ الجمالي ومَنْ معه إلى ضرب حباب، فلما كان وقتُ الظهر، أتى إليه رجلٌ فأخبروه أن ثمةَ ملازماً وضبطيةً وشيخاً من مشايخ عُتمةَ نازلين عُتُمَة، فقامَ الشيخُ الجماليُّ يخبرُ أصحابَهُ ويشاوِرُهُمْ: كيفَ يكونُ التدبيرُ؟ فما سمِعَهُ أصحابُهُ إلّا وقد وثبوا عليهم من دونِ مراجعةٍ في كيفيةِ التدبيرِ، فأدْرَكَهُمُ المذكورونَ فرمَوْهُمْ وهمْ قدرُ خمسةَ عشرَ نفراً فلحِقَهُمُ المجاهدونَ من الظُّهْرِ إلى آخرِ النَّهارِ، وأحاطوا بهم في شعب، وأخذوا جميعَ سلاحِهم وأُسرُوا جميعاً وقُتِلَ من المجاهدين خمسةٌ: الشيخُ علي بن يحيى بن راجـح، وأحمــدُ صالـح الهنـدي وعلي بن علي الطاهري وابنُ عمِّه، وثلاثةُ مجاريـحَ: الشيخُ عبدُالله بن علي بن راجح وأحمد مسعـود والـذبيح، والأسـرى من العجم صارو في يدِ أهلِ المنارِ، والسيدُ

(١) في م: درب.

عبدالله بن يحيى والسيد علي الضالعي واستلموا منهم بعضَ الأشقّاء، وكتبوا للعجمِ وحفِظُوا الأسرى حتى وصل الترك وقبضهم الملازيم[1]، وبعضَ الأسلحة، وقصدوا بذلك اتخاذَ يدٍ عندَ العجمِ، فكان ذلك سبباً لقبضِهِمْ وإدخالِهِم أردوس[2] وهم الآن في أخسّ الحُبوسِ، ومَنْ أعانَ ظالماً أغرى به.

وقعةُ شوحاط:

قد ذكَرْنا شطراً منها فيما تقدَّم واقتضى الآن ذكرُها عِندَ تعدادِ الوقائعِ الآنسية، وصفةُ ذلك: أنَّ السيدَ الهُمامَ عزَّ الإسلامِ محمدَ بن حسين بن العباس ـ رحمه الله ـ لما رجعَ من كُحلانَ كتبَ إلى الشيخِ الجماليّ أنْ يوافِقَهُ إلى بعضِ الطريقِ، فوافقَهُ إلى مطرحِ أسلع، ثم انتقل إلى الجمعةِ، ولحِقَهُمُ العجمُ على جهةِ السُّرْعَةِ، وقايدُهم إلى النارِ الشيخ علي بن محمد البليلي، فطَرَحَ العجم في السويل، وترتَّب المجاهدون في رأس نقيل شوحاط، وفي جبل الشمة، والمقدّمي عزّ الإسلام في نمارة، والشيخُ المجاهدُ وأثقال المجاهدين في الجمعة، فتقدَّمَ أعداءُ اللهِ العجمُ متكبرين فخراً، فما شعر المجاهدونَ إلّا وقد طلعَ البليلي، والعجمُ من بعض الشرط، وأكثرُهُمْ نائمون، فما انتبهوا إلّا والعجمُ على رؤوسهم، فصاحوا عليهم، فاشتدَّ الحربُ، ولم يكنْ مع المجاهدين من السلاح العجميِّ إلا القليل،

---

(1) الملازيم: مفردها ملازم، قائد صغير الذي يتبعه جماعة من الجند، وهي رتبة في الجيوش الحديثة، انظر «وثائق يمنية» ٢٤٤.

(2) أرودس: هي جزيرة رودس المعروفة.

فاختلط المجاهدون والعجمُ، ولم يُنْجِ المُجاهدين إلا الطعنُ، فلما عرفوا الشقيَّ عليّ محمــد البليلي وثبـوا عليه، وقُتِـلَ شرٌّ قِتلةٍ وكـان مِن أعـداءِ الإســلامِ ، ومبغضي الآل الكـرام، ثم أخـذوا سَلْبَهُ، وكان سَلْبُه نصلةً من الغالياتِ وخاتماً وبندق أبو حلقة وساعةً وغير ذلك، ثم دام الحربُ من الفجرِ إلى العشاءِ، ووقَعَتْ في أعداءِ اللهِ مقتلةٌ عظيمةٌ، واستُشْهِدَ من المجاهدين اثنا عشرَ نفراً، واستبشر المجاهدون بقتلِ عدوِّ اللهِ البليلي، وأُضرِمَتِ النارُ، ثم انتقل المجاهدون إلى ضبر رشيدة، والعجمُ رجعوا مطرحَ أسلع ونهبوا قرية أحلال(1)، ووقعَ فيها من أهْلِها بعضُ قتالٍ، وأمّا المقدَّمي عزُّ الإسلامِ : فإنَّه انتقلَ من ضبر رشيدة إلى بيت الجمرة وقرية بطرات، وانساقت إليه من أهلِ البلادِ المحتاجات، وأدركَهُ العيدُ في هذه المحلاتِ، ثم انتقل بعدَ العيدِ إلى بني أسعد، وبقيَ مدةَ شهرٍ ونصف، وتقدَّمَ على أحمد بن حسن الغشم، وهو من أعوانِ العجمِ ، فأَسَرَهُ وأَخَذَ بيتَه وأوصَلَهُ حضرةَ وليِّ النعمةِ.

ثُمَّ إنَّ المقدَّمي عزَّ الإسلامِ رحمه الله هجمَ عليه المرضُ، فنُقِلَ إلى الشنبلي في بلادِ خولان، وتوفَّاهُ اللهُ شهيداً في ذلك المكان كما سبق ذكرُه. وأمَّا الشيخُ الجماليُّ، فإنَّه وقعَ معه أثرٌ وصارَ يتنقَّلُ من شاهقٍ إلى شاهقٍ، وبعدَ مدةٍ / وقعت المصالحةُ بينَهُ وبينَ العجَمِ من طريق الديرِ الساكن في حصن مخمر، ثمَّ عمَّر في حصن الشِرْق، وأعانَهُ أهلُ البلادِ. فلمَّا بلغَ أعداءَ اللهِ العجمَ بأنَّه قد عمَّر طبقتين، واستقرَّ جهَّزوا له طابورين، وكان مطرَحُهُمْ

---

(1) أحلال: من قرى آنس ضوران، إليها ينسب بنو الحلالي من ذرية حاتم بن أحمد اليامي الهمداني، انظر «الأمير» ٦٠٤، «معجم المقحفي» ١٧.

في محلِّ غراب، فصالَحَهُم حيث لم يكن لديهِ للحربِ نِصابٌ، وبعدَ مدَّةٍ يسيرةٍ كتب إلى مقدّمي الإمام الذي وصلَ الحُقَيْبَة السيد علي بن صلاح، وذلك عندَ رجوعه من حُقَيْبَة عُتمة. فاتّفقوا إلى مدينة العبيد. ثمَّ انتقلوا إلى مطرحِ الجمعة. ثم إنَّ أكثرَ القومِ تفرَّقوا ولم يبقَ إلّا المقدَّمي وصحبته جماعةً يسيرةً، انتقلَ بهم هم والشيخ الجمالي إلى حصن الشرق، ثم كانت.

وقعةُ حصنِ الشرْقِ:

وصفةُ ذلك: أنَّ المقدَّمي والشيخُ الجماليّ، لمّا وصلوا حصن الشرِقِ، رتّبوا ضبر حضران وتبعهم العجمُ على الأثر، فلمَّا وصَلَ العجمُ إلى محلّ غراب التقاهُم المجاهدون إلى قربِ المحلِّ المذكورِ، ووقعَ الحربُ، ثم إنَّ العجمَ انهزموا حتى عادوا إلى مطرحهم، واستمرَّ الحربُ إلى ثُلُثِ اللّيْلِ، وعادَ المجاهدونَ إلى مطرحِهِم واستُشْهِدَ في ذلك اليومِ الشيخُ فرحان بنُ صالح الهندي من مخلاف بني خالد، وأما القتلى من العجم فكثير.

وفي اليوم الثاني تقدم أعداءُ اللهِ على أُكَمَةِ حضران، والضبر، وهنالِكَ مِنَ المجاهدين الصابرين عصابةٌ يسيرةٌ، فتقدَّمَتِ العجمُ أولًا على الأكمةِ، وجمَّعُوا عليها المدافع، وبعد ذلك هجم العجمُ إلى قُرْبِها، ثمَّ هُزِموا، فلمَّا علموا أنَّها مُتَعَسِّرةٌ عليهم، بنوا عليها خالفةً من رأس المحطةِ حتى خرجوا إلى قريةِ شُقدم من جهة قبلة، وحينَ وصلُوا إلى قرية شُقدم صاح النفيرُ بأنَّهم يحرّكونَ الرَّحى بالمدافعِ، فلمَّا كثُرَ الرميُ بالمدافعِ طلعَ التركُ الذين خَلّفوا من جهةِ قبلة حتى قربوا من المجاهدين، فخرج المجاهدون إلى قرية الشلِفْ. واستُشهد نفران، وتكوَّنَ الشيخُ عبدالعزيز الشليف وآخرون، وأحاطَ

العجمُ حتى وصلوا إلى بابِ البيتِ الذي فيه المقدَّمي، وأخذوا نصفَ القريةِ، واستغار جماعةٌ من آل راجح من قرية الشِرْق، ومثلُهم من قرية شُقدم، واستصبحوا معهم زاداً للمقدَّمي وجماعتِهِ، ثمَّ زحموا على العجمِ من جهة القبلةِ، ومن جهةِ العدنِ حتى هُزِموا من حول البيتِ، وتوافق الغارتـان في باب الحصنِ وكانَ كلُّ أحدٍ لا يعلمُ بالآخر، فلما عرفَ بعضُهم بعضاً، قالت كلُّ فرقةٍ منهما: أغرنا على المقدَّمي، وقال الآخرون، ونحنُ كذلك. فدخلوا جميعاً على المقدَّمي وأصحابه وأعطوْهم الزادَ والماءَ وحملوا الشهداءَ والمجاريحَ حتى أوصلوهم قربَ الشِرق.

ثم انتقلوا بيتَ الشيخ حسين بن علي الغيل على جهةِ الكتمان، وتفرَّق المجاهدونَ بعدَ ذُلك فلمْ يبقَ إلا اليسيرُ، فأجمعوا أمْرَهُمْ على العزم إلى حضرةِ قبةِ المسلمينَ، أمير المؤمنين ـ عليه السلامُ ـ فلمَّا وصلَ الشيخُ الجمالي إلى المقامِ تلقَّاهُ الإمامُ بما يليقُ به من الإجلالِ والإكرامِ، وبقي في المقامِ عاماً ونصف، وبعدَ ذُلك جهَّزه الإمامُ ـ عليه السلامُ ـ بعصابةٍ يسيرةٍ من خُلَّصِ المجاهدين، ومنحهم الدعاءَ الذي هو سلاحُ المؤمنين، وأصحَبَهُم كثيراً من المالِ والذخيرة. وبقي مدةً يسيرةً في بلادِ أرحب والعجمُ قد أخذوا أفواهَ الطرقِ لمّا بلغَهُم عزمُ الشيخ الجمالي من المقام.

وكان من خفيِّ لطفِ اللهِ وبركاتِ دعاءِ الإمامِ ـ عليه السلامُ ـ أنَّ الشيخَ الجماليَّ لمَّا بلغَ إلى الطريقِ حولَ صنعاءَ، إذا هوَ بجماعةٍ معهم عروسٌ، وهمْ يسيرونَ بها ويرمُونَ بالبنادقِ، فدخَلَ الشيخُ الجماليّ وأصحابُه بينَهم، وصاروا يرمُونَ بينهم، وأوهموا أنَّهم منهم، ولقُوا هنالك حرسَ العجمِ،

والعروسُ راكبةٌ والشيخُ الجمالي راكبٌ أيضاً، فسألوا عن الراكبِ الآخر، فقالوا لهم: والدُ العروسِ، فلم يُلِحُّوا عليهم وقطعوا الطريقَ الذي فيها الخوفُ. ولم يصبحوا إلاَّ في آخر حدِّ بني مطر، ووقعَتْ طريقُهم فرشَ بني سويد، وبقوا فيه مدةً يسيرةً، ثم انتقلوا إلى بعضِ مخلافِ جبل الشرف، فكتبَ، سنُقدم على العجم: إنَّ المقدادَ قدْ وصلَ البلادَ، وأظهرَ في الأرضِ الفسادَ، فسارعوا بالغارةِ وتقدّموا على الشرفِ وهو يومئذ خرابٌ، والتقاهُم المجاهدون إلى تحت ضبر حضران، وكانت هنالك وقعة:

ضبر حَضران ودار الحيس:

وصفةُ ذلك: أنَّه لما تراءى الجمعانُ، ووقعَ الحربُ الذي سَمِعَ به سامعُ الإنسِ والجان هُزِمَ العجمُ، وبعضُهم قد كانَ وصلَ الشرفَ، والآخرونَ اجتازوا ورجعوا قريةَ حضران محلَّ شُقدم، ثم نزل المجاهدونَ إلى محطّتِهِمْ دارِ الحيسِ فوق وادي حباب[1]، وفي اليوم الثاني تقدَّم العجمُ على المجاهدين إلى دار الحيس، واقتسموا نصفين: نصفُهم أتَوْا من نفيل القضاة، وخرجُوا إلى رأسِ وادي حباب وطلعوا من جهةِ شرق، والنصفُ الآخرُ من نقيل القدوم، وبقوا في الشرفِ يرمُون بها إلى دارِ الحيس، وقدرُ العجمِ أربعةَ عشرَ مئةٍ والمجاهدون خمسةٌ وثلاثونَ نفراً لا غير، وهجَمَ أعداءُ اللهِ على البيوتِ، وعمارةُ البيوتِ غيرُ مُتْقَنَةٍ، ولكنّها بيوتُ بدْوٍ، تخرَبُ من هبِّ

---

(1) وادي حَباب: وادي في آنس تحت جبل الهان وهو المقصود، ووادي حَباب أيضاً في خوْلان العالية يسكنه بنو جَبْر ومساقطه شرق الأعروش، انظر «اليمن الكبرى» ٧٠، «معجم المقحفي» ١٤٨.

الريحِ ، فلولا بركةُ الإمامِ لظفِرَ العجمُ بالمرامِ ، فلمْ تُؤثِّرِ المدافعُ في تلك البيوتِ، ولم يكنْ عنـد المجاهدين في ذٰلك اليومِ لا زادٌ ولا ماءٌ، وكادوا يهلكون من العطشِ ، فأرسلَ اللهُ سبحانَه سحابةً فأمطرتْ على المجاهدين خاصّة، فشربوا وصلّوا، وكانَ في ذٰلك عبرةٌ لأهلِ الاعتبار.

ثمَّ إنّـه هجَمَ العَجَمُ في وقت العصرِ من جميعِ الجهاتِ، والطُّوبجيَّةُ يَرْمـونَ بالمـدافـعِ كلَّ من نَكَصَ من العسكـرِ، فصـارَ الموتُ من أمامِهم وورائهم، فوقعَ في العجمِ قتلٌ لا يُحْصى، ولمَّا رأى الناسُ المتفرجون ما وقعَ أيسوا من سلامةِ المجاهدين، فلما وصلَ العجمُ إلى بابِ البيتِ الأعلى خرجَ مَنْ فيهِ من المجاهدين، وكان فيه القاضي أحمد الشرعي، وجماعةٌ من بكيل، والشيخ الحسام محسن المقداد وجماعته في البيت الأسفلِ ، يظنُّون أنَّ القاضي أحمد ومن معه باقون في البيت الأعلى، حتّى هجَمَ العجمُ على مَنْ في البيتِ الأسفـلِ ، ووصلوا إلى البـابِ، فخـرج منـه الشيخُ الحسامُ وجماعةٌ، وبقي آخرون فيه إلى نصفِ الليلِ ، وخرجوا وقدْ كانَ غار عليهم النقيبُ أحمد راشد سراج من رجال بني جَبْر، وكان لدى الشيخ الجماليّ ، فلما وصلَ إليه الذين خرجوا أو أخبروه، أرسلَ النقيبُ أحمدُ غارةً، فوصلُوا إلى مَنْ في البيتِ وتفرَّق العجمُ، وخرجَ المجاهدونَ في سلامةٍ، لم يستشهدْ غيرُ واحدٍ من المعاطرة[1]، وكانتْ هٰذه الوقعةُ من أجلِّ الوقعاتِ، هلَكَ فيها

(1) المعاطرة: من قبائل بَرَط، وهم آل معطر بن محمد بن غيلان، ومنهم آل محمد بن يحيى، وآل يعقوب، وآل حسن بن داود في محل ال قين والصرعة من بَرَط، المعاطرة ومنهم النواجعة، ذو ناجع في البلسة ويدوهم في سلبة والقعيف، ومنهم آل النوفة، منهم آل لباقة في البلسة، ومن المعاطرة آل عيسى، منهم بدو في البلسة، ومن آل =

كثيرٌ من أعداءِ اللهِ العجم.

وقعةُ بيت شُقدم:

وصفةُ ذلك: أنَّ المجاهدين بعدَما ذَكَرْنا انتقلوا إلى شعب بورة، وانتقلَ العجمُ إلى محلِّ روافةَ من مخلاف بني قُشيب، فغزاهم المجاهدون إلى هنالِكَ، ووقعَ حربٌ إلى نصفِ اللَّيلِ، وأَسَرَ أصحابُ شُقدم رجلين من المجاهدين: ناصر مجلي راجح، وعبدَالله بن يحيى راجح، وسببُ أسرِهِما أنهما مضيا على محلِّ البورة، محلِّ لشركاءِ شُقدم، فوجدا جملاً من جمالِ العجمِ هنالك، فأرادوا نهبه، وكانَ ذُلك حينَ مضى شقدم وأصحابُه من هنالك، فرَمَوْهما، فتكوَّن أحدُهما وهو ناصر مجلي، وهربَ الآخرُ، فلمَّا أسرُوا ناصر مجلّي أوصلوهُ حضرةَ العجمِ. فحينَ وصلَ الخبرُ إلى الشيخ الجماليّ أرسلَ غارةً من أصحابِهِ، ثمَّ إنَّه حضرَ بعضُ القضاةِ لبني الحضراني، فتوسَّطَ على أنَّ شُقدمَ يُخْرِجُ ناصر مجلّي من لدى العجم، وأوْعَدَ بذلك لقصدِ المخادعة. فلمَّا لم يحصُلِ الوفاءُ بالوعدِ من الشيخ الجمالي علا شركاءُ شُقدم إلى البورة، فلمَّا وصلَ الخبرُ إلى شُقدم، استغار بمن أطاعَهُ، فاحتربُوا هُمْ والشيخُ الجمالي، وهُزِمَ أصحابُ شُقدمٍ واحتُصِروا في بيتٍ، وأحاطَ بهم المجاهدون حتى وصلوا تحتَ البيت، واستُشهِدَ النقيبُ

= عيسى الضويني في البلسة، وفي حجان من بَرَط وآل المياخ في حجان أيضاً، ومن المعاطرة آل علي بن ناوي، أكثرهم بدو في في سلبة والقعيف، وآل محمد بن ناوي بدو في سلبة والقعيف ومنهم في وادي البلسة، انظر «معجم الحجري» ٢/٧١١، «معجم المقحفي» ٧١-٧٢.

أحمد راشد سراج والنقيبُ داحش الحباري من أرحب، والنقيبُ علي بن أحمد مرح ومحسن الهمداني. وبعدَ ذٰلك حصلت المخادعةُ من طريق محمد درويش والقاضي أحمد العكام، بواسطة أنَّ مَنْ في البيت يُسلِّمونَ رأسَ بقر عقيرة ويخرجون بسلاحِهم، وخرجوا وراحوا بيوتَهم. وفي اليوم الثاني، قبضَ المجاهدون الأكمَةَ فوقَ بيتِ شُقدم، وقبضوا حصن قهدر، وحوَّزوا الماءَ حقَّ قرية حضران، فصار شُقدمٌ يُخادعُ المجاهدين بالصُّلحِ وكَتَبَ إلى العجمِ، وكانوا حينئذٍ في مطرحِ أسلع، واستمرَّ الحربُ ثمانيةَ أيامٍ، حتى أيقَنَ عدوُّ اللهِ بالهلاكِ والانتقامِ، فلمَّا وصلتْ غارةُ العجمِ، ارتفَعَتْ مطارحُ المجاهدين على العجمِ، ووقعَ حربٌ شديدٌ حتى أخَّرَ العجمَ من حولِ الحصنِ مسافةً بعيدةً، ووقعَ فيهم قتلٌ كثيرٌ وسلبٌ، وخرَجَ من هنالِكَ المقدَّمي والمجاهدون ليلاً.

وقعةُ هجرة الشرقي:

وصفةُ ذٰلك: أنَّ الشيخَ الجماليَّ والمجاهدين صاروا يتنقلون بعدَما ذكرنا من الوقايع، وكان مما قصدوه هجرة الشرقي، فلما وصلُوا إلى هنالِكَ، منعَهُمْ أهلُها عن الدُّخولِ فيها، ثمَّ إنَّ العجَمَ بلَغَهُمْ أنَّ الشيخَ الجماليَّ في أسلع، فعزموا على قصدِهِ، فلمَّا وَصَلُوا أسلع، ولم يجدوه تقدَّوا إلى هجرة الشرقي، فلمَّا وصلوا الهجرةَ التقَاهُمْ أهلُها بالحربِ وقاتلوا قتالاً شديداً. وفي الليلِ عزمَ العجمُ على الهجـومِ عليهم، فخرجَتْ امرأةٌ تجلِبُ الحطبَ وقتَ الفجرِ، فرأتِ العَجَمَ، فصاحَتْ لأهـلِ الهجرةِ فخرجَ منهم خمسةُ أنفارٍ، فحاربوا العجمَ حتى هزمُـوهُمْ، وقطَعوا من رؤوسهم وأخذوا من سلاحِهِمْ، فأخذت امرأةٌ منهم رأساً، وفزِعَتْ إلى الشيخ الجماليِّ، وكانَ حينئذ في القرين محل

الغـراب، وصـار العجم يرمـونهم بالمـدافـع، فلمـا كان بعض الليل خرج المجـاهـدون، فأرسـل الشيخَ الحسـامَ والشيخَ عبـدَالله علي أحمـد راجح وصحبتهم قدرُ خمسـةٍ وعشـرينَ رجـلًا، فدخلوا ليلًا وبقي الشيخُ محسن وجماعةٌ في قرية الهجرةِ، والشيخُ عبدُالله بن علي أحمد وجماعةٌ رتّبوهم في جبل دقان فوق القريةِ. وفي اليوم الثاني ثارَ الحربُ العظيمُ، وهجمتِ العجمُ الكرَّةَ بعد الكرَّةِ، وكلّما هجموا انهزموا.

ومن الكراماتِ: أنّه انقطعَ عليهم الماءُ حتّى أَضَرَّ بهم العطشُ فهَرَبَ بغلٌ من بغالِ العجمِ متحمِّلًا ماءً حتى وصلَ باب القريةِ، ثم رماهُ عبدُالله علي أحمد من رأسِ الجَبلِ، فتكَوَّنَ البغلُ ودخلَ القريةَ، وخرجَ المجاهدونَ من البيوتِ يستسقُونَ حتى ثارتِ الفتنةُ، فقالَ لهم الشيخُ الحسامُ: إنَّ الله قدْ أغـاثكم بالمـاءِ وإبليسُ أرادَ أن يفتِنَكُمْ عليه، فاشـربـوا واحداً بعدَ واحدٍ، ففعلوا، وشرِبوا كلُّهم وبقي ماءٌ كثيرٌ، وبقي الحربُ إلى نصفِ الليلِ.

ثمَّ إنَّ المجاهدين أخرجوا فراشَ أهلِ الهجرةِ وجميعَ أثقالِهم، وخرجُوا من وسَطِ مطرحِ العجمِ، وكان مقرُّهُمْ في فرش بني سويد[1]، واستُشهِدَ رجلٌ من بني قشيب، وأما المجاريحُ فكثيرٌ، ووقع في العجم قتولٌ كثيرةٌ، ثمَّ ما زال المجاهدون يتنقَّلون إلى أسفل بني حكيم. ثم إلى مغربة عنس، ثمَّ غزا الشيخُ الحسامُ إلى مطرحِ محمّد نظيف في قاع السـويـل، ووقعَ حربٌ في

---

(1) سُوَيْد: عزلـة من مخـلاف بني حاتم وأعمـال ضَوْران من آنس، انـظر «معجم المقحفي» ٣٣٥.

الليلِ، ثمَّ إنَّ العجَمَ غزوا على مغربةِ عنس، بسبب أنَّ المجاهدينَ بقُوا فيها، فنَهَبُوا جميعَ ما فيها، وأحرقوا فيها. ثم ارتفعت العجمُ ضَوْرَان، وما زال يحيى بن أحمد غيلان يسعى بالمصالحةِ حينئذٍ، فلم يتمَّ المرامُ. وبعد ذٰلك ثارَ الحربُ فيما بينَ الشيخِ الجماليّ وبينَ شُقدم في قاعِ البورة فهزموا شُقدماً، وغنِمَ المجاهدونَ منهم فراشاً وسلاحاً وبغلةً، ثم إنَّه توسَّطَ محمد بن علي راجح، وعُقَّالُ جبلِ الشرقِ وعقدوا على أنَّ الشيخَ الجماليَّ يكفُّ الحربَ عن الناحيةِ، وينتقلُ إلى غيرِها، والتزموا بحفظِ أهلِهِ وأقاربِهِ.

وقعةُ المِحْيَام(1):

وصفتُها: أنَّها وصلت الكتُبُ إلى الشيخ الجماليّ مِنْ بعض المجاهدين الصادقين، أنَّ ثمةَ عَسْكَرَ عجمٍ في كُحلانَ، ما بين المحيامِ وعانزوريمة وهمْ آمنون، فيَحْسُنُ غزوهُم، فشاوَرَ الشيخُ الجماليُّ المجاهدين، وأوْهَمَ عليهم أنَّ ثمَّةَ حمولةً للعجمِ طالِعةً من الحجيلةِ، ففرِحَ بذٰلك المجاهدون، وعزَمُوا على بركةِ اللهِ، حتَّى وصَلُوا مدينةَ العبيد. وفي الليلةِ الثانيةِ سَرَوْا، فلمَّا أصبحوا إلى قفرة بني أسعد قلَّ عليهم الزَّادُ، وقدرُهم ثلاثُ مئةٍ. وفي آخر ذٰلك النهارِ، لم يشعُروا إلَّا بوصولِ مسافرين معَهُمْ حمولةُ طعامٍ، فأراد بعضُ المجاهدين نَهْبَ ذٰلك، فنهاهُم الشيخُ الجماليُّ عن ذٰلك، وأخَذَ حِمْلَ جملٍ بالقيمةِ، وقَسَّمَهُ بين المجاهدين، ثم أرْسَل الجواسيسَ إلى مطرحِ العَجَمِ فرجعَتِ الجواسيسُ وأخبروا: أنَّ قدرَ العجمِ سِتُّ مِئةٍ، ومشايخُ حراز

---

(1) المِحْيَام: موضع بأقصى بلاد الحيمة الخارجية فيما بين أطراف بلاد ريمة وبُرَع، انظر «معجم المقحفي» ٥٦٩، «أئمة اليمن» ١٢٢/٣.

وريمـةَ هنـالك. فقال للجواسيس: لا تُخْبِروا المجاهدين بهٰذا، بلْ حقِّروا أمْرَهُمْ، فأخبروا ـ لما سألهم المجاهدون ـ بأنَّ قدرَهُمْ سبعونَ رجلاً ولديهمْ حمولةٌ وغنائمُ، فاشتاق المجاهدونَ، وتوكَّلوا على اللهِ، وسرَوْا ليلاً، فوصلوا قربَ المطرحِ وقتَ السَّحَرِ، ورتَّبَهُمُ الشيخُ الجماليُّ ثلاثَةَ أقسامٍ: فبنو جبرٍ ورأسُهم عليُّ بنُ صالح المنصوري على خيمةِ الغفَر، وهي في رأس كولَة، فأخذ الخيمة، وبعضَ ما فيها، والقسمُ الثاني دخلوا على العرضي من جهةِ الشرقِ، وكان أوَّلُهم خماشُ الأبيض، فسمِعَ كلباً يجري في الزرعِ، وظنَّه خيلاً، وصاحَ بالقومِ، فتوقَّفَ الشيخُ عمر عاطف، ثم ظهر لهم، فتقدموا على أعداءِ اللهِ حتى وصلوا المطرحَ، وأخذوا مِنَ السِّلاحِ وغيرِها شيئاً كثيراً وثبتَ الحربُ والطعنُ في أعداءِ اللهِ إلى أنْ لاحَ الصباحُ، واستُشْهِدَ من المجاهدين الشيخُ يحيى بنُ صالح جوين وولدُه وعبدُالله بن علي بن رسام، ورجلٌ من بني جبـر. وتكوَّنَ سيِّدٌ من دارِ الشريفِ، فتركَهُ أصحابُهُ، فحمَلَهُ رجلٌ من بني أسعد يُقالُ له حمّادي الزاعق، وقد كانَ حَمَلَ طاقَتَهُ من الغنايمِ، فترَكَ أكثرَها وحملَ السيِّدَ وبندقاً غَنِمَهُ الرجلُ المذكورُ، فلمَّا وصلَ إلى خبرةِ السيد قالوا: إنَّ البندقَ غنِمها السيِّد، وأرادوا أَخْذَها، فقال لهم الرجلُ: إنْ لم تتركوني فقد نَوَيْتُ قتالَكم، فتركوه، وبعدَ هٰذه الوقعةِ انتقل المجاهدون إلى مخلاف بني أسعد، وبقوا هنالكَ نحوَ عشرةِ أيامٍ، وكتبوا بصفةِ هٰذه الوقعةِ إلى حضرةِ الإمامِ ـ عليه السلامُ ـ فلمَّا وصلتِ الكُتُبُ إلى الإمامِ، وكان بحضرتِهِ الشيخُ أحمد جوين، أرْسَلَ الإمامُ ثلاثَ مئةِ نفرٍ من حاشد مقدَّميهم السيدُ الأجلُّ حسينُ بنُ محمد مجد الدين من ساداتِ هجرة حوث.

وقعة قَذَف:

وصفةُ ذلك: أنَّ رأسَ العجمِ محمد نظيف لما بلَغَهُ وصولُ المدَدِ من الإمامِ ـ عليه السلامُ ـ بالسيد شرفِ الإسلامِ، نزلَ الجمعةَ وصحبتَه عسكرٌ كثيرٌ، واستقرَّ المجاهدون في بني أسعدَ نحوَ نصفِ شهرٍ، وبعدَ ذلك قصدَ المجاهدونَ العجمَ، وطرحوا في قرية قَذَف، والشيخُ الحسامُ وجماعةٌ من رجالِ بكيل غَزَوْا إلى نمارة بيت الواسعي، وخرجَ العَجَمُ من الجُمعةِ قاصدينَ قذف، فوقع الحربُ من وقتَ العصرِ إلى اللَّيلِ، وانهزمت العجمُ حتَّى رَجَعُوا إلى مطرحِ الجُمعة.

وفي اليوم الثاني تقدَّمَ العجَمُ على الشيخِ الحسامِ إلى نَمارةَ، ووقع هنالك حربٌ شديدٌ وقتولٌ كثيرةٌ في العجم، وسَلَبُوا منهم بنادقَ، وفي العرب شهداءَ، واستمرَّ الحربُ يومين في نَمارَة حتى ضُرِبَتِ البيوتُ بالمدافعِ، فخرجَ منها الشيخُ الحسامُ، وانضمَّ بِمَنْ معَهُ إلى المجاهدين في قَذَف، وبعدَ ذلك تقدَّمتِ العجمُ على قَذَف، وصاروا يرمُونَ بالمدافعِ، ولم يهجموا خوفاً مِنْ أنْ يقعَ ما وقعَ في اليومِ الأوَّلِ، واستمرَّ الحربُ والرميُ بالمدافعِ يومين، بعدها خرجوا منها ونَهَبَ مَنْ كانَ مِنْ حاشد ما قَدَر عليه من القريةِ، وعَزَمُوا بلادَهُم، ولم يبقَ غيرُ السيد الشرقي وتسعةُ أنفارٍ، وبعدَ أنْ فرَّغها المجاهدون دخَلَها العجمُ، وكان الشيخُ الجماليُّ قد انتقلَ بِمَنْ مَعَهُ من المجاهدين إلى قرية مسطح، فلمَّا وصلَ إليه الشيخُ مُحْسن ومَنْ بقيَ معه من المجاهدين، أَمَرَهُمْ الشيخُ الجماليُّ أنْ يرجِعوا إلى قَذَف، فلمَّا رأتهُم العجمُ فرُّوا من البيوتِ، ووقَعَ الحربُ الشديدُ، ودامَ ثلاثةَ أيامٍ حتى خَرَبُوا البيوتَ بالمدافعِ،

وخرجَ المجاهدونَ. وانتقلوا إلى بني خالدٍ، ثمَّ انتقلوا من هنالِكَ إلى أسلع، ثمَّ إنَّ الشيخَ الجمـاليَّ غزا على الشيخ حسـنَ بنِ عَبدالله قرعة، وكان من أعوانِ العجمِ، فقتلوهُ هو وصِنْوَهُ وأخذوا جميعَ ما معهم.

وقعة منوان في بني سلامة[1]:

ثم إنَّ المجاهدينَ انتقلوا إلى قرية منوان، وتقدَّمت عليهم العجَمُ، ودامَ الحربُ هنالك ثمانيةَ أيَّامٍ، وكانت تلكَ الوقعةُ من الملاحِمِ العظامِ؛ حتَّى انقطَعَ الزادُ على أهلِ الجهادِ فخرجوا، وانتقلُوا إلى وادي حباب، ثمَّ منه إلى مدينة العبيدِ، وبعدَ ذٰلك وقعَ مرضٌ في المجاهدين لسبب الوَخَمِ، فانتقلوا إلى ضبر رشيدة، وانتقل العجم إلى حضـران، وكان هنالك أهلُ الشيخِ الجمـاليّ، فأسروهم إلى ضَوْرَانَ، ولمّا حَدَثَ المرضُ، كما ذكرنا، توقَّفَ الحربُ في الجهةِ الآنسيةِ.

وما زال العجَمُ يطلبونَ الشيخَ الجماليَّ، فلم يقدِروا عليه، ثمَّ إنَّ الإمامَ -عليه السلام- أرسـلَ بجمـاعـةٍ مجـاهدين من رجالِ أرحبَ إلى الشيخِ الجماليّ، فلمَّا وصلوا إلى الشيخِ الجمالي أرسلَ صِنْوَه الحسامَ وجماعةً منهم ليكْمُنوا لشُقدم أو ابنه، فصادفوا ابنَه فقتلوه وسلَبُوهُ، ثمَّ إنَّ العجَمَ ارتفعوا إلى ضَوْرَانَ، وانتقلَ الشيخُ الجماليُّ وصنوهُ الحسام إلى بني أسعد، وبعد ذٰلك غزا إلى محلِّ المنهيب وأسرَهُ هو وأولادَهُ وأوصلُوهُ إلى حضرةِ الإمامِ. وبعد

---

(1) بنو سلامة: عزلة من بلاد آنس، انظر «طبق الحلوى» ٩٩، «ملحق البدر الطالع» ٢٠٠، «معجم المقحفي» ٣٢٠، «نشر العرف» ٢/٧٤، «طبقات صلحاء اليمن» ٢٧٩.

ذلك غزَوْا على شقدمٍ إلى محلّ غراب، ووقعَ الحربُ بينهم واستغار جماعةٌ من العجمِ مع شُقدم.

وقائعُ بني فضل(1):

وصفةُ ذلك: أنَّ العَجَمَ كانوا يحصلون الدفعةَ في بني فضل، فطلبَ بنو فضلٍ الشيخَ حسام للجهاد، ومنعِ أربابِ الظلمِ والفسادِ، فتركَ حربَ شُقدم، وعَزَمَ بمَنْ معه لجهادِ العجَم ، وعَرَّفَ صنوَهُ الجماليَّ بذلك، فلَحِقَه لبني فضلٍ ، فلما بلغَ العَجَمَ ما قدْ أَلَمَّ، استغاروا من ضَوْران محمد نظيف القومندان وعبدالله بك قائمقام عسكرية بمَنْ معهما من العساكرِ العجميةِ، واستَمَرَّ الحربُ بينهُمْ وبينَ المجاهدين في عُزلةٍ ثلاثةَ أشهرٍ، وكانَ المجاهدون كلَّما أخرَبَ العجَمُ قريةً بالمدافعِ ، خرجوا إلى القريةِ الأخرى، حتى خربَتْ جميعُ بيوتِ بني فضلٍ ، وحَصَلَ لهُمْ وللمجاهدين بذلك الأجرُ والفضلُ. وقُتِلَ الطاغيةُ عبدُالله بك هنالك وكثيرٌ من العساكر والضبّاطِ، فيا لها مِنْ مَلاحِمَ أنْكَتْ أعداءَ اللهِ الأعاجِمَ، وهذه عددُ الوقايعِ التي وقعتْ هنالك: الوقعةُ الأولى في القصبة في بني الشُهَالي(2)، الوقعةُ الثانيةُ في قريةِ كُرْيَةَ، الوقعةُ الثالثةُ في حرفِ بني فضلٍ ، الوقعةُ الرابعةُ في العوالي، الوقعةُ الخامسةُ في موثب، الوقعةُ السادسةُ في بيتِ الحاج، الوقعةُ السابعةُ في

---

(1) بنو فضل: عُزلة في آنس من مخلاف حمير الأصغر، حمير بن الغوث، انظر «معجم المقحفي» ٤٩٥، ١٩٤.

(2) عُزلة من ناحية ذي جِبْلَة، يُقال لها أيضاً الشُّهَلي وإليها ينسب بنو الشهالي، انظر «معجم المقحفي» ٣٦٦.

المضحي، الوقعةُ الثامنةُ في السفال بيت عيال الفقيه، الوقعةُ التاسعةُ في سوقبةَ، الوقعةُ العاشرةُ في قرية ظُلُمان(1). وما زال الإمامُ ـ عليه السلامُ ـ يمدُّهُمْ بالمالِ والرجالِ والمونةِ حتى بلغَ المجاهدونَ نحوَ ألفِ رجلٍ، وكانَ قَتلُ قائمقام عسكرية عبدالله بيك هنالك، وقتولٌ آخرون من العجم لا يُحْصَوْنَ وسلبُوهم بنادقَ كثيرةً، حتّى هُدِمَتْ جميعُ القُرى، ولم يبقَ فيها ميدانٌ للحربِ. وقدْ سمِعْتُ من الإمامِ ـ عليه السلامُ ـ مراراً يقولُ: إنَّ اللهَ ـ سبحانَه ـ سلَّطَ العجمَ على العربِ تسليطاً لم يكُنْ فيما مضى، من جملةِ ذلك: هٰذه المدافعُ التي تَبْطُلُ عندها شجاعةُ الشجعانِ، وكذٰلك البنادقُ المُرْتُ والشاشخان، ومن ذٰلك أنَّه كانَ لا يصلُ الخبرُ إلى استانبولَ محلِّ الدولة العثمانية، ويعودُ إلاَّ بعدَ ستة أشهرٍ. وفي هٰذه المدةِ يصلُ بالسلكِ في مجرَّدِ لحظةٍ، ومِنْ ذٰلك البوابيرُ فإنَّها كانتْ لا تخرجُ للغارةِ إلا بعدَ نحوِ سنةٍ، والآن في هٰذه الأزمنةِ مع المراكبِ البابوريّةِ في أقلَّ مِنْ شهرٍ. هٰذا، ثمَّ إنَّ الشيخَ الجماليَّ غزا بعدَ ذٰلك قريةَ المعرقبة، وكان شيخُهم عليُّ بن علي المعرقبي من أعوانِ العجمِ، فأخذها المجاهدون بما فيها عنوةً، وغنايمَ كثيرةً، واستُشْهِدَ من المجاهدين خمسةَ عشرَ، ومِنْ أهلِ المعرقبة قدرُ خمسةٍ وعشرين، واستقرَّ الشيخُ الجماليُّ هنالك قدرَ نصفِ شهرٍ، ولحقهم العَجَمُ إلى الجمعةِ، ثمَّ إنَّ الشيخَ الجمالي صارَ يتنقَّلُ في جبلِ الشرق.

---

(1) ظُلَمان: قرية في جبل حضور من عزلة بني الراعي، وظُلُمان قرية في عنس، «معجم المقحفي» ٤١٣.

وقعة دمام:

وصفة ذلك: أنَّ الشيخَ الجماليَّ أرسلَ الشيخَ عزيزَ بن عبدالله وجماعةً صحبتَه إلى جبلِ الدخينةِ، وهو جبلُ دمام ورتَّبَهُ، ورتَّبَ الحمامي، وقرن حطب وديرة، وأمّا العجَمُ فإنَّهم انتقلوا من الجمعةِ إلى المشاهد، وصاروا يرمُون المجاهدين إلى جبل دمام، ثم إنَّ الشيخَ الجمالي غار بجماعةٍ، وطرحَ في الخربةِ وعلول. ثم إنَّ العَجَمَ بعد أنْ خرَّبوا الحمامي، وقرن حطب وديرة، هجموا على جبل دِمام، ووقعَ هنالك حربٌ عظيمٌ وملحمةٌ عظيمةٌ قُتِلَ فيها من الفريقين جمٌّ غفيرٌ، ثم انتقلَ الشيخُ عزيز بمن معَهُ إلى الشيخ الجمالي، ورتَّبَ العَجَمُ الجبلَ، وتقدَّموا على الشيخ الحسام إلى الوثنِ[1].

وقعة الوثن:

وصفةُ ذلك: أنَّ الشيخَ الحسامَ كان باقياً في الوَثَنِ، فتقدَّمَتْ عليه العَجَمُ، وأخربوا البيوتَ بالمدافعِ، ووقعتْ هنالك ملحمةٌ عظيمةٌ، وبعد أن خربت البيوتُ انتقل الشيخُ الحسامُ إلى قريةِ الخربةِ، وكانت.

وقعةُ الخربة[2]:

---

(1) الوَثَن: قرية في بلد عَفَّار (موتك) بالشرق الشمالي من حجة، والمقصود الناحية من ناحية جبل الشِرْق غربي ذمار، انظر «الإكليل» ٢/٨٥، «صفة جزيرة العرب» ١٣٤، ١٧٦، «معجم المقحفي» ٦٩١.

(2) الخربة أو الخرابة، من مخلاف حمير الأصغر من آنس على مسافة قريبة من الجنوب الشرقي لمدينة ذي سُفَال، انظر «معجم الحجري» ١/٢٦، ٣٠٥، «معجم المقحفي» ٢١٣.

قُتِـلَ فيها من العجمِ جمٌّ غفيرٌ، وبعدَ ذٰلك، خرجَ المجاهدونَ منها. وكـانَ الشيخُ الحسـامُ قدْ عاذلَ الشيخَ عبـدالله بن عبـده راجـح أنْ ينتقـلَ المجاهدونَ إلى بيتِهِ، حصن المجرى، فأبى وامتنع عن ذٰلك، وبعدَ ذٰلك دخلَهُ العجمُ، وأحرقُوه، وكان على خمسةِ سقوفٍ، وبعدَ ذٰلك انتقلَ الجميعُ إلى عنـدِ الشيخِ الجمالي إلى خربة دِمام، وبقوا هنالك قليلاً مِنَ الأيام، واجتمعتِ العجمُ إلى جبـل دِمام، وحَضَر حينئذ القاضي الصفيّ أحمدُ بنُ مطهـر الغشم، فطلبَ المصـالحـةَ بينَ الشيخ الجمالي والعجمِ، على أنَّ المجـاهـدين يرتفعـون من مطرحِهِمْ، والعجمَ يرتفعون إلى ضَوْران، وذٰلك خديعةٌ مِنْ طريقِ العجمِ، فانتقلَ الشيخُ الجماليُّ إلى بُراح في بني أسعد[1]، وانتقل العجمُ، إلى الجمعةِ، وطلبوا مشايخَ بني أسعد، وأبى الشيخُ محمد جوين عن الوصولِ إلى العجمِ، وبعدَ أن طلبَ أهلُ بني أسعد من الشيخ الجمالي أنْ يرتفعَ مِنْ مَحَلِّهِمْ لِتَسَلُّمِ ثمرتِهِمْ، وكان حينئذ وقتَ حصادِها، استبقـوا الشيخ الحسامَ والشيخَ الفخري عبدالله بن عبدة راجح، فساعدهم الشيخُ الجمالي على ذٰلك وارتفع إلى حباب، ثم إنَّ العَجَمَ تقدَّموا على بني أسعد، ولمْ يصِحَّ مِنْ ذٰلك الصلحِ شيءٌ، وكانت.

وقعةُ زلف[2]:

في طرفِ بني أسعد، وصفةُ ذٰلك: أنَّ العَجَمَ تقدَّموا بعدَ انتقالِ الشيخ

---

(1) بنو أسعد: بنو أسعد في اليمن كثير، منها عزلة من ناحية مسور المنتاب من أعمال صنعاء، ومنها عُزلة من ناحية شَلِف من بلاد العُدين، وبنو أسعد، عُزلة من ناحية حُفاش، وأعمال المحويت، وغيرها، عُزلة من بلاد الشاحذية وأعمال الطويلة، انظر «معجم المقحفي» ٢٩.

(2) لعلها شَلِف.

الجمالي على الشيخِ الحسامِ ومَنْ معه، وكان في القرية المذكورةِ دامَ الحربُ نحوَ يومين، وخرجَ المجاهدون من بني أسعد، واستوْلى عليه العَجَمُ وانتقل المجاهدون إلى بيت الشيخِ محمدِ جُوين والى الخميس والشرف، ولحقهُم العَجَمُ إلى هنالك، وكانت:

وقعةُ الخميسِ والشرف:

وصفةُ ذُلك: أنَّ العجَمَ هجموا أوَّلاً على الخميسِ، وخرج منه المجاهدون إلى بيتِ الشيخ محمد الجوين، واجتمع المجاهدون هنالك، ووقعَ الحربُ هنالك ثلاثةَ أيامٍ، وتكوّن الشيخ الحسام في رجلِهِ، ووقعتْ هنالِكَ ملحمةٌ عظيمةٌ، وبعدَ أنْ خَرَبَ بالمدافعِ خرجَ المجاهدون إلى حصنِ الجبر، وكانت:

وقعةُ حصن الجبر:

وصفةُ ذُلك: أنَّ الشيخَ الحسامَ بدَ أنْ تكوَّنَ، انتقَلَ إلى الشيخِ الجمالي، وخرجَ الشيخُ محمد جوين ومن صَحِبَهُ من المجاهدين إلى حصنِ الجبر، ودامَ الحربُ بينَه وبينَ العَجَمِ ثلاثةَ أيَّامٍ، وقُتِلَ منهم جمٌّ غفيرٌ، فلمَّا أخربُوه بالمدافعِ، خرجَ الشيخُ محمد جوين إلى حصن دهمان(1)، وكانت:

وقعةُ حصنِ دهمان:

فإنَّ الشيخَ محمد لما خرجَ إلى حصنِ دهمان بيت جبر في بني أسعد، لحقَهُ العجَمُ، ووقعَ هنالك حربٌ عظيمٌ، ووصلتْ إلى هنالِكَ زيادةُ عسكرٍ

---

(1) دهمان: عزلة من ناحية حُفاش وأعمال المحويت، ودهمان بلد في خَمِر. وانظره في المتن هنا.

ومونةٍ من الإمامِ ـ عليه السلامُ ـ وأحاطَ العجمُ بالمجاهدين / حتى كادوا أن ياسروهم لولا ما أنزلَ الله من النَّصْرِ والصَّبْرِ، واستُشْهِدَ هنالك الشيخُ محمد جوين وتكـوَّنَ ابنُ أخيه عبـدُالله بن علي ومجاريحُ كثيرةٌ. وفي الترك قتولٌ كثيرةٌ، لأنهم هجموا على الحصن مرَّات، وبعد ذلك خرجَ المجاهدون من الحصنِ المذكورِ بعدَ أنْ صارَ قائماً صَفْصَفًا، ولحِقوا بمطرحِ الشيخ الجمالي [والذي من حضرة الإمام رجعوا إلى الإمام، وبعد ذلك حدث جرح في رجل الشيخ الجمالي][1] فمرِضَ منه مرضاً شديداً، فانتقل إلى قفر ذران ما بينَ عُتْمةَ وآنس، وبقيَ هنالك مريضاً، ولم يبقَ عنده إلا قليلٌ من المجاهدين، ومكَثَ العَجَمُ في الجمعـةِ يحصِّلون الـدراهمَ من البـلادِ. وبعدَ مدَّةٍ نحوِ شهرين أرسلَ الإمامُ ـ عليه السلامُ ـ الشيخَ علي مهدي شديق وصحبته قدرُ ستين رجلًا، فوقعوا لدى الشيخ الجمالي في القفر المذكور، واجتمعَ أهلُ عُتُمةَ إلى سوقِ السبتِ حقِّ الدنة، وتكاتبوا هم والعجمُ بأنَّهم يغزونَ الشيخَ الجمالي ومن بصحبتِهِ من المجاهدين، ويكونُ جهةُ العربِ من شقٍّ والعجمُ من الشقِّ الآخر، وكان الشيخُ الحسامُ حينئذٍ مريضاً، فنقلوه إلى بني الجرادي والشيخ الجمالي إلى جرفٍ بالقربِ منهم.

وقعةُ سوق الدنّة:

وصفتُها: أنَّ الشيخَ عزيز بن عبدِالله لمَّا بَلَغَهُ تجمعُ أهلِ عُتمةَ، غزاهم هو ومَنْ بصحبتِهِ من المجاهدين إلى سوقِ الدنَّة، وقتلوا منهم أربعةً وغنِموا غنائمَ كثيرةً، وأخذوا سلاحَهُمْ، وانهزَمَ أهلُ عُتُمةَ هزيمةً

---

(١) الإضافة من م.

فاضحةً، ورجعَ المجاهدونَ إلى مطرحِهِمْ سالمين، وبَقِيَ هنالك أربعةٌ، وتقدمتْ عليهم العَجَمُ، ولم يصِلِ النَّذيرُ إلاَّ والعجمُ على أثرِهِ، فحملوا الشيخَ الجمـاليَّ ومَنْ صحبته من الأمراضِ إلى جدة الذاهب. وبقي الشيخُ عزيز والمجاهدون في المطرح، ووقعَ الحربُ بينهم وبين العجمِ حرباً عظيماً، واستغارت أهلُ عُتُمةَ مع العجمِ، ودامَ الحربُ من الصَّباحِ إلى اللَّيلِ، ولحِقَ المجاهدونَ بالشيخ الجمالي، فما بقوا هنالك إلاَّ مدةَ تحصيلِ الغدا، ولحقهُم العجمُ على الأثرِ، فنقلوا الشيخَ الجماليَّ ومَنْ معَهُ من الأمراضِ إلى وادي حباب، وبقيَ الشيخُ عزيز والمجاهدون، واستمرَّ الحربُ بينهم إلى اللَّيل، ولحِقَ المجاهدون الشيخَ الجماليَّ، وبعدَ أنْ عجزَ العجَمُ عن إدراكِ الشيخ الجمالي، رجعوا إلى الجمعةِ وقد خيَّبَ اللهُ أملَهُمْ هُمْ وأهلِ عُتُمةَ؛ وانتقل الشيخُ الجماليُّ ومَنْ معه من حباب إلى فرش بني سُوَيد، وبقي هنالك مريضاً مدةً طويلة.

وقعةُ بيت الموعل:

في عُتُمة، وصفة ذلك: أنَّ الشيخَ قايد الموعل كَتَبَ إلى الشيخ الحسام أنَّه فاتَحَ بنيه بالجهادِ، وأرسلَ الرهينةَ، فعزمَ الشيخُ الحسامُ والشيخُ عزيز بنُ عبدِالله إلى بيت الشيخِ قائد، واجتمعتْ عُتمةُ جميعاً نحوَ ثلاثةِ آلافٍ وتلقَّاهم الشيخُ عزيز وصحبتُه قدرُ عشرةِ أنفارٍ، ووقعَ هنالك حربٌ وخطبٌ جسيمٌ، قُتِلَ فيه من مشـايخ عُتُمةَ الشيخُ حميدُ بن أحمد المطبابة وجماعةٌ صحبته نحوَ خمسةَ عشرَ رجلًا من دون المجاريحِ، وغارَ الشيخُ الحسامُ بمن معهُ، وقُتِلَ من المجاهدين رجلٌ واحدٌ لا غير.

ثمَّ إنَّ أهلَ عُتُمَةَ استدعوا العجَمَ واستنصروا بهم لذلك الخطبِ الذي

ألمَّ، ووقَعَ الحربُ في اليومِ الثاني في بيتِ الموعلِ بعدَ وصولِ العجمِ وكـان حربـاً عظيماً حتى أخربوا البيوتَ بالمدافعِ، وخرجَ المجاهدون منها وانتقلوا إلى وادي الصـافية بين أنس وعُتُمـةَ، وصـادفَ ذلـك طلوعُ حمولةِ العجمِ وصحبتها عسكرٌ، فغزاهم الشيخُ الحسامُ، ووقعَ بينه وبينهم حربٌ، وانتقـلَ الشيخُ الحسـامُ إلى جحف في ظهـر، وبقوا هنالك، والشيخُ عليٌّ مريض في المـرجـوم في بني أسعد، ثمَّ إنَّ العَجَمَ من بعد هذه الوقعات أنهكتهم الحربُ فكانوا / لا يتعرَّضون للمشايخِ آلِ راجح، بل إذا بلغهم أنّهم في أيِّ قريةٍ من القرى تركوا، وتحوَّلوا إلى محلٍّ آخرَ، كأنَّهم لا خبرَ عندهم منهم، فمكثوا مدةً لا يتعرّضون لهم بشيءٍ. ثمَّ انتقل الشيخُ الحسامُ إلى بني جحدب، وبعد أن كاتبَ العجمُ أهلَ عُتُمةَ وأهلَ رَيْمةَ ومَنْ أحبَّهم من بلادِ آنس على استئصالِ شأفةِ آلَ المقدادِ، أُخْبِرَ آلُ المقدادِ بذلك وَوَقَعَ الـرأيُ بأنَّ الشيخَ الجمالي ينتقلُ من المرجومُ على جهةِ الكَتْمِ، ويُظْهِرُوا للناس أنَّه عزَمَ إلى بني جحدب، فاجتمَعَ مَنْ عندَه، وكانوا نحوَ أربعينَ، وصحبتهم الشيخُ عزيز وعزَمُوا ليلاً، والناسُ يظنُّون أنَّ الشيخَ الجمالي معهم، فلم يَظْهَـرْ لهم إلاَّ في بني جحدب، وبعدَ عزمِهِم، عزَمَ الشيخُ الجمالي مريضاً، وصحبتهُ الشيخُ عبدُالله المقداد وصحبتهما نحوُ أربعةِ أنفارٍ، فاختَبَئوا في جرفٍ والنساءُ في جرف.

وقعةُ اللُّكمة:

وصفةُ ذلك: أنَّ الشيخَ عزيزاً لمَّا وصلَ إلى بني جحدب، حضرة الشيخ الحسام، وقصدَتْهُمُ العجمُ والعربُ، اقتسمتْ فرقتين: فرقةٌ صحبة القومندان محمد نظيف، طرحُوا في بني جابر وما يليها، وفرقةٌ من العجمِ والعربِ أهلِ

السلفية، طرحُوا في لكمة العربِ بعدَ أنْ أخذوا قراشَ أهلِ ظهر، وفي الليل غزاهم الشيخُ عزيز والشيخُ غالب بمن معهما من المجاهدين إلى اللكمة، وافترق المجاهدون فرقتين: فرقةٌ من جهة جبل فوجر، وفرقةٌ من جهة القريةِ، فلمّا وصلَ الشيخُ من جهةِ جبل فوجر، ووقع الحربُ افتشلَ العجمُ، وفكُّوا القَـراشَ التي كانوا نهبوها من ظهر، وأتاهمُ الشيخُ غالب بن علي من جهةِ القريةِ، وأخذوا القراشَ، ووقعَ الحربُ إلى طلوعِ الشمسِ، ورجعَ الشيخُ عزيزٌ والمجاهدون إلى مطرحِهِم، ثم انتقلتِ العَجَمُ من اللكمةِ إلى الظهرِ وغزاهم المجاهدون إلى هنالك، وهربت العربُ من رَيْمَة وعُتْمَةَ ولم يبقَ إلا العجمُ.

وقعةُ بني جحدب(1):

وصفــةُ ذلــك: أنَّ العَجَمَ تقــدَّمــوا على مَنْ في بني جحـدب من المجاهـدين، ووقـع هنـالك ثمانيةَ أيامٍ، واستُشْهِدَ من المجاهدين أربعةُ شهـداء، وأمَّـا مِنَ العجمِ فلا يُحْصَـوْنَ عدداً، وبعـدَ ذلك، انتقلَ الشيخُ الحسامُ ومَنْ صَحِبَهُ إلى بني خالد، ثم إنَّ العَجَمَ دخلوا بني أسعد يُدَوِّرون الشيخَ الجماليَّ، فلمّا أُخْبِرَ الشيخُ الجمالي ـ وكان مريضاً في الجرف ـ انتقلَ ليلاً إلى طرفِ قفرِ عانز، ثُمَّ إنَّ الشيخَ الجماليَّ وصلَ إليه النذيرُ أنَّ العَجَمَ الذين في جعيرة(2) قاصدون له، فانتقلَ إلى الجرفِ الأوَّلِ الذي كان فيه،

---

(1) جحدب: يقال جعدب (جعادب)، بلدة من عُزلة شهاب الأسفل من ناحية بني مطر، انظر «الإكليل» ٢/٢٦٢، «صفة جزيرة العرب» ٢١١، «معجم المقحفي» ٢١١.

(2) جعيرة: من بلدان ريمة قرب سِهَام، بها وادٍ يعرف بسائلة جعيرة، انظر «الأمير علي الوزير» ٦٦٣، «معجم المقحفي» ١٢٣.

وفي خلال ذلك، وصَلَتِ العجمُ إلى المحلِّ الذي كان فيه. ثم تقدَّمُوا إلى سهام، وكلّما وصَلُوا إلى قريةٍ أخربوها ونهبوا ما فيها من الأثاثِ والأنعامِ، فتلقَّاهُمُ الشيخُ صالحُ بنُ مهدي صاحبُ الهجرةِ بالحربِ وسلَبَ منهم وقتَلَ.

وقعةُ بني سُوَيد:

وصفتها: أنَّ العجمَ لمَّا صاروا يُخرِّبونَ البيوتَ وينهبونَ الأموالَ في سهامٍ، تلقَّاهُمُ الشيخُ الهمامُ عمر عاطف، وصحبتَه جماعةٌ، وأمدَّهُمْ الشيخُ الحسامُ بالحاجِّ المجاهد صالح الحميدي وصحبتَه جماعةٌ من المجاهدين، فوقَعَ حربٌ عظيمٌ، واستُشْهِدَ هنالك الحاج الفاضلُ صالح الحميدي ـ رحمه الله ـ مِنْ رجالِ بني ضبيان، وكانَ من أركانِ الجهادِ من أهلِ الصِّدْقِ والإيمانِ، وتكوَّنَ ابنُهُ الشيخُ محمد صالح، ووقع في العجمِ قتلٌ عظيمٌ، وسلَبُوا من بنادِقِهِمْ. وكانَ الشيخُ الحسامُ حينئذٍ في بيت الحجري، فانتقلَ إليه المجاهدون، وبعدَ ذلك عَقَدَ عندهم أهلُ المحلِّ أن ينتقلوا، فانتقلوا منها إلى قريةِ بوقة ثم إلى المنارة واجتمعت العجمُ إلى أسلع.

وقعةُ المنارِ(2):

وصفةُ ذلك: أنَّ العَجَمَ بعدَ اجتماعِهِمْ إلى أسلع، تفرَّقوا، فبعضُهُمْ عزَمَ عُتمـةَ، وبعضُهم السَلِفيّة ومحمـد نظيف /، وبعدَ العسكرِ رجعوا ضَوْرَانَ،

---

(1) بنو سُوَيْد: عزلة من مخلاف بني حاتم وأعمال ضوران آنس، انظر «معجم المقحفي» ٣٣٥.

(2) المقصود جبل المنار في آنس، انظر «تاريخ اليمن الثقافي» ٩٦١، «معالم الآثار» ٨٠، ١٠٤، «اليمن الكبرى» ١٠٤.

وبقيَ الشيخُ الحسامُ في المنارِ، ثمَّ إنَّ الشيخَ عزيزَ بن عبدِالله، التقى العَجَمَ الذين عَزَمُوا عتمةَ إلى الجَمْيمة(1)، ووقع بينَهُ وبينهم حربٌ، ثم بعدَ مدّةٍ تقدَّمَ محمد نظيف بمن معهُ مِنَ العساكرِ على الشيخِ الحسامِ ومَنْ معه إلى المنارِ، وكانَ مطرَحُ المجاهدين في صباحةَ وسِل(2) وبيت الحيّ وقرية المدارين، وهجمت عليهم العجَمُ ومحمد نظيف ومن صحبته من البوش، واستمرَّ الحربُ هنالِكَ قدرَ شهرين، ووقعتْ ملاحمُ عظيمةٌ يشيبُ لها الوليدُ ويرضى بها ربُّ العبيد، وقُتِلَ هنالك مِنْ كبارِ العجمِ محمد علي بيه قومندان، وخورشيد بيه واستُشْهِدَ من العربِ المجاهدين جماعةٌ.

ومِنَ الوقائع في هٰذه المدَّةِ أنَّ العجمَ تجمَّعُوا في ليلةِ العيدِ، وأرادوا الغدرَ بالشيخِ الحُسام؛ ظنّاً منهم أنَّ المجاهدين يتفرَّقُونَ في العيدِ، فحينَ قصَدُوا إلى المجاهدينَ وقعَ الحربُ وثبَّتَ اللهُ المجاهدين وهزَموا العَجَمَ، وقُتِلَ أحدُ البوش المذكورين، ثمَّ عادوا للحربِ بعدَ ذٰلك بالمدافعِ حتّى خَرَبتِ المواضعُ، حتّى وصلَ المجاهدون إلى قريةِ صباحةَ وبقوا هنالك. وقد كانَ نفذَ عليهم الزّادُ، ففرَجَ اللهُ عليهم أنْ وصل الطّلابُ للعجمِ إلى ضورانَ، فرجعوا للمحافظةِ على ضَوْرَانَ حينَ بلغَ العجمَ أنَّ الإمامَ ـ عليه السَّلامُ ـ أرسلَ المقادِمَةَ: سيفَ الإسلامِ محمدَ بن الإمام المتوكِّل، وسيدي العلّامَةَ صفيَّ الإسلامِ أحمدَ بن قاسم بن الإمامِ، وذٰلك في شهرِ محرّم سنة ١٣١٦، وبعدَ ذٰلك بقيَ الشَّيخُ الحسامُ في المنارِ، فوصلَ إليه من مشايخِ المغربِ

---

(1) الجَمْيمة: قرية في عُتْمة، والجَميمة اسم مشترك بين عدد من المواضع في اليمن، انظر «معجم المقحفي» ١٢٩.

(2) وَسِل: من قرى جبل مسار، غربي مناخة، انظر «معجم المقحفي» ٦٩٩.

الشيخُ يحيى بنُ عبـدالله الشجني والشيخُ أحمـد بن محمد الشجني وأعلنوا بالطاعةِ، وطلبُوا مقدّمياً صحبَتُهُمْ، فأرسلَ صحبتهم الشيخَ المجاهدَ غالبَ بن علي راجح وصحبتَه نحوُ مئتين، وغَزُوا إلى بيت نَصر في مغربِ عَنْس محلِّ حكومةِ العجمِ هنالك، فقتلوا مديرَ العَجَمِ ونَهَبُوا جميعَ ما في الحكومةِ، وطرحوا هنالِكَ، وتبعهم الشيخُ الحسامُ إلى هنالك، ولما وَصَلَ هنالِكَ طلبَ مشايخَ عنس، فوصلوا إليه مطيعين. ورَهَنوا، ثمَّ انتقلَ إلى بلادِ عُتُمةَ وكتبَ لمشايخِها وأطاعَ مَنْ أطاعَ، ورهَنَ. وأعْلَنَ بالفسادِ الشيخُ مصلح الريمي، ووقع الحربُ بينَهُ وبين المجاهدين، وكانَ مديرُ عُتمةَ لديه، فلمَّا رأى أنَّه لا طاقةَ لهُ بجنودِ الحقِّ، أظهرَ الطَّاعةَ، ورهَنَ وسَلَكَ كُرْهاً سبيلَ الجماعةِ.

وسلَّم الديرَ إلى يدِ الشيخ الحسام، ثمَّ إنَّ الشيخَ الحسامَ انتقلَ إلى الربوعِ، وكثُرَتْ لديهِ الجموعُ، وأطاعَتْ جميعُ البلادِ، ولمَّا رأَوْا أنَّه لا طاقةَ لهمْ بآسادِ الجهادِ، وكانوا نحوَ سبعين مئةٍ. وأمَّا الشيخُ الجمالي، فكانَ في هٰذه المدةِ في بني أسعد والشيخُ عزيزُ بن عبدالله في حضـران، وغزا في هٰذه المدة على القاضي حباشة كاتب مديرِ جبلِ الشرقِ فقَتَلَهُ ونَهَبَ جميعَ ما في بيتهِ. فلمَّا علمَ بذٰلك المديرُ هَرَبَ إلى عند العامري، فغزاه الشيخُ عزيز، وحاصرَ بيتَ العـامري، وتبعه الشيخُ الجمالي من بني أسعد، وأحاطوا عليهم وطابقوهم ووقعَ الحربُ بينهم، وقُتِلَ رجلٌ من المجاهدين، وبعدَ ذٰلك وقعَ الصُّلْحُ من طريق الفقيهِ صالح يحيى، وخرجَ المديرُ والعامريُّ، وتوجَّهَ الشيخُ علي وطَلَعَ المديرُ ضَوْران، وبقيَ الشيخُ الجماليُّ هنالك في محلِّ السعدي، وحصَّلوا عقـالَ النـاحية، وعقروا ورهنُوا، وبعدَ ذٰلك قدِمَ الشيخُ عزيزٌ وصحبته نحوُ تسعمئةٍ إلى أسلع، فطرَحَ هنالك، ولحِقَهُ الشيخُ الجماليُّ، وطلبَ مشايخ

حمير ونـواحيهـا، ورهنوا، وكانَ الفقيهُ أحمدُ السفياني من أعوانِ العجمِ، فهرَبَ إلى القارةِ فلحقَهُ الشيخُ عزيز وجماعةٌ إلى القارةِ محلِّ القضاةِ آلِ الغشم، وأخرجَهُ من عندِهِمْ ليلاً، وأوصَلَهُ إلى بعضِ الطريقِ وقَتَلَهُ صَبْراً.

حصار ضوْرَان:

ثمَّ إنَّ الشيخَ الجمالي / ومَنْ مَعَهُ من المجاهدين شمَّروا الهمَّةَ لحصارِ ضَوْرانَ، وكانَ مطرحُ المجاهدينَ إلى اللّحج، وخرجت العجمُ مِنْ ضَوْران ووَقَـعَ هنالِكَ حربٌ عظيمٌ يوماً وليلةً، واستُشْهِدَ من المجاهدين نحوُ ستةٍ، ومثلهُم قُتِلَ من أعوانِ العَجَمِ ومِنَ العَجَمِ كثيرٌ، ثمَّ إنَّ المجاهدين لم يَرَوْا اللَّحـجَ ميدانَ حربٍ فارتحلوا منهـا ليلاً، ورجعوا أسلعَ، وبعدَ ذلك وصلَ الشيخُ يحيى العُميسي إلى الشيخ الجمالي وطرحَ رهينةً، وجرّ القوم، وكانَتِ المطارحُ إلى النسمي وبيت الذيح وإلى شُهارةَ وخرجت العجمُ من ضَوْران، ووقعَ الحربُ في النسمى، وبعدَ ذلك في بيتِ الذيح، ووقعَ حربٌ عظيمٌ، وقُتِلَ مِنَ العَجَمِ خَلْقٌ وأُسِرَ تسعةٌ، ثمَّ إنَّ محمد نظيف قومندان عَزَمَ من ضورانَ إلى صنعاءَ ليلقى الرديف وأخذَ الرأي، والحصارُ مستمرٌّ على ضورانَ من جميعِ الجهـاتِ، ثمَّ إنَّ الشيخَ الجماليَّ بلَغَهُ أنَّ ثمَّةَ خيَّالةً في العدويةِ، فأرسـلَ الشيخَ الفخريَّ عبدَالله بن عبده راجح وصحبته نحوُ مئةٍ وخمسينَ. فلمَّا وصلَ العدويةَ ولم يَلقَ أحداً، كاتَبَ أهلَ بلادِ الروس، ففتحُوا البلادَ وأعلنوا الجهادِ، وكانت وقعةُ سامك، وقد ذكَرْنا صفتَها سابقاً، ثم إنَّ محمد نظيف لقي الرديفَ إلى نقيلِ الشلل واستجرَّ منهم عصابةً ودخلَ بهم من الفرش.

وقعةُ الفرش[1] :

ولمَّا وصلَ محمد نظيف الفرشَ، تلقّاهُ الشيخُ المجاهدُ عمر عاطف، ومَنْ صحبته من المجاهدين، ووقعَ بينه وبينَ العجمِ حربٌ عظيمٌ، واستغارَ عليهِ جماعةٌ من أصحابِ الشيخِ عليّ، ودامَ الحربُ ثلاثةَ أيامٍ ، وقَتَلَ من العجَمِ قتلاً كثيراً، واستلبوا من البنادِقِ، وعَزَمَ العَجَمُ من هنالِكَ إلى ضَوْرانَ، وكَتَبَ الشيخُ الجمالي إلى صنوهِ الشيخِ الحسامِ إلى بلادِ عُتُمةَ بالمبادرةِ بمَنْ معه من المجاهدين، فلمَّا وصلَ إلى حضرةِ صنوهِ أنفذَهُ إلى قريةِ أحلال مدداً للشيخ عزيز، وبقيَ هنالِكَ، وعزَمَ الشيخُ عزيز حضرةَ الشيخِ الجماليّ إلى أسلع، وبعدَ ذٰلك تقدَّمتِ العجمُ وكانَتْ أوّلَ وقعةٍ في الجرف، وقعَ هنالك حربٌ عظيمٌ يومين وليلتين حتى ضرب بالمدافع، ووقع في المجاهدين أكْوانٌ كثيرةٌ، وقُتِلَ من العجمِ كثيرٌ. ولما ضُربَتِ البيوتُ بالمدافعِ انتقل المجاهدون إلى إحلال، وأحاطت العجَمُ بالمجاهدين مِنْ يمينٍ وشمالٍ، ووقعَ حربٌ عظيمٌ، وقُتِلَ من العَجَمِ كثيرٌ، حتّى أخربُوها بالمدافعِ ، وخرجَ المجاهدونَ منهـا بعدَ الخراب، ومصابرةِ الجهادِ إلى حلّة هلال وتبِعَهُمُ العَجَمُ، ووقع الحربُ هنالكَ يوماً، وحصلَ في العجَمِ قتلٌ كثيرٌ، وضُربَتِ البيوتُ بالمدافعِ وانتقلَ المجاهدونَ إلى أسلع، وقبضوا بيت السفياني والمنظر، ولحِقَهُمُ العَجَمُ ووَقَـعَ الحربُ في المنظر، وفيه الشيخُ عزيز، ودامَ الحربُ يومين، وأصابَ

---

(1) الفَرْش: قاع فسيح يتوسط بين آنس وبني مطر، ويعرف بفَرْش آنس، فيه عدد من الحمـامـات المعـدنية الـطبيعية منها: حمام قمعة وحمام بني سُوَيْد، انظر «اليمن الكبرى» ٧٦، «معجم المقحفي» ٤٩٤.

الشيخَ عزيزاً جُرْحٌ وانتقل المجاهدون من هنالِكَ إلى مخمر. حضرةِ الشيخِ الجمالي، ومكثَ العجمُ في أسلع نصفَ شهرٍ.

وقعةُ مُطار:

وفي هٰذه المدةِ غزا الشيخُ الحسامُ إلى مُطار قاصداً لغشيم، وطرَحَ في بيت الغيل تحتَ الحصنِ، وتقدَّمَ الشيخُ عبدُالله بن عبده والمجاهدون ووقعَ الحربُ بينهم وبينَ غشيم، وأُخِذَتِ القُرى التي حولَ الحصنِ، وغارتِ البلادُ مع غشيم، ووقـعَ الحـربُ وقُتِلَ جماعةٌ من أهلِ البلادِ، واستُشهِدَ النقيبُ الأَجَـلُّ محمـدُ بن علي الشليف مِنْ رجـالِ نهم، وكـانَ من الصـادقين. واستغارت عسكرُ العَجَمِ وآل الأمْـر أنْ انتقلَ المجاهدون وقد أسروا ابنَ الشيخِ علي بن عبدالله غشيم، ورجع المجاهدون مخمر، وبقوا هنالِكَ مدَّةً، وتبعهُمُ العجَمُ ووقع هنالك حربٌ عظيمٌ، وكانَ الشيخُ عبدُالله بن علي راجح وصحبتـه جماعةٌ قد انتقلَ إلى بيتِ الجبرِ، وتقدَّمَتِ العَجَمُ ووقَعَ الحربُ، واستغـارَ الشيخُ عبـدُالله بن عبـده، فلمَّـا ضُربَتِ البيوتُ بالمـدافعِ، انتقل المجاهدون ليلاً إلى بيت معوضة، وكانت:

وقعةُ بيت معوضة:

وصفتها: أنَّه لما انتقل المجاهدون بيتَ معوضةَ، تبِعَهُمُ العَجَمُ على جهةِ السرعةِ إلى بيت معوضةَ فوقعَ الحربُ / وانهزمت العَجَمُ، وقُتِلَ الضابطُ وسُلِبَ هو وغيرُهُ من العَجَمِ، وبعدَ ذٰلك صارتِ العَجَمُ يرمون البيوتَ بالمدافعِ حتَّى خَرِبَتْ، وخرجَ منها المجاهدون إلى عران، ووقع هنالك حربٌ عظيمٌ وقَتَلُوا من العجَمِ قتولاً كثيرةً، وسَلَبُوهُمْ البنادِقَ، وبعدَ ذٰلك رموا البيوتَ بالمدافعِ

حتى خَرِبَتْ، فانتقل المجاهدونَ إلى اللفيق حضرة الشيخ الجماليّ. وبعدَ هٰذه الوقـائعِ ، وقع الرأيُ بأنْ يعزِمَ الشيخُ الجماليُّ والمجاهدون إلى بلادِ المغرب لِتَشْتِيتِ أفكارِ العَجَمِ ، فلمَّا وصلَ الشيخُ الجماليُّ إلى طرفِ بلادِ مغرب عنس تلقّاهُ أهْلُ البلادِ، وفتحوا بيوتَهم للجهادِ، وكانوا قدْ رَهَنُوا سابقاً، وصارَ المجاهدون يتنقلون في البلادِ، ثم إنَّ العَجَمَ تبعتْهُمْ من بلادِ آنس، وخرجَ جماعةٌ من مدينةِ ذمارٍ، واجتمعَ الجميعُ إلى مغربِ عنس.

وقعة جِبْلَة(1) :

وصفةُ ذٰلك: أنَّها لما تجمَّعَتِ العجَمُ ارتاعَ أهلُ بلادِ المغربِ، ولم يبقَ غيرُ السيدِ الأجَلِّ الماجِد أحمد ( )(1) الساكن في قريةِ جبلةَ، فاجتمع المجاهدون إليها، واجتمعتِ العَجَمُ عليهم مِنْ كلِّ جانبٍ، وصَبَرَ المجاهدون وصابروا، واستُشْهِدَ من المجاهدين عشرةٌ، وتكوَّنَ القاضي المجاهدُ جمالُ الدين علي بنُ عبدِالله الريمي أكواناً كثيرةً كانَتْ سببَ وفاتِهِ ـ رحمهُ اللهُ ـ بعدَ أنْ نُقِلَ إلى بلادِ الحدا. وأمَّا القتولُ مِنَ العَجَمِ فكثيرةٌ، وبعدَ أنْ أخربت

---

(1) جِبْلَة: مدينة مشهورة بالجنوب الغربي من إب بمسافة ٧كم، ابتناها عبدالله بن محمد الصليحي سنة ٤٥٨هـ، يتبعها عُزلة المكتب، ورَاف، والرَّبادي، والشراعي، والثوابي، والشهلي، والأصابح، وعُزلة جبل الرعويين، وعزلة أنامر أعلا وأنامر أسفل، وعزلة المِعْشار، انظر «نشر العرف» ١/٢٠٣، ٢٠٢-٢٠٥، «نيل الوطر» ١/٨٦، «هٰذه هي اليمن» ٥/١٢٠، «اليمن عبر التاريخ» ٢٠٢، «صفة جزيرة العرب» ١٦٨، «الإكليل» ٨/٣٦، «معجم المقحفي» ١٠٩.

---

(١) بياض في كل النسخ.

المـدافعُ البيوتَ، خرَجَ المجاهدون منها بعدَ أنْ أبْلَوْا بلاءً حسناً واستأهلوا عظيمَ المـدحِ والثنـاءِ، وبعـدَ ذلـك، عادَ الشيخُ الجمـاليُّ بمَنْ مَعَـهُ من المجاهدين إلى جبلِ الشرقِ، وما زالَ يتنقَّلُ في القفارِ، وتَبِعَهُ العَجَمُ إلى بُراح ووقـع هنالِـكَ حربٌ يسيرٌ، ورجَعتِ العَجَمُ الجمعـةَ، وبقيَ الشيخُ الجماليُّ في محبن، والشيخُ محسنٌ في نجد عانز.

وقعةُ قفر ذران:

وصفتهـا: أنَّ الشيخَ عبـدَالله بن علي راجـح كَمَنَ هو وجمـاعـةٌ من المجاهدين للعَجَمِ في قفرِ ذران حينَ نزولِهِمْ من ضورانَ وعثَرُوا بهم، ثمَّ وقَعَ الحربُ بينهم إلى الظُّهْرِ. وفي اليومِ الثاني هَجَمَتِ العَجَمُ على الشيخِ عبـدِالله وجمـاعتِـهِ إلى القفرِ المذكورِ، فانقسمَ المجاهدونَ فرقتين: الشيخُ عبـدُالله وجمـاعةٌ في كولةٍ، وكولةٌ فيها جماعةٌ من بني جبر، فقَصَدَ العَجَمُ الكولةَ التي فيها بنو جبر فانهزموا، ولحِقَهُمْ العَجَمُ حتى صارَ الشيخُ عبدُالله ومَنْ مَعَهُ مِنْ خلْفِ العجمِ فبادَرَهُمْ بالحربِ وانهزمتِ العَجَمُ ودامَ الحربُ من الصبحِ إلى الغروبِ.

وقعةُ بُراح:

وصفتُهـا: أنَّ العجَمَ نزلوا من خميسِ بني أسعدَ قاصدين قريةَ بُراح، فباشرَهُمْ أهْلُ بُراحٍ بالحربِ، واستغارَ عليهم الشيخُ عزيزُ بنُ عبدِالله وصحبته جمـاعـةٌ من المجـاهدين، ووقعَ الحربُ من الصبحِ إلى الليلِ، ورجعتِ العَجَمُ إلى مطارحِهِمْ، وبعدَ ثمانيةِ أيامٍ، كانتْ:

وقعةُ حَصَبان[1] وجعيرة[2]:

وصفتهـا: أنَّ العَجَمَ قَصَـدُوا حصبـانَ وجعيرةَ والتقـاهم المجـاهـدون بالحربِ، ووقَعَ الحربُ هنالِكَ يومين، وأخْرَبَ العَجَمُ بيتَ البوصِ، وذٰلك في شهر الحجة لسنة ١٦، ثم إنَّ العَجَمَ لمَّا أعياهُمُ الشيخُ الجماليُّ ومَنْ معَهُ من المجاهدين، رجعوا إلى بني أسعد يتربصون الرأي الآبد.

وقعةُ خربة بني أسعد والخُمَيْس:

وصفةُ ذٰلك: أنَّ العَجَمَ قَصَدُوا الشيخَ عزيزاً ومَنْ مَعَهُ من المجاهدين إلى المواضعِ المذكورةِ، ووقعَ الحَرْبُ بينهم، وكانَ ذٰلك آخرَ الوقايعِ السابقةِ على مُدَّةِ الصُّلْحِ. وبعـدَ ذٰلـك أرسلَ العجمُ إلى الشيخِ الجمالي يطلُبُ الصُّلْحَ من طريق قائمقام مناخة عبدالرشيد، وطلبوا وصولَهُ إليهم، فلمْ يَثِقْ بأمانِهِمْ، بلْ أرسلَ إليهم الشيخَ عزيزاً، فدخلَ مناخةَ وتمَّ الصُّلْحُ على تأمين الشيخ علي ومنْ يلوذُ بِهِ، وجعلوا لَهُ ولِمَنْ يلوذُ به معاشاً في كلِّ شهرٍ، واستمرَّ ذلك إلى شهرِ رمضانَ سنة ١٣١٨، وعادَ الشيخُ الجماليُّ إلى نشرِ رايةِ الجهادِ كما ذكرنا سابقاً، واعتذَرَ عمّا سبقَ من التفريط.

---

(1) حَصَبـان: عُزْلَـة من ناحية المِسْرَاخ بالجنوب من جبل صبر، وهي حصبان أعلى وأسفل، بها سكن المشائخ من آل عثمان ومحمود عبدالحميد، وحصبان من المذيخرة جنوبي العُدين، وحَصُبان: عُزلة من بلاد حراز، شرقها وادي دايان بالحيمة الداخلية، وغربها جبل بني إسماعيل، وجنوبها عزلة المغاربة، وشمالها طريق الحديدة ـ صنعاء، انظر «الإكليل» ٣٤٢/٢، «تاريخ اليمن الثقافي» ١٠٣/١.

(2) جعيرة: من بلدان ريمة قرب سهام، بها وادٍ يُعرف بسائلة جعيرة، انظر «الأمير علي الوزير» ٦٦٣، «معجم المقحفي» ١٢٣.

ذكرُ ما تجدَّد مِنَ الوقائع في البلادِ الآنسية وغيرها، وذٰلك في سنة ١٣١٩ وما بعدَها:

وقعةُ المضياع في شهر جماد أوَّل سنة ١٩:

وصفةُ ذٰلك: أنَّ الشيخَ الجماليَّ علي المقداد ومَنْ معهُ من المجاهدين قصَدوا المضياعَ بيتَ القامضِ، ومكثوا هنالك قدرَ خمسةِ أيامٍ، ثم قصدَهُمُ العَجَمُ، ووقـعَ هنـالِـكَ حربٌ عظيمٌ، واستـدامَ الحربُ سبعةَ أيَّامٍ، فكانَ المجاهدونَ كلَّما هَجَم عليهم العَجَمُ تلقَّوْهُم بالحربِ، حتى أثْخَنوهم بالقَتْلِ والجراحاتِ، فتركوا الهجومَ، وصاروا يَرْمُونَ القريةَ بالمدافعِ حتى أخربوها، وقُتِـلَ مِنَ العَجَمِ في هٰذه الوقعةِ خلقٌ كثيرٌ من جُمْلَتِهِمْ اثنانِ مِن كبارِهم واستُشهِدَ من المجاهدين جماعةٌ، منهمْ النقيبُ الأجَلُّ عايض سراج من بني جبر، والنقيبُ الأَجَلُّ عليُّ بن محمد أبو راس، والفقيه الأَجلُّ عبدُالله بن علي الشامي. وقبَل هٰذه الوقعةِ كانَتْ:

غزوةُ كرنفة:

وصفةُ ذٰلك: أنَّ الشيخ الجماليَّ أرسلَ الشيخَ ناصرَ بن علي بن راجح، وجماعةً يتلقَّوْنَ الشيخَ الشريفي، ويأخذونَ ما معه من السّياق الذي للعَجَمِ، فعزمَ بعضُ المجاهدين إلى السوقِ لشراءِ بعضِ محتاجاتٍ، فقامَ عليهم مَنْ في السُّوقِ مِنَ الشوافع، وصاحوا وأرادوا القبضَ عليهم، فانحازوا وقتلوا واحداً مِنْ أهلِ السُّوقِ، ونُهِبَ السُّوقُ بما فيه، بسبب ذٰلك، ورجعَ المجاهدون إلى الشيخِ الجماليّ، وهو في المِضياع، وبعدَ خروجِ المجاهدين من المضياع، انتقـلَ الشيخُ الجماليُّ بمنْ معَهُ إلى أسلع ليدبِّرَ عملاً ينفعُ، وبقيَ الشيخُ

المجاهدُ محمدُ بنُ علي القامض ومنّ معه نحو ثلاثين رجلاً حول المضياعِ لمشاغلةِ العجمِ، حتى شدَّ العجمُ راجعين إلى ضورانَ، فلحقَهم إلى رمع، ووقع حربٌ عظيمٌ، وحصلَ قتلٌ كثيرٌ في العجمِ، وسلَبُوا منهم بنادقَ كثيرةً، وارتفعوا - أعني العجم - إلى ضَوْرانَ، وعزَمَ الشيخُ الجماليُّ بمَنْ بقي معهُ الفرشَ.

صورة أبياتٍ جعلَها الإمامُ - عليه السلام - في صدرِ مكتوبٍ إلى بني راجح الشيخ الجمالي وذويه بعد هٰذه الوقائع: [الخفيف]

هٰكذا فليكُنْ بناءُ المعالي واكتسابُ الجزاءِ من ذي الجلالِ
يا بني راجحٍ جُزيْتُمْ عن الدّيـ ـن جزاءً من رامَهُ لا يُبالي
لا يُبالي إذا المساكِنُ هُدَّتْ والأماني عَفَتْ بضَرْبِ النِّصالِ
لا يُبالي إنْ قاسَمَ الوحشَ قفراً طالباً للعدُوِّ في كلِّ حالِ
ولِهٰذا جاءَ الإلٰهُ بنصرٍ خارقٍ للعُقولِ عندَ القِتالِ

حادثةٌ في يوم السبتِ، ثاني محرم، سنة ١٣١٩هـ.

أُحْرِقتْ سمسرةُ علي يحيى صاحب وُعْلَان(1)، وكان فيها ناسٌ كثيرٌ ويغالٌ وحمير، والسببُ في ذٰلك: أنَّ رجلاً من أصحابِ الشيخ محمود بن محمد صاحب الدارِ البيضاءِ، كان بينَه وبينَ الشيخِ المذكورِ خصامٌ، فتربَّعَ عندَ الفلاحي صاحب الحدا.

---

(1) وَعْلَان: في أرض رَدْمان، شرقي رداع، تعرف اليوم بالمِعْسَال، هي خربة الآن، وهي غنية بالآثار، انظر «المدارس الإسلامية» ٧٥، «الإكليل» ٨/١٧٥، «معالم الآثار» ٩٦، «صفة جزيرة العرب» ١٥٦.

ثمَّ ما زالَ ينتهزُ الفُرصَةَ في إنزالِ الضررِ بالشيخِ محمودٍ ويتربَّصُ له حتى إذا لاحتِ الفُرصةُ في الليلةِ المذكورةِ، وباتَ الشيخُ في السمسرةِ المذكورةِ لدى المديرِ السيدِ محمد فايع مدير بلاد سنحان[1]، وكان صحبته جماعةٌ من عُقَّالٍ وعلانٍ وضبطيةٍ وتركٍ، أخذ الرجلُ المذكورُ وقارَ حمار باروت وتغرَّرَ وأظهرَ أنَّه حبٌّ، وأنَّه مشتاطٌ، ودخل السمسرة المذكورةَ، حتى إذا غَفِلَ الناسُ وناموا فرَّقَ الباروتَ في جميع أركان البيتِ.

وفي وقت الفجرِ صاح بالمسافرين، فجرٌ يا مسافرين! أخرجوا، وكرَّر ذلك عليهم، فخرجَ مَنْ خَرَجَ، وبقي من بقيَ، وأشعلَ الرجلُ الباروتَ، فهلَكَ جميعُ من في السَّمسرةِ: خمسةٌ وثلاثونَ رجلاً، وما فيها من بغالٍ، وأخذَ اللهُ بذلك الثأرِ للحاج المجاهد علي بن محمد الأكوع ـ رحمه الله ـ فإنَّه
191أ تمالأ عليه أهلُ وعلان في شهر رمضان، سنة ١٣١٨ فقتلوه / وأدْخلوا رأسَه إلى (٢والي العجمِ٢) حسين حلمي تقرُّباً إليه، فأصابَهُمْ سيئاتُ ما مكَرُوا، وهَلَكَ تحتَ هذا الحريقِ أكثرَ مَنْ مالأَ على ذلك، ويُقالُ: إنَّ ذلك وقعَ بمفاوضةِ الإمامِ ـ عليه السلامُ ـ وأيقنَ أعوانُ العجمِ أنَّ ذلك وقعَ بأَمْرِ الإمامِ ـ عليه السلامُ ـ لأخذِ الثَّأرِ، وعظُمَ ذلك عليهِمْ، وشاعَ في الأقْطارِ بأَنَّ الإمامَ أخذَ بالثَّأرِ، والأمْرُ ما ذَكَرْنا.

وفي هذه المدةِ، خرج مِنْ صنعاءَ نحوُ ثلاثينَ رجلاً من التُّركِ وأعوانِهِ يخرُجُونَ قَصّاً، فسقَطَ فوقَهُمْ جُرْفُ القَصِّ، وهلَكُوا عن آخرِهِمْ.

---

(١) في هامش نسخة م: «بلاد أروس».

(٢ ٢) سقطت من ع.

غزوةُ الرَّوْضةِ: وما يُنْسَبُ[1] إلى ذٰلك من الوقائعِ في بلادِ أرحب:

وصفةُ ذٰلك وسببُهُ: أنَّ العجَمَ طلبُوا عُقَّال أرحبَ، فدخَلَ بعضُهم، مَنْ كانَ يعتادُ الدُّخولَ، وتأخَّرَ عَنِ الدُّخولِ مَنِ انْتمىٰ إلى الإمامِ ـ عليه السلامُ ـ فلمَّا دخلَ أولٰئك الجُهَّالُ، طلَبَ منهمُ العَجَمُ أموراً منها: أنْ يمنَعُوا أصحابَهُمْ عنْ قبولِ مقادمةِ الإمامِ والمصدِّقين عن قَبْضِ الزَّكاةِ، وأنْ يَمْنَعوا المجاهدين منهمْ عن الجهادِ، فخرجوا مِنْ عندِ العجمِ على تحصيلِ هٰذه الأطرافِ ورفعِ الخلافِ.

فلمَّا وَصَلُوا إلى البلادِ، فتحُوا على أصحابِهِم ذٰلك المُرادَ، وأرادُوا أن يتفاوضُوا فأمَرُوا الدوشانَ أنْ يصيحَ بأَنْ يُخْرِجُوا أصحابَ الإمامِ، ويبقى مَنْ عَداهُمْ للمفاوضةِ، فخرَجَ الناسُ الذين في السُّوقِ جميعاً، ولم يَبْقَ إلَّا عقَّالُ العَجَمِ، نحو الخمسةِ.

وكان الوالي حسين حلمي قد هَدَرَ رجالَ أرحبَ في كلِّ قضاءٍ، فقبضَ بنو الحارث منهم جماعةً، وأدْخَلُوهُمْ إلى العَجَمِ، وكان بَينَ بني الحارث وأرحبَ ضغائنُ سابقةٌ، فكانَ جميعُ ما ذكَرْنا من الدواعي، بأنْ تُواليَ جماعةٌ منْ رجالِ أرْحَبَ على غزوِ الرَّوْضةِ، ففاوَضوا الإمامَ ـ حفظه اللهُ ـ في ذٰلك، فأذِنَ لهم، بشرطِ أنْ لا تقعَ النِّكايةُ إلَّا فيمنْ عاوَنَ العَجَمَ وتعدَّىٰ وظلَمَ، فعَـزَمـوا، وصحبتَهم السيد الجمـالي عليّ بن علي السـراجي، فَغَـزَوا إلى الرَّوْضةِ، ونهَبُوا بيتَ الفقيهِ حسين مطير، وهوَ من أعوانِ العجَمِ، وقُتِلَ هنالك مِنْ أرحبَ رجلان، ووقعَ الحربُ مدَّةً يسيرةً حتى غارَتِ العَجَمُ منْ صنعاءَ،

(١) في م: وما تسبب ذلك من الوقائع.

وحصلَ لهٰذه الغزوةِ عندَ العجَمِ والعَربِ وقعٌ عظيمٌ، وحَسِبُوا أنَّهُمْ سكَتوا عن العربِ، بعدَها تجارُوا على أمورٍ عظيمةٍ، فاجتمعَ مِنْ عَسْكَرِ العجَمِ نحو ستين مئةً، وطرَحوا في بيت دُغيش.

ثمَّ تقدَّموا بلادَ أرحبَ فافتشلوا وما قَصَدَ قومٌ إلى ديارِهِمْ إلاَّ ذَلُّوا، فلمَّات وصلوا نوسـان، أخربوا بيتَ الشيخِ محمد القرماني وجميعَ نوسانَ، وبيوتَ الشيخ راجح بن حسين بن سنان، حتى وصلوا إلى بيتِ الخياري[1]، فطلَبُوا منهمْ محتاجاتٍ، وكانوا قد أمَّنُوهُمْ، فلمَّا اشتدَّ عليهم الطَّلَبُ، قالَ رجُلٌ منهم يُسَمَّى النقيب منصور الحَبَّاري للشيخ شريان الحَبَّاري: أنتَ أمَّنْتَنا، والآنَ قد الكلام غيره. فقالَ له: الآنَ قاتِلْ. فدخلَ بيتَه، وكانَ العَجَمُ بينَ البيوتِ، فقَتَلَ منهم نحوُ ثلاثين رجلاً حتّى قُتِلَ، رماه بعضُ العَجَمِ إلى سطحِ بيتِهِ، وكان لا يحتمي[(١)].

ثمَّ إنَّ الإمامَ، عليه السلامُ، أرسلَ الكُتُبَ إلى رجالِ أرحبَ، يحثُّهُمْ على الجهـادِ، وأمـدَّهُمْ بالمـونةِ والزَّادِ / ، وكانَ قدْ اشتغلَ كلُّ واحدٍ بنقلِ أثقالِهِ، ولم يَبْقَ إلاَّ نحوُ خمسين رجلاً شمَّرُوا الهِمَّةَ لمناجَزَةِ العجمِ ، ونالوا بذلـك المجـدَ والكـرمَ، وطـارَ إليهم أسـاطينُ الجهـادِ، كالشيخِ المجاهدِ أحمدَ بن أحمد مساعد والشيخ الجمالي عليّ بن ناصر الشاويش، وجماعةٌ من رجالِ خارف، وكانوا قد تقاعدوا هم وإيَّاهم عن الجهاد قبلَ ذٰلك، فلمْ يفِ

---

(1) لعلها الحَبَّاري، من مشائخ أرحب، منهم الشيخ مرشد بن حسين الحَبَّاري، انظر «معجم المقحفي» ١٤٨ والخيار قبيلة.

---

(١) في م: يحتجي.

منهُمْ إلاَّ القليل.

ثم لما وصلَ العجمُ نُوسانَ ـ كما ذكرنا آنفاً ـ ومعهمْ ثمانيةُ مدافعَ، أخربوا نوسانَ، بعدَ أنْ تلقَّاهم الشيخُ محمد القرماني وصحبته نحوُ خمسةٍ وعشرينَ نفراً، وقعَ حربٌ يسيرٌ، ثمَّ فرَّ الشيخُ محمد القرماني ومَنْ مَعَهُ، وبعدَ أنْ أخربوا نوسانَ، انتقلوا بيتَ ابنِ سنان، وأخربوا بيتَ الشيخ راجح ومَنْ إليهِ منَ الشِّيعةِ.

ثمَّ انتقلوا إلى المشامين(1)، بلاد ذيبان(2)، وأحرقُوا في المشامين ثلاثَ قُرى، ولما وصلَ الشيخُ المجاهدُ أحمد مساعد وصحبته نحوُ سبعين رجلاً من خارف، وقفُوا في الرجو(3) ووجدُوا البلادَ خاليةً، حتَّى أنَّهم لَمْ يَجِدُوا مَنْ يصنعُ لهمُ الزَّادَ، وكانَ أرحبُ جميعاً قد فَرُّوا بأثقالِهِمْ، فكاتَبَهُمُ الشيخُ أحمدُ، فاجتمعَ إليهِ منهمْ نحوُ ستين رجلاً، وعَزَمَ الجميعُ لمناجزَةِ أعداءِ اللهِ في المشامين وبيتِ الشلح، فاتَّفقوا هم وأعداءُ اللهِ هنالك، ووقعَ الحربُ من العصرِ إلى العشاءِ، وباتَ العَجَمُ في المشامين، والمجاهدون قريبٌ منهم، ثمَّ لمَّا لم يجدوا مَنْ يصنعُ لهمُ الزَّادَ(١)، انتقلوا إلى الرجو، وتَبِعَهُمْ العجمُ في اليوم الثاني إلى الرجو، فوصَلُوا هنالك بعدَ الظهرِ، ووقعَ الجهدُ بينهمْ وبينَ المجاهدين من الظُّهْرِ إلى العشاءِ في السوادِ القاطعِ بينَ الرَّجَوِ

(1) المشامين: بلد وواد في أرحب، انظر، صفة، ١٥٩.

(2) ذَيْبَان: قبيلة معروفة في بلاد أرحب، منهم بنو الذيباني، أهل عَمَّار في ناحية النادرة، انظر «الإكليل» ٢١٧/١٠، «صفة جزيرة العرب» ١٥٩.

(3) الرُّجَوُ: من قرى أرحب.

(١) في م: زاداً.

وناعط. ووقعَ في العجمِ قُتولٌ، وباتَ المجاهدونَ في بيت الجالِد[1]، والعَجمُ في الرَّجو.

ثمَّ إنَّ المجاهدين صارُوا فرقتين: فرقةٌ عزمَتْ روضةَ شعب لتلقى السياقَ الخارجَ من صنعا، وفرقةٌ غزتِ العَجَمَ إلى الرَّجوِ، فباتوا يرمُونهمْ إلى الصباحِ.

ولما بلغَ العجمَ أنَّ المجاهدين في بابِ روضةِ شعب رجَعُوا بيتَ مِرَّان[2] في يومِ الأحدِ، رابعَ جماد أوَّل، وقعَ الحربُ، وصفةُ ذلك:

أنَّ المجاهدين قصَدُوا ما بين الغنمي وبيت دَفَّع لتلقِّي الحمولةِ الخارجةِ من صنعاءَ، فوَصَلَ النذيرُ إلى العجمِ أنَّ المجاهدين قدْ قطعُوا الطريقَ، فقصدُوهم بالعَسْكرِ والخيَّالةِ، ونشأ الحربُ منْ بيت دفع والغنمي، فانهزمَ المجاهدون والعجَمُ عَنْ يَمْنَتِهِمْ ويَسْرَتِهِمْ حتى وصلَ المجاهدون إلى المشامين حد بني جرموز، حتَّى سُمعَ الحربُ إلى الروضةِ، ورجعتِ العجمُ بيتَ مِرَّان والمجاهدون يرمُونهم حتى طُمِسَ اللَّيلُ، وباتَ العجَمُ في وسطِ السَّوادِ، وقدْ وقعَ فيهم نحوُ ثلاثةِ مقاتِيلَ وخمسةٍ وعشرينَ مجروحاً، ورجَعُوا بيتَ مرَّان، والمجاهدون انتقلوا إلى قريةِ خَبَّةَ[3]، وتقدَّمَتْ عليهمْ العَجَمُ في يومِ الخميسِ نصفَ جمادي أوَّلَ سنةِ ١٣١٩، ووقع الحربُ مِنَ الظُّهرِ إلى

(1) بيت الجالِد: قرية من عُزلة الخُمَيْس من بلاد أرحب.

(2) بيت مِرَّان: عُزْلة في أرحب همدان، انظر «الإكليل» ١/٣٢٥، «اليمن الكبرى» ١٩٢، «صفة جزيرة العرب» ١٢٩، ١٧٨، «معجم المقحفي» ٥٨١.

(3) خَبَّة: تنسب إلى الوادي بين وِعْلان وخِدَار من ناحية بلاد الروس، في الجنوب من صنعاء، انظر «صفة جزيرة العرب» ٢٩٥، «معجم المقحفي» ٢١١.

العشاءِ، وباتَ العجمُ في خَبَّة، والمجاهدون في الرَّجْو وبيت الحذْب(1).

ويومَ ثاني تقـدَّمتِ العجَمُ على بيتِ النقيبِ حمود أبو غانم في عيالِ عبدِالله فأحرقوه، وأخذوا مِنَ البيت حبوباً، قدرَ مئةٍ وخمسين قدحاً.

ويومَ السبتِ رجَعُوا من بيتِ النقيبِ حمودِ إلى الرَّجْو، والمجاهدون في ١٩٢أ أَثَرِهِمْ يرمُونَهُمْ ويقتلونَ منهُمْ، وأخذوا مِنْ سلاحِهِمْ / بندقتين، وفي بعضِ هٰذه الوقعاتِ وجَدُوا الفقيهَ عليَّ بن علي اليكولي، وكانَ من المجاهدين ميِّتاً، وليسَ فيه أثرُ سلاحٍ. ثمَّ إنَّ العَجَمَ باتوا في الرَّجْو.

وفي يومِ الأحدِ ١٧ جمادى الأول، انتقلوا إلى ظهر حَسَّان(2)، وبقوا هنالِكَ يومينِ، ثمَّ انتقلوا إلى بيتِ الغنمي وأتباعٌ لهم مجاهدون إلى شعب دُغَيْش، فغـزتهم العَجَمُ إلى هنـالـكَ، ووقـعَ حربٌ عظيمٌ وتكـوَّنَ النقيبُ محمد بن حسن العذري من المجاهدين وجحاف، وصار في العجمِ قَتْلٌ، ورجَعَتْ العَجَمُ بعدَ ذٰلكَ نوسانَ، يُفْسِدونَ الزَّرْعَ.

وفي مدةٍ نحوِ ثلاثةِ أسابيعَ، انقطَعَ عليهم السياقُ من صنعاءَ، وكانَ عندَ خروجِهِمْ قد طَلَبُوا النقيبَ عبدَالله بن عبدالوهاب (١[بن سنان]١) مُديرَهم، والعميثلي وابنَ سوا وابنَ مهدي وابنَ يحيى مفلح وشريان الحَبَّاري وبقوا هُمْ

(1) الحَـذْب: عُزْلـة من بلاد البستـان (بني مطر)، والحَذْب: عُزْلة من ناحية الحيمة الداخلية، والحَذْب: بلد في جبل بَرَط، انظر «معالم الآثار» ٣٤، «صفحات مجهولة» ٦٨.

(2) حَسَّان: بلد من أرحب، انظر «معجم المقحفي» ١٧١.

(١ ١) الإضافة من ع.

في صنعاءَ، فلمَّا انقطعَ على العَسْكَرِ السياقُ، أخرجُوهُمْ مِنْ صنعاءَ لإصلاحِ البـلادِ والطريقِ، فسَعَوْا في إصلاحِ البلادِ وساقَ بعضُهُمْ كفاياتٍ للعجم. فلمَّا ظنُّوا أنهمْ قدْ أنكَوْا بلادَ أرحبَ، وصلَ لهم الأمرُ بالعَزْمِ إلى بلادِ السودِ، وقدْ كانتْ أرْجَفَتْ منهم بلادُ خارف، وظنّوا أنّهُمْ واصلون إليهم فراسلُوهم بالمصالحةِ وتسليمِ بعضِ كفاياتٍ. وقدْ كانَ الإمامُ ـ حفظه الله ـ أرسلَ الحاجَّ الفـاضلَ حزامَ بنَ ناشر الروحاني بمونةٍ كثيرةٍ ودراهمَ في كفايةِ المجاهدين وحثَّ خارف وأرحبَ على الجهادِ، فبقيَ الحاجُّ حزامُ مدةً في هجرةِ الصَّيْدِ، ولم يتمَّ له ذٰلك المقصدُ.

وقائعُ بلادِ السود، والسببُ الباعثُ للتَّجهيزِ مِنَ العَجَمِ، هو:

أنَّ رجـلاً مِنْ أهلِ قريةِ الخَدرة[1] تخاصَمَ هو وتركيٌّ، فقُتِلَ التُّركيُّ، وهرَبَ إلى مقدَّمي السود السيد الهمام الفخري عبدِالله بن يحيى أبي منصر مُتَجَوِّراً إليه، فلمَّا كانَ إلى هٰذه المدَّةِ في شهر ربيع آخرَ سنة ١٩، نزلَ ابنُ بدرِ الدين من الخِدرةِ يعملُ في أملاكِهِ في الشطين، فرآه ذٰلك الرجلُ الذي قَتَلَ التركيَّ فرماهُ فهرَبَ، وعَرَّفَ أهلُ الخدرة إلى المقدَّميِّ بذٰلك، فبذَلَ لهمْ شرعَ اللهِ: همْ وغـريمِهم الشاردِ الذي قَتَلَ التركيَّ، فسوَّلَ الشيطانُ لأهلِ الخدرةِ الاعتداءَ على أهلِ السودِ. وكان المقدّمي قدْ رتَّبَ بيتَ العفاري[2]،

---

(1) الخدرة: من أكبر قُرى جبال عيال يزيد، شمال غرب مدينة عَمْران، انظر «الأمير علي الوزير» ٦٦٠، «معجم المقحفي» ٢١٢.

(2) المقصود بيوت آل العفاري، الفقيه محمد وأحمد بن محمد بن أحمد العفاري ابنه الذي تولى للأتراك كتابة مخازن الحبوب بصنعاء مدة ثم كان عاملاً في ناحية بني =

فتناوشوا الحربَ، وانهزمَ أهلُ الخدرةِ، فلحِقَهُمْ المقدّمي إلى أنْ أدْخَلَهُمْ الخدرةَ، وقُتِلَ منهُمْ ثمانيةٌ، وكانَ ابنُ بدرِ الدين قد رتَّبَ بيتَهُ في الشطينِ بعشرةِ أنفارٍ، فبقوا هنالكَ حينَ انكسرَ أهلُ الخدرةِ.

ولمَّا غارَ أهلُ الأكهوم، عرفوا المقدَّمي، فأجابَ عليهم أن يخرُجوا الذي في الشَّطين، فوقَعَ الحربُ بينَهُمْ، وقُتِلَ من الرُّتبةِ واحدٌ، واسْتَسْلَمَ الباقون، وخرجُوا وقبضَ المجاهدون بيتَ ابنِ بدرِ الدينِ وأخذ منه نحوَ سبعِ مئةِ قدحٍ طعاماً وأثاثاً، فدخلَ ابنُ بدرِ الدين إلى عندِ العَجَمِ، وما زالَ يَحُثُّهُمْ على الخروجِ على السود، فبعدَ أنْ قضَوْا وطرَهُمْ من أرحبَ، قصدوا بلادَ السودِ. فلمَّا بَلَغَ الإمام - عليه السلامُ - أنَّ العَجَمَ قاصدون السودَ، حثَّ الناسَ على الجهادِ وأمدَّهُمْ بالمونَةِ الكثيرةِ والزّادِ، وكانَ مِنْ ألطافِ اللهِ أنَّ العَجَمَ تحيَّروا في الطريقِ نحوَ عشرةِ أيّامٍ، حتّى اجتمعَ المجاهدونَ من وادعةَ وآلِ عمار وحاشد وأرحب.

٩٢ ب / ثمَّ كانَ يومُ السبتِ ٧ شهر رجب سنة ١٩، تقدَّمَ أعداءُ اللهِ وكبيرُهم فريق باشا من قريةِ دَعَّان قاصدين بلادَ السودِ، وهمْ أربعةٌ وسبعون مئةً وثمانيةُ مدافعَ وألفُ بغلةٍ تحملُ المؤناتِ والمدافعَ والأثقالَ. ولمّا وصلُوا بلادَ السودِ، أعجبتْهُمْ كَثْرَتُهُمْ متكبِّرينَ على أعداءِ اللهِ بمدافِعِهِمْ ومَرْتِهِمْ. وكانَ المقدَّمي السيدُ فخرُ الإسلامِ عبدُالله بنُ يحيى أبو منصر قدْ رتَّبَ المجاهدينَ، وفرَّقَهم

= الحارث وبني حشيش، وتولى عدة أعمال أخرى للأتراك، ثم هاجر لطرف الإمام ثم عاد، وكذا قريبه محمد حسين العفاري، والنسبة إلى بلاد عفار وحصنها الشهير عفار، شمال غرب صنعاء، انظر «أئمة اليمن» ٢/٣٢٧، ٣٢٨، ٣٣٠.

في محلاتِ الحربِ، فجعلَ الشيخَ طلقي بن سعيد، وقبائلَهُ بني طلق، والشيخَ مقبل حزام، وقبائلَه بني هيان(1)، والشيخَ حسين بن سنان البدوي وأصحابَه، وحسين سعد الصعاري وجماعةً من أصحابِ هٰؤلاء، وقعَ عنوتُهم في قرن عفيف قبلي السود، والشيخُ صالح بن يحيى المراني وجماعتُه، والشيخُ محمد لطف الله عطيفة وقبائلُه بنو موهب، والشيخُ محمد بن محسن منصور، والسيّدُ عبدُالله بن زبيبة والشيخ أبو علي، صاحبُ بلادِ جنب وأصحابُه، هٰؤلاء الجميعِ وقعتْ عنوتُهُمْ في سافعةَ، والمقدّمي السيد الفخريّ والسادةُ الأجلاءُ بيت أبو منصر، وقعتْ عنوتُهُمْ الناصرةَ، والحاجُّ مصلح بن ناحي داحي وقبائلُه بنو عبد، والشيخُ صالحُ بنُ حسين العماري مِنْ آل عمار، والشيخ محمدُ بنُ ساوةَ وجماعتُه من وادعةِ الشامِ، والشيخُ مبخوتُ بنُ عليّ البوني وأصحابُهُ، والشيخُ يحيى بنُ أحمد العقيلي، والشيخُ دحان القفيلي وأصحابُهما وقعتْ عنواتُهُمْ في قريةِ اليهودِ وفي السوقِ، وقدرُ الذين في قرنِ عفيف وسافعةَ نحو مئةِ نفرٍ، ثم تقدَّمَتِ العجَمُ أوّلاً على قرنِ عفيف وسافعةَ، فنزلَ أعداءُ اللهِ العَجَمُ من جبل الطليلي حتى قربُوا من قرية الولي. وعشَّرَ فيهم المجاهدون، فانهزموا ثمَّ هجموا المرَّة الثانية، ورماهم المجاهدون فانهزموا، ثمَّ هجموا المرَّةَ الثالثة حتى اختلطوا، ووقعَ في العَجَمِ قتلٌ كثيرٌ، وقُتِلَ مِن المجاهدين الشيخُ صالحُ بن سعد الوادعي، زعيمُ الأكهوم الأعلى، وخرجَ المجاهدون مِنْ قرنِ عفيف وسافعةَ، وتقدَّمَ أعداءُ اللهِ على الناصرةِ

---

(1) بنو هنات: هذا ما ورد في «تعداد صنعاء» و«معجم المقحفي»، وهي عُزلة من ناحية السود التابعة لقضاء عَمْران، انظر «معجم المقحفي» ٦٨٤.

وقريةِ اليهودِ والسوقِ من غرب وعدن وشرق، ومرامُهم الإحاطةُ بالمجاهدين، وهَجَمَ أعداءُ اللهِ على قريةِ اليهودِ، وفيها بنو عبد وآلُ عمار ووادعةُ والبوني والقفيلي حتى اختلطوا فيها، وخرجَ المجاهدون بعدَ أنْ ملأوا الطرقاتِ والصوافحَ قتلاً من العَجَمِ، واستُشْهِدَ منَ المجاهدينَ الشيخُ المجاهدُ صالحُ بن حسين العماري، وكان مِمَّنْ صدقَ اللهَ في هٰذه الوقعةِ، الشيخ دايل بن أحمد البَوْني، وناجي بن علي العشة، وناصر مصلح الثومحي(١)، والنقيبُ محسن بنُ منصر المِرّاني، ثمَّ هَجَمَ أعداءُ اللهِ العَجَمُ على مَنْ في الناصرةِ، السيد الفخري وأصحابِهِ ومَنِ انضافَ إليهم من الذين خرجُوا من العنوةِ السابقةِ، فصارَ كلَّما هجمتْ عليهم العَجَمُ هزموهم، وصارَتِ العجمُ يرمُونَهُمْ بالمدافعِ ولا تؤثِّرُ.

وكانَ من عَظيمِ لطفِ اللهِ ونصرهِ المؤمنينَ، أنَّه لمّا كانَ بعدَ العصرِ في ذٰلك اليومِ، وقد اشتدَّتِ الأزمةُ على المجاهدين، وأحاطتْ بهم العَجَمُ من كلِّ جهةٍ أنْ وصلَ الشيخُ المجاهدُ أحمدُ بنُ أحمد بن مساعد، وجماعةٌ من رؤساءِ خارف، والشيخُ سرحان بنُ يحيى المحماني والشيخُ شعلان الجشمي وجماعةٌ من رجالِ أرحبَ: الشيخُ محمد بنُ علي ردمان، والشيخُ قايد جعفر، والشيخُ محمدُ القرماني وجماعةٌ من أصحابِهِمْ قدرُ مئةِ نفرٍ، ثمَّ فتحوا الحربَ
١٩٣أ على أعداءِ اللهِ مِنْ ورائِهِمْ مِنْ غربي قريةِ اليهودِ ـ فإنَّهُمْ أعداءُ اللهِ ـ / مِنْ عندِ قصبةِ الشاحذي إلى أن وَصلوا قريةَ اليهودِ، وبعدَ ذٰلك تضافر المجاهدون على العجَمِ إلى قُرْبِ العشاءِ، فلمّا رأى فريق باشا الهزيمةَ،

(١) في ع: الذومحي.

صاحَ للعسكرِ بالنفيرِ بأنْ يوقِفوا الحربَ ويَرْجِعُوا المطرحَ.

ثمَّ اجتمع المجاهدون إلى الناصرةِ، وتفاوضُوا في تدبيرِ الحربِ، ورأَوْا أنَّهُ لمْ يبقَ في السودِ موضعاً للحربِ، فانتقلوا ليلاً إلى قريةِ قُلَّة في بني طلقٍ، فدخلوا ليلةَ الأحدِ، ثامنَ رجب، سنة ١٩.

وفي يوم الإثنين تقدَّمَ أعداءُ اللهِ على بيت حارب وقريةِ رحبة، فأخربوا تلكَ القرى وناوَشَهُمُ المجاهدونَ خارفي ويَوْني الحرب.

وفي يومِ الثلوثِ، عاشرِ رجبَ تقدَّمَتِ العَجَمُ على المجاهدين إلى بني طلق. وكان المجاهدون قد تفرَّقُوا في العنو، فأرحبَ ومَنْ إليهم في حصن المعمر، والشيخُ أحمد بن أحمد مساعد. وصحبته ثمانيةُ أنفارٍ من خارف في سمع، وصحبتهم الشيخُ محمد القرماني والحاجُّ مصلح داحي العبدي وجماعةٌ آخرون. ووقف المقدّمي السيدُ الفخريُّ وبقيةُ المجاهدين في حصن قُلَّةَ (١ فتقدَّمَ أعداءُ اللهِ أولاً على سمع، ووقعَ هنالك حربٌ شديدٌ، وبعدَ ذلك تقدَّمَ أعداءُ اللهِ على قلة ١)، فثبَّتَ اللهُ المجاهدينَ وأنزلَ النصرَ عليهم، ولم يقدِروا عليهم، وانهَزَمَتِ العَجَمُ، ووقَعَ فيهم قتولٌ كثيرةٌ، وجُرِحَ من المجاهدين خمسةُ رجالٍ من كبار المجاهدين، واستُشْهِدَ واحدٌ، ثمَّ لمَّا لم يقدِرُوا على الاستفاضةِ على قُلَّة، هَجَموا على المعمَّر وفيه أرحبُ، فتقدَّموا مِنْ تحتِ سمْعٍ حتَّى وصلوا الضلعةَ التي ما بين قُلَّة والمعمر، فرماهُمُ المجاهدون من المعمر وقُلَّة وسمع، فتحيَّر العَجَمُ في تلك الضلعة، حتى

(١ ١) سقطت من ع.

وقعَ فيهم نحوُ ستين قتيلاً، وانهزمَ بعضُهم وبعضٌ تحيَّروا في الضلعةِ إلى الليل.

ثم اجتمعَ أعداءُ اللهِ وهجَمُوا على قلـة وقتَ المغربِ، حتى اختلطُوا هم والمجاهدونَ، وخرجَ المجاهدونَ منهُ، ودخلوا حصنَ الدامغ(1) في المربطة.

وصبحَ الربوعِ وجَّهَ أعداءُ اللهِ المدافعَ على الحصنِ، وما زالَ الحربُ عليه بالمدافعِ الثمانيةِ إلى وقتِ المغربِ.

وصبحَ الخميسِ ١٢ من شهر رجب، تقدَّمَ أعداءُ اللهِ على الحصنِ، ووقَعَ حربٌ عظيمٌ، وقُتِلَ مِنْ أعداءِ اللهِ مقتلةٌ عظيمةٌ، واختلط الباروتُ إلى ثلث اليومِ، وخرجَ المجاهدون ويقيَ العَجَمُ في المربطةِ.

وفي يوم الجمعة ١٣ شهر رجب سنة ١٣١٩ شدَّ أعداءُ اللهِ من المربطةِ والحربُ وراءَهُم إلى قُلَّة، وباتوا هنالِكَ إلى صبحِ السبتِ، ورجعوا السودَ والحربُ من ورائِهِمْ، إلى أنْ وصلُوا السودَ، ويقوا هنالِكَ خمسةَ أيامٍ، وقد نهكَتْهُمُ الحربُ، ورأوْا أنَّهُ لا مقامَ لهم في السود. فارتحلوا عنْهُ بالمدافعِ والقـراش ليلاً، ولحِقَهُمُ العسكـرُ، فلمَّـا ظهرَ للمجاهدين سفَرُهُمْ لحقوهُمْ بالحربِ إلى أنْ وصَلُوا الطُّبري من قرى عيال حاتم(2) في وسط جبال عيال

---

(1) حصن الدافع: جبل مشهور من أعمال آنس، وبالجنوب، من صنعاء بمسافة ٧٨كم، انظر «اليمن الكبرى» ٥٥، «معالم الآثار» ٧٨، «نزهة النظر» ١/ ٢٤، «الإكليل» ١٠/ ٣١.

(2) عيال حاتم: عُزلة من جبل عيال يزيد شمالي عَمْران.

يزيد[1]، وتحقَّقَ القتلُ في العجم اثنا عشر قتيلاً، وأربعون جريحاً، فهٰذه صفةُ الوقائع الواقعةِ في بلادِ السودِ وما يليها حسبَما حقَّقَ بذٰلك شفاهاً السيدُ فخرُ الإسلامِ وغيرُهُ من الثِّقاتِ الكرامِ.

وحدَّثني أيضاً السيدُ فخرُ الإسلامِ، أنَّه حدَّثَهُ مَنْ / وَثِقَ بهِ، أنَّ عدَّةَ القَتْلى من العجمِ في هٰذه الوقائعِ ألفُ رجلٍ من غيرِ المجاريحِ فلا يُحْصَوْنَ، واستُشْهِدَ مِنَ المجاهدينَ أحدَ عشرَ رجلاً. ومِنَ الكراماتِ التي ينبغي تسطيرُها أنَّ المشايخَ هم الذين اعتنوا بإخراجِ العَجَمِ وحرَّضوهم على الخروجِ إلى السّودِ، ومَنَّوهُمْ الأباطيلَ، كمنصر بدر الدين، وعايض السنحاني وغيرِهما. ولمَّا استحرَّ القتلُ في العسكرِ صاروا يخاطبونَهُمْ وحَبَسُوهُمْ وأهانوهُمْ، وأدخلوهُم عَمْرانَ محبوسين، وكانَ جملةُ المؤنةِ التي رمى بها العَجَمُ وقر[2] خمسمئةِ بغلةٍ، فوقَ كلِّ بغلةٍ ألفانِ، والمونةُ التي رمىٰ بها المجاهدون من حضرةِ الإمامِ [(١) ـ حفظه الله ـ عشرونَ ألفاً، ومن حينئذٍ عزَّ جانبُ الإمامِ](١) ـ حفظهُ اللهُ ـ عندَ العَجَمِ، وأَيِسُوا مِنَ الغَلَبَةِ، وتعجَّبوا مِنْ كثرةِ مونةِ الإمامِ ـ حفظه الله ـ؛ لأنَّهُ قد وقرَ في عقولِهِمْ أنَّهم يخضعون لصاحب القُوَّةِ، وأنَّ الأمورَ بالقَهْرِ والغَلَبَةِ حتَّى أنَّ النَّصارى إذا غلبوهم على

(1) عيال يزيد: من قبائل بكيل في ناحية عَمْران لهم بلاد واسعة تعرف بعيال يزيد، من قراهم، جَوْب، الخِدَرة، دعَّان، عيال يحيى، الأكهوم، الصرّارة، وبنو قطيل والأبر واللُّومي، في جبل عيال يزيد نُغَاش، يتصل من شماله ببلاد بني عَبدٍ وبلاد حاشد وبلاد السودة، ومن شرقه بناحية ريدة والبون، ومن جنوبه ببلاد عَمْران وبلا ثُلأ، ومن غربيه ببلاد ثلأ قارن وما إليها، انظر «معجم المقحفي» ٧١١.

(2) وقر أي حمل.

(١) الإضافة من ع.

بلادٍ بقوةٍ لا يقاتلونهم.

وقعةُ المضياع:

في جماد أوَّل سنةَ ١٩، وصفةُ ذٰلك: أنَّ الشيخَ الجماليَّ علي المقداد وصلَ بمَنْ صحبتَه من المجاهدين إلى محلِّ الضـياع، بيتِ القامض، وبقوا هنـالـك نحوَ خمسةِ أيامٍ وبعدَ ذٰلك تقدَّمَتْ عليهم العَجَمُ، ووقعَ الحربُ العظيمُ، ودامَ سبعةَ أيامٍ. ووقعَ في العجمِ قتولٌ كثيرةٌ عندَ الهجومِ على القريةِ، فلمَّا كثُرَ فيهم القتلُ، تركوا الهجومَ وصاروا يرمونَ القريةَ بالمدافعِ حتى خَرُبَتْ، واستُشْهِـدَ من المجـاهـدين النقيبُ عايض سراج، والنقيبُ عليُّ بن محمدٍ أبو راس، وكانَ مِنْ أركانِ الجهادِ، والفقيهُ عبدُالله بن علي السلامي.

قلتُ: وعلى الجملةِ: فإنَّهُ قُتِلَ في المضياعِ جميعُ المتسببين في أخذِ سوق كرنفة، فإنَّهُ في هٰذه الوقعةِ وقعَ القتلُ في المستضعفين مِن أهلِ المنارِ وسماْةَ، وغيرِهِمْ، فقُتِلَ ابنُ [الفقيه](١) أحمد علي عجيل، وكانَ من الأخيارِ، وقُتِلَ من عُتْمَةَ من بيتِ الجبري ابنُ عبدِالله حزامُ الجبري، ومن سائرِ الناسِ قدرُ خمسـةَ عشـرَ نفـراً، وأُخِـذَ من السـوق ما يزيدُ على عشرينَ ألفاً من الأموالِ. لا جَرَمَ أنَّ اللهَ عَجَّلَ بعقوبةِ مَنْ فَعَلَ هٰذه الفعلةَ القبيحةَ، فقُتِلَ محمد شيبة صاحبُ القحصة، وكانَ مِنْ أعظمِ المتسبِّبينَ، فإنَّه قتلَ أربعةَ أنفارٍ مِنَ الضُّعفاءِ، ودُفِنَ أربعَ مراتٍ في قبرِهِ، كلَّما دُفِنَ لفظَتْهُ الأَرضُ، وصارَ عِبـرةً للمعتبرين، ومعجزةً من معجزاتِ ربِّ العالمينَ، فإنَّ قصَّتَهُ مثلُ قصةِ محلِّم بن (١( )١)، فنسألُ اللهَ السلامةَ.

---

(١) الإضافة من ع.

(١ ١) بياض في الأصل.

وكـانَ قبلَ هٰذه الوقعةِ قدْ أرسلَ الشيخُ الجمالي الشيخَ ناصرَبنَ علي راجح وصحبتَه جماعةً من العسكر يقطعونَ الطريقَ على الكفاياتِ الواصلةِ للعجمِ من الشريفي. وكانَ من الاتّفاقِ أنَّه عَزَمَ بعضُ العسكرِ السوقَ، يجرُّ محتاجاتٍ، فقامَ إليه بعضُ الشوافعِ، وصاحوا في السُّوقِ، فأحدَقُوا عليه فقُتِلَ فيهم، واشتغلَ الناسُ بنهبِ السُّوقِ، وفرَّ العسكريُّ سالماً، ثمَّ بعدَ خروجهم من المضياع، عَزَمَ الشيخُ الجماليُّ أسلعَ؛ ليُدَبِّرَ عملاً ينفعُ، وبقيَ الشيخُ محمدُ بنُ علي القامض، وصحبته نحو ثلاثين، دايرين حولَ المضياع، حتى شدَّ منهم العجمُ عازمين ضوران، فلحقهم الشيخُ محمـدُ بمن معـه إلى رِمَع[١](1)، ووقعَ حربُ عظيمٌ وقتولٌ كثيرةٌ، وسُلِبَ من العَجَمِ بنادِقُ وجمالٌ.

وفي نصفِ شهرِ رجبَ من هٰذه السنة طلعَتِ القمرُ كاسفةً.

وفي يومِ الجمعـةِ ١٩، شهـر رجب[٢] المـذكـورُ توفي السيدُ العلَّامةُ محمـدُ بن قاسم الحـوثي(2) في بَرَط، ودُفِنَ في الـرَّضَمة(3)، خارجَ مطرحِ

(1) رِمَع: وتسمى في لغة رماع، وادٍ مشهور بالشمال من زَبيد، مأتاه من ضوران آنس ومن حمَّام علي، وشمال جبال عُتُمة، وشمال وصاب، وجنوب ريمة، ينتهي بمصبه إلى البحر الأحمر، انظر «صفة جزيرة العرب» ١٥٣.

(2) محمد بن قاسم الحوثي: هو الإمام الهادي شرف الدين، ودعا إلى نفسه في حوث، كان محققاً في الفقه والعربية والكلام، لقب بسيف الخلافة، أي النائب عن الإمام المتوكل علي محسن، حُبس من قبل الأتراك في سجن الحديدة حتى سنة ١٢٩٧هـ، سار إلى جبل بَرَط ودعا إلى نفسه وتلقب بالمهدي، وتوفي بها في شعبان ١٣١٩هـ، انظر «نزهة النظر» ٥٧١.

(3) الرَّضَمة: قرية بالشرق من مدينة يريم بمسافة ٣٤كم، بها مركز الناحية، انظر «معجم

(١) في ع، م: رماع.

(٢) في «نزهة النظر» ٥٧١: «شهر شعبان».

العنان، ووصلتْ تعزيتُهُ إلى مقامِ الإمام -عليه السلامُ- وفي صدرها:

[الوافــــر]

علامَ تلومُ يا هٰذا علا ما ... وقــدْ فقَــدَتْ أحــبتُــه الإمــامــا

194 أ فقــد ماتَ الــذي يُرجــىٰ ملاذاً ... /ليهديَ واضــحَ النَّهْــجِ الأنــامــا

ويقــفــو إثْــرَ مَنْ أحْــيا عُلومــاً ... ويدفــعَ مذهبَ الــزَّيْديِّ(1) مقــامــا

إمــامُ الـفضــلِ أفضــلُ من تَحلَّى ... بحِـلْيةِ جَدِّهِ أعــنــي الــهُمَـامــا

حليفُ الــذِّكْــرِ مفــخــرُ آلِ طٰهٰ ... إذا عُدَّتْ مفــاخِــرُهــا تَســامــا

حبيبُ الـصَّــالحين قريبُ وَصْــلٍ ... فإنْ لم يرتــضــي قال الــسَّــلامــا

قفــا إثــرَ الــذي يلوا بغــمصٍ ... بفَــضْــلِهُــمَ ومــا بَلغُــوا حَرامــا

ومــا هُوْ بالَّــذي يشــكُــو زمــانــاً ... لِرُتْــبَــتِــهِ وشــيمــتِــهِ تعــامــا

معــا من تعــزية وبــغــى بأرضٍ ... فهــا هُوَ قدوةُ الآلِ الــكِــرامــا

قد اخــتــار الــجــوارَ إلــى كريمٍ ... تعــالــى جدُّهُ عَنْ أن يُضــامــا

جزاكَ الله عنّــا يا حمــيدٌ ... بخــيرِ جزاءِ مَنْ أوفــى الــذِّمــامــا

وبــلَّلَ تُرْبَــةً حُلِّيتَ فيهــا ... برحــمــتِــهِ وقــالَ ادخُــلْ سلامــا

فأجابَ الإمامُ عليه السلام(1):

[الوافــــر]

مُصَــابٌ يمــنــعُ الــجَفْنَ المَنــامــا ... وخــطبٌ عَمَّ مَنْ صلَّى وصــامَــا

أعــادَ لنــا بياضَ الــصُّــبْــحِ ليلاً ... ويمــحــو بعــدَهُ الــبَــدْرَ التَّمــامــا

= المقحفي» ٢٦٩.

(1) وردت بعض الأبيات في «أئمة اليمن» ٢/٣٥٩.

(٣) في ع، م: «إماما».

لمـوتِ شهـابِ أهـلِ البيتِ حقّـاً ... وشمسِ الفضـلِ كَهْـلاً أو غلامـا
حليفُ الـعـلْمِ والـتّـقْـوى إذا ما ... طغىٰ بَحْرُ الضّـلالِ ضحى وطـامـا
سليلُ الـطّاهـرين أبـو المعـالي ... وخيرُ النـاسِ خُلقـاً وابـتسـامـا
فيالَـكَ حادِثٌ قدْ جَلَّ حتّـى ... يكـادُ الـخُـفُّ أنْ يعـلو السّنـامـا
وأعـظَمُ وحـشـةٍ أنّـا وَجَـدْنـا ... بنـاءَ الـفـضـلِ ينهـدُّ انهـدامـا
وأهـلُ الـعـلمِ والإيمـانِ ضلّوا ... وقـالَ الـعـلمُ: يا أسَـفِـي علامـا
وأهْـلُ الجهـلِ قد فاشـوا وطـاشـوا ... وشـدّوا للجـهـالاتِ الـحـرامـا
سأنْـصُـرُ ما حييتُ كِتـابَ ربِّـي ... ومَـنْ يأْبـاهُ نعْـرِضُـهُ الـحُسَـامـا
فصـبـراً أيُّهـا الأولادُ صَبْـراً ... عسىٰ أنْ تُدركـوا منـه الـمَـرامـا
فكُـلُّ فتـىً ستُـدْرِكُـهُ الـمـنـايا ... ومـا تُبْـقـي على أَحَـدٍ ذِمـامـا
سلامُ اللهِ تغـشـاهُ بخـيرٍ ... ورحـمـتُـه تحِـفُّ به الـتـزامـا

الحمدُ للهِ الذي هَدانا نعمةً وفضلاً، وسبّب حكمةً وعدلاً، وجعلَ الموتَ تحفةَ الأبرارِ، وزلفةً للجوار، والصّلاةُ والسلامُ على من اختارَ الرّفيقَ الأعلى، وعلى آلِـهِ الفـائزين، من التطيُّر[1] بالقدحِ المُعَلَّا، ما صَعَدَ عمودُ الإيمانِ، يصبحُ فضلُهم وتجلاً، وبعدُ،

فإنّه وردَ إلينا ما شرُفَتْ منهُ الأَجفانُ بالدموعِ ، واتّقَدَتْ نيرانُ الغضا في حنايا الضّلوعِ ، وفاتَ مَنْ أَلْقَتْ عليه الإمامةُ شعاعَها، وتألّقَتْ عليه أجناسُ الفضائلِ وأنواعُها، فيا لَهُ من خَطْبٍ عمَّ المتمسّكينَ بصاحبِ الرّسالةِ، وخصَّ شيعةَ الوصيِّ وآله، ولم يَسَعْ غيرُ الصَّبْرِ والرّضا لِما حكَمَ به الخالقُ وقضى،

---

(١) في أ: التطهر.

والموتُ حُكْمٌ شاملٌ، فمِنْ راحلٍ ليومِهِ ومِنْ مدعُوٌّ لِغَدِهِ، ولَمْ يَمُتْ مَنْ خلَّفَ بعدَه أطوادَ العِلْمِ الشريفِ، وأنصارَ الدِّينِ الحنيفِ، وأقمارَ المَذْهبِ المُنيفِ، فهو كالخالِدِ وإنْ أصبَحَ كالثَّرى، وكالمقيمِ في أهْلِهِ وإنْ أُضْحى في العرا، وفي اللهِ عزاءٌ مِنْ كلِّ مصيبةٍ، ودَرَكٌ من كلِّ فايت. وخَلَفٌ مِنْ كلِّ هالكٍ، فبـاللهِ فثقـوا، وإيَّاه فارجعـوا، فإنَّ المصابَ مَنْ حُرِمَ الثَّوابَ. اللَّهمَّ ارزُقْنا الاستعدادَ لمثلِ يومِهِ ولا تُنْسِنا ذِكْرَهُ، ولا تَحْرِمْنا أَجرَهُ، ونوصيكُم بالتعاونِ والتَّعاضُدِ على إحياءِ فريضةِ الأَمر بالمعروفِ، والنَّهْي عن المنكر المخوف، والاشتغال بالعلمِ الشريفِ الرَّاقي بصاحبِهِ إلى الشَّاهقِ والمُنيفِ، والسلام.

ثـم صدَرَ لهم الإمام ـ عليه السلامُ ـ بعشرين ريالاً معاونَةً ومواساةً، وحيثُ قد تعرَّضْنا لوفاةِ هٰذا السيِّدِ الجليلِ، الأوحدِ النبيلِ اقتضى ذٰلك أنْ أذكُرَ شيئاً مِنْ خَبَرِهِ، فأقول: إنَّ هٰذا السيِّدَ الأفضلَ مِمَّن نشأ في طلبِ العلمِ في مدينةِ صنعاءَ، حتى حصَّل علماً نافعاً مع ورعٍ وتقوىً، ثمّ بعد أنْ بايَعَ جماعةُ الشيعةِ للإمامِ الهادي شرفِ الدين بنِ محمدٍ ـ رحمه اللهُ ـ طَعَنَ بعضُ الناسِ عليه في أمـورٍ لا تُعَدُّ من المطاعِنِ إلَّا مجرَّدَ هوىً، فبايعوا السيِّدَ العلَّامةَ
٩٤ب محمدَ بن قاسم ـ رحمه اللهُ ـ ولقَّبوه بالمهدي، /ووقعت مخاصماتٌ فيما بينَه وبينَ الإمـام الهادي، وحَرْبٌ يسيرٌ، وذٰلك من أثرِ فتنةِ علماءِ السوءِ، وإلَّا فالسيِّدُ العلَّامةُ محمدُ بنُ قاسم كانَ من أهلِ الوَرعِ، فحسَّنَ له علماءُ السوءِ ما لا طاقةَ لهُ به، ﴿وربُّك يحكُمُ بينهم يومَ القيامةِ فيما كانوا فيه يختلفون﴾، ثمَّ لمَّا قامَ الإمامُ المنصورُ باللهِ ـ عليه السلامُ ـ كاتَبَهُ مِنْ صعدةَ بعدَ أنْ وصلَ إليه علمـاءُ صعـدةَ وضحيانَ، وزعَمـوا أنَّ في ذمَّتِهِمْ بيعةً للسيِّد محمدِ بنِ القاسم، فأرسلوا إليه فتنحَّى لمَّا عَلِمَ عدمَ القدرةِ، والأنهضيَّةِ، ثمَّ ما زالَ

بعضُ علماءِ السّوءِ بعدَ ذٰلك يُكاتبونَهُ ويُحرِّضونَهُ على عدمِ النُّزولِ والتنحِّي إلى أنْ توفِّي، رحمه اللهُ تعالى.

وقدْ كانَ توفِّيَ قبلَه بنحوِ عامٍ ولدُه السيِّدُ العلامةُ إبراهيمُ، بعدَ رجوعِهِ من حجِّ بيتِ اللهِ الحرامِ، ومضىٰ على حضرةِ الإمامِ ـ حفظه اللهُ ـ عندَ عودِهِ من الحجِّ باذِلاً لنفسِهِ للمعاونةِ على الجهادِ في سبيلِ اللهِ، ثمَّ عَزَمَ إلى بَرَط، وتوفي بعدَ مرضٍ طويلٍ رحمه الله. هٰذا وقدْ خلَّفَ السيِّدُ العلامةُ محمدُ بنُ قاسم ولدين نجيبين من المشتغلين بالعلمِ والعملِ، وهما: السيِّدُ العلّامةُ محمدُ بنُ محمد، والسيِّدُ العلّامةُ يوسف بن محمد أبقاهما اللهُ وكثَّر في السادةِ من أمثالِهما.

وقعة بوقة وبيت الحجري:

وصفةُ ذٰلك: أنَّ الشيخَ الجماليَّ أمَرَ الشيخَ الفخريَّ عبدَالله بنَ عبده بأنْ يعزِمَ بجميعِ المجاهدين في قبلي الجهةِ الآنسيّة، وعَزَمَ الشيخُ الحسامُ الجهةَ العَذَنية، المنارَ وما إليه، وكانَ طريقُ الشيخِ الفخريِّ من بني أسعد وبني خالـد، فاجتمع إليه الحاجُّ عليُّ بن أحمدَ الجبري، والسيِّدُ أحمدُ الفهدُ، والشيخُ قايدُ بن صالح الهندي، والشيخُ عمرُ بن أحمد عاطف، والشيخُ أحمد فارِع السفياني، وخمسةَ عشرَ سيِّداً من هجرةِ المرون[1]، والسيدُ حميدُ بنُ يحيى، ومن بيت العنسي جماعةٌ، فكانَ من اجتمع معَهُ قدرَ مئتين، وبعدَ أنْ

---

(1) المـرون: نسبـة إلى بني المروني، وهجرة المرون من البلاد الآنسية، انظر «نيل الحسنيين» ١٨٤، «نزهة النظر» ١٧٩.

جمعَ اللهُ الشَّمْلَ، وصاروا على قلبٍ واحدٍ، وعَضُدٍ وساعدٍ، عزَمَ المجاهدون من بني سويد، وطلَعَ العَجَمُ من الجمعةِ عُقَيْبَ وصولِهم هنالِكَ من ضَوْرانَ، فالتقى الجمعانِ في قاعِ مرحٍ، وشِعْبِ عياض، على غيرِ ميعاد، وثبَّتَ اللهُ أنصارَ الحقِّ ووقعَ الحربُ من وقتِ الظهرِ إلى العشيّةِ، واختلطتِ الأبطالُ، وفَــراشُ العجمِ تحمـــلُ الأثقــالَ من حميرٍ وبغــالٍ. فلمَّـا أظلمتْ هجمَ المجـاهـدونَ على العَجَمِ، وهبَّتْ رياحُ النَّصْـرِ، ونـزَلَ بأعداءِ اللهِ البُؤْسُ والخِذْلانُ، فقَطَعَ منهم المجاهدون الرُّوسَ، وغنِموا الغنايمَ مِنَ المؤنةِ والبنادقِ والسيوفِ، وصناجقَ ونحاسٍ وذهبٍ ومحاسنَ غريبةٍ وجمالٍ وبغالٍ، واستُشْهِدَ من المجاهدين السيدُ عليُّ بن محمد المروني، وآخرُ من بيتِ الجبر، وأمّا العَجَمُ فامْتَلأَتْ مِنْ قتلاهم البقاعُ وشَبِعَتْ النُّسورُ والسِّباعُ، ولَمْ يُنْجِ أعداءَ اللهِ سوى الفرارِ، والرجوعُ إلى ضَوْران. وكانتِ الوقعةُ يومَ الربوعِ، ٤ شهر القعدة، سنة ١٩. ولمَّا وصلَ التحقيقُ إلى المقام، أمَرَ الإمامُ - عليه السلامُ - بإيقادِ النّيرانِ، وضَرْبِ الطُّبولِ، وضُرِبَتْ في تلكَ الليلةِ في كلِّ مكانٍ حتى وصلَ ذلك التنصيرُ إلى بلادِ حجور، وبلاد خولان.

وقعةُ الضبرة:

في الجهةِ الآنسيّةِ، وصفتُها: أنَّ المجاهدين كانَ مطرُحُهُمْ في وينان(1)، وخـافـوا مِنْ هجـومِ العَجَمِ من جهـةِ الضَّبْـرة، فجعلوا فيهـا جمـاعةً من المجـاهدين، فهجَمَ العدوُّ، وحالَ بينهم وبينَ الذين في الضبرةِ، وأحاطوا عليهم، وظنُّوا أنَّهُمْ قدْ صاروا في قبضتِهِمْ، وصاروا - أعني العجمَ - يلعبون

---

(1) وَيْنَان: قرية من عُزْلة خُمس حزيم، ناحية ضوران آنس، انظر «معجم المقحفي» ٧٠٤.

ويُظهِرُونَ أماراتِ السُّرور. وبقيَ المجاهدون محصورين يومين، حتى أَيِسَ الناسُ منهم، حتَّى إذا كان ليلة ١٣ شهر القعدة لسنة ١٩، شمَّرَ الهمَّةَ الشيخُ الحسامُ محسن المقداد والشيخُ الهُمامُ عزيزُ بنُ عبدِالله وهتفوا بالمجاهدين الذين صحبتهم، وهجَموا على العَجَمِ المحاصِرين لِمَنْ في الضبرة، فثبَّتَ اللهُ المجاهدين وأنزلَ السَّكينةَ عليهم، وقتلُوا مِنَ العجمِ قتولاً كثيرةً. وسلَبوا مِنْ أسلحتِهِمْ، حتَّى وصلَ المجاهدون قريةَ الضبرةِ، فلمَّا وَصَلُوا أسفَلَها، خرجَ المجاهـدون المحصـورون، وكـان كلُّ مجاهدٍ يذودُ بُلُكّاً من عسكرِ العجمِ، وغنِمـوا السِّـلاحَ الكثيرَ: نحـوَ اثنين وأربعين بنـدقاً، وغيرَ ذٰلك، واستُشْهِدَ من المجاهدين المحصورين، حالَ خروجِهم من القرية جماعةٌ، منهم: القـاضي الأَجَـلُّ المجـاهدُ أحمدُ بنُ علي السلامي وصاحبُه، ونحوُ ثمانيةِ أنفارٍ أكثرُهُمْ من عسكرِ المقامِ، وأمَّا المجاريحُ فكثير، وفي العجم قتلى لا يُحْصَوْن، وهٰذه الوقعةُ من أجلِّ الوقعاتِ، ولولا تشميرُ همَّةِ الشيخين، لاستولى العجمُ على مَنْ في الضبرة.

كرامةٌ للإمام عليه السلام:

وفي هٰذه المدة وصلَ رسولٌ من صنعاءَ يُسمَّى الفقيهَ أحمدَ بنَ محمد المحني، قاصـداً لحضرةِ / الإمامِ وصحبَتِه كسوةٌ ومحتاجاتٌ للإمامِ ـ عليه ١٩٥أ
السلامُ ـ اشترى ذٰلك من صنعاءَ، فتلقَّاه جماعةٌ من أهلِ ضَحيان بني نجاد وأخذوا تلك الأعيانَ، وبعدَ ذٰلك حكى لنا جماعةٌ أنَّهُمْ ـ أعني بني نجاد[1] ـ صاروا في أشدِّ حالٍ، وحصَلَ معهم حاصلٌ حتَّى ظنُّوهُ النكالَ، فكانوا يرقدون في أماكِنِهِمْ ولا ينتبهون إلَّا وهُمْ في الأسفالِ، والبقَرُ في أماكِنِهِم. وحكوا

(1) بنو نجاد من علماء ثُلا، وبيت نِجَاد، من قرى المحويت، انظر «معجم المقحفي» ٦٥٤.

أيضاً مِنْ أفواهِهِم بأنَّ القضيةَ التي جعلوا المنهوبَ فيها صارت تهتزُّهُمْ طولَ الليل. وأنَّهم ما زالوا يسمعون شيئاً يركبُ فوقَهم طولَ الليل، فما وسِعَهُمْ إلاَّ وصلوا إلى المقامِ الشريفِ بعقيرِ ناقةٍ، فأرجعوا المأخوذَ.

كرامةٌ أخرى:

في الشهرِ المذكورِ: لمَّا استفاضَ العجمُ على قريةِ وينانَ بَعدَ أنْ خرجَ منها المجاهدونَ، ما زال العَجَمُ يجاهرون بالعصيانِ، ويلعبون في الجامعِ، ويفعلون ما يُغْضِبُ الرحمٰن. فلمَّا كانَ في بعضِ الأيَّامِ سقَطَ عليهم دارٌ فوقَ المسجدِ فأهْلَكَ جميعَ مَنْ في المسجدِ مِنَ العَجَمِ، وكانوا نحوَ الثمانين.

وفي هٰذه المدَّةِ شاع وذاعَ في بلادِ خولان الشام، ورازح وجماعة، أنَّ السيدَ حسنَ بنَ يحيى القاسمي من سادةِ ضَحْيان الشام، وأهلُهُ من هجرة فَلَله(1)، يريدُ أن يشقَّ عصا المسلمين، ويُعْلِنَ بالعصيانِ لأميرِ المؤمنين، وصار يكاتِبُهُ بعضُ مشايخ خولان سرّاً ويحرّضونَهُ على القيامِ، ويتشكَّوْنَ من أشياءَ للاعتراضِ على الإمامِ، وكتَبَ في ذٰلك، أنَّ مشايخَ بلادِ خولان ورازح، لمَّا ظهرَ في بلادِهِم أمرُ الله وهم كارهون، وانطمستْ معالمُ الطاغوتِ التي كانوا إليها يلتجون، وعليها يعوّلون، ونقَصَ عليهم شيءٌ من الزكاة التي كانوا يستحلّونها، ولها يأكلون، ثَقُلَتْ عليهم وطأةُ الحقِّ، وظهورُ الشريعةِ، فصاروا يطلبون ملجأً أو مغاراتٍ، أو مدخلاً (١العلّهم إليه يجمحون١). فلما

(1) فلله: هِجرة عِلم قديمة في بني جُماعة بصعدة، بالقرب من هِجرة قُطابر، انظر «تاريخ اليمن الحديث» ٥٧.

(١ ١) في ع، م: «يولوا إليه وهم يجمحون».

بلغَ الإمامَ حفظهُ اللهُ ما شاعَ في تلك البلادِ، وخافَ من ثَورانِ الفسادِ، كتَبَ إلى سيفِ الإسلامِ محمدِ بنِ الإمامِ الهادي بتَدَارُكِ ذٰلك، وكَتَبَ إلى السيِّدِ حسنِ المـذكورِ «يحذِّرُه من شبِّ نارِ الفتنةِ»[١]، والدخولِ فيما لا يجوزُ من الأمورِ، فأرسلَ إليه سيفَ الإسلامِ، فوصلَ إليه إلى مدينةِ ساقين، وأخذَ سيفُ الإسلامِ ما عنده، فوجَدَهُ ينقِمُ على الإمامِ ـ عليه السلامُ ـ أموراً لا توجِبُ الاعتراضَ، فرأى أنْ يكتبَ بذٰلك إلى حضرةِ الإمامِ ـ عليه السلام ـ لينظُرَ: هلْ يكونُ منها مخرجٌ ويجدُ عذراً، ومضمونُ الاعتراضِ مذكورٌ في جوابِ الإمامِ ـ عليه السلامُ ـ فلمَّا وصَلَ ذٰلك إلى الإمامِ أجابَ بما صورتُه:

[الطويـــل]

ألا أيُّهــا المَــوْلــوعُ باللَّوْمِ والعتْبِ ... فهَــلْ جايزٌ لَوْمُ البـريءِ مِنَ الـذَّنْبِ
وكـيفَ يذُمُّ الـزَّادَ مَنْ هو آكِـلٌ ... وكيفَ يَذُمُّ المـاءَ ذو المـوردِ العَـذْبِ
أَقَمْنـا قنـاةَ الـدِّين بعـدَ اعـوجـاجِهـا ... وصُلْنـا بأمْـرِ اللهِ في العُجْمِ والعَـرَبِ
وقــد كانَ دينُ اللهِ ينْــهَــدُّ رُكْـنُـهُ ... وعَمَّ ارتكابُ الظُّلْمِ في الشَّرقِ والغَرْبِ
/ وقــد كانَ أحياءُ القبـائِـلِ كُلُّهـا ... يَدينون للطَّاغوتِ في السِّلمِ والحَربِ
وقــدْ كانَ أعـلاجُ الأعـاجمِ أَزْمَعـوا ... بأنْ يُعْمِلوا السَّاداتِ بالخَفْضِ والنَّصْبِ
فقــابَـلَهُــمْ منَّــا بلاءٌ وشِـدَّةٌ ... وكـانَ قِراهُمْ علقَمَ الـطَّعْنِ والضَّـرْبِ
وأَيَّدَنــا الـرَّحمٰنُ بالنَّصْـرِ والـرِّضـا ... بحُسْنِ الـرّجا فانْقادَتِ الشُّمُّ بالرُّعْبِ
فأَصْـبَـحَ شرعُ اللهِ يَزْهُــو بعــزَّةٍ ... وكمْ ظالمٍ قد صارَ في مرحب الكَلْبِ

(١) جاء في نسخة ع: «والمسار إلى من لم يرضَ بالقول لأثره، وعدم الامتثال لأمره بالظهر المظهور، البارز بالدلالة الباهرة في الآية القاهرة، بقول الله المنزه المصون لولوا إليه وهم يجمحون» يحذره من شب نار الفتنة.

وكـمْ فِتَـنٍ فيهـا الـدِّمـاءُ تدَفَّـقَـتْ ... خَمَـدْنـا لَظاهـا بعدَما ما كان ذا لَهَب
أحِـبَّـتَـنـا كُنَّـا نُؤمِّـلُ أنّـكُـمْ ... على ما دها الإسلامَ عونٌ على الصَّعْبِ
فهٰـذا من الإفـرنـجِ في حافظِ الوغى ... وهٰذا من الأتراكِ في عارضِ السُّحُبِ
وأنـتـم بوادٍ ناضـبٍ زَرْعُـهُ الـخَـنـا ... وتفـريقُ أوصـالِ الحَجاجِجَةِ النُّجُبِ
فحَسْـبُـكُـمُ هٰذا الـتـفـاوتُ بينَـنَـا ... ومَـذْهَبُنا الـزيديُّ يَبْكى من النُّكَبِ
أَحِـبَّتَـنـا هٰذي الإعـانـةُ منكُـمُ ... على نفي أمجـادِ الأعـاجمِ والعُـرْبِ
ولا تحـسَـبُـوا هٰذا الـتـوَدُّدَ أنّـهُ ... لعجـزٍ فإنّـا في ذُرىً شامخٍ خَصْبِ
لنـا مُقْـلَةٌ ترعـى الـودادَ ومـقـلةٌ ... بسوطِ الرَّدى تحمي النِّعاجَ عن الذِّئْبِ
وحسبُ المُنـاوي ما يُلاقي مِنَ النَّوى ... وعبـدُ بدِينـارَيْنِ خالٍ عَنِ الكَسْبِ

وإنَّه وصلَ الكتاب من الأولادِ الكرامِ النُّجَبَاءِ الفخام، جعلَهُم اللهُ عَوْناً للدينِ، وقُوَّاداً وسيوفاً على المُلْحدين، وذُوَّاداً، ونحيِّي مُحيَّاهم بالسلامِ الأسنى، ورحمةِ اللهِ وبركاته مثنى مثنى، اشتملَ الأخبارُ بما هُمْ عليه من الاستقامةِ، والمشي في طريقِ السَّلامةِ، وأفادَ أنَّه قدَحَ في بالِكُمْ شكاةٌ، طاهرٌ عنكُم عارُها، وسألتُمْ عن أشياءَ لَمْ تُشَدَّ إليكُمْ أوتارُها، لكنَّا لا نترفَّعُ على الإخوانِ، ولا نجعلُ خوضَهم فيما لا يَعنيهم سبباً للأضغانِ، بل نقولُ: إنَّ اللهَ كلَّفَنا بمطابقةِ السُّنَّةِ والقرآن، واتِّباعِ السيرةِ النبويةِ التي ليسَ فوقَ شأنِها شانٌ، ثم سيرةِ الأئمةِ المحقِّقين من عِتْرَةِ ولدِ عدنان، وقدْ دلَّ كلامُ اللهِ على تفضيلِ مَنْ كَثُرَتْ فيه وجوهُ الاستحقاقِ، حيثُ يقولُ للفقراءِ المهاجرين الذين أُخرجوا مِنْ ديارِهِمْ وأموالِهِم: ﴿يبتغون فضلًا من اللهِ ورضوانًا، وينصُرونَ اللهَ ورسولَهُ﴾، وحيثُ يقولُ للفقراءِ: ﴿الذينَ أُحصِروا في سبيلِ اللهِ لا يستطيعون ضَرباً في الأرضِ﴾، وهلمُّوا أيُّها / الإخوانُ لرؤيتهم في المدن المجاورة ١٩٦أ

للإمام، معَ أنَّا لَمْ نتركْ غيرَهم من مؤمني فقراءِ اليمنِ والشّام. ولا يجهلُ ذٰلك إلَّا مَنْ لم يُفَرِّقْ بينَ الخُفِّ والسّنامِ. وإنْ كانَ داخِلاً في القويِّ ذي المرةِ السَّويِّ. وقد مَنَعَ رسولُ الله ﷺ الأنصاريَّ الذي سأله وقال له: ما في بيتك شيء: قال بلى حلسٌ يُلْبَسُ بعضُه ويُبْسَطُ بعضُه، وقُعْبٌ يُشْرَبُ فيه. قال: ائتني بهما، فلما أتاه بهما، قال: مَنْ يشتري هٰذين؟ فشراهما رجلٌ بدرهمين، فقال للأنصاري: خذْ هٰذا الدرهمَ واشترِ به طعاماً، وانبُذْهُ إلى أهلِكَ، واشترِ بالآخرِ قدُّوماً، وائتني به، فأتاهُ بهِ، فشدَّ رسولُ الله ﷺ فيه عوداً بيدِهِ، ثمَّ قالَ له: اذهب فاحتطِبْ وبِعْ، ولا أُرَيَنَّكَ خمسةَ عشرَ يوماً، ففَعَلَ. فجاءَه وقدْ أصابَ عشرةَ دراهِمَ، فقالَ ﷺ: «هٰذا خيرٌ لكَ منْ أنْ تجيءَ المسألةُ نُكتةً في وجهِكَ يومَ القيامةِ». رواه أبو داود والبَيْهقي. وأخرج الترمذيُّ والنّسائي قصَّةَ بيعِ القَدحِ، مع أنَّه سأل رسولَ الله ﷺ، وكذٰلك أحاديثَ منعِ السؤالِ مِمَّنْ يجدُ ما يعشّيه ويغذّيه، رواهما الحافظُ الطّبَرانيُّ في الأوسط، وفي الزَّوايد على المُسْنَد، وأبو داود وابنُ حبان، وخزيمةُ، وهٰذا بيانٌ بعضِ المُستَنَدِ للتفضيل في عليَّةِ المعتمدِ، مع أنَّ أكثرَ المجاهدين من الفقراءِ والمساكين، وأمَّا ظُلْمُ بعض النَّواظِرِ فما قَدَروا على إمضاءِ العدْلِ، وبينَهم وبينَ الظُّلْمِ مسافاتٌ دونَها خرطُ القَتاد، على أنَّا صِرْنا نوافي أعْلى بلادِ الشامِ منَ اليَمنِ والسَّلام، وحُرِّرَ بتاريخِهِ، ٣٠[1] شهر القعدة، سنة ١٣١٩.

فلمَّا وصلَ الجوابُ سقطَ ما في يدِ السيِّدِ حسن، ورجَعَ عن مقصدِهِ،

---

(١) في ع: ٢ شهر القعدة سنة ١٣٢٩.

وتابَ وعادَ إلى وطنِهِ مُلازِماً لِسَكَنِهِ والأعمالِ البيِّناتِ، وعلى ذلك ترتَّبَ الثَّوابُ والعقاب.

وقعةُ هجرةِ ذي حود:

في الجهةِ الآنسيّةِ، وصفةُ ذلك: أنَّ المجاهدين بعدَ خروجِهم من محلِّ الحبسِ، تفرَّقَ أكثرُهُمْ لِلعيد، كما ذلك عادةُ العَرَبِ، قريبٌ وبعيدٌ، ولمْ يبقَ غيرُ الشيخِ الجماليِّ علي المقداد ومعَهُ ثمانون نفراً، فطَرَحُوا في هجرةِ ذي حود، فلمَّا عَلِمَ العَجَمُ بذلك، لاحَتْ لهُمْ الفرصةُ، وسَرَوْا ليلاً مِنْ وينان، وكانَ وصولُهُمْ إلى ذي حود يومَ الخميس، عاشرَ الجمعةِ يومَ عيدِ الأضحى، ووقعَ الحربُ بينهم وبين المجاهدين إلى يوم الإثنين، وكان حرباً شديداً، وضَربوا الاحتياط على القريةِ، ودَخلوا بعضَ البيوتِ، والمجاهدونَ يتنقَّلُونَ من بيتٍ إلى بيتٍ، حتى ظنَّ العَجَمُ أنَّهُمْ قادِرون عليهم، ثمَّ خرجوا من القريةِ صبحَ الإثنين نهاراً[1]، ووقعَ في العجَمِ قتولٌ كثيرةٌ، المُكْثِرُ يقولُ: أربعُمئةٍ، والمقلُّ يقولُ: ثلاث، واستُشْهِدَ من المجاهدين ثمانيةَ عشرَ رجلاً مِنْ رؤسائهم النقيبُ عبدُالله بن أحمد صبر وغيرُه.

وقعةُ معبر:

وهي وقعةٌ يحقُّ لها أن تُذكَرَ، وصفةُ ذلك: أنَّ الشيخَ فخرَ الإسلامِ عبدَالله بن عبدِالواسع راجح، بعدَ خروجِهِ من الحبسِ، رجَعَ إلى بيتِهِ المجرى، فلمَّا وصلَ هنالكَ كتبَ إليه الشيخُ الجماليُّ من ذي حود: أنِ الغارةَ

---

(١) سقطت من ع، م.

الغارةَ! إنَّ العجم وهم نحوُ أربعةِ آلاف قاصدون إلينا. فبادرَ الشيخُ الفخريُّ بمَنْ معَهُ، فلمَّا وصلَ إلى بعضِ الطُّرقِ وصلَهُ خبرٌ غيرُ صحيحٍ، أنَّ الشيخَ الجماليَّ ومَنْ صحبتَهُ من المجاهدين قد خرجُوا من ذي حود، إذ وصلت إليه العيونُ أنْ ثمَّـةَ حمـولـةَ دراهمَ طلعتْ من اليَمَنِ صحبةَ جماعةٍ من أعوان العجمِ، وعَزَمَ الشيخُ الفخريُّ بمَنْ معَهُ على غزوِ معبر، فوصَلوا هنالِكَ وقتَ الإسفارِ، فنهبوا جميعَ ما في المحطّةِ من الذَّهبِ والدَّراهمَ. وكان ذٰلك شيئاً كثيراً، وأخـذوا اثنين وعشرين بغلةً. وغارتْ بلادُ جهرانَ معَ العَجَمِ، وقُتِلَ منهم ستةَ عشر رجلاً، ومن المجاهدين ثمانيةٌ، وتكوَّن الشيخُ الفخريُّ كوناً عَسِراً، أخذتِ الرصاصةُ جميعَ لحيهِ الأسفلِ، وكانَ ذٰلك سببَ وفاتِهِ ـ رحمه الله ـ فإنَّه بقيَ بعدَ ذٰلك شهرين، وتوفِّي رحمه الله. ثم إنَّه طارَ خبرُ هٰذه الوقعةِ في جميعِ البلادِ، وأخافتِ العجَمَ في الحاضرِ والبادِ.

هٰذه معظمُ حوادثِ تسعَ عشرةَ، ومما يلتحقُ (١بذٰلك، الحوادثُ١) الواقعةُ في اليمنِ الأسْفَلِ، وصفةُ ذٰلك: أنَّه وصَلَ إلى الحضرةِ الشريفةِ، القاضي أحمـدُ بنُ محمد العكام البرطي، والنقيبُ عليُّ بنُ ناصر جزيلان المعروف بأبي حرب، وجماعةٌ صحبتَه، وطلبوا من الإمامِ ـ حفظه الله ـ أمراً في إنشاءِ الجهادِ في اليمنِ الأسفلِ، فجعلَ لهمُ الإمامُ ذٰلك، واشترَطَ عليهم أنْ لا يتـركـوا الضـربَ في أعـداءِ اللهِ وأعوانِهِمْ، وحذَّرَهُمْ عن الظُّلْمِ والتعرُّضِ للضُّعفَاءِ، فعَزَمُوا إلى هنالِكَ، ولمَّا وصَلُوا إلى هنالكَ ثارَتْ قبائلُ المشرقِ، الذينَ كانوا قدْ استوطنُوا اليمنَ الأسفلَ، فعاثَوْا في البلادِ، وصارُوا يتعرّضون

(١ ١) في ع: وما يلحق بها من الحوادث.

للطُّرقاتِ، وينهبونَ الضُّعفاءَ من الرعيَّةِ، ويتخطَّفونَ كلَّ مَنْ ظفِروا به حتى اشتعلَ اليمنُ ناراً، وسُفِكَتِ الدِّماءُ، ونَسَبَ ذٰلك إلى أصحابِ الإمامِ مَنْ لا يعرفُ الحقيقةَ، ولا يهتدي إلى [السبيلِ الأقومِ وطريقِه][(١)]، لا جَرَمَ أنَّ ذٰلك وقعَ سبباً لإهانتِهم ـ أي العسكرِ ـ، وأُجلي أكْثَرُهم عن بلادِ اليمنِ، فطَلَعُوا بنسائِهم وذراريهم إلى المشرقِ، وبقي مَنْ بقيَ في ذلَّةٍ وهوانٍ. وذٰلك عقوبةُ التعدّي والعصيان. ووقعتْ في اليمنِ في غضونِ ذٰلك وقايعُ، فيما بينَ النقيبِ علي بن ناصر وجماعته، وبينَ العجمِ، حتى حاصرُوا مدينة إب، واضطَّربَتِ اليمنُ اضطراباً كثيراً، حتى أرجفَ الإفرنجُ في بندرِ عدن. فعندَ ذٰلكَ كتبَ أمراءُ العجمِ مِنْ تعز وغيرِها إلى صنعاءَ، فنزل محمد علي بيك ومعهُ عسكرٌ يسيرٌ، وانضمَّ إليه من حبيشٍ وغيرِها مِنْ عسكرِ العجمِ، فلمَّا عَلِمَ بذٰلك أصحابُ النقيبِ عليٍّ بن ناصر جزيلان تركوا محاصرةَ إب، وأرْجَفُوا، وكانَ مطرَحُهُمْ عدني اب في العقبة[(٢)]، وقد كانَ حصلَ الإرجافُ على أهلِ مدينةِ إبْ حتّى بذلُوا لهم مالاً لينتقلوا من المطرحِ المذكورِ.

ثمَّ إنَّه أُرْجِفَ عليهم وانتقلوا إلى جبل بَعَدان[(1)] إلى بيتِ المشايخ بني الوجيه[(2)]، وتبعهُم العَجَمُ على الأثرِ، قبلَ أنْ يستعدّوا، فوقَعَ الحربُ هنالِك

---

(1) بَعْدَان: جبل مشهور يُطل على مدينة إب من ناحية المشرق، وفيه ناحية واسعة، وفيه كثير من العُزل، انظر «نشر العرف» ٢/٣٦٩، «الإكليل» ٢/١٠١.

(2) بيت الوَجيه، قرية من عُزلة بَدَح بناحية مِلْحان، وبنو الوجيه في الحُديدة، أصلهم من بني الحَطَّامي في وصاب، وبنو الوجيه في شُهَارَة وصنعاء أصلهم من بيت المتوكل، انظر «معجم المقحفي» ٦٩٢.

---

(١) الإضافة من ع.

(٢) في ع: المعقبة.

ثلاثةَ أيَّامٍ، وحصَلَ في التّركِ قتلى كثيرةٌ، وخرجَ المجاهدونَ من بيتِ الوجيهِ ونَهَبَ العَجمُ جميعَ ما فيهِ من طعامٍ وغيرِهِ، وتفرَّقَ النَّاسُ شَذَرَ مَذَر. ووَصلَ جماعةٌ من بني الوجيه، منهم: الشيخُ عبدُالله الوجيه إلى المقامِ الشريفِ ملتجئين ومستجيرين بمولانا ذي القَدْرِ المُنيفِ، وبقوا هنالِكَ مدَّةً، وعَزَمُوا مِنَ المقامِ، وتلقَّاهُمْ جماعةٌ من شياطين الحلا، فقُتِلَ الشيخُ عبدُالله غدراً في سلاحِهِ، وقُتِلَ ابنُ عمِّه الشيخُ ملهي بعد أن قتل رجلين منهم، وأسرَ ثالِثَهُمْ. فهٰذا ما وَقعَ.

١٩٧أ وفي شهر القعدة / وردَ رجلٌ بمكتوبٍ مختومٍ إلى حضرةِ الإمامِ ـ عليه السلامُ ـ وصحبتـه كتـابان مطبوعان، لا بدَّ أذكُرُ ما تضمَّنا بعدُ، ومضمونُ الكتابِ: التنويهُ بمدحِ الإمامِ ـ عليه السلامُ ـ وأتباعِهِ، وأنَّه لم يَبْقَ غيرُهم في البلادِ الإسلاميةِ محافظاً على القوانين الشرعية، دَائباً في المحافظةِ على الشـريعةِ المحمّدية، وأشارَ إلى ضعفِ الإسلامِ .وأنَّهُ سمعَ بعضَ النصارى يقولُ: الآنَ حانَ دفنُ القرآن. وسمعَ واحداً من النَّصارىٰ يقول: لا ينحَسِمُ ضررُ المسلمين حتى تخربَ قِبْلَتُهُمْ، ويُنْبَشَ قبرُ نبيِّهم.

ثمَّ إنَّه أورَدَ في المكتوبِ نصائحَ كثيرةً منها: أنَّه يحسُنُ أنَّ الإمامَ ـ عليه السلامُ ـ يجمعُ بين المؤمنين الصادقين ألفَ رجلٍ، ممَّن الواحدُ منهم يغلبُ عشرة، يكونون بطانةً للإمامِ ونصرةً للإسلام. ومِنَ النَّصائح أنَّه حثَّ الإمامَ على جَعْلِ مكاتيبَ ورسائلَ إلى جميعِ أقطارِ الإسلامِ، وأنَّه يوضِّحُ لهم ما يدْعُو إليه وما يعتقِدُهُ أهلُ المذهبِ الشريفِ؛ ليزول ما يقولُهُ العدوُّ وينسبُهُ من الأقوالِ التي تنزَّهوا عنها، وحثَّ أيضاً أنَّ الإمامَ يُشيِّعُ مؤلفاتِ الأئمةِ من أهلِ البيتِ بالطبعِ ليعرفَ الناسُ مذاهبَ الأئمةِ؛ لأنَّهُمْ صاروا يتكلمون بما ليسَ

فيهم، وينسِبُونَ إليهم أشياءَ هُمْ منزَّهُونَ عنها. وذَكَرَ أنَّ كُتُبَ الشَّيخِ الشَّوْكاني(1) أظهرَها الطبعُ حتى شاعَتْ وذاعَتْ، والمذهبُ الشريفُ ـ لعدمِ انطباعِ كتبهِ ـ خَفيتْ أقوالُهُ ومحاسنُهُ، ثمَّ أشارَ أنَّ الإمامَ ـ عليه السلامُ ـ إذا احتاجَ لمطبعةٍ أرسلَ بها إلى محلِّ عرفةَ. ثم قالَ في آخرِ المكتوبِ: وصدرَ كتابانِ تدخلكم في الحكمة السياسية، لأنكم عرفتم الحكمة العلمية، ولم تعرفوا الحكمةَ السياسيةَ، ثم طلبَ كتْمَ المكتوبِ لأنَّ خطَّهُ معلومٌ عند الفريقين.

هٰذا مضمونُ الكتابِ الواصلِ بهِ رجلٌ من طرف شيخ الضالع، ويذكرُ أنَّه أخرجهُ من عدن، وتاريخ المكتوب محرم لسنةِ ١٩، ولم يصلْ إلا في القعدة. وأما الكتابان المطبوعان فأحدهما مئتان وواحد وعشرون صفحةً بربعِ القطعِ، تضمَّن بعدَ البسملة والحمدَلة، أمّا بعد:

فأقولُ، وأنا السيدُ الفراتي(2) أنّه لمّا كان عهدُنا هٰذا، وهو أوائلُ القرنِ الرابعَ عشرَ، عهداً عمَّ فيه الخلَلُ والضعفُ كافَّةَ المسلمين، وكانَ من سنَّةِ اللهِ في خَلْقِهِ أنْ جعَلَ لكلِّ شيءٍ سبباً، ولا بدَّ لهٰذا الخللِ الطارىء، والضعفِ النازلِ من أسبابٍ ظاهريةٍ غيرَ سرِّ القدرِ الخفيِّ عن البشر، فدعَت الحَمِيَّةُ بعضَ أفاضلِ العلماءِ والسُّراةِ والكُتّابِ للبحثِ عن أسبابِ ذٰلك، ثمَّ بدا لي أنْ أسعى في توسيعِ هٰذا المسْعىٰ بعقدِ جمعيةٍ من سُراةِ الإسلامِ على جهةِ الهدايةِ، أعني مكّةَ، فعقدْتُ العزيمةَ متوكلاً على اللهِ على إجراءِ سياحةٍ

---

(1) المقصود محمد بن علي الشوكاني، العالم المعروف.

(2) السيد الفراتي: اسم أطلق على عبدالرحمٰن الكواكبي.

مباركةٍ بزيارةِ أمّهاتِ البلادِ العربية؛ لاستطلاعِ الأفكارِ، وتهيئةِ الاجتماع في موسمِ أداءِ فريضة الحجِّ، فخرجتُ من وطني إلى إحدى مدنِ الفراتِ في أوائل محرم سنة ١٣١٦ وكُلِّي ألْسُنٌ تُنْشِدُ(1): [الطويل]

دراكِ فَمَنْ يَدْنف لعمرُكَ يُدْفَن ... وما نافِعٌ نَوْحٌ إذا قيلَ قَدْ فَني
دراكِ فإنَّ الدِّينَ قدْ زادَ عِزَّهُ ... وكانَ عزيزاً قبلَ ذا غيرَ هَيِّنِ
فكانَ لَهُ أهلٌ يُوَفُّونَ حقَّهُ ... بهُدىً وتلقينٍ وحسنِ تلقُّنِ
إلامَ وأهلُ العلمِ أحلاسُ بيتِهمْ ... أما صارَ فرْضاً رأبُ هٰذا التوهُّنِ
هلمُّوا إلى فضلِ (١) التعاوُنِ إنَّهُ ... بإهمالِهِ إثمٌ على كلِّ مؤمنِ
هلُمُّوا إلى أمِّ القُرى وتأمَّروا ... ولا تقنطُوا مِنْ روحِ ربٍّ مُهَيمِنِ
/ فإنَّ الذي شادَتْهُ الاسيافُ(٢) قَبلَكم ... هُوَ اليومَ لا يحتاجُ إلَّا لألْسُنِ

وهٰذه الأبياتُ بعينِها مكتوبةٌ في صدرِ المكتوبِ الواردِ. ثمَّ ذكَرَ أنَّه سافرَ إلى الاسكندرونةَ مُعرِّجاً على بيروتَ فدمشقَ، ثم يافا فالقدس، ثم اسكندريةَ فمصر، ثم مِنَ السويسِ إلى الحُديدةِ، فصنعاءَ فعدن، ومنها إلى عُمان فالكويت، ومنها إلى البصرةِ، ومنها إلى حائل، ثم إلى المدينةِ، ثمَّ إلى مكةَ. فوصلها في أوائل القعدةِ.

ثمَّ ذكرَ الاجتماعَ الأوَّلَ يومَ الاثنين خامسَ عشر القعدة لسنة ١٣١٦: في اليومِ المذكور، انتظمت الجمعيةُ للمرَّة الأولى، وأعضاؤها اثنان وعشرون

---

(1) انظر «أم القرى» ٤، ط. المطبعة العصرية بحلب، ١٩٥٩م.

---

(١) في م، و«أم القرى»: بذل.

(٢) في «أم القرى»: أسياق.

فاضلًا، ثم ذكرَ أعضاءَ الجمعيةِ، وهم[1]: السيدُ الفراتي، والفاضلُ الشامي، البليغُ القدسي، الكاملُ الاسكندري، العلّامةُ المصري، المحدِّث اليمني، الحافظُ البصري، العالمُ النجدي، المحقِّقُ المدني، الأستاذُ المكّي، الحكيمُ التونسي، المرشدُ الفاسي، السعيدُ الإنكليزي، المولى الرُّومي، الرياضي الكردي، المجتهدُ التبريزي، العارفُ التاتاري، الخطيبُ القازاني، المدقِّق التركي، الفقيهُ الأفغاني، الصاحبُ الهندي، الشيخُ السندي، الإمامُ الصيني.

ثمَّ إنَّ السيِّدَ الفراتي بادَرَ الإخوانَ بكلمةِ شعارِ الأُخوَّةِ وهي: «لا نعبدُ إلَّا الله» «على عهدِ اللهِ بالجهادِ والأمانةِ»، ومَنْ كان لا يُطيقُ العَهْد فليعتزلْنا. فتسارعوا إلى عقدِ العهْدِ، واختارَ الفراتيُّ للرياسة الأستاذَ المكيَّ، واختارَ نفسَهُ لخدمةِ الكتابةِ، تفادياً عن إتعابِ غيرِهِ في الخدمةِ التي يمكنُهُ القيامَ بها، فأجمعوا على ذٰلك، ثم اختَطَبَ الأستاذُ الرئيسُ المكيُّ، فقال: الحمدُ للهِ عالمِ السِّرِّ والنَّجوى، الذي جمَعَنا على توحيدِهِ ودينِهِ، وأمرنا بالتعاونِ على البرِّ والتَّقوى، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا القائلِ: «المسلمُ للمُسلِمِ كالبُنيانِ يشدُّ بعضُهُ بعضاً»، وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا في اللهِ انتصاراً لدينه، لم يَشْغَلْهُمْ عن إعزازِ الدِّين شاغلٌ، وكانَ أمْرُهُمْ شورى بينَهُم يسعىٰ بذمَّتِهِم أدناهُم، اللَّهُمَّ إيَّاكَ نعبدُ لا نخضعُ لغيرِكَ، وإيَّاكَ نستعينُ لا ننتَظِرُ نفعاً مِنْ سواكَ ولا نخشى ضرّاً، اهدِنا الصِّراطَ المستقيمَ الذي لا خفيَّاتِ ولا ثنيّاتِ

---

(1) في «أم القرى» ص٧، أورد أرقاماً كرموز سرية ٤٤٣١٣٨١٥١٢٧٩٨١٢١٧٦٦٣٥٥٨٤٥٢٢
٨٤١٣٢٥٩٣٦٥٧٢٧٨٣٥٢٦٤٣٣٢٣٢٧٤٠٤٩١٩٨٦٧٥٦٢٣٢١.

فيه، صِراطَ الذين أنعمْتَ عليهم بنعمةِ الهدايةِ إلى التوحيدِ، غيرِ المغضوبِ عليهم بمـا أشركُوا ولا الضَّالِّينَ بعدَما اهتدوا، سبحانَكَ ربَّنا آتِنا من لَدُنْكَ رحمةً وهيِّىء لنَا مِنْ أمرِنا رَشَدا.

ثمَّ قال: وأقولُ: إنَّ مسألَةَ تَقَهْقُرِ الإسلامِ بنتُ ألفِ عامٍ أو أكثر، وما حَفظَ عزَّ هٰذا الدين المُبين كلَّ هٰذه القرونِ المتواليةِ إلَّا متانةُ الأساس، مع انحطاطِ الأممِ السائرةِ عن المسلمين إلى أنْ فاقتْنا بعضُ الأُمَمِ في العلومِ والفنونِ، فنَشَرَتْ نفوذَها على أكثرِ البلادِ، والعبادِ، ولم يَزَلْ المسلمونَ في سُباتِهِمْ إلى أنْ استولى الشَّلَلُ على كُلِّ أطرافِ جسمِ المملكةِ الإسلاميةِ، وقَرُبَ الخطرُ من القلبِ، وهو جزيرةُ العربِ، فتنبَّهَتْ أفكارُ مَنْ رزَقَهُمُ اللهُ بصيرةً بالعـواقبِ فوفَّقَهُمْ لنيلِ أجـرِ المجـاهـدين، وهَبُّـوا ينشرون المواعظ والتذكرةَ والمباحث المُنذرة، فكثُرَ المنبِّهون، وتحركت الخواطرُ. وأفاد في أثناء كلامه على أنَّ مدَّة حصانةِ العلم عشرون عاماً فقط، ومدة حصانةِ الأخلاق أربعونَ سنةً، ثمَّ ذكَرَ أنَّ الأمورَ دائرةٌ على أربعةِ مقاصدَ، ثم ذكرَ المقاصدَ:

الأولُ: بيانُ الحالةِ الحاضرةِ، والثاني: بيانُ أنَّ سببَ الخلَلِ النازلِ هو الجهلُ النازل[1]، والثالثُ: إنذارُ الأُمَّةِ بسوءِ العاقبةِ، والرابعُ: توجيهُ اللَّوْمِ والتبعةِ على العلماءِ والأمراءِ.

ثمَّ ذكَرَ الاجتماعَ الثاني[1] يوم الرَّبوع سابعَ عشرَ ذي القعدة لسنة ١٦،

---

(1) «أم القرى»: ٢١.

---

(١) في أ: الشامل.

تضمَّنَ وصفَ داءِ الفتورِ، وما منشأُهُ، حتَّى قال الحافظُ الشامي[1]: إنِّي أرى منشأَ هٰذا الفتورِ هو بعضَ القواعدِ الاعتقاديةِ، مثل العقيدة الجبرية. ثم كان يذْكُرُ بعضَ كلامٍ ويقولُ: مرحى، بالرَّاءِ المهملة والحاء المهملة والياء، قال في حاشيته: مرحى كلمةُ تعجُّبٍ تقولُها العربُ عندَ إصابةِ الرَّامي، ثمَّ قال في أثناءِ كلامِهِ: إذا تتبَّعنا كلَّ ما وردَ حاثّاً على الزهدِ تجدهُ موجَّهاً إلى الترغيب بإثـرة العـامـة، أي: بتحـويلِ المسلمِ ثمـرةَ سعْيِهِ للمنفعـةِ العموميةِ دونَ خصوصِ نفسهِ، ثمَّ ذكَرَ كلامَ المجتهدِ التبريزي أنَّ سبَبَ الفتورِ تركُ الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكر.

الاجتماعُ الثالث[2] يومَ الخميس ثامنَ عشرَ شهر ذي القعدة، وفي ذٰلك الاجتماع كان الخوضُ فيما هو سببُ الفتورِ(١)، ثمَّ ذكَرَ في أثناءِ كلامِ الإمامِ الصيني أنَّه قالَ: إنِّي أرى السببَ الأكبرَ للفتورِ هو تكبُّرَ الأمراءِ وميلَهم للعلماءِ المتملِّقين المنافقين الذين يتصاغرون لديهم ويحرِّفون أحكام الدين، ليوافقوها على أهوائِهم، وهٰذا داءٌ عَيَّاء، صعبُ المداواةِ، فلا شكَّ أنَّ في هٰذا الزمانِ أفضلَ الجهادِ في اللهِ الحطُّ من قدرِ العلماءِ المنافقين عندَ العامَّةِ وتمويلُ وجهتهم.

الاجتماعُ الرابع[3] يومَ السبتِ عشرين شهر القعدة، ذَكَرَ فيه كلامَ العالِمِ

---

(1) «أم القرى»: ٢٦.
(2) «أم القرى»: ٤٧.
(3) «أم القرى»: ٧٥.

---

(١) في ع: للفتور.

النجدي، وكان كلاماً طويلاً نفيساً أفاد فيه: أنَّ سببَ الفتورِ الأمْرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ وارتكابُ البِدَعِ من المتدينين.

الاجتماعُ الخامسُ(1) يومَ الأحد العشرين من ذي القعدة لسنة ١٦، تضمَّن كلامَ السعيدِ الإنكليزي وقولُه: إنَّنا مسلمون(١) حديثو عهدٍ بالإسلامِ، ولنا إشكالاتٌ مهمةٌ تتعلَّقُ ببحثِ اليومِ، أعني بطريقةِ الاستهداءِ مِنَ الكتابِ والسُّنَّةِ، لأنَّا قد اهتدَيْنا والحمدُ للهِ إلى الإسلاميةِ منتقلين إليها من الطائفةِ الإنجيليَّةِ(2)، لا من الطائفة التقليدية(3)، فنميلُ طبعاً لاتِّباعِ الكتابِ والسُّنَّةِ فقط، ولا نثقُ بقولِ غيرِ معصومٍ فيما ندينُ. وقد تركْنا دينَ آبائِنا لنتَّبِعَ دينَ محمَّدٍ نبيِّ الإسلامِ عليه الصلاةُ والسلامُ، لا لنتَّبِعَ الحنفيَّ أو الشافعيَّ أو الحنبليَّ أو المالكيَّ، وإن كانوا ثقاةً ناقلين، ولنا جمعيةٌ منتظمةٌ، ونحن نسعى سعياً حثيثاً في الدعوة للدين السامي الإسلامي، وأكبرُ أملِنا معقودٌ لهدايةِ فئتين: الأولى البروتستان والثانية الزنادقة.

أما البروتستان؛ فلأنَّهُمْ منقلبونَ من الطائفةِ التقليديةِ انقلاباً ناشئاً عن ترجيحِهِم الاقتصارَ على الإنجيلِ ومجموعِ الكتبِ المقدَّسة متوناً فقط، أي بإهمالِ الشروحِ والتفسيراتِ التي لا يُوجَدُ لها أصلٌ صريحٌ في الإنجيلِ، وهم يزيدون على مئةِ مليونٍ من النفوس، كلُّهم مفطورون على التديُّنِ.

---

(1) «أم القرى»: ١٠٥.

(2) الإنجيلية المقصودة البروتستانتية.

(3) التقليدية: المقصود الكاثوليكية.

---

(١) في «أم القرى»: «فقال: إننا مسلمي (ليفربول)، حديثو».

وأمّا الزنادقةُ، فهم المارقون من النصرانيةِ كُلّياً لعدمِ ملائمتِها للعقلِ، وهمْ لا يزيدون على مئةِ مليونٍ، مستعدُّونَ لقَبولِ ديانةٍ معقولةٍ سنيـــة[1] سمحاءَ، وكلّما بعُدوا من النصرانيةِ نفوراً من شركِها وخرافاتِها، تقرَّبوا طبعاً من التـوحيدِ والإسلاميَّةِ، وحكمتِها وسماحَتِها: فبناءً على هٰذه الحالِ ترى الجمعيةُ[2] أهميةً لتحريرِ مسألةِ الاستهداءِ من الكتابِ والسُّنَّةِ وتصويرِ حكمةِ وسماحةِ الدين الإسلامي، فأرجو حضرةَ الأستاذِ الرئيس أن يسمحَ لي بتفهُّم مسألة الاستهداءِ على أسلوب المحاورةِ والمساجلَةِ مع بعضِ الإخوان في هٰذا المحفلِ، فأجابَهُ الأستاذُ: ساجِلْ من شِئتَ، فقال السعيدُ الإنكليزي مخاطباً العالمَ النجديّ: إنَّك يا مولايَ قدْ صوَّرْتَ في مقدمةِ خِطابِكَ في التوحيد من هو المسلمُ، وألزَمْتَهُ العملَ بالكتابِ والسنةِ، فعرِّفْني ما الكتابُ والسنَّةُ؟!

فأجابهُ العالمُ النجديُّ: أمّا الكتابُ، فهو هٰذا القرآنُ الذي وصلَ بطريقٍ لا يحتمِلُ الشبهةَ فيه، لاجتماعِ الكلمةِ، واتِّفاق الأمَّةِ عليه وتناقُلِها إيَّاهُ جيلاً بعدَ جيلٍ، حفظاً في الصدورِ، وضَبْطاً في المسطورِ معَ الحرصِ العظيمِ على كيفيةِ أدائِهِ لفظاً، وعلى هيئةِ إملائِهِ كتابةً ومعَ الاعتناءِ في تحقيقِ أسبابِ النـزولِ ومكـانِهِ ووقتِهِ، ومعَ حفظِ اللغةِ العربيةِ، وبقاءِ القرآنِ محفوظاً من التحريفِ إلى الآن. هٰذا أحدُ وجوهِ إعجازِهِ حيثُ جاء مصدِّقاً لقوله تعالى: ﴿إنَّا نَحْنُ نزَّلْنا الذِّكْرَ وإنَّا لَهُ لحافظون﴾.

---

(١) في «أم القرى»: حرة.

(٢) في «أم القرى»: «ترى جمعية ليفربول».

وأمَّا السُّنَّةُ فعرَّفَهَا بما عرَّفَها به الأصوليون، ثمَّ قالَ: وقد وصَلَتْنا بكمالِ الضبطِ، خصوصاً منها الكتبُ الستَّةُ.

قال السعيدُ الإنكليزي: لا يشكُّ أحدٌ، حتى العدوُّ والمعاندُ، في أنَّه لمْ تبلغْ ولن تبلغَ أمَّـةٌ من الأُمَمِ شأْنَ المسلمين في حفظِ القرآن العـظيمِ، وضبطِهم التاريخَ النبويَّ، أي السنَّة، ولذلك كان تحريرُ الشريعةِ الإسلاميةِ أحسنَ تحريرٍ، فلا يُوجَدُ فيها ما وُجِدَ في غيرِها بسببِ عدمِ ضبطِ أُصولِها، فأرجو أنْ يتبيَّنَ لي ما هو منشأُ هٰذا التشتُّتِ الذي نراهُ في الأَحكامِ.

فأجابهُ العالمُ النجدِّي بما مضمونُهُ: أنَّ الاختلافاتِ التي في الشريعةِ ليست كمـا تُظَنُّ شاملةً للأُصـول، بل إنَّ أصـولَ الدينِ كلَّها والبعضَ من الفـروعِ متَّفَقٌ عليها لأنَّ لها في القرآنِ والسنةِ أحكاماً صريحةً قطعيةً، أمَّا الخلافاتُ فهي في فُروعِ تلك الأصولِ، وفي بعضِ الأحكامِ التي ليسَ لها في الكتابِ والسُّنَّةِ نصوصٌ صريحةٌ، بل أخذَ تلكَ الأحكامَ المجتهدون من نصوصِ الكتابِ والسُّنَّةِ بالمدلولِ المحتملِ، أو بالمفهومِ أو بالاقتضاءِ أو من قراينِ الحالِ، أو قراينِ المقالِ أو بالتَّوْفيقِ أو بالتخريجِ أو بالتفريعِ أو بالقياسِ، أو باتِّخاذ العلَّةِ، أو باتِّخاذِ النتيجةِ أو بالاستحسانِ، ثم إنَّ أكثرَ الخـلافاتِ هي في مسائلِ المعاملاتِ، وعلى كلِّ حالٍ جاحِدُها لا يُكفَّرُ باتِّفاقِ الأئمَّةِ، بل المتخالفونَ لا يُفَسِّقُ بعضُهم بعضاً إذا كان التخالفُ عن اجتهادٍ لا عن هَوى نفسٍ أو تقصيرٍ في التَّتَبُّعِ.

قال السعيدُ الإنكليزي: إنِّي لأَشْكُرُكَ على ما أجملتَ وأوضَحْتَ، غير أنَّك لم تذكرْ في جملةِ أسبابِ الاختلافِ في اعتبارِ الناسخِ والمنسوخِ بينَ

آيتَيْنِ أو حديثين أو آيةٍ وحديث، وإني أظنُّ ذٰلكَ مِنْ أعظمِ أسبابِ الاختلافِ في الأحكـامِ، فأجابَهُ: إنَّ نواسخَ الأحكامِ قليلةٌ والخلافَ فيها أقلُّ؛ لأنَّ النسخَ في زمنِ التشريعِ لَمْ يَحْصُلْ إلَّا عنْ حكمةٍ ظاهرةٍ كالدَّعْوةِ في الأَوَّلِ للتـوحيدِ والدينِ لمجرَّدِ الموعظةِ بدونِ جدالٍ، ثمَّ به بدونِ صَدْع، ثمَّ به بدونِ قتـال، ثمَّ به في أهْلِ جزيرةِ العربِ فقط(١)، ثمَّ بتعميمه مع قبول الجزيةِ والخراجِ مِنْ غيرهِم.

قال السَّعيدُ الإنكليزي: إنَّ ما وصَفْتَ من أصـولِ الاجتهـادِ وقـوانين استنبـاطِ الأحكامِ قدْ أنْتَجَ خلافَ ما يأْمُرُ اللهُ بهِ في قولِهِ تعالى: ﴿أَقيموا الدِّينَ ولا تفرَّقوا فيه﴾، وخلافَ ما تقتضيه الحكمةُ، فهَلْ مِنْ وسيلةٍ سهلةٍ لِرَفْعِ هٰذا التفرُّق؟

أجابه العالِمُ النجديُّ: إنِّي لا أستطيعُ لذٰلك سبيلاً، ولعلَّ في الإخوانِ مَنْ يتصوَّرُ وسيلةً لهٰذا الأمر المهم(٢).

---

(١) جاء على هامش النسخة: «شرع الإسلام أو السيف خاصاً بأهل جزيرة العرب، بقصد إحكام الوحدة السياسية في الوحدة الجنسية لا كما يتوهم الطاعنون في الإسلام، إنه لم يقم إلا بالسيف».

(٢) على هامش النخسة الأم جاء التعليق التالي: «قال في الأم المطبوعة الأديان والمذاهبُ كلُّها مصابةٌ بالانشقاق منه، كان عليك أيُّها العالِمُ النجديُّ أن تقولَ إنَّ الاجتهادَ مرادُ اللهِ مِنَ الخَلْقِ فيما لم يَرِدْ به صريحُ الكتابِ والسُّنَّةِ فإذا اجتهد المجتهدُ في حادثةٍ فقد أدّى ما أَوْجَبَه اللهُ عليه وصارَ له أجران إنْ أصابَ وأجرٌ إنْ أخطأ، وإذا رجَّح اجتهادَه ثانياً غيَّرها، اجتهَدَ أوَّلاً، فكذٰلك، ولا يُسمى خلافاً، وكذٰلك اجتهادُ المجتهدين فيما سبيلُه الاستنباطُ لا يُسمى اختلافاً، كيفَ وقد اجتهد الصحابةُ بحضورِ الرسولِ وصوَّبَ اجتهادَ كلِّ واحدٍ وكذٰلك الصحابةُ،ك وإنَّما المُرادُ بالتفرُّقِ في الدين الذي نهىٰ اللهُ عنه هو الاختلافُ في أصولِ الأديانِ والتفاشلُ في جهادِ أعداءِ الرحمٰن، والمسألةُ تحتاجُ إلى طولٍ لا يسعُها هٰذا المنقولِ وباللهِ التوفيق».

قال العـلّامةُ المصريُّ: رفعُ الخلافِ غيرُ مُمْكِنٍ مُطْلقاً، ولٰكنْ يُمكنُ تخفيفُ تأثيراتِهِ. ثمَّ ذكر كلاماً حتّى قالَ فيه بناءً على ذٰلك: أرى لو أنَّ فقهاءَ الأُمَّـةِ، كمـا فرَّقـوا مراتبَ الأحكامِ على المسائلِ، يفرِّقون المسائلَ على المراتبِ في متونٍ مخصوصةٍ، فيعقدون لكلِّ مذهبٍ من المذاهبِ كتاباً في العباداتِ، ينقسِمُ إلى أبوابٍ وفصولٍ تُذكَرُ في كلٍّ منها الفروضُ والواجباتُ فقط، وينطوي ضمنَها الشرايطُ والأركانُ، بحيثُ يُقالُ: إنَّ هٰذه الأحكامَ في هٰذه المذاهبِ أقلُّ (١ما يجوز به العبادات١)، ثمَّ كتاباً آخرَ بذٰلك، فيه السُّنَنُ التي ينبغي رعايتها(٢) في أكثرِ الأوقاتِ، ثمَّ كتاباً ثالثاً تُذكَرُ فيه سُنَنُ الزوايدِ، وعلى هٰذا النسقِ يُوضَعُ كتابٌ للمَنْهياتِ يُعَدُّ فيها المُكَفِّراتُ والكبايرُ، وكذا الصغايرُ والمكروهات، ومثلُ ذٰلك تقسَّم كتبُ المُعامَلاتِ على طبقاتٍ من الأحكامِ الإجماعيةِ، والاجتهاديةِ أو الاستحسانيةِ، فبمثلِ هٰذا الترتيبِ يسهُلُ على كلٍّ من العامَّةِ أنْ يعرفَ ما هو مكلَّفٌ به في دينِهِ، وبهٰذه الصورةِ تظهرُ سماحةُ الدِّين الحنيفِ.

ثمَّ ذكَرَ كلامَ المحدِّثِ اليمنيِّ، فقال: قالَ المحدِّثُ: إنَّنا معاشِرَ أهلِ اليمنِ، ومن يلينا من أهلِ الجزيرةِ، كما أنَّنا لمْ نزلْ بعيدين عن الصنايعِ والفنونِ، فكذٰلك لم نَزَلْ على مذهبِ السَّلَفِ في الدِّينِ، بعيدين عن التَّفَنُّنِ فيهِ، ومَسْلَكُنـا مسلكُ أهـلِ الحـديثِ، وأكثرُنا يُخَرِّجُ الأحكامَ من أصولِ اجتهـادِ الإمـامِ زيدِ بنِ عليِّ بنِ زينِ العابدين، أو أصول الإمام أحمدِ بنِ

(١ ١) في م: أقل ما يُجوِّز به للعباد.

(٢) في م: مراعاتها.

حنبـل، وإني أذكُـرُ للإخـوانِ حالتَنـا الاستهـدائية عسى أن الـذكـرى تنفع المؤمنين، وعسى أنْ يعلمَ المسلمون، ولا سيَّما الأتراكُ، ومن يحكمون أنَّنا مِنْ أهلِ السُّنَّةِ، لا كما يُوْهِمونَ أو يتوهَّمونَ، فأقول: إنَّ المسلمينَ على ثلاثِ مراتبَ: الطبقةُ الأولى، العلماءُ وهمْ كلُّ مَنْ كانَ متَّصفاً بخمسِ صفاتٍ:

الأولى: أن يكونَ عارفاً باللُّغةِ العربية معرفةَ كفايةٍ لِفهْمِ الخِطابِ، لا معـرفـةَ إحـاطـةٍ بالمفـرداتِ ومجـازاتِهـا، وبقواعدِ الصَّرفِ وشواذِّهِ، والنحوِ وتفصيلاتِهِ، والبيانِ وخلافاته، والبديعِ وتكلُّفاتِهِ، مما لا يَتَعيسَّرُ إتقانُهُ إلَّا لمَنْ يُفْني ثُلُثي عُمُرِهِ فيه، مع أنَّه لا طائلَ تحتَهُ، ولا لزومَ لأكثرِهِ إلَّا لِمَنْ أرادَ الأدبَ.

الثانية: أنْ يكونَ قارئاً لكتابِ اللهِ قراءَةَ فَهْمٍ للمُتبادِرِ للمعاني من مفرداتِهِ وتراكيبِهِ، مَعَ الاطِّلاعِ على أسبابِ النُّزولِ، ومواقعِ الكلامِ، وكُتُبِها المدوَّنَةِ المأخوذةِ من السنَّةِ والآثارِ وتفاسيرِ الرَّسول صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آله وسلّم أو تفاسيرِ الصحابةِ، ومِنَ المعلومِ أنَّ آياتِ الأحكامِ لا تُجاوِزُ المئةَ والخمسين.

الثالثة: أنْ يكونَ متضلِّعاً في السُّنَّةِ النَّبويَّةِ المُدَوَّنةِ على عَهْدِ التَّابعينَ وتابِعيهِمْ أو تابعي تابعيهم فقطْ، بدونِ قيدٍ بمئةِ ألفٍ أو مئتي ألفِ حديث، فليكفه ما كفى مالكاً في مُوطَّئِهِ، وأحمدَ في مُسندِهِ. ومن المعلومِ أنَّ أحاديثَ الأحكامِ لا تُجاوِزُ الأَلْفَ وخمسماية.

الرابعةُ: أنْ يكونَ واسعَ الاطِّلاعِ على سيرةِ النبيِّ ـ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم ـ وأصحـابِـهِ، وأحـوالِهِم منْ كُتُبِ السِّيَرِ القـديمـةِ لأهْـلِ الحديثِ،

كالذَّهبي، وابنِ كثيرٍ، وابن جريرٍ، وابن قُتَيْبَةَ والزُّهْريِّ.

الخامسةُ: أنْ يكونَ صاحبَ عقلٍ، سليمَ النَّظرِ لم يُفْسِدْ ذهنَهُ بالمنطقِ والجدلِ التعليميِّين والفلسفةِ اليونانيةِ وبأبحاثِ الكلامِ وعقايدِ الحكماءِ ونزعاتِ[1] المعتزلةِ، وإغراباتِ الصوفيَّةِ، وتشديداتِ الخوارجِ، وتخريجاتِ الفقهاءِ المتأخِّرين، وحشوياتِ المُوَسْوسين، وتزويقاتِ المرائين، وتحريفاتِ المُدلِّسين[2]، فأهْلُ هٰذه الطبقةِ لا يُقلِّدُون أحداً إلَّا بعدَ الوقوفِ على دليلِ مَنْ يُقَلِّدونَ، فإذا وجدُوا في المسألةِ قُرآناً ناطقاً، لا يتحوَّلونَ عنه إلى غيرِه، وإذا كانَ القرآنُ محتملاً لوجوهٍ فالسُّنَّةُ قاضيةٌ عليه مفسِّرةٌ لهُ.

ثمَّ قالَ: فإنْ لم يجدوه في كتابِ اللهِ أخذوه من صحيحِ سُنَّةِ رسولِ الله، ولا يَعْدِلُونَ عن الحديثِ الصَّحيحِ إلى اجتهادٍ، ثمَّ إذا لمْ يجدوا في المسألةِ حديثاً يأخذونَ بإجماعِ علماءِ الصَّحابةِ، ثمَّ بقولِ جماعةٍ من الصحابة والتابعين، ولا يتقيَّدُون / بقومٍ دونَ قومٍ. فإنْ وجدوا مسألةً يستوي فيها قولان رجَّحوا أحدَهُما بمُرَجِّحٍ يقومُ في الفكرِ، لا يتَّبعون فيه أُصولاً موضوعةً غيرَ مشروعةٍ، أو طُرُقاً مقرَّرةً غيرَ مرفوعةٍ، وأهلُ هٰذه الطبقةِ عندنا يُنَوِّرون أذهانَهُمْ بأصولِ استدلالاتِ الإمامِ زيد بن علي - رضي اللهُ عنه - أو غيرِهِ من الأئمةِ في تخريجهم الأحكامَ، واستنباطِها من النُّصوص بدونِ تقييدٍ بتقليدِ أحدِهِمْ خاصَّةً دونَ غيره؛ لأنَّهم لا يجوِّزونَ اتباعَ إمامٍ إذا رأَوْا ما ذهَبَ إليه في المسألةِ بعيداً عن الصَّوابِ، فلا يقلِّدونَ أحداً تقليداً مُطْلقاً، كأنَّه نبيٌّ مرسَلٌ.

(١) في ع: تبرعات.

(٢) في م، ع: المتدينين.

الطَّبقةُ الثانيةُ: همُ القُرَّاءُ وهمُ الذين يقرؤون كتابَ اللهِ تعالى قراءةَ فهمٍ بالإجمالِ، معَ الاطِّلاعه على جُمْلةٍ صالحةٍ مِنْ سُنَنِ رسولِ الله ﷺ، فهٰؤلاء يَسْتَهْدُونَ في أصولِ الدين بأنفسِهِمْ؛ لأنَّها مَبْنيَّةٌ غالباً على قرآنٍ ناطقٍ أو سُنَّةٍ صريحةٍ أو إجماعٍ عامٍّ، وأمَّا الفروعُ فيتَّبعونَ أحدَ العُلماءِ الموثوقِ بهِمْ عندَ المُستهدي من الأقدمين أو المعاصرين بدونِ ارتباطٍ لمُجْتَهِدٍ مخصوصٍ معَ سماعِ الدَّليلِ والميلِ إلى قَبُولِهِ، كما كان عليهِ جمهورُ المسلمين قبلَ وجودِ التَّعصبِ للمذاهبِ.

والطَّبقةُ الثالثةُ همُ العامَّةُ، وهٰؤلاء يهديهم العلماءُ معَ بيانِ الدَّليلِ بقصدِ الإقناعِ، فالعلماءُ عندَنا لا يَجْسُرونَ على أنْ يُفْتوا في مسألةٍ مُطلقاً، ما لمْ يذكُروا معها دَليلَها مِنَ الكتابِ أو السُّنَّةِ أو الإجماعِ، ولو كان المستفتي أعجميّاً لا يفهمُ، والتزامُ علمائِنا هٰذه الطريقةَ مبنيٌّ على مقاصدَ مُهِمَّةٍ، أعظمُها: تضييقُ دائرةِ الجَراءةِ على الإفتاءِ بدونِ عِلْمٍ. وفي هٰذا التضييقِ توسعةٌ على المسلمين، وسدٌّ لباب[1] التَّشْديدِ في الدينِ، والتَّشويشِ على القاصِرين، ولهٰذه الحكمةِ البالغةِ، بالَغَ اللهُ ورسولُهُ في النكيرِ على المُتجاسرين على التَّحليلِ والتحريمِ والمُتسلِّمين[2] لمحضِ التقليدِ، فالعالِمُ عندَنا لا يأنَفُ أنْ يقِفَ عندَ لا أدري، بل يحذَرُ ويخافُ مِنْ غشِّ السَّائلِ وتغريرِهِ إذا أجابَهُ، بأنَّ فلاناً المجتهدَ يقولُ: إنَّ اللهَ أحلَّ كذا وحرَّم كذا؛ لأنَّ السَّائلَ لا يعلمُ ما يعلمُ هُوَ مِنْ أنَّ هٰذا المجتهدَ الذي ليسَ بمعصومٍ، كثيراً ما يُخالِفُ في قولِهِ مَنْ هو أفضلُ منهُ من الصحابةِ والتابعين، ومِنْ أنَّه يتردَّدُ

---

(١) في ع: كتاب.

(٢) في ع: والمستسلمين.

في رأيِهِ وحُكْمِهِ كم اجتهدَ وكَمْ رَجَعَ، ومِنْ أنَّ أكثرَ دلائلِهِ، إمَّا ظنّيةُ الثّبوتِ أو ظنّيّةُ الـدّلالـةِ، أو ظنّيتهما، ومِنْ أنّه لم يُدَوِّنْ ما قالَه، ولٰكنْ نَقَلَهُ عنهُ النّاقلونَ، وكم اختلفوا في الروايةِ عنهُ، بينَ سَلْبٍ وإيجابٍ ونفيٍ وإثباتٍ. وكَمْ زَيَّق أصحابُه اجتهادَه ورأَوْا غيرَ ما رآه، ومِنْ أنّه ـ أي المجتهد ـ اجتهدَ لنفسِهِ ويلغَ عُذْرَهُ عندَ ربِّهِ وصرَّحَ بعدمِ جوازِ أنْ يتّبعَهُ أحدٌ فيما اجتهدَ، وتبرأَ من تَبِعَةِ الخطإِ، ثمَّ ذكرَ كلامَ الإمامِ مالكٍ في التبرِّي، وكلامَ أبي حنيفةَ والشـافعي وأحمـد وسفيانَ الثـوري، لمَّـا مَرِضَ مرضَ الموتِ، دعا بكُتُبِهِ فحَرَقَها(١) جميعاً، وكلامَ أبي يوسفٍ وزُفَرَ.

ثمَّ قالَ: أيُّها الإخوانُ الكرامُ، قدْ أطلتُ المقالَ فاعذروني، فإنّي مِنْ قومٍ أَلِفوا ذِكْرَ الدَّليلِ وإنْ كانَ معروفاً مشهوراً، وقدْ ذَكَرْتُ علماءَ العربِ منوِّهاً بفضلِها لا بفضلِهِم على غيرِهم، كلاَّ بل غالبُ علماءِ سائرِ الجهاتِ أحدُّ ذِهْناً وأدقُّ نظراً، وأغزَرُ مادّةً، وأوسَعُ عِلْماً، ولذٰلك لمْ نَزَلْ نحنُ في تعجُّبٍ وحَيْرَةٍ مِنْ نظرِ أولٰئِكَ العلمـاءِ المتبحِّرينَ في أنفُسِهِمْ، العُجْزِ عن الاستهداءِ، وقولِهم بسدِّ بابِ الاجتهادِ، نعم، لم يبقَ في الإمكانِ أنْ يأتيَ الزمانُ بأمثالِ ابنِ عُمَرَ وابنِ عبّاس والنَّخعيِّ وسُفْيانَ الثَّوريِّ والشافعي وعددٍ جملةٍ من العُلماءِ، ولٰكنْ متى كلّفَ اللهُ عِبادَه بدينٍ لا يفقهُهُ إلاَّ أمثالُ هٰؤلاءِ النَّوابغِ العظام؟ أَلَيْسَ أساسُ دينِنا القرآنَ، وقدْ قالَ تعالى: ﴿إنَّا جَعَلْناهُ قُرآناً عَربيّاً لعلَّهُمْ يعقِلُونَ﴾.

أمَّا السُّنَّةُ أفلَمْ تصلْ إلينا مجموعةً مدوَّنَةً بهمَّةِ أهلِ الحديثِ ـ جزاهُمُ

---

(١) في «ام القرى»: فغرقها.

اللهُ خيراً ـ وجابوا أقطارَ البلادِ التي تفرّقَ إليها الصحابةُ، فجمعوا متفرِّقاتِها ودوَّنُوها، وسهَّلُوا الإحاطةَ بها بما لَمْ يتسهَّلِ الوقوفُ عليه لغيرِ أفرادٍ من عُلماءِ الصَّحابةِ الذين كانوا ملازمين للنبيِّ ﷺ، وكذا أسبابُ النزولِ ومواقعُ الخطابِ ومعاني الغريبِ في القرآنِ والسُّنَّةِ، فإنَّ العلماءَ لَمْ يألُوا جهداً في ضَبْطِها، وكذا الأئمةُ المجتهدونَ والفقهاءُ الأوَّلونَ علَّمونَا طريقَ الاجتهادِ والاستنباطِ والتخريجِ وقياسَ النظيرِ على النظيرِ. ثمَّ إنَّنا إذا أردْنا أن نُدَقِّقَ
٩٩ ب النظرَ في مرتبةِ علمِ أولٰئك المجتهدين العظامِ، لا نجدُ فيهم / علماً مذهبياً أو كسبياً خارقاً للعادةِ، فهٰذا الإمامُ الشافعيُّ ـ وهو أغزرُهُم مادةً وأولُ وأعظمُ مَنْ وضعَ أصولاً لفقهِهِ ـ نجدُهُ قد أسَّسَ مذْهَبَهُ على اللُّغةِ فقط، من حيثُ المشتَرِكُ، والمُتبايِنُ والمترادِفُ، والحقيقةُ والمجازُ، والاستعارةُ والكنايةُ، والشرطُ والجزاءُ، والاستثناءُ المتَّصلُ[1] والمنقطعُ، والعطفُ المرتَّبُ وغيرُ المرتَّب، والفورُ والتراخي، والحروفُ ومعانيها، واتَّبعَ أبا حنيفة في إدخالِهِ في أصولِ مذهبِهِ بعضَ قواعدَ منطقيةٍ مثلَ دلالةِ المطابقةِ والتضمُّنِ والالتزامِ، ومعرفةِ الجنس والنوع، والفصلِ، والخاصةِ والمقدّمتين والنتيجةِ والقياس المنتج، واتَّبعه أيضاً في قياسِ ما لَمْ يرِدْ فيه قرآنٌ أو حديثٌ على ما ورَدَ، وهٰكذا فتحَ كلٌّ من أولٰئك الأئمةِ لمَنْ بعدَهُ مَيْداناً واسعاً، فجاءَ أتباعُهم ومدُّوا الأطْنابَ.

وهٰذا التوسيعُ كلُّه ليسَ من ضروريَّاتِ الدِّينِ، بل ضَرَرُهُ أكثرُ من نفعِهِ، وما أشْبَهَ الأمورَ الدينيةَ بالأمور المعاشيةِ! كلَّما زادَ التَّأنُّفُ فيها بقصدِ استكمالِ

---

(١) في «أم القرى»: والمنفصل.

أسبابِ الراحةِ انسلبتِ الرَّاحةُ، والقولُ الذي فيه فصلُ الخطاب أنَّ اللهَ سبحانَهُ ـ ولهُ الحكمُ ـ لمْ يرضَ منَّا أنْ نتَّبِعَ الأعلمَ الأفضلَ، بل كلَّفَنا بأنْ نستهديَ من كتابِهِ وسنَّةِ رسولِه على حَسْبِ إمكانِنا وطاقتِنا.

الاجتماعُ السادسُ(1) يومَ الاثنين ٢٢ شهر القعدة، مضمونُ ذلك: أنَّ الأستاذَ الرئيسَ خاطبَ الشيخَ السِّندي أنه لم يشاركْهم في البحثِ، وطلبَ منه ما عندَه، فقالَ الشيخُ السنديُّ ما مضمونُه: أنَّهُمْ قد أفادوا، وأنه يحبُّ أن يذكُرَ لهُمْ حالَتَهُ، وإنْ كانَ من خلفاءِ الطريقةِ النَّقْشَبَنديَّةِ، وأنَّه صارَ مرجعاً لعامَّةِ خلفائِها في الأقاليم الشرقيَّةِ والجنوبيَّةِ في الهند، وحكى أنه لم يفكِّرْ قطُّ في أنَّ الذِّكْرَ وقراءةَ الوِرْدِ على وجهٍ راتبٍ فيه مظَنَّةُ البدعةِ، فالزيادةُ في الدين، ولا أنَّ المراقبةَ والاستفاضةَ والاستمدادَ من أرواحِ الأنبياءِ والصَّالحين فيها، مظنَّةُ الشِّرْكِ، إلى أنْ حضرَ (١تلكَ الاجتماعاتِ، فسمعَ وقَنِعَ وأقلعَ وعزَمَ١) أنْ يتلطَّفَ في الأمرِ بالنصيحةِ والموعظةِ الحسنةِ عسى أن يُوَفَّقَ لهدايةِ جماهيرِ النقشبنديَّةِ، وإلى تصحيح وجهَتِهِمْ بأنْ يذكُروا اللهَ قلْباً ولساناً بدونِ عددٍ مخصوصٍ، قياماً وقعوداً وعلى جنوبِهِمْ، بدون هيئةٍ، فرادىٰ ومجتمعين، بدونِ تداعٍ، وأنْ يتركُوا المراقبةَ ويَسْتَعيضوا عنها بالدُّعاءِ بالغفرانِ والرَّحمَةِ لكلٍّ من الشيخِ بهاءِ الدين النقشبندي مرشدِهِمْ الأعلى، ولخليفةِ مرشدِهِم الأدنى. وقدْ فتَحَ اللهُ عليَّ ببركةِ جمعيَّتِنا هٰذه فَهْمَ أسبابِ مَيْلِ المسلمين إلى التصوُّفِ صالِحِهِمْ وفاسِقِهِمْ، وهو أنَّ الشافعيَّةَ والحنفيَّةَ قد ضيَّقوا على

---

(1) «أم القرى»: ١٥٧.

(١ ١) هنا وقع خطأ نحوي في ضمير المتكلم الذي جعله الناسخ ضمير الغائب.

المسلمين العباداتِ تضييقاً لا يُعْلَمُ أنَّ اللهَ يطلُبُهُ مِنْ عبادِهِ، وكثَّروا الأحكامَ في المعـامـلاتِ تكثيراً ضيَّعَ النـاسَ، وشـوَّشَ الإفتاءَ والقضاءَ، حتى صارَ المُسْلِمُ لا يمكنُـهُ أنْ يصحِّحَ معاملتَهُ أو عبادَتُه فصارَتِ الأُمَّةُ في ارتباكٍ، وجعلَ المسلمَ لا يكادُ يمكنُه أنْ يعتبرَ نفسَه مُسْلماً ناجياً لتعذُّرِ تطبيقِ جميعِ عباداتِهِ ومعاملتِهِ على ما يطلُبُهُ منه الفقهاءُ، بناءً على ذٰلك أصبحَ الجمهورُ يعتقدون في أنفسهِمْ التهاونَ اضطراراً فيهونَ عليهم التهاونُ اختياراً، كالغريقِ لا يحذَرُ البللَ.

ثمَّ ذكرَ أمثالاً من ذٰلك كثيرةً إلى أنْ قالَ: حتى صُفرةُ بقرةِ بني إسرائيل مثلاً؛ لكيلا يعتقد خِلافَه فيكفرَ فيحبطَ عملُهُ وينفسخَ نكاحُهُ.

بناءً على هٰذا التضييقِ، صارَ المُسْلِمُ لا يجدُ لنفسِهِ فرجاً إلَّا بالالتجاءِ إلى الصوفيَّةِ الذين يهوِّنونَ عليهم الدِّينَ كلَّ التهوينِ، وهمُ القائلونَ: إنَّ العلمَ حجـابٌ وبلمحِهِ تقعُ المصلحةُ، وبنظرةٍ من المرشدِ الكاملِ يصيرُ الشقيُّ ولياً، وبلفحـةٍ[1] في وجهِ المريدِ، أو تفلةٍ في فمهِ، تُطيعُهُ الأفعى وتحترمُهُ العقـربُ التي لَدَغَتْ صاحِبَ الغـارِ، وهمْ المُقَـرِّرونَ بأنَّ الولايةَ لا يُنافيها ارتكـابُ الكبـائِـرِ كلِّهـا إلَّا الكـذبَ، وأنَّ الاعتقـادَ أوَّلاً من الانتقادِ، وأنَّ الاعتراضَ يُوجِبُ الحرمانَ أي تحسين الظنِّ بالفُسَّاقِ أَوْلى من الأمْرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عن المُنْكَـرِ، إلى غير ذٰلـك من الأقوالِ المهوِّنَةِ للدِّينِ. على أنَّ النـاسَ، لو وجـدُوا الصـوفيةَ الحقيقيين، وأين همُ لفَـرُّوا منهـم فرارَهُمْ من الأسـدِ؛ لأنْ ليسَ عندَ أولٰئك إلَّا التوسُّلُ بالأسبابِ العاديَّةِ الشاقةِ، لتطهيرِ

---

(٢) في «أم القرى»: وبنفحةٍ.

النفوسِ مِنْ أمراضِ إفراطِ الشَّهواتِ، وتصفيةِ القلوبِ من شوائبِ الشَّرهِ، وحملِ الطَّبائعِ بوسائلِ القهرِ، والتمرين على الاستيناسِ باللهِ وبعبادتِهِ.

ثم ذكَرَ كلامَ الأستاذِ الرئيسِ، ومضمونُ ذٰلك: أنْ قَدْ كانَ التنسُّكُ في المسلمين شيمةٌ لأكْثَرِ الصَّحابةِ والتابعين، ثم إنَّ التوسُّعَ في الدنيا قلَّل عددَ المتنسِّكين، وصارَ بعضُ المتفرِّغين يقصِدونَ نوالَ هٰذه / الجراةِ بالتلَبُّسِ ١٠٠أ
بالتنسُّكِ. ثمَّ ذكرَ كلامَ الخطيبِ القازاني: إنَّ الإخوانَ الأفاضلَ لمْ يتركوا مقاماً لقائلٍ، ولذٰلك لا أجدُ ما أتكلَّمُ فيه، وإنَّما أقصُّ عليك مساجلةً جَرَتْ في الاستهداءِ بين مفتي قازان (١وافرنجي روسي من العلماء المستشرقين، وقدْ هداهُ اللهُ إلى الدِّينِ المُبينِ، فاجتمع بمفتي قازان١)، وقال له: إنَّهُ أسلَمَ جديداً، وهو بالغٌ في معرفةِ لغةِ القرآنِ والسنةِ مَبْلَغاً كافياً، وعالمٌ بمواردِ ومواقعِ الخطإِ عِلماً وافياً، فيريدُ أنْ يتَّبِعَ القرآن، وما يمكِنُهُ أنْ يتحقَّقَ ورودُهُ عَنْ رسولِ الله ﷺ، فيعملَ بها بِفَهْمٍ ويمكِنُهُ تحقيقُهُ حسبَ طاقتِهِ؛ لأنَّه لا يرى وجْهاً معقولاً للوثوقِ بزيدٍ أو بعمرٍو، أصحابِ الأقوالِ المتضاربةِ المتناقضةِ؛ لأنَّ حُكْمَ العَقْلِ في الدَّليلَيْنِ المتعارِضَيْنِ التساقطُ، وفي البرهانَيْنِ المتباينين التهاتُرُ.

فأجابه المفتي بما تضمَّنَهُ: أنَّ أكثريَّةَ الأمَّةِ مطبقةٌ على لزومِ اعتمادِ ما حرَّرَهُ المجتهدونَ الأربعةُ قاطباً، والأكثريةُ دليلٌ على الصحَّةِ، فلا يجوزُ الشذوذُ.

فقال المستشرقُ: لو كانَ الصَّوابُ قائماً بالكثرةِ والقِدَمِ، وإنْ خالَفَ

(١ ١) سقطت من ع.

المعقولَ، لاقتضى ذلك صوابيّةَ الوثنيّةِ ورجحانَ النّصرانيةِ، ولاقتضى كذلك خلافَ ما صَحَّ ورودُهُ عن النبيِّ ﷺ مِنْ أنَّ أمّتَهُ تفترِقُ إلى ثلاثٍ وسبعين فرقةً، كلُّها في النّارِ إلّا واحدةً، هي التي كان هو وأصحابُهُ عليها. ولا شكَّ أنَّ الاثنتين والسبعين أكثرُ من أيِّ واحدةٍ كانت منها، فأينَ يبقى حُكْمُ الأكثريةِ؟

فأجابه المُفتي: أنه قد سَبَقَنا من أهلِ التحقيقِ والتدقيقِ أُلوفٌ من الفُضلاءِ، وكلُّهُمْ اعتمدوا لزومَ اتّباعِ أَحَدِ المذاهبِ؛ لأنَّ مداركَنا قاصرةٌ عن أنْ تُوازِنَ الدّلائلَ وتميّزَ الصّحيحَ والرّاجحَ، ثُمَّ مَثّلَ ذلكَ بالطبيب لا يلْزَمُ أنْ يُجرِّبَ طبائعَ المفرداتِ، بلْ يأخُذُ عِلْمَهُ بطبائعِها عمّا دونَهُ أئمّةُ الطّبِّ.

فأجابَهُ المستشرق: نعم، إنَّ الطبيبَ يعتمدُ على ما حقّقهُ الأوّلونَ، ولكن فيما اتّفقوا عليه، وأمّا ما اختلفوا فيه على طرفَيْ نقيضٍ بينَ نافعٍ أو مُسِمٍّ، فلا يَعْتَمِدُ فيهِ على أحدِ القولينِ، بل يُهمِلُهُما ويجدِّدُ التجربةَ، ثم أذكرُ أنَّ الأئمّةَ المتقدِّمين لم يطّلِعوا على غيرِ ما اطّلعَ عليهِ المتأخرونَ. والحاصلُ أنَّ الإنسانَ الذي يتقيّدُ بتقليدِ أحدِ أولئك الأئمةِ المتقدمين[1] لا يتخلّصُ مِنْ قَلَقِ الضّميرِ، أو يكونَ كحاطِبِ اللّيلِ.

أجابَهُ المفتي: نحنُ لا نُحتِّمُ بأنَّ الصوابَ مقطوعٌ فيه في جانبِ أحدِ تلك المذاهبِ، بل المقلِّدُ منّا، إمّا يقولُ بإصابةِ الكُلِّ أو يُرجِّحُ الخطأَ في جانبِ مَنْ تَرَكَ مع احتمالِ الصّوابِ.

---

(١) الإضافة من ع.

فقـال المستشـرقُ: هٰذا القـولُ يستلزمُ تعـدُّدَ الحقِّ عندَ اللهِ أو القولَ بالتَّـرجيحِ بلا مُرَجِّـحٍ ؛ لأنَّكم تتحـامَـوْن المفاضلةَ بينَ الأئمةِ، واعترافُكُمْ باحتمالِ الجميعِ للخطإِ يقتضي جوازَ تركِها كلِّها، معَ أنَّكُمْ تُوجِبُونَ اتِّباعَ أحـدِها، أفليستْ هٰذه قضايا لا تتطابَقُ ولا تُعْقَلُ؟ فلماذا ـ وأنتم على هٰذا الارتباكِ ـ لا تُجوِّزون للمُبْتَلي أن يستهديَ لنفسِهِ، فإنْ تحقَّقَ عندَه شيءٌ عن يقينٍ أو غلبةِ ظنٍّ اتَّبَعَهُ وإلاَّ كانَ مختاراً، وهل يُكَلِّفُ اللهُ نفساً إلاَّ وُسْعَها؟

فأجابَهُ المفتي: إنَّا لِبُعْدِ العهدِ لم يبقَ في إمكانِنا التحقيقُ، فما لَنا من سبيلٍ غيرُ اتِّباعِ أحدِ المتقدِّمين، ولو كانَ تحقيقُهُ يحتملُ الخطأَ.

قال المستشرقُ: فالموجبُ لتكليفِ النَّفْسِ ما لَمْ يُكَلِّفْها اللهُ، أليس من الحكمـةِ أنْ يحفَظَ الإنسـانُ حُرِّيتَهُ، واختيارَهُ فيستهدي لنفسِه بنفسِه، فإنْ أصابَ كان مأجوراً، وإنْ أخطأَ كانَ معذوراً، ويكونُ ذٰلك أوْلى مِنْ أنْ يأسِرَ نفسَه للخطإِ المُحْتَمَلِ من غيرِهِ.

أجابهُ المفتي: إنَّ هٰذا الغيرَ أعْرَفُ منّا بالصَّوابِ، وأقلُّ منّا خطأً، فتقليدُهُ أقربُ للحقِّ.

قال المستشـرقُ: هٰذا مُسَلَّمٌ به فيمـا اتَّفَقَ عليه المتقـدِّمـونَ، أمَّا في الخـلافيّاتِ، فالعقلُ يقفُ عن الترجيحِ بلا مُرَجِّحٍ، ولا سيَّما إذا كنتمْ لا تُجوِّزون أيضاً البحثَ عن الدَّليلِ.

أجابهُ المفتي: إنَّنا إذا أردْنا أنْ لا نُعِدَّ مِنْ شرْعِنا إلاَّ ما نتحَقَّقُ بأنفسِنا دليلَه من الكتابِ أو السُّنةِ أو الإجماعِ، تضيقُ حينئذٍ علينا أحكامُ الشَّرْعِ، فلا تَفي لحـلِّ إشكـالاتِنـا في العبـاداتِ، ولا لتعيينِ أحكـامِ حاجتِنـا في

المعـامـلاتِ، فيحتـاجُ كلٌّ منـا أنْ يَعْمَـلَ برأْيِهِ في غالبِ دقـائقِ العبادات والمُعاملاتِ، ويصيرُ القضاءُ غيرَ مقيَّدٍ بإيجاباتٍ شرعيةٍ، وهلْ مِنْ شكٍّ في أنَّ إطرادَ الآراءِ، وانتظامَ المعاملاتِ أَلْيَقُ بالحكمةِ مِنَ لا اطِّرادَ ولا نظام.

قال المستشرقُ: لا شَكَّ في ذٰلك، ولٰكنْ، أينَ الاطِّرادُ والانتظامُ منكم، ولا تكادُ توجَدُ مسألةٌ عندكمْ في العباداتِ أو المعاملاتِ غيرُ خلافيةٍ، وربّما يُقالُ إنَّ توفيقَ العملِ على قولٍ من اثنين أو أكثر أقربُ للاطِّرادِ مِنَ الفوضى المَحْضَةِ في تفويضِ الأمرِ لرأي المبتلىٰ أو تفويضِ الحُكْمِ لحريّةِ القاضي، فيُجابُ عن ذٰلك أنَّ الأمرَ أمرٌ دينيٌّ ليسَ لنا أنْ نتصرَّفَ فيه برأينا، ونعزوهُ إلى اللهِ ورسـولـهِ كذِباً وافتراءً وإفساداً لدينِ اللهِ على عبادِهِ، ولو أنَّ الأمرَ نظامٌ وضعيٌّ لما كانَ أيضاً من الحكمةِ أنْ يلتزمَ أهْلُ زمانِنَا بآراءِ مَنْ سَلَفوا من عشرةِ قرونٍ، وعندي أنَّ هٰذا التضييقَ قد استَلْزَمَ ما هُوَ مُشاهَدٌ عندكُمْ من ضعف حرمةِ الشرعِ المقدّسِ. وأُعيدُ قولي: إنَّكُم تحبُّونَ أنْ تُكلِّفوا أنفُسَكُم بما لم
١٠٠ب يُكَلِّفْكُمُ اللهُ به، ولـو أنَّ في الزِّيادةِ / خيراً لاختارهَا اللهُ لكمْ ولم يمنعْكُمْ منها، ولٰكنْ عَلِمَ اللهُ الخيرَ في القَدْرِ الذي هداكُمْ إليه، وتركَ لكُمُ الخيارَ على وجهِ الإباحةِ في باقي شؤونِكُم لتوقفوها على مقتضياتِ الزّمانِ إلى الغيرِ، وموجباتِ الأحوالِ التي لا تستقرُّ.

ثمَّ قالَ: اعلم أيُّها المفتي المحترمُ أنَّ هٰذه الحالةَ التي أنتم عليها من التشديدِ والتّشْويشِ في أمْرِ الدِّين هي أكبرُ أسبابِ انحطاطِ المسلمين، كما انحطَّ قبلَهُم الإسرائيليون، أمَّا الإسلاميةُ فهي أحكامُ القرآنِ وما ثبتَ مِنَ السُّنَّةِ ومـا اجتمعَتْ عليهِ الأُمَّةُ في الصَّدْرِ الأَوّلِ، لا يوجد فيها ما يأباهُ عقلٌ أو يُناقِضُهُ تحقيقٌ علميٌّ. وكفى شرفاً للقرآنِ العزيزِ أنَّهُ على اختلافِ مواضيعِهِ

مِنْ توحيدٍ وتعليمٍ وإنذارٍ وتبشيرٍ وأوامرَ ونواهٍ وقصصٍ، قدْ مضىٰ عليه اثنا عشر قرناً تمحضه أفكارُ الناقدين المعادين ولَمْ يظفروا فيه، ولو بتناقُضٍ واحدٍ، بل الأمرُ كما تنبَّهَ إليه المدقِّقونَ المتأخِّرونَ، أنَّه كلَّما اكتشف العلمُ حقيقةً وجدَها الباحثونَ مسبوقةَ التلميحِ أو التصريحِ في القرآنِ، أودَعَ اللهُ فيه ذٰلك ليتجدَّدَ إعجازُهُ ويتقوّى الإيمانُ بهِ، إنَّه من عندِ اللهِ؛ لأنْ ليسَ من شأنِ مخلوقٍ أنْ يقطعَ برأيٍ لا يُبطِلُهُ الزمانُ، فهٰذه القضايا التي قرَّرها حكماءُ اليونانِ على أنها حقائقُ، ولَمْ تتردَّدْ فيها عقولُ عامَّةِ البشرِ أُلوفَ سنين، أصبحت محكوماً على أكثرِها بأنَّها خرافاتٌ. وكذا يُقالُ: كفى السُّنَّةَ النبويَّةَ شرفاً أنَّه لم يوجَدْ في أعاظمِ الحكماءِ المتقدِّمين والمتأخرينَ من يربو عددَ ما يُعزى إليه من الحِكَمِ التي قرَّرها غيرَ مسبوقٍ إليها على عددِ الأصابعِ، مع أنَّ في السُّنَّةِ النبويَّةِ ـ على صاحبِها أفضلُ التحية ـ من الحِكَمِ والحقائقِ الأخلاقيَّةِ والتشريعيَّةِ والسياسيَّةِ والتعليميَّةِ[1] أُلوفَ مقرَّراتٍ مبتكرةٍ، يتجلَّى عِظَمُ قدرِها مع تجدُّدِ الزمانِ وترقِّي العلمِ والعرفانِ، وكفىٰ بذٰلك مُلْزِماً لأهلِ الإنصافِ بالإقرارِ والاعترافِ لصاحِبها ـ عليه أفضلُ الصلاةِ والسلام ـ بالنبوَّةِ والأفضليةِ على العالمين عقلاً وعلماً وحكمة وحَزْماً وأخلاقاً وزُهْداً واقتداراً وعزماً، وكفى أيضاً بهٰذه المزايا العظمى مُلزِماً بتصديقِهِ بكلِّ ما جاءَ به؛ لأنَّ الدَّهْرَ لم يأتِ بمُرشِدٍ للبشرِ أكملَ وأفضلَ منه.

ثم قال المستشرقِ للمفتي: وهٰذا ما دعاني للإسلامِ والحمدُ للهِ، وعندي أنَّه لو قامَ في الإسلامِ سُراةُ حكماءُ دعاةٌ مقدَّمون، لما بقيَ على وجهِ الأَرْضِ

---

(١) في «أم القرى»: العلمية.

عاقلٌ يكفُرُ باللهِ . ثمَّ قالَ: وإنِّي أرى أنَّه لا يمضي قرنٌ إلَّا ويكثُرُ المهتدون من المستشرقين ويرسَخون في الدِّين فيتولَّوْنَ تحريرَ شريعةِ الإسلامِ ، ويقبضون بها على الأنامِ ، ولا يبعدُ أن تأتيَ الأيامُ بالبرنس محمد المهتدي مثلاً قائماً مقام الإمامِ ، مُعيداً عزَّ الإسلامِ .

أجابه المفتي: لا مانعَ مما ذكرتَ، ذٰلك فضلُ اللهِ يؤتيهِ من يَشاءُ.

ثم قال المستشرقُ: لا يطاوعُني لساني أنْ أدَّعي الغَيْرَةَ على المِلَّةِ البيضاءِ أكثرَ منك، إنَّما أُناشِدُك باللهِ ويحِبُّكَ لدينِكَ أنْ تترُكَ هٰذه الأوهامَ التقليديةَ، وتُعينَني على تأليفِ كتابٍ يصوِّر حكمةَ دينِ الإسلامِ وسماحتِهِ؛ ليكونَ سعيُنا هٰذا ذُخراً عظيماً، ننالُ به فخرَ وثوابَ إهداءِ عشراتِ (ملايينِ بل مئاتِ ملايينِ) من الناسِ لهٰذا الدينِ المُبينِ، ولا يكْبَرَنَّ ما أقولُ على فكرِكَ، فإنَّ أهلَ هٰذا الزمانِ المتنوِّرينَ الأحرارَ لا يُقاسونَ بأهلِ الأزمنةِ المظلمةِ الغابرةِ. نعم، وننالُ أيضاً ثوابَ حفظِ الملايين الكثيرةِ من أبناءِ المسلمين العريقين، تلامذةِ المدارسِ العصريةِ من هجرِ الإسلاميةِ على صورتها الحاضرةِ المشوَّهةِ باختلاطِ الحِكَمِ بالخُرافاتِ المعطِّلةِ بثقلِ التشديداتِ المبتدعَةِ، فالبَدارِ البدارِ! لأنْ تفوزَ بهٰذه الخدمةِ التي يكاد يُعادُل أجرُها أجْرَ نبيٍّ مُرسَلٍ.

أجابهُ المُفتي: أصبتَ فيما افتكَرْتَ ولَنِعْمَ ما أَشَرْتَ به، ولٰكنْ هٰذا عملٌ مهمٌّ يحتاجُ القيامُ به لعنايةِ جمعيّةٍ يتكوَّنُ من تضلُّعِ أعضائِها في فروعِ العلومِ الدينيةِ؛ علمٌ كافٍ للإحاطةِ، وحصولِ الثِّقةِ. ولسوءِ الحظِّ، لا يوجدُ مَنْ فيهم الكفايةُ في هٰذه البلادِ، ولذٰلك تحتَّمَ علينا أنْ نترُكَ هٰذه الفكرةَ آسفين، فندعو اللهَ أنْ يُلهِمَ علماءَ مكَّةَ أو صنعاءَ أو مصرَ أو الشام للقيامِ بإيفاءِ هٰذا الواجبِ.

قال الخطيبُ القازاني: وقدْ سمعتُ المفتي يقولُ إنَّه اجتمعَ بكثيرٍ من المستشرقين، فوجدَهُمْ كلُّهُمْ يُحسِنونَ العربيَّةَ أكثرَ من علماءِ الإسلامِ غيرِ العربِ، وما ذلكَ إلَّا مِنْ ظَفَرِ مدارسِ اللُّغاتِ الشرقيةِ الإفرنجيَّة بأصولِ التعليمِ العربية أسهلَ من الأصولِ المعروفةِ عندنا.

قال المجتهد التبريزي: إنِّي أرى فتنةَ الإسلامِ فتنتين عظيمتين، ولولا قوةُ أساسِهِ البالغةِ فوقَ ما يتصوَّرُهُ العقلُ، لما ثَبَتَ الدِّينُ إلى الآن، أمَّا الفتنةُ الأولى فقدْ مضتْ وهي حينَ تشاجروا في الخلافةِ والمُلْكِ وانقسموا على أنفُسِهِمْ، بأسُهُم بينهم يقتلُ بعضُهم بعضاً، وأمَّا الفتنةُ الثانيةُ، فلم تزلْ مستمرةً، وهي أنَّ الخلفاءَ العباسيين مالوا إلى تعمُّقِ النظرِ في العقائدِ، فخَدَمَهُمْ مَنْ خَدَمَهُمْ من علماءِ الأعجامِ تقرُّباً إليهم، وأكثروا مِنَ القيلِ والقال، ثمَّ سَرَتِ العَدْوى إلى
101 أ / المناظرةِ في الفقهِ وبيانِ الأَوْلى منَ المذاهبِ، فأقبلوا على التَّدْقِيقِ والجَدَلِ في الخلافيَّاتِ بينَ أبي حنيفةَ والشَّافعي، وأثاروا بينهما فتنةً عمياءَ، وحرباً صمَّاءَ، وتركوا بقيةَ المذاهبِ، فانْدَرَسَتْ ولمْ يبقَ سوى مذهبِ أحمدَ وزيدٍ في جزيرةِ العربِ، ومذهبِ مالكٍ في المغربِ، ومذهب جعفرٍ في بلادِ الخَزَرِ وفارس، فأكثروا التأليفَ والتَّصنيفَ في هٰذه المذاهبِ، كلُّ مؤلِّفٍ يحبُّ أن يُبْدِيَ ما عندَهُ ليُشهرَ فضلَهُ وينالَ حظَّهُ مِنْ دُنْياهُ، زاعماً أنَّ غرَضَهُ استنباطُ دقائقِ الشَّرْعِ وتقريرُ عللِ[1] المذاهبِ، فتزاحَموا وتجادلوا وناقَضَ بعضُهم بعضاً، وكانَ مِنَ العُلَماءِ بعضُ الصُّلَحاءِ الغافلين، فشاركوهُم في الفتنةِ، وهُمْ لا يشعرونَ كما قال تعالى: ﴿وإذا قيلَ لهُمْ لا تُفْسِدوا في الأَرْضِ﴾.

(١) في أ: على.

وهٰكـذا اتَّسعتْ دائـرةُ الأحكـامِ في الشَّرْعِ ، فصارَ الخلقُ عاجزينَ عن التقـاطِ الفروعِ ، فَضْلاً عنِ الرُّجوعِ إلى الأصولِ ، فاطمأنَّتِ الأمَّةُ للتقليدِ، وأقبلَ العلماءُ على التعمّقاتِ في الدينِ، يُغْرِبُ المفسِّرُ ويتَفنَّنُ، ولو بحكاياتِ قاضي الجنِّ؛ لأنَّهُ غيرُ مطالَبٍ بدليلٍ ، ويتفحَّصُ المُحَدِّثُ عن نوادرِ الأخبارِ والآثارِ، ولو موضوعةً، لأنّه غيرُ مسئولٍ عن سَدهِ، ويستنبطُ الفقيهُ الحُكْمَ ولو بالشُّبَهِ مِنْ وجهِ للازمِ الّلازمِ للعلَّةِ؛ لأنَّ مجالَ التحكُّمِ واسعٌ. وهٰذه الفتنةُ لمْ تَزَلْ مستمرةً إلى أنْ أوقَفَها قِصَرُ الهِمَمِ عندَ الأكثرينَ. على أنَّ هٰؤلاء المتأخِّرين أخلدوا إلى التقليدِ الصرفِ، حتى في مسألةِ التوحيدِ التي هي أساسُ الدّينِ، ومبدأُ الإيمانِ واليقينِ، والفارقُ بين الكُفْرِ والإسلامِ . وجعلوا أنفسَهم كالعميانِ، وصـاروا يُحْسِنونَ الظنَّ في كلِّ ما يجدونَهُ مُدَوَّناً بينَ دفَّتَيْ كتابٍ؛ لأنّهم رأَوْا التَّسليمَ أهونَ من التَّبَصُّرِ، والتقليدَ أسْتَرَ للجهلِ ، وصارَ أهلُ كلِّ إقليمٍ أو بلدٍ يتعصَّبُونَ لمؤلَّفاتِ شيوخِهم الأقدمين، لا يُبالونَ بحملِ أثقالِ النّاسِ في الدِّينِ على عواتِقِهِمْ، يزعُمـونَ أنَّ التَّسليمَ أسلمُ، وإنْ خالَفَ ظاهـرَ النصِّ، وأنَّ اختـلافَ الأئمـةِ رحمـةٌ للأُمَّـةِ، نعمْ اختـلافُ الأئمَّةِ يكونُ رحمةً إذا أُحْسِنَ استعمالُهُ، ويكونُ نَقْمةً إذا صارَ سبباً للتفرُّقِ والتباغُضِ ، كما هو الواقعُ بينَ أهـلِ الجـزيرةِ السلفيّين، وبينَ أهـلِ مصـرَ والمغـربِ والشـامِ ، والتـركِ المستسلمين، وبينَ أهـلِ عراقِ العجمِ وفـارس، والصنفِ الممتازِ من أهلِ الهنـد الشّيعيّين، وبين أهل زنجبار ومَنْ حولَهم من الإباضيين، فهٰذِهِ الفرقُ يَعْتَقِدُ كلٌّ منهم أنَّهم وَحْدَهُمْ أهـلُ السُّنَّةِ والجماعَةِ، وأنَّ سواهُمْ مبتدعونَ.

وكذٰلك اختلافُ المجتهدين في كلِّ فرقةٍ مِنْ تلكَ الفِرقِ، لا يتصوَّرُ العقلُ أنْ يكونَ رحمةً إلاَّ بقيْدِ حُسْنِ استعمالِهِ، وإلاَّ فيكونُ نقمةً. والمرادُ مِنْ حُسنِ

استعمالِ الخلافِ هو أنَّ كلَّ قومٍ مِنَ المسلمين قد اتَّبعُوا مذهباً من المذاهبِ ترْجيحاً أو تعصُّباً أو وِراثةً، ولا بدَّ أنْ يكونَ المذهبُ ـ الآخذُ بهِ كلُّ قومٍ ـ بعضَ الأحكامِ الاجتهاديةِ، التي لا تناسبُ أخلاقَ أولٰئكَ القومِ، أو لا تلائِمُ أحوالَهُم المعيشيةَ، أو طبائعَ بلادِهم، فيضطرون إلى الإقدامِ على أحدِ أمرينِ: إمَّا التمسُّكُ بتلكَ الأحكامِ وإنْ أضرَّتْ بهِم، أو الجنوحُ إلى تقليدِ مذهبٍ اجتهاديٍّ آخر في تلك الأحكامِ فقط، وإنْ كانَ أكثرُ علماءِ المسلمين إلى القرنِ الثامن بل التاسعِ يختارونَ الشقَّ الثاني، فيقلِّدونَ في هٰذه الحالةِ المذاهبَ الأخرى، ولكنْ بَعْدَ النظرِ والتَّدْقِيقِ في الأدلَّةِ؛ لئلا يكونوا مقلِّدين تقليداً أعمى. لا يُجوِّزُه الدِّينُ أساساً إلَّا للجاهِلِ بالأدلَّةِ. وهٰذه الطريقةُ هي الطريقةُ المتَّبَعَةُ إلى الآن في بلادِ فارس، والعلمـاءُ المتصدِّرونَ لذٰلـك هـمْ أفـرادٌ من نوابِـغِ العلماءِ المتضلِّعين في علومِ مآخذِ الدِّين وأكثرُهم ـ لا سيَّما الإيرانيون منهم ـ متفقِّهون ومتخرِّجون على مذهبِ الإمامِ جعفر الصادق عليه السلام المدوَّنِ عندَهم. ويُطلِقُ أهـلُ فارس على هٰؤلاءِ العلمـاءِ أنَّهم مجتهـدون تجـوُّزاً واتِّباعاً لعادةِ الأعجامِ في التَّغالي في التَّبجيلِ ونعوتِ / الاحترامِ، ومنْ ذٰلك يُعْلَمُ أنَّهُ ما يظنُّهُ ١٠١ ب
فيهم إخوانُهُم المسلمون غيرُ الواقفين على أحوالِهِم إلَّا من تفوُّهاتِ السياسيين، غيرُ صحيحٍ، فما هم كما يقولون عنهم مجتهدون في أصول الدِّين، يجوّزون الرأيَ في الإجماعيَّاتِ مخرجون الأحكام أخذاً من الدَّلائل الظَّنِّيَّةِ.

ثمَّ اعترضَ على نفي التلفيقِ في التقليدِ؛ لأنَّ القياسَ أنه يجبُ على كلِّ مسلمٍ عاجزٍ عن الاستهداءِ في مسألةٍ دينيةٍ بنفسِهِ، بأنْ يسألَ عنها مِنْ أهلِ الـذِّكْـرِ، أي: يقلِّدُ فيهـا مجتهداً، وعلى هٰذا الاعتبارِ، ما المانعُ للمسلمِ المقلِّدِ أنْ يتعلَّمَ كلَّ مسألةٍ مِنْ مجتهدٍ أو فقيهٍ تابعٍ لمجتهدٍ، فإذا اغتسلَ بماءٍ

دونَ القلّتين لحقته قطرةُ خمرٍ واعتبَرَهُ طاهراً كما علّمه عالمٌ مالكي، غسلاً بدون دلك، كما علّمه عالمٌ حنفي، ويعدَ حدثٍ موجبٍ توضّأ ومسح شعراتٍ فقط من الرأس، كما علّمه عالمٌ شافعيٌّ، بعدَ خروجِ دمٍ قليلٍ منه، كما علّمه عالمٌ حنبلي، ووُصِلَ الفرضُ بصلاةٍ أخرى، كما علّمه عالمٌ جعفري، فهلّا يكونُ هٰذا المقلّدُ صلّى صلاةً صحيحةً تُجزيه عندَ اللهِ؟ بلى ثم بلى، تُجزيه بالضرورةِ حتى لا يقومَ دليلٌ على أنَّ ذٰلك خلافُ الأولى، كما يقالُ في حقِّ الخروجِ من الخلافاتِ؛ لأنّه لا يُعْقَلُ أنْ يُكَلَّفَ هٰذا المقلّدُ بأخذِ دينِـهِ كلِّه مِنْ عالمٍ واحدٍ؛ لأنَّ الصَّحابةَ - رضي اللهُ عنهم - مع اجتهادِهِمْ وتخالُفِهِمْ في الأحكامِ، كانَ يُصَلِّي بعضُهم خلفَ بعضٍ، مَعَ حُكْمِ المُؤْتَمِّ منهم على حَسبِ اجتهادِهِ، بعدمِ صحَّةِ صلاةِ إمامِهِ، واشتراطِهِ صحَّةَ صلاةِ المأمومِ بصحَّةِ صلاةِ الإمامِ، إلى أنْ قالَ: وليسَ مقامُنا هٰذا مقامَ استيفاءٍ؟ وإنّما أورَدْتُ هٰذا المقدارَ لقصدِ بيانِ جوازِ التلفيقِ إذا كانَ عن غرضٍ صحيحٍ.

ولا شكَّ أنَّ ضرورةَ التلفيقِ أهمُّ من الضَّرورةِ التي لأجْلِها جوَّزَ الفقهاءُ الحِيَلَ الشرعيَّةَ مع أنَّها وصمةُ عارٍ على الشَّرْعِ؛ حيثُ لا يُعْقَلُ أنْ يُقالَ: الشُّفْعَةُ مشروعةٌ، ولٰكنْ يجوزُ التحيُّلُ لها، إلى غيرِ ذٰلك من إبطالِ الشَّرْعِ بنـاءً عليهِ. ومن الحكمـةِ أن نلتمسَ للضَّروراتِ أحْكاماً اجتهاديةً فيأمُرُ بها الإمامُ إنْ وُجِدَ، وإلّا فالسلطانُ، ليرتفعَ الخلافُ فتعملَ به الأُمَّةُ، وبنحوِ ذٰلك يَسْلَمُ شرعُنا من التَّضارُبِ والتَّلاعُبِ ويتخلَّصُ القضاءُ والإفتاءُ من التَّوفيقِ على الأهواءِ، وحينئذٍ يتحقَّقُ أنَّ الخلافَ في الفروعِ رحمةٌ..

والحاصلُ أنْ يقتضيَ علماءُ الهدايةِ أنْ يقاوِموا فكرَ التعصُّبِ لمذهبٍ دونَ

الآخرِ، فيكونَ سعيُهم منتجاً للتأليفِ وجمْعِ الكلمة في الأُمَّةِ.

الاجتماع السابعُ(1)، يومَ الأربعاءِ الرابعَ والعشرين من ذي القعدة سنةَ ١٣١٦، وفيه ما معناه: أنَّ هٰذا الفتورَ ناشيءٌ عَنْ أمورٍ كثيرةٍ. ثمَّ قسَّمَ ذٰلك ثلاثةَ أنواعٍ: أسبابٌ دينيةٌ وأسبابٌ سياسيةٌ وأسبابٌ أخلاقيةٌ، ثمَّ ذكَرَ الأسبابَ التي استخرجها من مباحثِ الجمعيةِ السَّابقةِ مرتَّبةً على حروفِ المعجمِ، ثمَّ ذكرَ مواردَ الخَلَلِ في السِّياسةِ والإدارةِ الجاريتين في الدولة العثمانية، قال: فقد جاءَها أكثرُ الخَلَلِ في الستين سنةً الأخيرةِ، بعدَ أنْ اندفعتْ لتنظيمِ أمورِها، فعطَّلتْ أصولَها القديمةَ، ولَمْ تُحْسِنِ التقليدَ ولا الإبداعَ، فتشتَّتَ حالُها، ولا سيَّما في العشرينَ سنةً الأخيرةِ، التي ضاعَ فيها ثُلثا المملكةِ، وخَرِبَ الثلثُ الباقي، وأشرَفَ على الضياعِ لفقدِ الرجالِ، وصرَفَ حضرةُ السلطانِ قوَّةَ سَلْطَنَتِهِ كلَّها في سبيلِ حفظِ ذاتِهِ الشريفةِ، وسبيلِ الإصرارِ على سياسةِ الانفرادِ، وأمَّا سائرُ الممالكِ والإماراتِ الإسلاميةِ فلا تخلو مِنْ بعضِ هٰذه الأصولِ، كما أنَّ فيها أحوالاً أُخرى أَضَرَّ وأمَرَّ، يطولُ بيانُها. ثمَّ ذَكَرَ الأسبابَ السياسيةَ والإداريةَ العثمانيَّتين، ثمَّ ذكَرَ منها عدمَ التَّطابُقِ في الأخلاقِ بين الرُّعاةِ والرَّعيةِ، فلَهُ شأْنٌ عظيمٌ، كما يظهرُ للمتأمِّلِ المدقِّقِ في تواريخِ الأممِ مِنْ أنَّ أعاظمَ الملوكِ الموفَّقين كالإسكندرِ وصلاح الدين لم يفوزوا في تلكَ العظائم(1) إلاَّ بالعزائِمِ الصادقةِ، مع مُصادَفةِ تُطابِقُهُم مع رعاياهُمْ وجيوشِهِمْ في الأخلاقِ والمشاربِ تطابقاً تامّاً؛ بحيثُ كانوا رؤوساً

---

(1) «أم القرى»: ١٧٣.

---

(١) في أ: الأعاظم.

حقّاً لتلك الأجسام ، لا كراسِ جملٍ على جسمِ ثورٍ. وهٰذا التطابقُ وحدَهُ
١٠٢أ يجعلُ الأُمّةَ تعتبرُ رئيسَها رأسَها فتتفانى دونَ / حفظِهِ، ودونَ حكمِ نفسها بنفسها حيثُ لا يكونُ لها في غيرِ ذٰلك فلاحٌ أبداً، كما قال الحكيم المتنبي:

وإنّما النّاسُ بالملوكِ وهل يَفْلَحُ عُرْبٌ مُلوكُها عَجَمُ

وممّا لا خِلافَ فيه أنَّ مِنْ أهمِّ حِكْمَةِ الحكوماتِ أَنْ تَتَخلَّقَ بخُلُقِ أخلاقِ الرعيّةِ، وتتّحِدَ معها في عوائدِها ومشارِبِها، ولو في العوائدِ غيرِ المُستحسنةِ في ذاتِها، ولا أقَلَّ منْ أنْ تُجاري الحكومةُ الأجنبيةُ أخلاقَ الرعيةِ، ولو تكلُّفاً وقتياً إلى أنْ تتوفَّقَ لاجتِذابِهِمْ إلى لُغَتِها فأخلاقِها فجنْسيّتِها، كما فعلَ الأمويون والعباسيونَ، وكما تَهْتَمُّ بهِ الدّولُ المستعمرةُ الإفرنجيةُ، فلمْ يشذَّ في هٰذا غيرُ المغولِ الأتراكِ، أي: العثمانيين، فإنّهم بالعكسِ، يفتخرونَ بمحافظتِهِمْ على غيريَّةِ رعاياهم، فلم يَسْعَوْا باستتراكِهِمْ، كما أنهمْ لم يقْبلوا أن يستعربوا، والمتأخرون منهم قبلوا أن يتفرْنَسُوا، ولا يُعْقَلُ لذٰلك سببٌ غيرُ شديدِ بُغْضِهِمْ للعربِ كما يُستَدَلُّ عليهِ مِنْ أقوالِهِم، التي تجري على ألسنتهم مَجْرى الأمثالِ. والعربُ لا يقابلونهم على كلِّ ذٰلك سوى بكلمتين أو ثلاثٍ خُلِقْنَ للجورِ والفسادِ، والقملِ والتركِ والجرادِ، والكلمةُ الثانيةُ تسميتُهم بالأورامِ، كنايةٌ عن الريبةِ في إسلامِهِم، وسببُ الريبةِ أنَّ الأتراكَ لم يخدموا الإسلاميَّةَ بغيرِ إقامةِ بعضِ جوامعَ، لولا حظُّ نفوسهم(١)،ملوكهم بذكرِ أسمائِهم على منابرِها لم تُقَمْ، وأنّهم أتوا الإسلامَ بالطاعةِ العمياءِ للكُبَراءِ.

---

(١) في م: الفرس.

(٢) في ع: أبوا.

وذكَـرَ ـ مِنَ الأسبـابِ السياسية ـ تضييعَ حُرْمَـةِ الشَّرْعِ ، وقوَّةَ القوانين بالتزامِ عدمِ اتِّباعِها وتنفيذِها، والإصرارَ على أنْ تكونَ الإدارةُ نظاميَّةً إراديَّةً فعلاً، وتعطيلُ أحكامِ الشرعِ كافٍ لخرقِ حُرْمتِهِ.

ثمَّ ذكرَ الاجتماعَ الثامنَ(1) في يوم الخميس خامسَ وعشرينَ شهر القعدة لسنة ١٣١٦، وذكر فيه كلامَ السيِّدِ الفراتي: أنَّ مِنْ أعظمِ أسبابِ الفتورِ في المسلمين غَرارَتُهُمْ أيْ: عدمُ معرفتهم كيفَ يَحْصُلُ انتظامُ المعيشةِ والإرشاد إلى الحكمةِ في شؤون الحياةِ، ومِنْ أعظمِها جهالةُ النِّساءِ المُفْسِدةُ للنَّشْأةِ الأُولى وقتَ الطُّفوليَّةِ والصَّبْوة. ومع الغرارةِ اللَّوَثُ في الأُمورِ، أي: تركُها بلا ترتيبٍ، والحكمـةُ قاضيةٌ على كلِّ إنسـانٍ ولـو كان زاهداً مُنْفرداً في كَهْفِ جبلٍ، فضلاً عن سايس رعيَّةٍ أو صاحبِ عائلةٍ أنْ يتَّخِذَ له ترتيباً في شؤونِهِ، وذلك:

أوَّلاً: بأنْ يُرتِّبَ أوقـاتَه حسبَ أشغالِهِ، ويُرتِّبَ أشغالَهُ حسبَ أشغالِهِ، والشُّغْلُ الذي لا يجدُ له وقتاً كافياً يُهْمِلُهُ بالكُلِّيَّةِ أو يفوِّضُه لمنْ يفي حقَّ القيامِ به عنهُ.

ثانياً: يرتِّبُ نفقاتِهِ على نسبةِ المضمونِ مِنْ كَسْبِهِ، فإنْ ضاقَ دخلُهُ عن المبرمِ من خرجِهِ، يُغيِّرُ طرزَ معيشتِهِ، ولو بالتَّحوُّلِ مثلاً مِنْ بلدهِ الغاليةِ الأسعارِ، أو التي مظهرُه فيها يمنعُهُ من الاقتصادِ، إلى حيثُ يمكِنُه ترتيبُها على نسبةِ كَسْبِهِ.

ثالثاً: يُرتِّبُ تقليلَ غائلةِ عائلتِه عندَ أوَّلِ فُرصةٍ، مُلاحظاً إراحةَ نفسِهِ من

---

(1) أم القرى، ١٧٣.

الكدِّ في دُورِ العَجْزِ من حياتِهِ، فيربّي أولاده ذكوراً أو إناثاً على صورةٍ أنَّ كلًّا منهم متى بلغَ أَشُدَّهُ يمكنُهُ أنْ يستغني عنه بنفسِهِ، معتمداً على كَسْبِهِ الذاتي ولو في غير وطنِهِ.

رابعاً: يرتِّبَ أمورَهُ الأدبيةَ على نسبةِ حالتِهِ الماديةِ. أعني يُرتِّب أمورَهُ الدينية ولذَّاتِهِ الفكريَّةِ وشهواتِهِ الجسمية ترتيباً حسناً، فلا يُحَمِّلُ نفسَهُ منها ما لا تُطيقُ الاستمرارَ عليه.

خامساً: يُرتِّبُ ميلَهُ الطبيعي للمجدِ والتعالي على حسبِ استعدادِهِ الحقيقيِّ، فلا يتركُ نفسَهُ تتطاولُ إلى مقاماتٍ ليسَ من شأنِ قوّته المادية أنْ يبلُغَها إلَّا بمحضِ الحظِّ، أي: الصُّدَفِ.

ثمَّ قالَ: إنَّ لانحلالِ أخلاقِنا سبباً مهماً أيضاً يتعلَّقُ بالنِّساءِ، وهو تركُهُنَّ جاهلاتٍ على خلافِ ما كان عليه أسلافُنا، حيثُ كانَ يوجَدُ في نسائِنا كأمِّ المؤمنين عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ التي أخذنا عنها نصفَ علومِ دِينِنا، وكمئاتٍ من الصحابياتِ والتابعيات اللاتي في وجودِهِنَّ في العَهْدِ الأوَّلِ مِنْ دونِ إنكارٍ، حجةٌ دامغةٌ، تُرْغِمُ أنْفَ غَيْرةِ الذين يزعُمُونَ أنَّ جهلَ النِّساءِ أحفظُ لعفَّتِهِنَّ، فضلًا عن أنَّه يقومُ لهُمْ برهاناً على ما يتوهمون، / حتى يصحَّ الحكمُ بأنَّ العِلْمَ يدعو للفجور، وأنَّ الجهلَ يدعو للعفَّةِ، نعمْ، ربَّما كانت العالِمةُ أقدرَ على الفجورِ من الجاهلةِ، ولكنَّ الجاهلةَ أَجْسَرُ عليه.

ثمَّ إنَّ ضررَ جهلِ النِّساءِ وسوءَ تأثيرِهِ في أخلاقِ البنين والبناتِ أمرٌ واضحٌ. وأمَّا تأثيرُهُ على أخلاقِ الأزواجِ، فالرِّجالُ ميّالونَ بالطَّبعِ لزوجاتِهِم، والمرأةُ أقدرُ مِنَ الرَّجُلِ في ميدانِ التجاذُبِ للأخلاقِ، ولا يَتَوهَّمُ عكسَ ذلك

إلَّا مَنْ استحكَمَ فيه تغْريرُ زوجتِهِ له؛ لأنَّها ضعيفةٌ مسكينةٌ مسخَّرةٌ لإرادتِه، حالَ كونِ حقيقةِ الأمرِ أنَّها قابضةٌ على زمامِه تسوقُهُ حيثُ شاءَتْ، وما قدرُ دهاءِ النِّساءِ مثلُ الشريعةِ الإسلاميَّةِ، حيثُ أمَرتْ بالحُجُبِ والحَجْرِ الشرعيَّيْن حصراً لسلطتهنَّ، وأمرَتْ باستقرارِهِنَّ في البيوتِ، ولا شَكَّ أنَّ ما وراءَ هٰذه الحدودِ إلَّا فتحُ بابِ الفجورِ، وما هٰذا التحديدُ إلَّا مرحمةٌ للرجالِ. والصينيُّون ـ وهمْ أقدمُ البشرِ ـ التزموا بتصغيرِ أرْجُلِ البناتِ بالضَّغْطِ عليها لأجْلِ أنْ يعْسُرَ عليهنَّ المشيُ والسعيُ في إفسادِ الحياةِ الشريفةِ.

وقد أمَرَتِ الشريعةُ برعايةِ الكفاءَةِ في الزَّوْجِ، وأكثَرُ الأئمَّةِ المجتهدين أغفلُوا لزومَ تحرِّي الكفاءةِ في جانب المرأة للرجلِ، وأوْجَبُوا أنْ يكونَ هو كُفْؤاً لها كي لا تُهلِكَهُ بفخارِها، على أنَّ لرعايةِ الكفاءَةِ في المرأةِ للرجلِ أيضاً موجباتٍ مهمَّةً منها: التخيُّرُ لتربية النسلِ، وللتَّساهُلِ في ذٰلك دخلٌ عظيمٌ في انحلالِ الأخلاقِ في المدنِ؛ لأنَّ للتزوُّجِ بمجهولاتِ الأصولِ أو الأخلاقِ أو بالغريبات جنساً أو الرقيقاتِ مفاسدَ شتى؛ لأنَّ الرجلَ ينجرُّ طبعاً[1] أو كُرْهاً لأخلاقِ زوجتِهِ، فإنْ كانتْ سافلةً يتسفَّل لا محالةَ، وإن كانت غريبةً بَغَّضَتْهُ في أهلِهِ وقومِهِ، وجرَّتْهُ لموالاةِ قومِها والتخلُّقِ بأخلاقِهِمْ. ولا شكَّ أنَّ هٰذه المفسدةَ تستحكِمُ في الأولادِ أكثرَ من الأزواجِ.

ثمَّ ذكر الاجتماعَ التاسعَ[1] يومَ السبتِ سابعَ وعشرين ذي القعدة، واستغرقَ ذٰلك الاجتماعُ قراءة قانونِ الجمعيةِ، وكذٰلك جلسةُ الاجتماعِ

---

(1) «أم القرى»: ١٨٩.

---

(١) في ع: طوعاً.

العاشرِ وجلسةُ الاجتماع الحادي عشر.

ثمَّ ذكر الاجتماعَ الثاني عشر[1] يومَ الاثنين، التاسع والعشرين من ذي القعـدة، واشتملَ الاجتماعُ على قراءة القانونِ الذي تقرَّر في الاجتماعاتِ الثلاثِ السابقةِ، ثم ذكرَ مَتْناً مُجرَّداً، وقال: المقدمةُ قد تُقَرَّرُ في الجمعيةِ المنعقدةِ بمكةَ المكرمةَ في ذي القعدة المسمى جمعيَّة أمِّ القرى، النتائج الآتيةَ:ـ

١ ـ المُسلمون في حالةِ فتورٍ مستحكِمٍ عامّ.

٢ ـ يجبُ تدارُكُ هٰذا الفتور سريعاً وإلاَّ فتنحلُّ عصبيتهم كليّاً.

٣ ـ سببُ الفتـورِ تهـاونُ الحكماءِ، ثمَّ العلماءِ، ثمَّ الأمراءُ جرثومةُ الدّاءِ: الجهلُ المطلقُ، وأضرُّ فروعِ الجهلِ الجهلُ في الدينِ.

ثمَّ ذكَرَ جمعيَّةَ تعليمِ الموحِّدين وقضيتَها وشروطَها وماليةَ الجمعيةِ.

ثمَّ قالَ السيِّدُ الفراتي[2]: أُخبركم أيُّها السادةُ أني أخذتُ بالأمسِ رسالةً من أخينا الأديب البيروتي، الذي لم يمكِّنْهُ القَدَرُ مِنْ موافاةِ الجمعيَّةِ، كما بيَّنْتُ ذٰلك قبلاً، وهو يُقْريكُمُ السَّلامَ ويدعو لَكُمْ وللجمعيَّةِ بالتوفيق، ويطلبُ أن أتلوَ عليكم قصيدةً له يخاطبُ بها المسلمين. فقال الأستاذُ الرئيسُ: وعليه السـلامُ، وأمـرَ بقـراءةِ القصيدةِ، فقَـرَأْتُ وأثبَتُّ منها بإشارةِ الأستاذِ بعضَ الأبياتِ، وهي: [البسيـط]

---

(1) «أم القرى»: ١٩١.

(2) «أم القرى»: ٢١٥.

غيرتمو يا حَيارَىٰ ما بأنْفُسِكُمْ ... فغيَّرَ اللهُ عنكُمْ سابغَ النِّعَمِ
اللهُ لا يُهْلِكُ القرى إذا كَفَرَتْ ... وأهلُها مصلحونَ في شؤونِهِمِ
تَرْكُ التَّآمُرِ بالمَعْروفِ أوْرَثَكُمْ ... ما حَاقَ مِنْ نُذُرٍ يا زَلَّةَ القَدَمِ

إلى أن يقول: [البسيط]

يا قومَنا صَحِّحُوا تَوْحيدَ بارِئِكُمْ ... بدونِ إشراكِ أحياءٍ ولا رِمَمِ
ونقِّحوا الشَّرْعَ مِنْ حَشْوٍ ومُخْتَرَعٍ ... رُجْعَىٰ إلى دينِ أسْلافٍ ذوي ذِمَمِ
خُذُوا بمُحْكَمِ آياتٍ مُنَزَّلَةٍ ... وسُنَّةٍ جاءَتنا بأفْصَحِ الكَلِمِ
دعوا البدايعَ في الدينِ وإن حَسُنَتْ ... ولا يغُرنَّكُم تأويلُ مُخْتَلِمِ
سَمَاحَةُ الدِّينِ في فِكْرٍ وفي عَمَلٍ ... خَيْرٌ مِنَ الإصْرِ والأغلالِ والسَّقَمِ
سَماحةُ الدِّينِ مَنٌّ اللهُ خالِقِكُمْ ... بها عليكُمْ دَعُوا الكُفْرانَ بالنِّعَمِ
وحافِظوا مِلَّةً بيضاءَ ساطِعَةً ... سمحاءَ جاءَتْكُمُ بكُلِّ مُغْتَنِمِ
راقَتْ فضائِلُها في كلِّ فلسفةٍ ... قِوامُها حكمةٌ تُفْضِي إلى شَمَمِ

حتى يقول: [البسيط]

هٰذي وسيلتُكُمْ لا غيرَها أبداً ... فاسْعَوْا لنهضتِكُمْ يا خيرةَ الأُمَمِ
/ في غيرِ جامعةِ التَّوحيدِ لنْ تجدُوا ... مِنْ جامعٍ لكُمْ ولستُمْ ذَوي رَحِمِ ١٠٣أ
سياسةُ الدِّينِ أوْلى ما تُساسُ بهِ ... شتَّى الخلائِقِ مِنْ عُرْبٍ ومِنْ عَجَمِ
فيها الحياةُ وفيها حِفْظُ رايتِكُمْ ... خَضْراءُ سوداءُ حَوْلَ الرُّكْنِ والحَرَمِ

ثمَّ ذكرَ قرارَ الجمعيةِ، وأنَّهُ بعدَ البحثِ والتدقيقِ والنظرِ العميقِ في أحوالِ جميعِ المسلمين، وُجِدَ أنَّ بجزيرة العربِ وأهلِها ـ بالنَّظرِ إلى السِّياسَةِ الدينيةِ ـ مجموعةَ خصائصَ وخصالٍ لم تتوفرْ في غيرِهم. بناءً عليه رأت

الجمعيّةُ أنَّ حِفْظَ الحياةِ الدينيةِ مُتَعَيِّنَةٌ عليهم، لا يقومُ فيها مقامَهم غيرُهم وأنَّ انتظارَ ذٰلك من غيرِهم عَبَثٌ محضٌ. وحيثُ كانت الجمعيةُ لا يعنيها غيرُ أمر النهضةِ الدينيةِ، بناءً عليه رأت الجمعيةُ من الضروريِّ أنْ تربطَ آمالَها بالجزيرةِ، وما يليها، وأنْ تبسُط لأنظارِ الأمّةِ ما هي الخصائصُ للجزيرةِ وأهلها والعربِ عموماً؛ فنقول: الجزيرةُ ١ ـ هي مَشرِقُ النور الإسلامي، ٢ ـ فيها الكعبةُ المعظّمةُ، ٣ ـ فيها المسجدُ النبويُّ، ٤ ـ أنسبُ المواقع أن يكونَ مركزَ السياسةِ الدينية لتوسُّطِها بينَ أقصى آسيا شرقاً، وأقصى أفريقيا غرباً، ٥ ـ أسلمُ الأقاليم من الأخلاط جنسيةً وأدياناً ومذاهب، ٦ ـ أبعدُ الأقاليم عن مجاورةِ الأجانب، ٧ ـ أفضلُ الأراضي لأنْ تكونَ ديارَ أحرارٍ لبُعْدِها عن الطّامعين والمزاحمين؛ نظراً لفقرِها الطبيعي، ٨ ـ همْ مؤسسو الجامعة الإسلامية لظهورِ الدين، ٩ ـ أنه مُسْتَحْكِمٌ فيهم التخلُّق بالدِّين؛ لأنه مناسبٌ لطبايعهم الأهليّةِ أكثرَ من مناسبتِه لغيرِهِم، ١٠ ـ وهمْ أعلمُ المسلمين بقواعدِ الدين؛ لأنّهم أعرَفُهُم فيه، ومشهودٌ لهم بأحاديثَ كثيرةٍ بمتانةِ الإيمانِ، ١١ ـ وهم أكثرُ المسلمين حِرْصاً على حفظِ الدينِ وتأييدِه والفخارِ به، والعصبيةُ النبويّةُ لم تزلْ قائمةً بين أظهرِهِمْ في الحجازِ واليمنِ وعُمانَ وحضرموتَ والعراقَ وإفريقيا، ١٢ ـ وهم أقوى المسلمين عصبيةً وأشدُّهُمْ أَنَفةً لما فيهم من خصائصِ البدويّةِ، ١٣ ـ وأمراؤهم جامعون بينَ شرفِ الآباءِ والأمّهاتِ والزوجاتِ، فلم يختلَّ عزُّهُمْ، ١٤ ـ وهمْ أقدرُ المسلمين على تحمُّلِ قشفِ المعيشةِ في سبيلِ مقاصدِهِم، وأنشطُهم على التغرُّبِ والسياحاتِ لِبُعْدِهم عن التَّرفِ المُذِلِّ لأهلِه، ١٥ ـ وهمْ أحرصُ الأمم الإسلاميةِ على الحريةِ وإباءِ الضيمِ، وهٰذا سَبَبُ عدمِ انقيادِ أهلِ اليمنِ ومَنْ يليهم للعثمانيين، ولغتهُم

أغنى العـربِ عمـوماً وأغنى لغاتِ المسلمين في المعارفِ ومصونةٌ[1] بالقرآنِ العـظيم ِ مِنْ أنْ تمـوتَ، ١٦ ـ والعربُ لغتهُم هي اللغةُ العموميةُ بينَ كافّةِ المسلمين البـالغ ِ عددُهم ٣٠٠ مليونٍ، ولغتُهم هي اللُّغةُ الخصوصيةُ لمئةِ مليونٍ من المسلمين وغير المسلمين وهمْ أقدمُ الأمم ِ اتّباعاً لأصول ِ تساوي الحقوقِ وتقارُبِ المراتبِ في الهيئةِ الاجتماعيةِ، ١٧ ـ والعربُ من أحرص ِ الأمم ِ على احتـرام ِ العهـودِ عزةً، واحترام ِ الذِّمّةِ إنسانيةً، واحترام ِ الجوارِ شهامةً، وبذل المعروفِ مروءةً.

فهٰـذه هي الأسبابُ التي جعلتْ جمعيَّةَ أمِّ القُرى أنْ تعتبرَ العربَ هم الوسيلةَ الوحيدةَ لجمع ِ الكلمةِ الدينيةِ، نسألُ اللهَ أنْ يوفِّقَ ملوكَ المسلمين وأمـراءَهم للتصلُّب في الـدينِ وللحَـزْم ِ والعَـزْم ِ، عساهم يحفظون عزَّهُمْ وسلطانَهم إلى أنْ يرثَ اللهُ الأرضَ ومَنْ عليهـا، وأنْ يحميَهم من التعصُّبِ السيِّىء للسياساتِ والجنسياتِ، ومِنَ الكِبْرِ والأَنَفةِ، ومِنَ التَّخاذلِ والانقسام ِ، ومِنَ الانقيادِ إلى وساوس ِ الأجانبِ الأضدادِ، وإلَّا فينتابُهم الخطرُ القريبُ المُحْدِقُ بهم، وتتخاطَفُهُمُ النّسورُ المُحلِّقةُ في سمائِهم، واللهُ الموفِّقُ وإليه تُرجَعُ الأمورُ. وهٰكذا أُتِمَّتِ الاجتماعاتُ وخُتِمَت المذاكراتُ وارْفَضَّ الجميعُ على وعدِ التلاقي. في ثالثَ عشرَ ذي القعدةِ بعدَ أداءِ المناسك.

لاحِقَةٌ: يقولُ السيد الفراتيُّ: إنَّه بعدَ تفرُّقِ الجمعيةِ بنحوِ شهرين، ورد إليَّ مِنَ الصَّاحبِ الهندي كتابٌ يذكُرُ فيه أنَّه بعدَ مفارقةِ مكةَ المكرمة، اجتمعَ بأميرٍ جليل ٍ من أعاظم نبلاءِ الأمّةِ ورجال ِ السياسةِ، فاستَطْلَعَ رأيَ الأميرِ في

---

(١) مصونة.

خصوصِ النّهضةِ الإسلامية، ثمّ ذكَرَ سرورَ الأميرِ بعدَ إطْلاعِهِ على جمعيةِ أمِّ القرى، وأنّه طالَ ما كانَ يتمنّى ذٰلك، وأنّهُ قال: أعظمُ إعجابي هو في هٰذا الرجلِ المُلَقّبِ السيِّد الفراتيِّ كيف اهتدى في رحلةٍ قصيرةٍ لانتخابِ هٰؤلاء الأعضاءِ الأَجِلّاءِ.

قال الصّاحِبُ: أَوَدُّ أنْ أستفيدَ مِنْ مولايَ الأميرِ وجوهَ إعجابِهِ بهٰذه الجمعيةِ لأُصَحِّحَ رأيي في بعض انتقاداتٍ تختلجُ في فكري، «فأدلّه مسألةً مسألةً[1]»، ومِنْ جملةِ تلك الانتقاداتِ، قال الصاحبُ: أليسَ بعضُ الأعضاءِ كالعالِمِ النجديِّ والمجتهدِ التبريزي قد أسْهَبَ كثيراً بما كان بَعْضُهُ يكفي؟

قال الأميرُ: إنَّ مسألَتَيْ التوحيدِ والاستهداءِ ركنانِ مُهمّانِ في الدِّين، وقدْ تطرَّق إليهما الخَلَلُ منذُ قرونٍ كثيرةٍ، فصارَ إصلاحُهما وردُّهُما إلى أصلِهما من أصعبِ الأمورِ، وفي مثلِ ذٰلك لا بُدَّ من الإسهابِ في البحثِ والتَّعَمُّقِ فيه، أَوَلا يرى وللهِ المثلُ الأعلى، كيفَ جاءَ القرآنُ الكريمُ بألفِ أسلوبٍ في تأييد التّنزيهِ والتوحيدِ / والحثِّ على اتباعِ الكتاب والنبيِّ دونَ التقليدِ؟ ١٠٠ب

قال الصّاحبُ: لا أدري، هل أصابَتِ الجمعيّةُ أمْ أخطأتْ في تعليقِ أكبرِ أملِها في إعزازِ الدينِ بالعَرَبِ، دونَ دولةِ آلِ عثمانَ وملوكِها العظامِ.

قال الأميرُ: لا شَكَّ أنّه لا يقومُ بالهدى الديني ولا يَغارُ على الدينِ أمّةٌ مثلُ العربِ.

قال الصاحبُ: أليستْ هناك دولةٌ راسخةُ المُلْكِ إدارةً وعسكريةً وسياسةً،

(١ ـ ١) في «أم القرى»: «فإن أذن فلي أعرضها عليه مسألة مسألة».

وافرةُ القوى تكونُ أقدرَ على إعزازِ الدين من العربِ الضعفاءِ؟

قال الأمير: إنَّ حضرةَ السُّلطان يصلحُ أن يكونَ عضُداً في الأمر، أمّا إذا أرادَ أنْ يكونَ هو القائمَ بهِ، فلا يتمُّ قطعياً؛ لأنَّ الدينَ شيءٌ، والمُلْكَ شيءٌ آخر، والسُّلطانُ غيرُ الدولة. قال الأميرُ: أُريدُ أنَّ احترامَ الشعايرِ الدينية في أكثرِ ملوكِ آلِ عثمانَ، ظواهرُ مَحْضَةٌ، وليسَ مِنْ غَرَضِهِمْ أن يُقدِّموا الاهتمامَ بالـدِّينِ على مصلحـةِ المُلْكِ، وهٰـذا مُرادي بأنَّ الدِّين غيرُ المُلْكِ. وعلى فَرَضِ إرادتِهم تقـديمَ الـدينِ على المُلْكِ فلا يقـدرون على ذٰلـك، ولا تُساعِدُهُم الظُّروف المحيطةُ بهم، حيث أنَّ دولتَهم مؤلَّفةٌ من لفيفِ أهلِ أديانٍ ونِحَلٍ مختلفةٍ.

قال الصـاحب: قَدْ وُجِدَ في هٰذا البيتِ الكريمِ بعضُ أعاظمَ خَدَموا إعـزازاً للدينِ (كالسُّلطانِ محمد الفاتح[1]، ياورسليم[2] والسلطان سليمانُ[3] والسلطانُ محمود[4]، فهمْ أوْلى وأجْدَرُ بالخلافةِ من غيرِهم.

قال الأميرُ: أرجـوكَ أنْ لا تنـظرَ المسألةَ بنظرِ العوامِّ، بل نظرِ حكيمٍ سياسي، فقلِّبْ صفحاتِ التاريخِ بدِقَّةٍ تجدْ أنَّ إدارةَ الدينِ وإدارةَ المُلْكِ لمْ يتَّحِدَا في الإسلامِ تماماً، إلاَّ في عَهْدِ الخُلفاءِ الراشدين، وعمرَ بنِ عبدِالعزيز فقط ـ رضي الله عنهم ـ واتَّحـدتا نوعاً في الأمويين والعبّاسيين، ثم افترقت

---

(1) محمد الفاتح: هو السلطان السابع للدولة العثمانية، تسلطن ١٤٥١-١٤٨١م.

(2) ياوزسليم: هو السلطان التاسع من سلاطين الدولة العثمانية ١٥١٢-١٥٢٠م.

(3) سليمان القانوني: هو السلطان العاشر، ١٥٢٠م-١٥٦٦م.

(4) السلطان محمود: هو السلطان الثلاثون، ١٨٠٨-١٨٣٩م.

الخلافةُ عن المُلْكِ. وأمَّا سلاطينُ آلِ عثمانَ، فإنِّي أذكُرُ لك أنموذجاً مِنْ أعمالٍ لهم أتَوْها رعايةً للمُلْكِ، فأقولُ: هٰذا السلطانُ محمَّدٌ الفاتح، وهو أفضلُ آلِ عثمان، قَدْ قدَّمَ المُلْكَ على الدين، فاتَّفَق سرّاً مع فرديناند، ملكِ الأراغونِ الاسبانيولي ثمَّ مع زوجتِهِ إيزابيلا على تمكينها من إزالةِ مُلْكِ بني الأحمرِ، آخرِ الدُّولِ العربيةِ في الأندلسِ، ورضِيَ بالقَتْلِ العامِّ والإكراهِ على التَّنصُّرِ بالإحراقِ وضياعِ خمسةَ عشرَ مليوناً من المسلمين، بإعانتهما بإشغالِهِ أساطيلَ إفريقيا عن نجدَةِ المسلمين. وقدْ فعلَ ذٰلك بمقابلةِ ما قامتْ له به روما مِنْ خذلانِ الامبراطورية الشرقيةِ عندَ مهاجمتِهِ مكدُونيا ثم القسطنطينية. وهٰذا السلطانُ سليمٌ غدرَ بآلِ العبَّاس واستقصاهم(1) حتَّى أنَّه قَتَلَ الأمَّهاتِ لأجلِ الأجنَّةِ(1)، وبينما كان يقتُلُ العربَ في الشَّرْقِ كانَ الإسبانيون يحرِّقُون بقيَّتَهُمْ في الأندلسِ. وهٰذا السُّلطانُ سليمان ضايقَ إيرانَ حتى ألجأهُمْ إلى إعلانِ الرَّفْضِ المكفِّرِ، ثمَّ لم يقْبَل العثمانيون تكليفَ نادر شاه لرفعِ التَّفرقةِ بمجرَّدِ تصديقِ مذهبِ الإمامِ جعفرٍ، كما لم يَقْبَلُوا مِنْ أشرف خان الأفغاني اقتسامَ فارس، كَيْ لا يُجاوِرَهم ملكٌ سني.

وقد سَعَوْا في انقراضِ خمسَ عشرةَ دولةً إسلاميةً. ومنها أنَّهم أعانوا الرُّوسَ على التَّتارِ المسلمين وهولاندةَ على الجاوةِ والهنديين، وتعاقَبُوا على تدويخِ اليمنِ، فأهْلَكوا إلى الآن عشراتِ الملايينِ من المسلمين يَقتُلُ

(1) المقصود قصة أخذ السلطان سليم الأول بعد فتحه لمصر بقايا نسل الخلفاء العباسيين وإعدامهم.

(١) في ع: واستأصلهم.

بعضُهم بعضاً، لا يحترمون فيما بينهما ديناً ولا أُخوّةً ولا مروءةً ولا إنسانيةً، حتى أنَّ العسكرَ العثمانيَّ باغتَ المسلمين مرَّةً في صنعاءَ وزَبيد. وهٰذا السلطانُ محمودٌ اقتبسَ عن الإفرنجِ كُسوتَهُمْ وألزمَ رجالَ دولتِهِ وحاشيَتَهُ بلبسها، ولمْ يَشَأ الأتراكُ أنْ يُغيِّروا منها الأكمامَ رعايةً للدينِ؛ لأنَّها مانعةٌ للوضوءِ، أو معسرةٌ له، وهٰذا السلطانُ عبدُالمجيد رأى من مؤيِّدات إدارةِ مُلْكِهِ إباحةَ الرِّبا والخمورِ وإبطالَ الحُدود. ورأى مصلحةً في قَهْرِ الأشرافِ وإذلالِ السَّاداتِ، وفي هٰذا المقدار كفايةُ إيضاحٍ أنَّ مؤيِّداتِ المُلْكِ عندَ السَّلاطين مقدَّمٌ على المحافظةِ على الدِّين.

أمَّا صفةُ خدمةِ الحرَمَيْن وأُلْفَةُ مسامعِ العثمانيين لِلَقَبِ الخِلافةِ فلا يُفيدُ الدينَ وأهْلَهُ شيئاً، وليسَ لهمْ ما يَتَوهَّمُ البعضُ من الإجلالِ عندَ الأجانبِ؛ لأنَّهم لا يتفوَّهون بأنَّ السلطانَ خليفةٌ إلَّا عندما يريدون أنْ يُقيموا الحُجَّةَ على المسلمين المحكومين لهم ببعض أعمالِهِ في مُلْكِهِ، ولو أنَّ حضرةَ السلطانِ أخذَ عليه تأييدَ الدِّين بما أَمدَّه الله بِهِ من القُوَّةِ، لتمكَّنَ مِنْ أنْ يحترمَ دينَهُ ومُلْكَهُ خدمةً مقبولةً عندَ اللهِ، ولَرُفِعَتْ له رايةُ الحمْدِ في شرقِ الأرضِ وغَرْبِها، وأظنُّه قد قَرُبَ اليومُ الذي يتنبَّهُ فيه فَيَتَرَوَّوا في الأمرِ، ويُضْرَبُ على فمِ الغشاشين المتملِّقين الخائبين الذين يَنْسِبون حضرتَهُ إلى ما لَمْ ينتسِبْ هوَ إليهِ، وكانَ هٰؤلاء الغشاشون يريدون بهٰذه الدَّسائسِ أنْ يجعلوا حضرةَ السُّلطانِ نظيرهم دعيَّ[1] نسبٍ كاذبٍ، كدعواهم لأنفسِهم السيادةَ والولايةَ والقطبانيةَ في أنفسهم وآبائهم ويستطردون حكايات لآبائِهم مُخْتَرعةً لا يعترفُ

---

(١) في ع: ذي.

لهمْ بهـا أحـدٌ من المسلمين، ومن المعلوم ِ عندَ أهل ِ الوقوفِ أنَّ التَّلَقُّبَ بالخـلافـةِ والإمـامـةِ وإمْرَةِ المؤمنين في آل عثمانَ العظام ِ حَدَثَ في عَهْدِ المرحوم ِ السلطانِ محمود، حيثُ صارَ بعضُ وزرائِهِ يخاطِبونَهُ بذلك غُلُوّاً في التعظيم ِ.

١٠٥ أ /وكذلك حضراتُ السلاطين أنفسِهم لم يزالوا إلى الآن متحفِّظين عن التلقُّبِ بالخلافةِ، إنَّما تمضُغُها أفواهُ البعض ِ فيلوكُها التركيُّ تعظيماً لقومِهِ، والعربيُّ نِفاقاً للسلطانِ، والمصريُّ اتباعاً للمرائين، والهنديُّ اعتزازاً بالوَهْم ِ، بخلافِ سلطانِ مراكش وأميرِ عُمانَ وإمام ِ اليمن المتنازعين في هذا المقام رسماً، المتقاطعين لأجلِهِ.

ثم ذكرَ قولَ الأمير في القواعدِ الأساسيَّةِ التي تُبنى عليها الجامعة الدينيةُ، وهي ثماني عشرةَ قاعدةً.

قال الصاحبُ: يُسْتَنْشَقُ من ظاهرِ فكرِ مولاي الأميرِ أنَّهُ لا يجوزُ الاتِّكالُ على المَلِكِ العثماني في أمرِ الخِلافةِ.

قال الأميرُ: إنِّي أُحِبُّ العثمانيين لِلُطْفِ شمائِلِهم، ولٰكنَّ النصيحةَ والدينَ يستلزمان قولَ الحقِّ، وعندي أنَّ آلَ عثمان إذا تدَبَّروا لا يجدون وسيلةً لتجديدِ حياتِهم أفضلَ مِنَ اجتماعِهِمْ معَ غيرهم على خليفةٍ قُرَشيٍّ.

قال: إنَّ ما ذكرَ مولايَ مِنْ حَصْرِ صفةِ الخلافةِ في خليفةٍ قرشيٍّ في مكةَ ترتبطُ به جميعُ السلطناتِ والإماراتِ الإسلاميةِ لأمْرٌ عظيمٌ جداً، والغالبُ أنَّ الدُّوَلَ المسيحية التي لها رعايا من المسلمين تتحذَّرُ مِنْ أنْ يجرَّ جمعُ الكلمةِ الدينيةِ إلى رابطةٍ تولِّدُ حروباً دينيةً، فتعمدَ هذه الدُّولُ إلى عمل ِ الدَّسائسِ

لتمنع حصولَ هٰذا الارتباطِ، فما هو التدبيرُ الذي يقتضي اتّخاذَهُمْ أمامَ تحذُّرِ الدُّولِ؟

قال الأميرُ: لا يفتكِرُ هٰذا الفِكرَ غيرُ الفاتيكان وأحزابُه الجزويت وأمثالُهم، أمَّا رجالُ السّياسة في إنكلترا وروسيا وفرانسا، ـ وهي الدولُ العظامُ التي يهمُّها الافتكارُ في هٰذا الشأن ـ فقد علَّمَتْهُم التجاربُ النتائجَ العامية، وهي أنَّ المسلمين لا يتنصَّرون أبداً، لا سيَّما في زمانٍ يبتعِدُ فيه النّصارى عن نصرانيَّتِهم، مع أنَّ المسلمين أفراداً أو جموعاً أبعدُ عن الفِتَنِ من الجاهلين، وهم أقربُ من غيرِهِمْ للألفةِ، وحُسْنِ المعاملةِ والثباتِ على العهدِ. فإذا أرشدَ أولئكَ السياسيون إلى أن يضمّوا إلى معرفتِهِمْ هٰذه عِلْمَهم أيضاً بالأحكامِ الإسلاميةِ في مسألةِ الجهادِ التي يتهيَّبونها، علماً يستخرجونه مما عندهم من تراجمِ القرآنِ الكريمِ لا مِنْ مؤلفات متعصِّبي الطَّرَفَين، حيثُ يجدونَ نحواً من خمسينَ آيةً بأساليبَ شتَّى، كلُّها تنهىٰ عن الإلحاحِ في الهدايةِ إلى الدينِ، كقوله تعالى: ﴿إنَّك لا تَهْدي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾، ﴿وجَادِلْهُم باتّي هي أحسنُ﴾، ويجدون آيتين في التشديد، إحداهُما: ﴿فاصدَعْ بما تُؤْمَر﴾، والأخرى: ﴿وجاهِدوا في سبيلِ اللهِ﴾، وبمراجعةِ أسبابِ نزولِ هاتين الآيتين، يعلمونَ أنَّهما نزلَتا في حقِّ المشركين والكتابيِّين من العرب، ولا يُوجَدُ في القرآنِ الكريمِ مُلْزِمٌ لاعتبارِ عموميّةِ حُكْمِها. وبذٰلك يعلمونَ أنَّ قَصْرَ معنى الجهادِ على الحروبِ كان مبنيّاً على إرادةِ الفتوحاتِ، والتوسُّلِ للتشجيعِ، حتى كانَ مجالاً للفتوحاتِ كما أعطى اسم الجهادِ مقابلةً لاسمِ الحروبِ الصليبية التي أصلى نارَها المسيحيون. ثمَّ بعَطْفِ نظرِهِم إلى التاريخ، يجدون أنَّ العربَ منذُ سبعةِ قرونٍ لم يأتوا حرباً باسمِ الجهادِ،

ولدى رجالِ السياسةِ دليلٌ مُهِمٌّ آخرُ على أنَّ أصلَ الإسلاميةِ لا يستلزم الوحشةَ بين المسلمين وغيرِهم، بل يستلزمُ الألفةَ؛ وذلك بأنَّ العربَ أينما حلُّوا من البلادِ، جذَبوا أهلَها بحُسْنِ القُدْوَةِ والمثالِ لدينهِمْ ولُغتهِمْ، كما أنَّهم لم ينفِرُوا من الأمم التي حلَّتْ بلادَهُمْ، فلمْ يُهاجروا منها كعدن ومصر وتونس، بخلافِ الأتراكِ، بل يعتبرونَ دخولَهُمْ تحت سلطنةِ غيرِهِمْ من حُكْمِ اللهِ؛ لأنَّهم يذعنون لكلمةِ ربِّهم تعالى: ﴿تلكَ الأيامُ نُداوِلُها بينَ النَّاسِ﴾، فإذا علِمَ السِّياسيُّون هٰذه الحقائقَ وتوابِعَها لا يتحذَّرونَ من الخلافةِ العربية، (١بل يَرَوْنَ مِنْ صوالِحِهِمْ الخصوصيةِ وصوالحِ النصرانيةِ وصوالح الإنسانية ليُؤيِّدُوا الخلافةَ العربيَّةَ١).

قال الصاحبُ: أستشِفُّ من كلامِ مولايَ الأميرِ، أنَّ أمَلَهُ ضعيفٌ في تشكيلِ جمعيةِ تعليمِ الموحِّدين؟

قال الأميرُ: إنَّ دونَ تشكيلِ الجمعيةِ بعضَ عوائقَ ماليةٍ فقط وأرجو اللهَ تعالى أن يُزيلَها. انتهت المحاورةُ.

يقول السيِّدُ الفراتيُّ: قد ألحقْتُ هٰذه المحاورةَ سجلَّ المذكَّراتِ، وكتبْتُ بها إلى باقي الإخوانِ، رجاءَ مَنْ يؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخرِ، وعندَهُ شيمةٌ حميَّةٌ، ومروءةٌ فلا يتجسَّسُ على جمعيةِ أمِّ القرى بقصدِ إيصالِ سوءٍ إليها، ولْيَعْلَمْ أنَّ يدَهُ وإن طالت الأفلاكَ لأقصَرُ مِنَ الإضرارِ؛ لأنَّ الجمعية في أمانِ الإخلاصِ ولا يَحِيقُ المكرُ السيِّءُ إلَّا بأهلِهِ.

(١ ١) سقطت من ع.

إعلان

«(١)من أَحَبَّ أن يُنْجِدَ(١) مقاصدَ جمعيةِ أمِّ القرى برأيٍ فائقٍ أو عملٍ مهمٍّ، أو رغبةٍ في تعضيدِها بجاهٍ أو مالٍ، وأرادَ مراسلةَ الجمعيةِ، أمكَنَهُ أنْ يُراسِلَ وكالةَ الجمعيةِ بدونِ اسمٍ، بلْ بإرسالِ كتابٍ مُعَنْوَنٍ إلى مدينةِ مصر، إلى صندوق البوستة عدد ٥١٧. وإذات أراد التَّخفِّي أمكَنَهُ أنْ يخابرها باسمٍ له مختلفٍ. ثمَّ بعدَ أخْذِهِ الجوابَ يستعملُ الجفريَّةَ الموضَّحة في الجدولِ.

ثم ذَكَرَ بعدَ ذلك فهرسةَ أكثرِ المباحثِ المتقدِّمةِ الواردةِ في سجلِّ المذاكرةِ، وهٰذه صورةُ الجفْرِ، حيثُ البوستات مأذونة رسمياً بفتح مكاتيب يُشتبهُ بها، فالحاجةُ مُلْجِئَةٌ لاستعمالِ كتابةٍ جفريةٍ مأمونةٍ. وبناءً عليه صارَ وضعُ هٰذا الجدولِ تسهيلاً للمخابرةِ السِّرِّيَةِ بجفرٍ لا يمكنُ كشفُ سرِّها بدونِ معرفةِ حروفِ المفتاحِ المُتَّفَقِ عليه بينَ كلِّ متخابِرَيْنِ.

طريقةُ الكتابةِ هي: أنْ يتفقَ المتخابرانِ على كلمةٍ، ولو ساذجةٍ، تُسمّى المُفتاحَ، ولا حاجةَ لأنْ تكونَ أكثرَ من ثلاثيةٍ أو رباعيةٍ، وعندما يُريدُ أحدُهما أنْ يكتبَ عبارةً فَعَلَيْهِ أنْ يُحرِّرَها بحروفٍ مُقطَّعةٍ على ورقةٍ، يضعُها أمامَهُ، ويقعُ بينَ يَدَيْهِ هٰذا الجدولَ، فينظرُ ما هو الحرفُ الأولُ من المفتاحِ، فيضعُ إصبَعَ يدهِ اليُمنى على الحرفِ المُماثِلِ له [(٢)المرسومُ في الجدول الأوّلِ العامودي الأيمن الأسود. ثمَّ ينظرُ ما هو الحرفُ الأولُ من العبارةِ المرادِ كتابتُها، فيضَعُ إصبَعَ يدِهِ اليُسْرى على الحرفِ المُماثِلِ له من الجدولِ

(١ ١) في أ: من نجران ينجد.

(٢ ٢) سقطت من ع.

الأوَّلِ الأفقي الأسود، ثمَّ يمشي بإصبعيه يَساراً ونازلاً حتَّى يلتقيا في نقطةِ زاويتهما، فحينئذٍ ينظرُ ما هوَ الحرفُ المرسومُ في نقطةِ الملتقى، فيكتبُهُ. ثمَّ ينظرُ ما هُو الحرفُ الثاني من المفتاحِ وما هو الحرف[٢] الثاني من العبارة، فيعملُ كما عمِلَ أوَّلاً ويكتبُ حرفَ نقطةِ الملتقى، وهٰكذا حتى تنتهي حروفُ المفتـاحِ ، فيعيدُ الأخـذَ بأوَّلِ حرفٍ من المفتاحِ ، ويستمرُّ في الأخذِ من حروفِ العبارةِ «بحيث كلَّما انتهتْ حروفُ المفتاحِ يُعيدُ الكرَّةَ مِنْ أوَّلِها، ويبقى مُسْتَمرّاً في مُولاةِ حروفِ العبارةِ إلى أنْ تنتهي، وعندئذٍ يجدُ أنَّه قدْ تصدَّرُ[٢] معه حروفٌ مُبْدَلَةٌ عِوضاً عن الحروفِ الأصليةِ للعبارةِ، ومَنْ يريدُ الاختصارَ، يُمكِنُهُ أنْ يُحرِّرَ بعضَ العبارةِ كتابةً عاديةً، ويكتبُ بعضَ كلماتٍ أو جملٍ من خلالِها بهٰذه الطريقةِ، ولا بأسَ أن يُحَرِّر إمضاءَه أيضاً جفراً.

طريقةُ الحلِّ هي: أنَّ مَنْ يأْخُذُ الرسالة الجفريّة ليحلَّها، يضَعُ إصبَعَ يدِهِ اليُمْنى على مثلِ الحرفِ الأوَّلِ من المفتاحِ في الجدولِ العامودي الأيمن الأسـود، ثم يسْري بإصبعِهِ يَساراً حتى يَقِفَ على مثلِ الحرفِ الأوَّلِ في الـرسـالـةِ الجفـريةِ، ثمَّ يصعَدُ بإصبَعِهِ حتى ينتهي الجدولُ الأفقي الأعلى الأسـودُ، فيأخـذُ الحرفَ الذي يجدُهُ فيه فيصدرُهُ، فيكونُ هٰذا هو الحرفَ الأصليُّ المُستبْدَلَ، ثمَّ يعملُ مثلَ ذٰلك باعتبارِ الحرفِ الثاني من المفتاحِ ، والحرفِ الثاني من الرسالة، وهٰكذا، ثمَّ يُعِيد الكرَّةَ على حروفِ المفتاحِ المرَّةَ بعدَ الأُخرى، إلى أنْ يستبدلَ حروفَ الجفرةِ كلَّها بالحروفِ الأصليَّةِ.

تنبيهٌ: قد وُضِعَ هٰذا الجدولُ للكتابةِ العربيةِ، كما أنَّه يُكْتَبُ به التركيةُ

---

(٢) في «أم القرى»: تسطر.

والفـارسيةُ باعتبـار تفريقِ حروف: (ب ح ز ك) من أخواتِها العربية بالقرينة، وكذٰلك يُستغنى عن حروفِ الحركاتِ في الأُوردية ببعض الحروفِ العربيةِ، التي لا دخـلَ لهـا فيهـا. ومَنْ يُريدُ استكمالَ ذٰلك يُمكنُهُ أنْ يُضيفَ لهٰذا الجدولِ على نسَقِ ترتيبِه / ما يشاءُ من الحروفِ والأرقامِ والرموز والأشكالِ، وهٰذه ١٠٦أ
صورةُ الجدول الأُفقي:

ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي
ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا
ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب
ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت
ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث
ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج
خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح
د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ
ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د
ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ
ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر
س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز
ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س
ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش
ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص
ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض
ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط
ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ
غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع
ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ
ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف
ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق
ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك
م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل
ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م
ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن
و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه
ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و

هٰذا مضمـونُ ما حواهُ أحدُ الكتابين، والكتابُ الآخر ذكرَ فيه مصارعَ الاستبدادِ (1)[1] ومَضَرَّاتِهِ.

ثمَّ إنَّ الإمامَ ـ حفظه الله ـ أجابَ على السيد بجوابٍ بليغٍ لا بدَّ نُلْحِقُه إنْ شاءَ الله، وفي الكتابين ما يُوجِبُ الشَّكَّ، ويُثمرُ الظَّنَّ، أنَّ ذٰلكَ استطلاعُ ما عندَ المسلمين من الهمَّةِ والغيرةِ على الدينِ، ولعلَّ ذٰلك مدسوسٌ من جهةِ قرال الإنكليز، وجوابُ الإمامِ ـ حفظه الله ـ قد ألَمَّ بما يومي إلى قطعِ أطماعِ الفرقةِ الكافرةِ النَّصرانيَّةِ، لمَّا وقع في خَلَدِهِ ذٰلك الوهْمُ، واللهُ المسؤول أنْ يحفظَ دينَ الإسلامِ ويُؤيِّده. ثم دخَلَتْ

/ سنةُ عشرين وثلثمائةٍ وألف ١٠٦ ب

وفي أوائِلها توفي السيدُ المقام صفيُّ الإسلامِ الغضنفرُ أحمدُ بنُ مثنى عنتـر في بلادِ حجـور، وكانَ عاملاً هنالك من طرفِ الإمامِ ـ حفظه اللهُ ـ وأصلُه من بلادِ العودِ من مخلاف قَعْطَبَةَ. هاجرَ من بلادِهِ إلى ذمارَ، ثمَّ إلى صنعاءَ، وحصَّلَ طرفاً صالحاً من الفقه، وكانَ شديداً على أهلِ المعاصي والطَّاغوتِ[1]، بقي عاملاً في بلاد الشرفين، فأقامَ فيهم الحقَّ بعد اندراسِه، وكان مهاباً فيهم. ثمَّ لمَّا وصلَ عبدُالله باشا إلى بلاد الشرفين حَسْبَ ما شُرِحَ

---

(1) هو كتاب «طبائع الاستبداد»، ط. الثالثة، دار الشرق العربي، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

---

(١) سقطت من ع.

أولاً، وصلَ إلى المقام ، وكانَ من نيَّتِهِ إعادتُهُ إلى الشرفين، فعرضَ ما أوْجَبَ إرسالَهُ إلى بلاد حجور لإقامته الشريعةَ هنالك، وكانتْ قدْ اندرستْ، فوقعتْ بينهُ وبينَهم وقائعُ عظيمةٌ يطولُ شرحُها، قدْ ذكرنا بعضَها، فأقامَ فيهم الشريعةَ إلَّا ما كانَ من بلاد الهنـدي، فإنَّه وقعَ بها حربٌ شديدٌ، واستفاضت عليه الأجنادُ المنصورةُ، وهربَ الشيخُ محمد الهنديّ إلى بلاد الخُميسي. ثمَّ لمَّا توفي السيدُ الصفيُّ، أرسلَ الإمامُ - حفظه اللّهُ - السيِّدَ العلاَّمةَ صفيَّ الدين أحمد بن يحيى بن قاسم عاملاً على تلك البلادِ، فساسَهُمْ أحسنَ السِّياسةِ، وأَنفَذَ فيهم أوامِرَ اللهِ معَ كمالِ الحِذْقِ والكِياسةِ.

وفي شهرِ ربيع الأوَّل، وصلَ إلى صنعاءِ اليمنِ السيّدُ حسنُ بن خالد بن أبي الهدى من حضرة السلطان عبدالحميد، وأظهرَ أنه وصلَ لإصلاحِ الشأنِ بينَ السلطانِ والإمامِ ، وذلك لمَّا بلغَ إلى مسامع السلطانِ اضطرابُ اليمنِ، وفرارُ العساكرِ النافذةِ إلى اليمنِ، حتى أنَّها ما زالتْ تخرجُ العساكرُ المتكاثرةُ من الشامِ ، فلا يبقَوْنَ إلَّا مدةً يسيرةً، ويهربونَ من اليمن، ويكونُ طريقُهُم إلى حضـرةِ الإمـامِ ثمَّ إلى صعدَةَ ونجرانَ وبلادِ نجد، ويدخلون بلادَهم راجعين. وكان المأمورون يُمَوِّهون عليهم أنَّ الذين يخرجون إلى قتالهم كفارٌ، فلمَّا عرفوا الحقيقةَ، وأرسلَ معهم الإمامُ - حفظه الله - كثيراً من صورِ الكتابِ الذي ذكرناه سابقاً، حتى اتَّضحَ الأمرُ لجميعِ بلادِ الشام، وعرفوا أن الأمرَ بخلافِ ما كان يفتـري المأمورون. فحينئذ كتبوا إلى حضرةِ السلطانِ مِنْ جميعِ بلادِ الشـامِ وبلادِ العجمِ عروضاتِ أحوالٍ لا تُحصى، حاصِلُها: أنَّكم تُرسِلونَنا وتأخذون أولادَنا لقتالِ قومٍ مؤمنين في اليمنِ، فبسببِ ذلكَ

أرسلَ السلطانُ السيدَ اليمني، ولمَّا وصلَ إلى صنعاءَ، كتبَ إلى الإمامِ عليه السلامُ كتاباً صُحْبَةَ الحاجِّ عليِّ بنِ يحيى النحوي من أهلِ صنعاءَ.

مضمون الكتاب: طلبُ الوصولِ إلى حضرةِ الإمامِ، وأنَّهُ وصلَ مأمورٌ من حضرةِ السلطانِ لا يَسَعُهُ إلَّا المشافهةُ، وقد رأى الإمامُ بتنويرِ البصيرةِ بأنْ لَيْسَ للعَجَمِ قصدٌ فيما فيه صلاحُ الإسلامِ والمسلمين، وإنما يريدونَ بذٰلك المراوغةَ لأمورٍ لا تخفى على اللبيب، وكان جوابُ الإمامِ على السيِّدِ المذكورِ بما لفظُهُ:

«بعد البسملة: الجنابُ الرفيعُ الشريفُ، والمقامُ الرحيبُ بالعلمِ المنيفِ، والمتزيِّنُ بالدِّين الحنيفِ، جنابَ السيِّدِ العالمِ الأفضلِ الجاري في مجرى العلم والعَمَلِ السيِّد حسن خالد بن محمد بن أبي الهدى أَحْسَنَ الله أقوالَه وأعمالَهُ، وبلَّغَه في دحضِ المنكراتِ آمالَهُ، والسلامُ عليه ورحمةُ الله وبركاتُه، وإنَّه وردَ إلينا كتابُكُمُ الكريمُ، توسَّمْنَا فيه المقاصدَ الخيريةَ، ورجَوْنا جبرَ ما ثُلَّ من الملَّةِ الأحمدية، فلم يُسْمَعْ في غيرِهِ من مكاتبةِ المأمورين حُسنَ الخطاب، والردَّ إلى مُحْكَمِ السنةِ والكتاب، فالحجَّةُ بها عندَ أولي الألباب أقطَعُ من الطِّعانِ والضِّرابِ، وإنَّا نقدِّمُ إليكم مقدِّمةً نستجلبُ بها حُسْنَ الظَّنِّ لإسبالِ أحزانِ الرِّعايةِ، ونُقيمُها مقامَ الجدِّ والموضوعِ، بل ومقام الجزئيَّةِ والكليَّةِ ومقامِ الأحكامِ الوضعيةِ المشتملةِ على العِلَّةِ والسببِ والمانعِ والشرطية، فنقول: إنَّا نشأنا بعدَ أسلافِنا بصنعاءِ اليمنِ ليسَ لنا أمَلٌ غيرَ العلمِ والعَمَلِ والأمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عن المنكرِ، مع ثروةٍ في المالِ مِنْ فضلِ اللهِ كافيةٍ، ومزيَّةٍ في الناسِ بالجلالةِ وافيةٍ، حتَّى وردتْ عساكرُ السلطانِ

الأعظم والخاقانِ المفخَّم، فرَجَوْنا معهمْ إقامةَ الأحكام القرآنيةِ، ومحوَ آثارِ المنكراتِ الشيطانية، ولمَّا تمكَّنَ أمْرُهُمْ دَخَلَ الخوفُ من بابِ الرَّجاءِ، ولم نَجِدْ لتغيير المنكـراتِ منهجاً، مع العلم أنَّ مشاهَدَتَها خروجٌ عن سفينةِ النجاةِ، ولمْ نجدْ مِنْ أهلِ هٰذا الأمرِ مَنْ يَمْتَثِلُ[1] لأوامرِ الله ويخضعُ، ولا يقربُ بينها وبينَهم من النَّسب الأرفع. إنْ قلتُ: قال الله، قال الرسول، قالوا: قالت الأصولُ، وإنْ قلت: خافوا اللهَ / قالوا: اتْرُكِ الفضولَ، وإنْ قلتُ: أينَ ١٠٧أ
أركانُ الإسلامِ؟ قالوا: يكفي ضربُ المرافع يومَ مولدِ الرسولِ، وإنْ قلتُ: هٰذه الخمرُ كالماءِ الزُّلالِ. قالوا: هو مثلث الحنفي الحلال، وإنْ قلتُ: هٰذا زنا ولواطٌ، قالوا: لا حدَّ ولا حَبْسَ ولا رباط، فانتظرنا مدةَ سبعةٍ من المشيرين والولاةِ، فلم نَرَ الأمرَ إلَّا مقهقِراً إلى ورائه، والقرآنُ تتهافتُ حيطانُهُ، والإسلامُ تنهـدُّ أركـانُـهُ، والظلمُ يمتدُّ جِرانُه، وسمِعْنا اللهَ يقولُ: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يدعونَ إلى الخيرِ ويأْمُرونَ بالمعروفِ وينهَوْنَ عن المُنْكَرِ﴾، ويقولُ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للنَّاسِ تَأْمُرُونَ بالمَعْرُوفِ وتَنْهَوْنَ عنِ المُنْكَرِ﴾، ويقولُ: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ على لِسانِ داودَ وعيسى بنِ مريمَ، ذٰلك بما عَصَوْا وكانوا يَعتدونَ، كانوا لا يَتَناهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعلوهُ، لَبِئْسَ ما كانوا يَفْعَلونَ﴾، ويقـولُ: ﴿إِذْ قالَتْ أُمَّـةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِـظُونَ قَوماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَو مُعَذِّبُهُمْ عذاباً شديداً، قالوا مَعْذِرَةً إلى ربِّكُمْ، ولعلَّهُمْ يتَّقونَ، فلمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ أنْجيْنا الَّذين يَنْهَوْنَ عن السُّوءِ، وأَخَذْنا الذين ظَلَموا بعذابٍ بَئِيسٍ بما كانوا يفسقون﴾.

---

(١) في ع: يمتثل.

قال ابنُ عباس: واللهِ! إنَّ الفِرقةَ السَّاكِتَةَ من الذين ظلموا، وقال عزَّ شأنُهُ حاكياً عن لُقمانَ في وصيته لابنِهِ: ﴿وأْمُرْ بالمَعْروفِ وانْهَ عنِ المُنْكَرِ واصْبِرْ على ما أَصابَكَ إنَّ ذٰلِكَ لَمِنْ عزْمِ الأمورِ﴾، وكمْ في القرآنِ من الزَّواجِرِ التي تقشعِرُّ منها الجلودُ، ويَذيبُ لها الجُلمودُ: ﴿آلم، ذٰلكَ الكتابُ لا ريبَ فيهِ﴾، وقالَ رسولُ الله ﷺ: «لتأمُرُنَّ بالمعروفِ ولتَنْهَوُنَّ عن المُنْكَرِ أو ليُسَلِّطَنَّ اللهُ عليكم شِرارَكُمْ فيدعوا خيارُكُم فلا يُستَجابُ لَهُمْ»، وفي حديثِ حُذَيْفَةَ في رواية الترمذي: «والذي نفسي بيدِهِ لتأمُرُنَّ بالمعروفِ ولتَنْهَوُنَّ عن المُنْكَرِ، أو ليُوشِكَنَّ اللهُ أنْ يبعثَ عليكُمْ عِقاباً مِنْهُ ثمَّ تدعُونَهُ فلا يستجيبُ لكُمْ».

قولـه: «يوشكُ اللهُ» أي: يُسرِعُ، وليسَ من أفعالِ المقاربةِ، كما في غريب الحديثِ.

وفي روايةِ أبي داود والترمـذي عنـه ﷺ لمَّـا وقـعَ بنـو إسـرائيلَ في المعاصي، نهاهُمْ عُلماؤهم فلمْ يَنْتَهوا، فجالسوهُم في مجالِسِهِم وآكلوهُم، وشـاربـوهُم، فضـرَبَ اللهُ قلوبَ بعضِهِم ببعضٍ، ولَعَنَهُمْ على لسـانِ داودَ وعيسى بن مريم، ذٰلك بما عَصَوْا وكانوا يعتدون. ثمَّ جلسَ رسولُ الله ﷺ، وكـانَ متَّكئـاً، ثمَّ قالَ: «كـلَّا واللهِ! لتأمُرُنَّ بالمعروفِ ولَتَنْهَوُنَّ عن المنكرِ، ولتأخُذُنَّ على يدِ الظَّالِمِ ولَتأْطُرُنَّهُ على الحَقِّ أَطْرا وليعمَّنَّكُمُ اللهُ بعقابٍ»، وفي حديثِ عائشة: قالت: دخلَ عليَّ رسولُ الله ﷺ، فعرفتُ في وجهِهِ أنَّهُ قدْ حضرَهُ شيءٌ، فتوضَّأَ، وما كلَّمَ أحداً، فلَصَقْتُ بالحجرةِ أستمعُ ما يقولُ، فقَعَدَ على المِنْبَرِ، فحَمدَ اللهَ وأثنى عليه، وقال: «يا أيُّها الناسُ، إنَّ اللهَ يقولُ لكمْ مُروا بالمعروفِ، وانْهَوْا عن المُنْكَرِ قبل أنْ تدعوا فلا أجيبَ لكمْ وتسألوا

فلا أُعطيكُمْ، وتستنصروني فلا أنْصُركُمْ»، فما زادَ عليهنَّ حتّى نزلَ. رواه ابنُ ماجةَ وابنُ حبّانَ، وصحَّحه من رواية عاصم بنِ عمرَ ابنِ عثمانَ عن عائشة.

وروى البخاريُّ والترمذُّي من حديثِ النعمانِ بنِ بشيرٍ، أنّه قال ﷺ: «مَثَلُ العالِمِ في حدودِ اللهِ والواقعِ فيها كمَثَلِ قومٍ استَهَموا على سَفينةٍ فصارَ بعضُهُمْ أعلاها وبعضُهم أسفلَها، فكان الذي في أسفَلِها إذا استَقَوا منَ الماءِ مَرُّوا على مَنْ فوقَهُمْ، فقالوا: إنَّا خَرَقْنا في نصيبِنا، ولم نُؤْذِ منْ فوقَنا، فإن تركُوهم وما أرادوا هلَكوا جميعاً، وإنْ أخذوا على أيديهم نَجَوْا جميعاً»، فهٰذا بعضُ ما ورد عن خاتمِ النبيِّين، الذي لا ينطِقُ عن الهوى، وغيرُ ذٰلك ممّا لا يَسَعُهُ المقامُ. ولمّا لم نجدْ عندَ اللهِ رخصةً، خرجنا ندعو الناسَ إلى كتابِ اللهِ وسنَّةِ رسولِ الله، بنيَّةٍ يعلَمُها اللهُ، لا نُريدُ عُلُوّاً في الأرضِ ولا فسادا، ولا مخالفةً لسلطانِ الإسلامِ ولا عنادا، لكنّا كَتَبْنا إلى حضرتِهِ مِراراً، وعَرَفْنا أنَّ دونَ بلوغِها إليه خَرْطَ القتادِ مِنْ حيثُ سمعنا أنَّ للمأمورين في اليمنِ عيوناً خفيةً في مجالسِ السلطان الأعظمِ، يتطلَّعون لِما وردَ ممَّا يضرُّ بالمأمورين من عروضاتٍ ومضابطَ، فيحتالون لأخذِها وإرجاعِها إلى المأمورين الميريَّةِ، ومجاوزةِ الحدِّ في ظُلْمِ الرَّعيَّةِ، وإفناءِ الآلافِ من العساكرِ الشاهانية، حتَّى لقَدْ ضَرَبُوا مَنْ نكَصَ منهم بالمدافعِ، ولا زالوا يخرجونَ علينا في كلِّ عامٍ مرَّةً أو مرَّتين، ومعَ ذٰلك لم يعتبروا أنَّهم بتركِهِمْ لمحاربةِ الأجانبِ من الكُفَّارِ، واهتمامِهم بمحاربةِ أوْلادِ النبيِّ المختار، ومَنْ تمسَّكَ بحمايتِهِم من الشيعةِ الأخيار يخذِلُهُم العزيزُ الجبّارُ، كما شاهَدْنا ذٰلك في المعاركِ الكبارِ. على أنّا نسمَعُ أنَّ في خزاينِ الدولةِ العثمانيةِ فردةَ نعلٍ من نَعْلَيْ رسولِ الله ﷺ،

يفتخرونَ بها على سائرِ الملوكِ، ويخرجُون بها في المعاركِ للاستنصارِ على الآلافِ والملوك، فكيف يُحـاربون الذُّرِّيَّةَ الطَّاهِرَةَ الذين هُمْ بضعةٌ منه مع تعـظيمِهِمْ لنعلِهِ، ثمَّ لمْ يكْفِهِمْ إخـراجُهُم لنا عن حضرةِ الدنيا وزيفها ولا شفاهم سكونُنا في مهبِّ الرِّيحِ ومنابتِ الشِّيحِ بمجاورةِ الوحوش في القفارِ مع رضا الربِّ تعالى بمجانبةِ الأوطان والأقطارِ. ولمَّا علِمَ اللهُ بصَبرِنا، كشفَ لنا مِنْ عظيمِ قدرتِهِ القناعَ، وتولَّى نصرَ دينِهِ بما قَرَّ في الأسماعِ، ومعَ ذلك فهُمْ تارةً ينسبونَ إلينا الكُفْرَ الصريحَ وآونةً إلى سبِّ الصحابةِ والرَّفض القبيحِ، ونحنُ نبرأُ إلى اللهِ من كلِّ ما يُخالِفُ الكتابَ والسُّنَّةَ، أو يقوِّي طريقَ أهلِ البِدعِ والظِّنَّةِ.

ثمَّ اعلَم أيُّهـا السيِّدُ أنَّ المِلَلَ الأَجنبيَّة صارتْ تزدري أهـلَ المِلَّةِ الإسـلاميَّة، والدولةَ العثمانية كما ترى الصادرَ إليك لفّاً من بعضِ الجرائد الإنكليزية، ولقـد أخـذَتْنـا بمطالعتِها الحميَّةُ الدينيةُ، ولولا وجودُ المأمورينَ لقَصَدناهم بالجهادِ إلى ديارِهم الكفريّةِ، لُكنَّا نعلمُ أنَّ في المأمورين لهم، إخوانٌ، وأنَّهُ سيقولُ: السفيهُ الشيطانُ: محاربَةُ أولادِ سيدِ ولدِ عدنانَ، أقدمُ من محاربةِ عَبَدةِ الصُّلبانِ، ثمَّ لا يغربُ عن خاطِركم الكريمِ أنَّها قد سَبَقَتْ بينَنـا وبينَ المـأمورين مقاولاتٌ، ويُرسلون إلينا مَنْ يسعىٰ بالمصالحةِ، ثمَّ ينكَشِفُ أنَّ الإشعارَ بالمصالحاتِ نوعٌ من المخادعاتِ، فأَزْمَعْنا لذلك على عدمِ مقـاولـةِ كلِّ سفيهٍ، وقصـرِ الجـوابِ على الألمعيِّ النَّبيه، حتى وردَ مكتوبُكُمْ العزيزُ المستجلِبُ للمواذنةِ بيننا على الاتفاقِ في محْلٍّ حريزٍ لتكونَ المراجعةُ بلفظٍ مطنبٍ أو وجيزٍ. وللهِ القائلُ:

[الطويـــل]

أيا دارَها بالخَيْفِ إنَّ مَزَارَها   قريبٌ ولٰكنْ دونَ ذٰلكَ أهوالُ

فما مِنْ قبيلةٍ مِنْ قبائلِ حاشد وبكيل إلاّ وهمْ موتورونَ بقتلى غيرِ قليلٍ، فنخشى أنْ يخفرَ الذمةَ مارِدٌ من المَرَدَةِ، فلولا أنَّ اللهَ سخَّرهم في كلِّ زمانٍ لأولاد سيِّدِ ولدِ عدنان، كما سخَّر الشيطان لسليمانَ لمَّا دخَلَ ضبطهُم تحتَ إمكانٍ، وطالعوا كلامَ صاحبِ الإكليل فيما جرى بينهم وبينَ ملوكِ حميرَ، الذين ملكوا ما بينَ مطلعِ الشمسِ ومغربِها، حتَّى أعجزوهم وصالَحُوهُم على قَطْعِ الأتـاوةِ، فالتَّعـويلُ على عزيزِ جنـابِكُم أنْ ترْفعوا إلينا ما في مرامِكُمْ بالقَلَمِ الذي هو أحدُ اللِّسانَيْنِ، فإنْ كانَ مُطابقاً لمرادِ اللهِ تراجَعْنا للاتِّفاقِ إلى محلٍّ يليقُ بالجميعِ، ففي الإشاعةِ بشاعةٌ قبلَ أنْ يكشِفَ كلُّ أحدٍ قِناعَهُ، ودُمْتُم محروسي الجناب، عاملين بالسُّنَّةِ والكتابِ والسَّلام.

وحُرِّر بتاريخِه، اثني عشر ربيع أول لسنة ١٣٢٠

ولمَّا وصلَ الجوابُ إلى السيِّد المذكورِ أبى إلاَّ المراجعةَ في الوصولِ، وطـالتِ المـراسلةُ بينَـه وبينَ الإمـامِ في ذٰلك، والإمامُ مصمِّمٌ على عدَمِ وصولِهِ، ولم يَزَلْ يتوسَّلُ إلى الوصولِ بكُلِّ مَنْ يتوسَّمُ أنَّ الإمامَ يقبلُ قولَهُ، وبعـدَ اللُّتيّا والتي وأَيِسَ المذكورُ على الوصولِ، وبلوغِ المأمولِ، وطلبَ الاتفاقَ بأحدِ السّاداتِ الأعلامِ مِنْ خاصَّةِ الإمامِ، فأرسلَ الإمامُ ـ حفظَهُ اللهُ ـ السيِّدَ العـلاَّمـةَ أحمد بن قاسم بن الإمام، والسيِّدَ المقدامَ محمدَ بنَ أحمدَ الشامي وصحبتَهما جماعةٌ من حاشد قدرُ أربعمئةِ نفرٍ، وانضمَّ إليه كثيرٌ من الناسِ تزيدُ على عشرةِ آلافٍ، يريدون الاطِّلاعَ على ما يكونُ.

فلمَّا وصلَ سيدي الصفيُّ إلى رَيدةَ كتبَ إليه ـ أي إلى ابنِ أبي الهدى ـ

إلى عَمْرانَ، فخرجَ بنحوِ أربعةِ آلافِ رجلٍ ومئةِ فارسٍ، ووقع الاتفاقُ إلى جوب، ووقع الاستخدامُ من العَجَمِ، وتلقَّاهُ ابنُ أبي الهُدى، ثمَّ دخلَ سيدي الصفيُّ وسيدي محمد بن أحمد الشامي وابنُ أبي الهدى إلى بيتٍ، ووقعت المفاوضةُ فيه، وألقى إلى سيِّدي الصفيِّ ما في نفسهِ، ثمَّ تفرَّقوا.

في اليومِ الثاني رجعَ ابنُ أبي الهدى إلى عَمْرانَ، والسيدان إلى خمر، ودخَلَ ابنُ أبي الهدى عقِبَ ذلك إلى صنعاءَ، فلمَّا وصلَ سيدي الصفيُّ إلى حضرةِ الإمامِ ألقى إليه مرادَ ابنِ أبي الهدى، ولاحَ للإمام ـ حفظه الله ـ أنَّ المقصودَ ليسَ إلاَّ المخادعةَ وتسكينَ الحرب، فاشترط الإمامُ شروطاً دخلَ بها ابنُ أبي الهُدى إلى حضرةِ السلطانِ، عازماً أنَّه سيعودُ لإنجازِها، وكانَ دخولُه في شهرِ شعبانَ سنةَ عشرين إلى الحُديدةِ، ثمَّ إلى بندر عدن، ومن هنالك ظَهَر أنَّ المرادَ تسكينُ البلادِ عن الحربِ ليتمَّ لهمْ بيعُها إلى الإفرنجِ الإنكليز، أعماهم اللّهُ، وكانَ قبلُ قدْ تحرَّك الإفرنج.

صفةُ تحرُّك الإفرنج:

وسببُ المحرِّكِ لهم على ذلك: أنَّ الشيخَ محمدَ بنَ ناصرِ بنِ مقبل شيخ الحجريةِ، عمَّر بيتاً في «(شق البلاد)» التي ترجِعُ إلى المشايخِ الداخلين تحتَ حمايةِ الإنكليز، فوَقعتْ منهُمْ إلى السركالِ الذي في عدن، فكتبَ السركالُ إلى الشيخِ المذكورِ برفعِ العمارةِ، فأجابَ عليه أنَّ البلادَ بلادُ الإسلامِ، ولا بُدَّ أنْ نأخُذَها إلى عدن، فخرجَ السركالُ ومعه نحوُ أربعمئةٍ من

(١ ١) في م، ع: «إلى قرب البلاد».

العسكرِ، وأربعةٌ من المدافع، وانضافَ إليه منْ تحتِ حمايتِهِ أحمدُ بنُ فضل العَبْدلي(1) والحوشبيُّ(2) والعولقيُّ(3)، واجتمع معهم مِنْ أصحابِهِم قدرُ ثلاثةِ آلافٍ، وأرسلوا إلى عندِ محمد ناصر بأنّه يقبلُ ألفَ ريالٍ قيمةَ البيتِ، ثمَّ أرسلوا إليه ثانياً جماعةً ممَّنْ يزعُمُ التصوُّفَ مِنْ أهلِ العَيْدروس، فأبى عن قبولِ ذٰلك، وجميعُ أصحابِه، وانضافَ إليه طابورٌ من العَجَمِ وأربعةُ مدافعَ، ورتَّبَ البيتَ المذكورَ في الدُرَيْجَة بنحوِ ثلاثينَ نفراً من القبائل، وكانَ البيتُ في بقعةٍ منخفضةٍ، ورتَّبوا حولَه كَوْلَتين في كلِّ كولةٍ خمسون تركياً، وتقدَّمَ الفـرنُـج ومَنْ معهم على مَنْ في البيتِ المذكورِ، فلمَّا قابلوهُم رَمُوا البيتَ بالأربعة المدافع أربعَ ضرباتٍ حتى وقع إلى الأرضِ بمن فيه، ثم تقدَّموا على مَنْ في إحدى الكولتين من العجمِ فاقتتلوا قِتالاً شديداً وقُتِل من الفرنجِ نحوُ عشرين وقُتل الذين في الكولةِ عن آخِرِهِمْ. فلمَّا رَأى مَنْ في الكولةِ الأخرى أصحابَهم قتلى طَلَبوا الأمانَ من الفرنج، فأُخِذَ سلاحُهُمْ وأُسِروا، فلمَّا رأى ذٰلك مَنْ بقي من العَجَمِ والعربِ لم يَسَعْهُمْ إلا الفرارُ. وبقي السركالُ ومَنْ معهُ هنالِكَ، وكتبَ السركالُ بذٰلك إلى السلطان، وكذٰلك إلىٰ مُتصرِّفِ لواءِ تعز، ورجعَ الجوابُ من السلطانِ بأنْ يعقدوا صلحَ سنةٍ.

---

(1) أحمد بن فضل العَبْدلي، سلطان لحج، ت بعيد نشوب الحرب الأولى سنة ١٩١٤، انظر، «ملوك العرب» ١/٣٥٢، «هدية الزمن» ١٩٥.

(2) الحواشب، سلطانهم علي بن مانع ثم ولده محسن، مركزه ميمير، انظر، «ملوك العرب» ١/٤٥٢.

(3) صالح بن عبدالله العولقي، سلطان العوالق العليا، مركزه الأنصاب، انظر، «ملوك العرب» ١/٤٥١.

فلما انتهى العامُ، لمْ يزلْ الإفرنجيُّ يُخْرِجُ الأزواد[1] والرِّصاص والباروت والمـدافعَ، وجميعَ الآلاتِ إلى الضالعِ من شهر شعبانَ سنةَ ١٣١٩، ولم يظهرْ لأحدٍ ما مرامُهم بذلك، هلْ قدْ حصَلَ السدادُ بينهم وبينَ السلطانِ على الانسياحِ في اليمن، فوقعت المكـاتبـةُ مِنْ سلطانِ لحج وشيخِ الضـالعِ شايف بن سيفٍ إلى الإمامِ -حفظه الله- يُحَرِّضُونَه على جهادِ التركِ. فظهر للإمـام -حفظه الله- أنَّهم يريدون بذلك أمرين: تخفيفَ ثمنِ اليمنِ على الإفرنج بسببِ الحركاتِ أولاً، واستنهاضَ ما عندَ الإمامِ ثانياً. فأجاب عليهم الإمامُ -حفظه اللهُ- بجواباتٍ تضمَّنَتْ إلزامَهُمْ بجهادِ الفرنجِ والتُّركِ، وعَزْمَهُمْ ما أوجَبَ اللهُ عليهم.

صفة وقعةِ بيت جسَّار جهةَ بلاد آنس:

وصفةُ ذلك: أنَّه لمَّا توقَّفَ الجهادُ بسببِ سعيِ ابنِ أبي الهدى، وصارَ الشيخُ الجماليُّ يتنقلُ في بلادِ آنسٍ، ووصلَ إلى بيتِ جَسَّار باتَ هنالك ونيَّتُهُ الانتقـالُ اليومَ الثاني إلى محلٍّ آخر. وكانت عيونُ العَجَمِ عليه في وُرُودِهِ وصدورِهِ فلمْ يشعرْ إلاَّ بهجومِ العَجَمِ عليه إلى هنالك، وانقسموا فرقتين: فرقةٌ قصدتْ صِنْوَةُ الشيخ محسن ليشغلوه عن الغارةِ، وفرقةٌ قَصَدت الشيخ الجماليَّ، وكان صحبةَ الشيخِ قدرُ ثلاثين نفراً، وأُحيطَ به من جميعِ الجهاتِ ولمْ يشُكُّوا في قبضهِ، وكان الذين في الحصنِ لا يُدركون مَنْ تحتَ البابِ، فحصـلَ مِنْ لُطفِ اللهِ البـاهرِ أنَّها وصلت جماعةٌ من المجاهدين من جهةِ البابِ، فرمَوْا مَنْ في البابِ حتَّى هزموهم عنه، وخرجَ الشيخُ ومَنْ معه في

---

(١) في ع: الأرزاق.

سلاحِهِ، ووقعَ في العَجَمِ قتلى كثيرةٌ.

وفي شهر شعبانَ المذكورِ، كَتَبَ إلى الإمامِ -عليه السلام- أنَّها وصلتْ كُتُبٌ من بلادِ عسيرٍ أفادت أنَّه وقعتْ قتلتان بينَ قبائل قحطانَ والأتراكِ في بلادِ غامد وزهرانَ قُتِلَ فيها مِنَ العَجَمِ تسعُمئةٍ وأُسِرَ ثلاثُمئةٍ، وأخذوا أربعةَ مدافعَ والبنادقَ والخزنةَ وجميعَ ما حَوَتْهُ محطَّةُ العَجَمِ، وقُتِلَ عدوُّ اللهِ هيفُ أبو بدرة، وكان مِنْ أعوانِ العَجَمِ في تلك البلادِ، وكانتْ له عندَ التركِ مَرْتَبَةٌ عظيمةٌ، وقد تحفَّظَ أعداءُ اللهِ في كتمِ الواقعة بإيهام العرَبِ أنَّ الحربَ بينهم وبينَ النصارى في البحرِ، وليس لذلكَ أصلٌ بلْ هم من أعوانِ النَّصارى وخَدَمَتهم.

/ وفي هٰذه المدة خرجَ إلى بندر مِيْدِي[1] طائفةُ الطِّليان من الإفرنج، وسببُ ذٰلك أنَّ رجلًا من بني مروانَ كانَ أجيراً عندَ بعضِ تجّار الطليانِ، فقتلوهُ، فدخَلَ جماعةٌ من بني مروان في سنبوك في البحر إلى جزيرة دَهْلَك، وقتَلُوا القاتلَ، وجماعةٌ من أولادهِ وذويهِ، وأخذوا عليه بنحوِ ثلاثين ألفَ ريالٍ، وخرجوا إلى بلادِهم، وقيل: إنَّ النصرانيَّ المقتولَ المأخوذَ كان في بندرِ مِيْدِي، فلمَّا وصلَ الخبرُ إلى رئيسِ الطليانِ جَهَّزَ على مِيْدِي وبني مروانَ، وأعانَهم التُّركُ على ذٰلك، فلمَّا قابلَ ميدي من البحر رماها بالمدافعِ الكِبارِ وُزِنَتْ حجرةُ المدفعِ، فبلغتْ ستّين رطلًا وأحرقوها بالمرآة من البحرِ حتى هُدِمَتْ بيوتُها، وأُحرِقَتْ عِشَشُها، وكانت تُرى الطَّلّاعاتُ من البحرِ إلى شُهارةَ، وجبالِ الأهنومِ، فلمَّا وقعَ ما وقعَ، تأهَّبَ بنو مروانَ للقِتالِ، فلمَّا بلغَ الإفرنجَ ذٰلك التَّأهُّبُ ضعفتْ قُواهم وجبُنوا وطلَبُوا الصُّلحَ على أنَّ المالَ ١٠٨/ب

(١) مِيدي: مدينة على ساحل البحر الأحمر، غربي حَرَض بمسافة ٣٠كم، بها ميناء، تتبع محافظة حجة، انظر، اليمن الكبرى، ١٠٩.

المأخوذَ وديَّةَ القتلى، تقطعُ قيمةَ البيوتِ التي خربت في مِيْدِي، ويُسَلِّمُ بنو مروان البقية، وكانتْ قدْ تجمَّعتِ الأتراكُ وتكفَّلَتْ للطِّليانِ بتربيةِ بني مروان، فلمَّا وقعت الواقعةُ المذكورةُ سابقاً في بلادِ عسير أَوْهَنَتْهُمْ فضربوا صفحاً عنْ معاونةِ الطِّليان.

وفي هٰذه المدَّة غدر رجالُ ولد عامرٍ من بلاد غمرٍ من بلاد خولان رازح باثني عشـرَ رجـلاً من خولان الشـامِ منهم الشيخُ الأكمـلُ المجـاهـد ....[1] بن روكان كبيرُ خولان الشام، وبقيةُ القتلى من جماعته، وكان رجالُ ولدِ عامرٍ قد خالفوا عن الطاعةِ وارتكبوا عظيمَ الغدرِ والشَّناعةِ، ولم يَزَلِ السيدُ المقدامُ سيفُ الإسلامِ محمدُ بن الإمام الهادي يراجعُهم ويدعوهم إلى واجبِ الطاعةِ، فأَبَوْا عن ذٰلك وعاضَدَهُمْ سِرّاً بعضُ رجالِ بني بحرٍ، فأَمَدَّهُ الإمـامُ بمحـاصـرتِهِم في بيوتِهِمْ، ومنعهم مِنَ الحَرْثِ في وادي بدْر حتى صَلُبَ، والغدرُ المذكورُ وقعَ في خلالِ هٰذا الحِصار، وذٰلك أنهم طَلَبوا من ابن روكانَ الاتفاقَ، ثمَّ التقَوْه إلى بعضِ الطريق. فلمَّا وقع ذٰلك كتَبَ الإمامُ ـ حفظه الله ـ إلى أرباعِ خَوْلان بن عامر، وذٰلك سِحار وجماعة خولان، طلـبَ منهم القيامَ على البُغاةِ، فأجابوا بالسَّمع والطاعة، فلمَّا عَلِمَ بذٰلك وَلَدُ عامرٍ حصلتْ منهم المُراوغةُ في طلبِ الصُّلحِ.

وفي هٰذه المدة أو قبلَها بيسيرٍ، أرادَ الشيخُ محسن المقداد الدخولَ إلى بني مطر طَمَعـاً بإقـامـةِ الجهادِ من هنالك لحُسنِ الظَّنِّ فيهم. فلمَّا وصَلَ هنالك، اتَّفَقَ بشيخِ بني مطر ورئيسِها الشيخِ أحمد الرمَّاح، فلم ينعمْ بذٰلك،

(١) بياض في كل النسخ.

وكتبَ إلى الإمام ـ حفظه الله ـ: إنّا لا نقبلُ المقدادَ إلاّ إذا كان الأمرُ بإرادةِ إنشاءِ الجهادِ في جهاتِنا، فهمٌّ على الرأي، ورجعَ الشيخُ محسنٌ بِمَنْ معه إلى جبل عانز، وكان هنالك يحيى بنُ إسماعيل الردمي وجماعةٌ من هَمْدَان نحو أربعين فغزاهم فاستسلموا وسلّموا السِّلاحَ وجميعَ ما معهم ومقدارهُ أربعون بندقاً شاشيخان ومونتُها، وجميعَ ما معهم من سلاحٍ وغيره.

وفي هٰذه السنة كتب الإمامُ ـ حفظه اللهُ ـ صحبة الحاج، وألزَمَ الرسولَ بعرضِ ذٰلك على أمراءِ المحامل: لفظه:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿هٰذا بلاغٌ للنّاس ولِيُنْذَرُوا بهِ ولِيعلموا أنّما هو إلٰهٌ واحدٌ، وليذَّكّرَ أولو الألباب﴾، هٰذه ذكرى للمؤمنين وإيقاظٌ لكافة المسلمين، أهلِ لا إلٰهَ إلاّ اللهُ، كلمةُ التوحيدِ والحصنُ الحصين، سلامٌ عليكم، وإنّا نحمَدُ اللهَ إليكم الذي لا إلـه إلاّ هُوَ، ونُصلّي ونسلّمُ على رسـولِهِ محمدٍ المختارِ، وعلى آل بيتِهِ المصـطفين الأخيارِ، وعلى صحـابتِهِ السابقين الأبرارِ، أما بعدُ، جَمَعَنَا اللهُ وإياكم على رضاه وتقواهُ قَدْ عَلِمْتُمْ أنَّ اللهَ سبحانَهُ ولهُ الحَمْدُ أكْرَمَنَا بأجلِّ الأديانِ إليه: الملّةِ الحنيفيةِ، شَرْعِ اللهِ الذي اختارَهُ لنفسِهِ وأنزلَ به كُتُبَهُ، وأرسـلَ به رُسُلَهُ، ولن يزيغَ عنهُ إلاّ ضالٌّ جاحدٌ، ولن يَهلكَ على اللهِ إلا هالكٌ، وإنها ما زالتْ هٰذه الملّةُ في عزّةٍ ونماءٍ، قد حمى جانبَها العزيزَ أكابرُ الملوكِ والعظماءِ / وقامَ بنصرتِها أساطينُ الفقهاءِ والعلماءِ، دامَ ذٰلك برهةً من ١٠٩أ
الأعوامِ ثم اعتورَتْها بعدَ ذٰلك أيدي النقصِ والانثلامِ، وتطاول على عزيزِ جنابِها أعداءُ الإسلامِ، وحاولَ طمسَ معالمِها الكفرةُ الطّغامُ، فبذَلُوا جهدَهُمْ

في نقضِ ذلك الإبرامِ حتّى كادَتْ أنْ تنهدَّ أركانُها، ويتهدَّمَ بنيانُها، وتتهافَتْ حيطانُها لولا رحمةُ اللهِ ببقاءِ الطّائفةِ الذين لا يزالون مع الحقِّ ظاهرين، قرناءِ الكتابِ المبين.

واعلموا ـ وفّقنا اللهُ وإيّاكم ـ أنَّ سببَ هٰذا التسليطِ هو ما وقعَ من اقترافِ قبائحِ الذنوبِ، وشؤمِ التّخليطِ، وقد وَرَدَ عن سيِّدِ العجمِ والعربِ ما يدلُّ على أنَّ المعـاصيَ تُسَبِّبُ التسليطَ والعَطَبَ، قالَ ﷺ : «توشكُ الأممُ أن تَداعىٰ عليكم تداعِيَ الأَكَلَةِ على قَصْعَتِها»، فقال قائلٌ: من قلَّةٍ نحنُ يومئذٍ، قال: «لا، بل أنتمْ يومَئِذٍ كثيرٌ، ولٰكنَّكُم غُثاءٌ كغُثاءِ السَّيلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللهُ من صدورِ عدوِّكم المهابةَ، ولَيقذِفَنَّ في قلوبِكم الوَهَنَ»، قالوا: وما الوَهَنُ؟ قال: «حُبُّ الدُّنيا وكراهةُ الموتِ» أخرجَهُ أبو داود. والتَّداعي التبايع، أي: يدعوان بعضَهما بعضاً فتجيب. وقال ﷺ : «إذا تبايعتم بالعَيْنةِ وأخذتُم أذنابَ البقرِ، ورضيتُمْ بالزَّرعِ، وتركتمُ الجهادَ سلَّط اللهُ عليكم ذُلًّا لا ينزعُهُ حتى ترجعوا إلى دينِكم»، أخرجه أبو داود، وعند أحمد والطبراني: أدخلَ اللهُ عليهم الذُّلَّ، لا يرفعُهُ عنكُمْ حتى يُراجعوا دينَهُمْ.

وقد جعلَ ﷺ ما ذُكِرَ بمنزلةِ الرِّدةِ، والخروجِ عن الدِّينِ، لمزيد الزَّجْرِ والتَّقْريعِ، فقال ﷺ : «إذا رأَيْتَ أمّتي تهابُ الظّالِمَ أنْ تقولَ لهُ أنْت ظالمٌ، فقد تُوُدِّعَ منهم» بضم التاءِ وتشديد الدال، أي: تُركوا وخُذِلوا وأُسْلِموا لما يستحقُّـونـه من العقـوبـةِ، أخرجَهُ أحمد والحاكم والطَّبراني والبيهقي، وقال ﷺ : «إذا ظُلِمَ أهـلُ الـذِّمـةِ كانت الدولةُ دولةَ العَدُوِّ، وإذا كثُرَ الزِّنا كَثُرَ السِّبا»، يعني تسلُّطَ العدوِّ على المسلمين، فيكثر السَّبْيُ فيهم، «وإذا كثرت اللُّوطيةُ رفـع اللهُ يدَهُ عن الخلقِ، ولا يُبـالي في أيِّ وادٍ هَلَكُـوا»، أخرجه

الطبراني. وقال ﷺ: «إذا عظَّمتْ أُمتي الدُّنيا نُزِعَتْ منها هيبةُ الإسلامِ، وإذا ترَكَتِ الأمرَ بالمعروفِ والنَّهيَ عن المنكرِ حُرِمَتْ بركةَ الوحْيِ، وإذا تَسابَتْ سقطَتْ من عينِ اللهِ» أخرجه الحاكم والتِّرمذي وابنُ أبي الدُّنيا، وقال ﷺ: «إذا فَعَلَتْ أُمَّتي خَمسَ عشرةَ خَصلةً حلَّ بها البلاءُ، إذا كان المغنمُ دُوَلاً، والأمانةُ مغنماً، والزَّكاةُ مغرماً، وأطاع الرَّجلُ زوجتَهُ، وعقَّ أُمَّهُ، وبرَّ صديقَهُ، وجفا أباه، وارتفعت الأصواتُ في المساجدِ، وكان زعيمُ القومِ أرذَلَهُمْ، وإكرامُ الرجلِ مخافةَ شرِّه، وشُرِبتِ الخُمور، ولُبِسَ الحريرُ، واتُّخِذتِ القَيْناتُ والمعازفُ، ولَعَنَ آخرُ هٰذه الأمةِ أوَّلَها، فليَرْتَقِبوا عندَ ذٰلك ريحاً حمراءَ أو خَسْفاً أو مَسْخاً» أخرجه الترمذي.

فهٰذا بعضُ ما وردَ عن الصَّادقِ صلى الله عليه وآله وسلم ممَّا يدُلُّ على أنَّ اقترافَ الذُّنوبِ والأوْزَارِ هوَ الموجبُ لغضبِ الجبَّارِ والتسليطِ والدَّمارِ. وقد وقع مثلُ ذٰلك للأمَّةِ الإسرائيلية من بعدِ أنْ فضَّلَهُمُ اللهُ على سائرِ البريَّة، كما استرسلوا في المعاصي وأفسدُوا في الأرضِ، وعَلَوْا على الدَّاني والقاصي، وعَتَوْا عُتُوّاً كبيراً على مالِكِ النَّواصي، فسلَّطَ اللهُ عليهم بُخْتَ نَصَّر، معَ أنَّه أخبثُ منهم وأكفرُ، كما قصَّ ذٰلك في مُحْكَمِ القرآن، تحذيراً لهٰذه الأمةِ عن مفارقةِ العصيانِ، فما رَدَعَتْ هٰذه الأمةَ قوارعُ التنزيلِ عن ارتكابِ فِعْلِهِمِ الوبيلِ، ولٰكنَّهم حَذَوْا حَذْوَهُم في كلِّ دقيقٍ وجليلٍ، واتَّبعوا سُنَنَهُمْ في كلِّ فعلٍ وبيلٍ، كما يعلم ذٰلك من لَهُ أدنى مسْكةٍ من دينٍ وعقلٍ أصيلٍ، فهٰؤلاء العلماءُ قد صاروا في هٰذه / الأعصارِ شرَّ مَنْ تحتَ أديمِ السَّماءِ، من عندِهم ١٠٩ ب
خرجت الفتنةُ، وفيهم تعودُ، تركُوا الأمرَ بالمعروفِ والنَّهي عن المنكرِ، وداهنوا أهلَ الدنيا، وخالَطُوا الأمراءَ، وهوَّنوا عليهم ارتكابَ المعاصي؛ طمعاً فيما

عندَهُمْ مِنَ الحُطام ، وكثَّروا سوادَهُم في كلِّ مقام، ونَسُوا ما تواتَرَ عن نبيِّهم ﷺ ، أنَّـه قال: «مَنْ غَشىٰ أبوابَهُم، وصدَّقَهُم في كَذِبهم، وأعانهم على ظُلْمِهِمْ فليسَ منِّي ولستُ منهُ، ولا يَرِدُ على الحوضِ» وإنَّ في هٰذا الحديثِ إشارةً والعياذ بالله أنَّه يموتُ على غيرِ التوحيدِ، وأنَّه عليه السَّلامُ تبرَّأ منه وأخبرَ أنه لا يرِدُ عليه الحوضَ، وهٰذا شأنُ الكُفَّار كما نصَّ على ذٰلك بعضُ العلماءِ الأخيارِ. ولذٰلك هَرَبَ مَنْ هَرَبَ من السَّلَفِ الصالحِ، ولم يُقارِفُوا ما اقترفَهُ المتأخِّرُونَ من الفضائحِ والقبائحِ ، وأمَّا الملوكُ والأمراءُ وأعوانُهم الذين هم شَرُّ الورى، فقد استولى عليهم الطُّغيانُ، واستحوذ عليهم الشيطانُ حتَّى ارتكبوا جميعَ المحرَّماتِ، وعطَّلوا الحدودَ، وأماتوا الأحكامَ الشرعياتِ، وصاروا السَّببَ في كلِّ بليَّةٍ، وأمَّا عامَّةُ النَّاسِ ، فقد غَلَبَ عليهم الاسترسالُ في المعاصي، وكسبُ الأوزارِ وعدَمُ مراقبةِ الرَّبِّ الجبَّارِ، فصاروا يتعاملون بالرِّبا، ويعملون بالرِّبا، ويُسارعون إلى اتِّباعِ الهوى.

وعلى الجملةِ، فلمْ يبقَ مِنَ الإسلامِ إلَّا اسمُهُ، ولا مِنَ القُرآنِ إلَّا رسمُه، وإنَّ ذٰلك هو السببُ في تسليطِ أعداءِ الدِّين وقهقرةِ الإسلامِ والمسلمين، فالواجبُ على كُلِّ مَنْ ينتمي إلى الملَّةِ الإسلاميةِ أن يُقْلِعَ عن مقارفةِ المعاصي الوبيّةِ التي هي سببُ نزولِ البليّةِ الدنيويّة والأخروية، ويرجعَ إلى ربِّ البريةِ، ويتمسَّكَ بالسُّنَّةِ الأحمدية، ويلازمَ الشيمةَ والحميَّةَ بنصرةِ الدِّينِ وجهادِ الكفَرَةِ والمُلحِدين، ويرغبَ فيما أعدَّهُ اللهُ مِنَ الأجرِ للعاملِ في آخرِ الزَّمانِ، كما صحَّ عن الصَّادقِ سيِّدِ ولدِ عدنان، بأنَّ للعاملِ فيه أجرَ خمسين شهيداً. وفي هٰذا ترغيبٌ للعالمين وذكرى للمؤمنين.

واعلموا ـ وفّقنا اللهُ وإيّاكم ـ! أنَّ نبيّكم سيِّدَ الثقلين، قال: «إني تاركٌ فيكُم خليفتي: كتابَ اللهِ حبلًا ممدوداً ما بينَ السَّماءِ والأرضِ، وعِترتي أهلَ بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يرِدا على الحوضِ». أخرجَهُ أحمد والطبراني وأبو يعلى والحافظ عبدُالعزيز بنُ الأخضر، ورواه من الصحابةِ ما يزيدُ على عشرينَ نفساً، ورجالُه موثقون، وقد وقعَ ذلك في حجّةِ الوداعِ، فحصل من الرسولِ البلاغُ، ومِنْ أصحابِهِ السَّماعُ والاتباعُ، فكيف بنا يا إخوانُ إذا وقَفْنا غداً بينَ يدَيْ الرَّبِّ الدَّيّانِ، وقد نَكَصْنا عن اتِّباعِ خليفَتَيْ سيِّدِ المُرْسلين، ومالَتْ بنا الأهويةُ المرويةُ في سُبُلِ الشياطين، فما يكونُ الاعتذارُ يومَ يقومُ الناسُ لربِّ العالمين، شعراً:

[الطويـــل]

علامَ يُلامُ الــدَّمْــعُ إنْ صارَ سائـلا ... وفـيمـا يُلامُ القَلْبُ إنْ ضَلَّ ذاهــلا
وقــدْ أصبــحَ الإسـلامُ في كلِّ بَلْدَةٍ ... غريبـاً وحيداً موحشَ الـرَّبـعِ خاملا
تَنــاوَشَــهُ الأعــداءُ مِنْ كُلِّ جانِـبٍ ... فَهُمْ دائمــاً يَبْغُــونَ منــه الغَــوايلا
أرادوا ـ معــاذَ اللهِ ـ هَدْمَ بنــائِـهِ ... وأنْ يُقْفِـروا منــه الــرُّبـا والمنـازلا
ولــم يَبْــقَ منْ أعــوانِــهِ غيرُ فِرْقَــةٍ ... غثــاً غثــا الــقــطرانِ باتَ سائِــلاً
فمــا رَفَـعــوا رأســاً لنصــرةِ دينهِمْ ... ولا قوّمــوا منــهُ الــذي صارَ مائــلاً
ومــا هَمُّـهُــمْ إلّا الحــطامُ وجَمْعُــهُ ... يَرَوْنَ البخيلَ الخِبَّ شهمــاً وفـاضِلا
فيا ويحَ أهــلِ العِلْمِ كيفَ تغـافلوا ... وصــارُوا يُريدونَ الــدُّنــيَّة عاجِــلا
رَضُــوا بهــوانٍ لا يزولُ وذِلَّــةٍ ... فأصبــحَ جُنْـدُ الـدِّينِ والعلمِ عاطلا
لقَــدْ داهَنُوا أهلَ المعاصي ورَخَّصُوا ... لَهُمْ جُرُعــاتٍ جلَّ فيهم تســاهُــلا
فمَــنْ شاءَ منهم قَدْ أحــلَّ محــرَّمــاً ... أقــامــوا على ما قدْ أقــامَ الــدلائــلا

فهٰذا هو الـداءُ العُضـال الـذي غدا ... به غُصنُ دين اللهِ في الناسِ ذابِلا
فَقُـلْ لبني الإسـلام في كلِّ منهـلٍ ... أفيقُـوا، فإنَّ الخـطبَ قدْ صارَ حائلاً
أقِلُّوا أقِلُّوا واذكُـروا المـوقفَ الـذي ... تُلاقـونَـهُ يومَ الـقـيامَـةِ آجِـلا
لَعَـمْـري لقَـدْ أيْقَـظْتَ كلَّ موفَّـقٍ ... ونبَّهْتَ في ذا القـولِ من كانَ غافِـلا
مِن العَـرَبِ العَـرْبـاءِ والسَّـادَةِ الألى ... بنُصْـرَتِهِمْ قدْ أصْبَحَ الـدينُ كامـلاً
ومِـنْ زُمَـرِ الآرامِ قومـاً أعِـزَّةً ... هُمُ النَّـاسُ كلُّ النـاسِ حرمـاً ونائلا
جحـاجحـةٌ من آلِ عثمـانَ مجدُهُم ... على هامَـةِ الجَـوْزاءِ قد صارَ طائِـلا
فمـا زالَ مِنْهُمْ ماجِـدٌ بعـدَ ماجِـدٍ ... يكـونُ لدِينِ اللهِ كَهْـفـاً وكـافِـلا
١١٠أ / ولكـنَّـهُـمْ قدْ داهَـنُـوا كلَّ كافـرٍ ... فصـاروا حمىً للمُلْحِـدينَ وسـاحِـلا

فأجْمِعـوا أمـرَكُم أيُّهـا المسلمـون، ولا يَهولَنَّكُم الشانُ، ولا يخوِّفَنَّكُم الشيطانُ، فإنَّ أعداءَ اللهِ الكَفَرَةِ ـ وإنْ أظهروا القُوَّةَ المعتبرة بالآلاتِ والخيلِ المجلوبةِ ـ لا تفـارِقُهُمُ الـذِّلَّـةُ المضـروبـةُ ولا تزالُ عليهم شآبيبُ الغضبِ المصبوبةِ وفي هٰذه المدة كانت:

وقعةُ حَمِلْ(1) في الجهةِ الآنسيَّة:

وصفةُ ذٰلك: أنَّ المقدادَ وأصحابَهُ وصلوا إلى العرّ وبني نشوان والدُّرْوَع، ووقع الحربُ فيما بينهم وبينَ العَجَمِ في الدُّرْوَع(2) والعر وبيت نشوان، وانهزم العَجَمُ إلى قلعَةِ الجمعةِ، وتفـرَّق المجـاهدونَ في تلكَ الجهاتِ، وكان

---

(1) حَمِلْ: قرية من عُزلة دَايَان، ناحية بني مطر، انظر «الأمير علي الوزير» ٦١١.
(2) الدُّرْوَع: حصن من مخلاف بني قُشَيْب في مخلاف آنس، انظر «معجم المقحفي» ٢٣٤.

مقدارُهُمْ ستَّمئةٍ، وبقيَ بعضُهم في قريةِ حمل، ولمَّا عَلِمَ العجَمُ بما وقعَ، وقعت الغـارةُ من ضَوْرَانَ وُعُتُمةَ - ورئيسهم زكري - حتى بلغ مقدارُهم قدرَ ألفين، وتقدموا إلى قريةِ حَمِل، فوقع فيها حربٌ شديدٌ، واختلط العسكران، ووقعت الغارةُ من الشيخ محسن والشيخ عزيز، واستمرَّ الحربُ من الصُّبْحِ إلى الليلِ، ووقعت كسيرةٌ فاضحـةٌ في العجم، عندَ وصولِ الغارةِ، وقُتِلَ منهم قدرُ[1] خمسين، ومن الضُّبَّـاط قدرُ سبعـةَ عشـرَ ضابـطاً، وقُتِـلَ من المجـاهـدين قدرُ ثمـانيةِ أنفـارٍ، ورجـع المجاهدون إلى العر وبني نشوان والدُّرْوَع وقرن عرّة، وبقوا هنالِكَ قدرَ عشرةِ أيامٍ والحربُ مستمرةٌ بالمدافعِ، حتّى خربتْ تلك القـرى، وانتقلَ المجاهدونَ إلى هجرةِ القارة، ولحقتهُمُ العجمُ إلى هنالِكَ، ووقعتْ مناوشةُ حربٍ، ورميٌ بالمدافعِ، وأرجفوا على المجـاهـدين، وخرجوا منها، وطلَعَ العجَمُ إلى القارة وأحرقوها بالنَّارِ. وفي خلال ذٰلك، خرج الشيخُ الحسامُ إلى حلّة هداد ومغاربة ضَوْران؛ للتنفيس على أهلِ البلادِ والمجاهدين، فأخذَ المحلَّ المذكورَ بما فيه من المواشي وغيرِها، ولحقهُمُ العجمُ، فانتقل إلى قرية نويد من مخلاف بن حاتم، ثمَّ طلعُـوا إلى خِدَار، وأخـذوا شيخَها القمليَّ، ووقعَ قتلٌ يسيرٌ من الجهتين، ووصلوا بالشيخِ المذكورِ إلى الحضرةِ، ورجع المجاهدون إلى المنار، وهم قدرُ ستِّمئةٍ، فأخذوا ذي حود(1)، وكان طريقهُم غربيَّ مخلافِ ضَوْران من

---

(1) ذي الحود: عُزلة من ناحية ذي سُفَال، وذي الجود، قرية في آنس، نُسِبَ إليها بنو الحُوديِ، وهي المقصودة هنا، انظر «معجم المقحفي» ١٩٩.

---

[1] الإضافة من م.

الجاهلي[1]، وحصلَ بينهم وبينَ مشايخ بني غيلان مناوشةُ حربٍ، قُتِلَ فيه اثنان من أهلِ البلادِ، وواحدٌ من المجاهدين، ثم أخذوا ذي حود إخذةً رابيةً، ولم يُفرِّقوا بين عدوٍّ ومُوالٍ بسببِ الشيخِ إسماعيلَ بن عبدِالله الشبيبي، فأخذوه أسيراً، وأخذوا جميعَ ما مَعَهُ ومَنْ صحبتَه من الرتبةِ لديه، ووصلُوا بهم إلى حضرةِ الإمام، ثمَّ تبِعَهُم العجمُ إلى ذي حود، فأخربوا ما قدْ عُمِّرَ منها بعدَ خرابِها الأوَّل، وصارَ أهلُها شَذَرَ مذَر، ثمَّ رَجَعَ بعضُ المجاهدين لإرادةِ أخذِ شرارةَ، وكان رأيُهم غيرَ سديدٍ، فإنَّ أهلَ شرارةَ بلغهم مآربُ المجاهدين، فاستعدُّوا لهمْ قبلَ الوصولِ، واجتمَعَ عليهم العَجَمُ وأهلُ البلادِ، فوقَعَ في المجاهدين قتلٌ، قدرَ ستةَ عشرَ رجلاً، وفرَّ الباقون، وأُدخلت رُوسُ القتلى إلى صنعاءَ، وحصَلَ الوهنُ العظيمُ في جانبِ المجاهدين، وبعدَ وقوعِ ما ذُكِرَ، رجَعَ المجاهدون إلى الفرشِ، وكانتْ طريقُهم قريةَ نويد، ثمَّ بعدَ عشرةِ أيامٍ، غزا العجمُ قرية نُويد، وقتلوا أهلَها وأخذوا جميعَ ما فيها.

حادثة:

وفي شهرِ ربيع آخر من هٰذه السنة، سنة ٢١، كانت وقعةُ سوق بوعان[2] من بني مطر، وصفتُها: أنَّ العجمَ أحاطوا السوقَ بوعان من جميعِ الجهاتِ ومرامُهم طلبُ السِّلاحِ والأعيانِ، وفي السوقِ المذكورِ، في يوم السوقِ نحوُ

(1) الجاهلي: قرية من ناحية بني مطر، والجاهلي بلدة في مَقْبَنة غربي تعز، والجاهلي: حصن في حجة.

(2) بوعان: في ناحية البستان، غرباً من صنعاء على مسافة ٤٠كم، انظر «أئمة اليمن» ٢/٣٣٦، ٣٩١.

أربعـةِ آلافِ نفسٍ من هَمْدانَ وحاشد وعيال سُريح وبلاد البستان وصنعاء والجَميمـةِ وحـراز، أخذوا ـ أعني العجمَ ـ ستَّ بنادقَ على ناسٍ من بيت ١١٠ ب
خصرف وربطوا رجلاً يُقالُ له العثربيُّ، وحاولوا أخذَ بندقِ ابن ياسين، فحصلَ منه بعضُ التمنُّع، وقَرِحَ الحربُ، ووقعتْ قتلةٌ عظيمةٌ، فرموا ـ أعني العجمَ ـ من القشلةِ بنحوِ ثلاثِ مئةِ بندقٍ، فقتلوا من العرب فوقَ المئةِ، منهم ثلاثونَ نفراً من الجَميمةِ، وأربعةُ أنفارٍ من بني صُرَيم حاشد، وسبعةٌ من البروية، وعشرةٌ من الحدبِ، وخمسةٌ من هَمْدَان وأرحب، وأربعةٌ من صنعاء، وخمسةُ يهودٍ، وثلاثُ نساءٍ، والبقيةُ من أخلاطِ النّاسِ ، ونَهَبَتِ العجمُ السوقَ، وفيه بقدرِ مئتي ألفِ ريالٍ، ولم ينجُ من السوقِ إلاَّ من هربَ بنفسِهِ، وأما القُتُولُ منَ العجَمِ فالمكثرُ يقولُ ثمانين، والمُقِلُّ إلى الثَّلاثينَ والعشرين، ثم غارتِ العجمُ من صنعاءَ، وتجمَّعتْ بنو مطرٍ قاصدين للجهادِ، إلاَّ أنَّ شيخَهُم أحمد الرمَّاحَ قد أخلَدَ إلى الأرضِ، وحادَ عن سلوكِ طريقِ الفلاحِ ، فلمَّا رأى تجمُّعَ العَجَمِ وتجمُّعَ أصحابِهِ، نقلَ أداتَهُ وأولادَه إلى صنعاءَ، فحينئذ أيقنَتِ العجَمُ أنَّه من المحبِّين لهم ووقَعَ السَّعْيُ بالصُّلْحِ ، ولم يَنْتَطِحْ فيها عَنْزانِ، بعدَ أن كان ما كان، فنعوذُ باللهِ من الخذلان.

وفي شهر ربيع الآخر كانت وقعةُ مَدِيْخَة ، وصفتها: أنَّه لمَّا كانَ صبحُ الربوعِ ٢٦ شهر ربيع آخر، سنة ٢١ ، ثارت القبائلُ على العجمِ الذين في مَدِيْخَة ، وكان رئيسُ القبائلِ حسين أبرط، وعلي غالب الصباحي، وصحبتهم جيشٌ عظيمٌ من أصحابِهِمْ، فصبَّحوا العَجَمَ إلى العَرضي، ونَهَبُوا جميعَ ما في المحطَّة من بنادقَ ومونةٍ وغيرِ ذلك من الفراش والنّحاس والقراشِ . وظهرَ من البنادق ثلاثُ مئةِ بندقٍ، وقُتِلَ من أعداءِ اللهِ العجمِ مئةُ قتيلٍ أو أكثرَ كما

قيل، وأربعون جريحاً، وفرَّ من العجمِ بين الجيشِ نحوُ الأربعين، ولمْ يُقْتَلْ من القبائلِ غيرُ خمسةٍ، ثمَّ إنَّه بلغَ الصوتُ إلى بلادِ أفلحَ وأسلمَ، فأقبلوا مِنْ كُلِّ فجٍّ، وحاصروا العَجَمَ الذين في مركزِ بني جل مدّة ثمانيةِ أيَّامٍ، (١)وما زالوا يكاتبون الإمامَ ـ حفظه الله ـ لطلبِ المَدَدِ، فبذلَ ذٰلك، وطلبَ الوثائقَ، فلاحَ له أنَّ العزمَ غيرُ صادقٍ، وأنَّ المقصودَ غنيمةُ البنادقِ؛ حيثُ لم يُذْعِنوا ببذلِ الوثائقِ، ثمَّ إنَّ العجمَ غارتْ من صنعاءَ لا يَلْوونَ على شيءٍ، فلمَّا وصَلوا هنالك أظهروا مسالمةَ القبائلِ، وأنَّه لا قلقَ ممَّا وقَعَ، وهٰذا دأْبُهُمْ في كلِّ معركةٍ إذا ظنُّوا أنها مهلكةٌ.

وفي شهرِ صفرَ أو ربيع، تجهَّزَ سيفُ الإسلامِ عمادُ الدين ـ حفظه الله ـ إلى مدينةِ حُبُور، لتدبيرِ أمورِ وازها(٢) بالأعداءِ العجمِ، فإنهم قبلَ وصولِه هنالكَ قد أفظعوا في ظلمِ رعيَّةِ بلادِ حجة ولاعةَ وما والاها، فلما وصلَ ـ حفظه الله ـ حُبور سكَنَتْ تلك الشرورُ، وظنُّوا أنه يقصِدُهُم في ذٰلك الجيشِ المنصورِ، ثمَّ مكثَ هنالكَ مدَّةَ خمسةِ أشهرٍ، فأقامَ الشريعةَ، وأزالَ كلَّ خلةٍ قبيحةٍ شنيعةٍ، واستخرجَ أموالاً من صوافي بيت المالِ، قد كان استولى عليها الجُهَّالُ، وحصلَ فيها التصرُّفُ والانتقالُ، وكادَتْ أن تنطَمِسَ تلك الأطلال.

ثمَّ لمَّا فرغ مولانا سيفُ الإسلامِ وعمادُه ـ حفظهُ الله ـ وتمَّ لَهُ من تلكَ الأمورِ مرادُه، وأصلحَ ما كانَ بينَ أهلِ تلك البلاد من الفتن، وحَسَمَ مادّة القتولِ، وبلغَ غايةَ المأمولِ، كَتَبَ إلى والده الإمام المنصورِ ـ حماه الله من

(١) من عبارة: «وما زالوا يكاتبو الإمام حتى بيت الشعر ليلا تجلى» سقطت من ع.

(٢) هٰكذا في الأصل ولعلها وإزهاءً.

الشرورِ- قصيدةً طنَّانةً يطلبُ الإذنَ بالرجوعِ إلى المقامِ ويصفُ شوقاً إلى الأهلِ والولدِ الكرام، وهي هٰذه:

[الخفيف]

مَنْ لِمَنْ شاقَهُ الحمى والمُصَلَّى ... وأُهَيْلُ الغريبِ حالاً وقَبْلا

كلُّ ما مرَّ ذِكْرُ أهلِ المغاني ... تلك روّى الأسماعَ والقلبَ جهلا

عَجَباً كيفَ خاطِرٌ يتمشّى ... بينَ أهلِ الكمالِ حِلْماً وعَقْلا

فيصيدُ القُلوبَ كُرهاً ويَسْبي ... كلَّ حلمٍ طَوْعاً وإنْ شاءَ خَتْلا

وعيونُ المها بأجْفانِ بَذْرٍ ... فوقَ كاسٍ بالنِّيرانِ مَحَلّا

كيفَ شكّتْ تلكَ القُلُوبُ بلا شكٍّ فأَهْلُ الآدابِ فيهن قَتْلى

وهي أوْهى الأشيا كَصَبْري مَهْما ... لجَّ في الهَجْرِ من أُحَبُّ وولّى

فَلِيَ اللهُ كَمْ أُخاطِرُ يَوْماً ... بفؤادٍ يَسيلُ بالشَّوْقِ سَيْلا

فأراني بها المِلاحَ مِنَ العَيـ ... ـنِ فألقى في أسرِهنَّ فأبلى

وأنا الكَيِّسُ الذكيُّ ولٰكنْ ... ضاعَ مني ألدُّها هُناكَ وولّى

والغرامُ الغرامُ! لا عذَّب اللهُ ... بِهِ مَنْ أُحبُّ يَسْلِبُ عقلا

كلُّ مَلْكٍ في أسرِها قدْ أذاقَتْـهُ ... مِنَ الصَّدِّ والمَراراتِ وكفلا

ويرُوحي من الغَواني مَنْ لو ... لم يَصُنْها الخِباءُ لَيْلًا تَجَلّى

ولو أنَّ الهصورَ يحيى رآها ... أوْ رأى عينَها دَنا فتدلّى

أو رآها الخسيسُ إبليسُ معَ ... آدَمَ لاستَحْسَنَ السُّجودَ وصلّى

قلتُ إذْ أقْبَلَتْ وزَهْرٌ تهادى ... كنعاجِ الملا تعسِفْنَ رمْلا

قدْ تَنَقَّبْنَ بالحريرِ لواءاً بَدَ ... يْنَ عُيوناً حورَ المدامعِ نَجْلا

ولو دقّ الحليُّ فيهنَّ سجعُ ... يتركُ القلبَ في الحراراتِ يَصْلىٰ

الأمانَ الأمانَ للقلب، فالقلـ ـبُ ضعيفٌ لم يَقْوَ للصدِّ حَمْلا
وتَعَالَيْنَ للّقاءِ ولا تَمْنَـ ـعَنَّ مني مَنْ للجَمالِ تولَّا
مَنْ له في القلوبِ مقعَدُ صِدْقٍ ولَهُ القَدْحُ في النّفوسِ المُعَلاَّ
جَمَعَ الحُسْنَ فيه وهو مشاعٌ بينَ كلِّ الأنامِ حالاً وقبلا
فلهذا قدْ صِرْتُ فيه عميداً مُستهاماً لا أعرفُ النَّوْمَ لَيْلاً
آهِ كَمْ لي جوارحٌ منهُ تُعْنىٰ يمتحنّي بتلكَ جِدّاً وهَزْلا
بعيونٍ دَعْجٍ تُذيبُ المواضي ومُحَيًّا كالبَدْرِ بلْ هو أجلا
وجبينٍ مثلِ الهلالِ وثغرٍ جوهريٍّ به دمُ الصَّبِّ طَلَّا
ورُضابٍ يا ما أُحَيْلاهُ عندَ المصِّ أحلى من العقار وأحلا
ويصِدْغيهِ، والسُّوالفُ واوا تٌ وإنْ أرسلَ الغَدايرَ ظِلّا
لي منه بموكبِ الشَّوْقِ أفراسٌ فخيلُ الغرامِ تَطْرُدُ خيلا
وتراهُ يقولُ مالَكَ لا تَسْـ ـلُو وتَلْهو فقلْت في الرَّدِّ فَصْلا
كَيْفَ أسلو وأنتَ حقٌّ وغصنٌ وغزالٌ قدّاً وجيداً وكفلا
كيفَ يَسْلو مَنْ بالغرامِ تردَّى كيفَ يسلو مَنْ للصَّبابةِ عَلّا
لستُ أنسىٰ إذْ زُرْتُه وهو كا لشَّمْسِ سنّاً ثمَّ قالَ أهلاً وسهلا
فاعتنقنا حتى إذا ما بدا الصُّبْحُ بسيفٍ يَقُدُّ ليلاً ووَصْلا
بادرَ الدمعُ من عيوني كخَيْلٍ في سباقٍ وأصبحَ القلبُ يغلا
فافترقنا بعدَ الوداعِ ، ولٰكنْ صارَ ذاكَ الوداعُ للسُّقْمِ أصْلا
فترامى بنا الزَّمانُ فأَضْحىٰ ببلادٍ فرداً يَحِنُّ كثَكلىٰ
وتوحَّلْتُ في البقاءِ بأرضٍ حيثُ فيها صحائفُ الشوقِ تُتْلا
فقرأْتُ الغرامَ حتى تفرَّدْ تُ وحقَّقْتُ فيه وَصْلاً وفَصْلا

فأنا اليومَ أوْحَدُ النَّاسِ عِلماً　　　بغرامٍ وأبعدُ الناسِ شَمْلا

لستُ أسلو عن الصَّبابةِ إلاّ　　　بمديحي لأكرمِ النَّاسِ فِعْلا

مَنْ تَرَدَّى بالمكرماتِ وأردى　　　كلَّ قرنٍ أساءَ فِعْلاً وقولا

وهو باكورةُ الزَّمانِ سخاءً　　　وهو ناظُورةُ الأئمةِ نُبْلا

ولهُ في العلومِ أوفرُ حظٍّ　　　كَمْ لِمَعنىً يدِقّ يفتح قِفْلا

وهو في العلمِ حيدريٌّ وفي الحِلْـ　　　ـمِ إذا ما صلّى الأُحَيْنِفُ جَلاّ

وهو بدرُ الفخارِ فالعالِمُ النِّحْـ　　　ـريرُ ذو الفهمِ إنْ رآه استهلاّ

سيِّدُ النَّاسِ أسلمُ النَّاسِ خيرُ النْـ　　　ـاسِ للناسِ أحسنُ الناسِ قَوْلا

ماجدٌ زاهدٌ كريمٌ همامٌ　　　عالِمٌ عاملٌ إذا صالَ جَلاّ

لم يَزِنْهُ الأنامُ عَزْماً وحَزْماً　　　وارتفاعاً ومَجْداً وقَدْراً أجلاّ

فهو التَّاجُ للأئمَّةِ جَمْعاً　　　وَهْوَ في العِلْمِ قدْ غدا مُستَقِلاّ

الإمامُ الذي لهُ اللهُ قَدْ أعْـ　　　ـطاهُ فَضْلاً في العالمينَ وطَوْلا

لستُ أُحصي صفاتِكَ الغُرَّ لو أنّـ　　　ـيَ أُعطيتُ ألسُنَ النَّاسِ كُلاّ

فسواء عندي المكثرُ والمُقِـ　　　ـلُّ في المدحِ ذا وذاك أقَلاّ

فليكنِ اليَراعُ مذْ ودَّهُ في الـ　　　ـمَدْحِ وليَبْدِ ما بقلبي استقلاّ

طالَ مثوايَ في حُبورٍ إلى أنْ　　　ملَّني مجلسي وصَبْري تولّى

لستُ في حَلْبَةِ الجهادِ فأرْضى　　　بأمَرٍّ الأشياءِ حَوْلاً فحوْلا

وكذا لمْ يكن جليسي أسفا　　　راً من العلم تلهني أن أملاّ

صار مُكْثي فيه لمحضِ سُؤالٍ　　　كَمْ وفودٍ تأتي لتَبْلُغَ سُؤْلا

يا أبا المجدِ والمكارمِ والسُّؤْ　　　دَدِ والعِلْمِ زادَكَ اللهُ فَضْلا

يا إمامَ الأنامِ يا واحدَ الأيّـ　　　ـامِ لا زِلْتَ في العُلا مُستظِلاّ

اعــفِــنـي من حُبــورٍ دامَ لكَ الـعِـ ـــزُّ وعــافــاكَ ربُّــنــا وتَــولاَّ
فلقــدْ ضاقَ بالــبــقــاءِ مُقــامــي وسَئِــمْــتُ الـبـقــاءَ والـفِـكْــرَ كُلاَّ
قَدْ فَرَغْــنــا وصــارَ كلُّ شجــارٍ في الـدمـا والأمـوالِ بالفصـلِ أجلا
وإذا كُنــتُــمْ ترَوْنَ صلاحــاً بالــبــقــاء فيه فالــتــردُّدُ أولا
أَوَ يَبْــقــى فيه الــخــليلُ حسينٌ نجــلُ إســمــاعيلَ الـرفيعُ محــلاَّ
فاســمــحــوا بالـجـوابِ والإذن فيه واحكمــوا في المملوكِ عقـداً وحـلاَّ
وصــلاةٌ من الــمــليكِ تعــالــى وســلامٌ ما دامـت الـصُّـحْـفُ تُتْـلا
يبــلغــانِ الـنـبـيَّ خيرَ الـمـعــالـي وكــذا الآلَ أطـهــرَ الـنــاسِ فِعــلا

[1]تمت والحمــد لله رب العــالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، نقلت من نسخة الأم التي بخط المؤلف، ٨ ذي القعدة، سنة ١٣٤٥[1].

(١ ١) هٰذا ما ورد في آخر نسخة ع.

المصادر والمراجع

وثائق غير منشورة بالعربية

١- وثائق ارشيف رئاسة الوزراء (استانبول) :

BDA, MM, no. 5306

BDA, ID, no 62152

BDA, ID, no, 45397

BDA, ID, no, 18

BDA, ID, no. 96875

BDA, ID, no. 84941

BDA, ID, no. 97549

BDA, ID, no, 100248

BDA, ID, no. 97344

BDA, MM, no. 4753

BDA, ID, no. 88892

no. 81912

BDAY, KSN, 22, KSN, 34, ZN, 153, KN, 65

٢- وثائق يمنية منشورة

- رسالة من الإمام محمد المنصور إلى عبدالله بن يحيى الوادعي، تاريخها ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٣١٢هـ.
- رسالة أخرى لنفس الشخص المشار إليه سابقاً. تاريخها ٢٥ ربيع الأول سنة ١٣١٤هـ.

– رسالة من الإمام محمد المنصور إلى آل الرُبيدي في صنعاء تاريخها صفر سنة ١٣١٨هـ.

– رسالة من الإمام محمد المنصور إلى عبدالرقيب، تاريخها ١٩ رجب ١٣١٨هـ.

٣- المخطوطات

– الجنداري، أحمد بن عبدالله،

الجامع الوجيز بوفيات الأعلام ذوي التبريز، مكتبة الجامع الكبير بصنعاء رقم ٣٧ تاريخ.

– الحيمي الكوكباني، أحمد بن محمد،

طيب السمر في أوقات السحر، المكتبة البريطانية BL رقم الملحق ٦٧٥.

قاطن، أحمد بن محمد بن عبدالهادي

تحفة الإخوان بسند ولد عدنان، خزانة الإمام يحيى، بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء رقم ١٩ مصطلح.

المطيب الحنفي، محمد بن يحيى المطيب،

بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام، المكتبة الأهلية بباريس رقم ١٦٥١عربي.

٤- المصادر

– ادريس بن علي بن عبدالله الحمزي،

كنز الأخيار في معرفة السير والأخبار، قطعة منه، دراسة وتحقيق، عبدالمحسن محمد المدعج، الكويت، ١٩٩٤م.

– البغدادي، عبدالمؤمن بن عبدالحق،

مراصد الأطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق، علي محمد البجاوي، مصر ١٩٥٤ مجلدان.

- البيطار، عبدالرزاق،

حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تحقيق، محمد بهجة البيطار، دمشق١٩٦٣م، ٣ مجلدات.

- ابن البيطار، عبدالله بن أحمد ، ضياء الدين،

الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، بغداد، د.ت، مجلدان.

- البلاذري والمقريزي والذهبي،

النقود العربية وعلم النَميّات، نشرها إنستاس الكرملي، بيروت، ١٩٢٩م.

- البيهقي، أحمد بن الحسين، أبوبكر،

مناقب الشافعي، تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة، ١٩٧١، جزءان.

الترمذي، محمد بن علي، الحكيم،

الأمثال من الكتاب والسنة، تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة، ١٩٧٥م.

- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة،

الجامع الصحيح، سنن الترمذي، تحقيق علي الجرجاني، القاهرة، ١٩٢٧، ٦ أجزاء.

- الجرافي، عبدالله بن عبدالكريم،

المقتطف من تاريخ اليمن، القاهرة، ١٩٥١م.

- الجندي، محمد بن يوسف، بهاء الدين،

السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق محمد بن علي الأكوع، صنعاء ١٩٨٣م.

– ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي، أبوالفرج،
تاريخ عمر بن الخطاب، بيروت، ١٩٨٢م.
– الحجري، محمد أحمد،
مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق إسماعيل بن علي الأكوع، صنعاء ١٩٨٤م، جزءان.
– الحرازي، محسن بن أحمد،
رياض الرياحين، تحقيق ودراسة، حسين بن عبدالله العمري، ط دمشق وصنعاء، ١٩٨٦م.
– الحموي، ياقوت بن عبدالله،
معجم البلدان، بيروت، ١٩٧٧م، ٥ مجلدات.
– ابن حنبل، أحمد بن حنبل، الإمام،
المسند، تحقيق، أحمد محمد شاكر، القاهرة، ١٩٤٨م، ٢٢ مجلداً.
– الخزرجي، علي بن الحسن،
العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تحقيق الأكوع، صنعاء ١٩٨٣م جزءان.
– الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، أبوبكر،
تاريخ بغداد، أو (مدينة السلام)، القاهرة ١٩٣١، ١٤ مجلداً.
– دحلان، السيد أحمد بن زيني،
خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، ط مصر، ١٣٠٥.
– دِعثم، أبوفراس،
السيرة المنصورية (سيرة الأمام، عبدالله بن حمزة)، تحقيق، عبدالغني محمود عبدالعاطي، بيروت، ١٩٩٣، مجلدان.

- ابن الديبع، عبدالرحمن بن علي،

الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زَبيد، تحقيق، محمد عيسى صالحية، الكويت، ١٩٨٤م.

قُرة العيون بأخبار اليمن الميمون، تحقيق، محمد بن علي الأكوع، القاهرة ١٩٧٧م، جزءان.

- الذهبي، محمد بن أحمد، شمس الدين،

سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، بيروت، ١٩٨٨م، ٢٥ مجلداً.

- الرازي، أحمد بن عبدالله،

تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق حسين العمري وعبدالجبار زكار، صنعاء، ١٩٧٤م.

- الريحاني، أمين،

ملوك العرب، بيروت، ١٩٦٢م، جزءان.

- زبارة، محمد بن محمد،

أئمة اليمن في القرن الرابع عشر،، القاهرة، ١٣٧٦هـ - ١٣٧٩هـ، ٣ أجزاء.

شرح ذيل أجود المسلسلات، صنعاء، ١٣٦٣هـ.

لامية نبلاء اليمن الذين ماتوا بالقرن الرابع عشر، القاهرة، د.ت.

نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر، صنعاء، د.ت.

نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف، القاهرة، ١٣٧٧، جزءان.

نيل الوطر في تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر، القاهرة، ١٣٤٨، جزءان

- الزمخشري، محمود بن عمر، جارالله،
المستقصى في أمثال العرب - بيروت - ط الثانية، ١٩٧٧م، جزءان.
- السخاوي، محمد بن عبدالرحمن،
الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، القاهرة، ١٩٣٨م، ١٢ مجلداً.
- السمؤال بن عاديا،
ديوان السمؤال، صنعة، أبي عبدالله نفطويه، شرح وتحقيق، عيسى سابا، بيروت، ١٩٥١م.
- الشرجي الزَبيدي، أحمد بن أحمد،
طبقات الخواص، أهل الصدق والإخلاص، القاهرة، ١٩٠٣م.
- الشوكاني، محمد بن علي،
البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تحقيق، محمد بن محمد زبارة، القاهرة، ١٣٤٨هـ، مجلدان.
- العبدلي، أحمد فضل بن علي محسن،
هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن، بيروت، ١٩٨٠م.
- الكبِسي، محمد بن اسماعيل،
اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، القاهرة، ١٩٨٤م.
- ابن المجاور، يوسف بن يعقوب، جمال الدين،
صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز (تاريخ المستبصر)، تحقيق، أوسكر لوفغرين، ليدن، ١٩٥١، جزءان.
- المقحفي، ابراهيم أحمد،
معجم البلدان والقبائل اليمنية، صنعاء، ١٩٨٨م.
- المرتضى، أحمد بن يحيى، الإمام المهدي،
عيون الأزهار في فقه الأئمة الأطهار، بيروت، ١٩٧٥م.

- مسلم بن الحجاج القشيري،
صحيح مسلم، الاستانة، ١٩١١م، ٨ مجلدات.
- ابن مسفر، عبدالله بن علي،
السراج المنير في سيرة أمراء عسير، بيروت، ١٩٧٨م.
- المؤيد بالله، محمد بن إسماعيل،
مذكرات، تحقيق، عبدالله الحبشي، بيروت، ١٩٩١م.
- ابن منظور، محمد بن المكرم، أبوالفضل،
لسان العرب، بيروت، ١٩٥٥م، ١٥ مجلداً.
- النُّعْمي، أحمد بن أحمد،
حوليات النعمي التهامية، تحقيق ودراسة، حسين بن عبدالله العمري، دمشق، صنعاء، ١٩٨٧م.
- أبو نُعيم الأصبهاني، أحمد بن عبدالله،
حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء، القاهرة، ١٩٦٧م، ١٠مجلدات.
- النويري، أحمد بن عبدالوهاب،
نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة، ١٩٥٥م الجزء الحادي عشر.
- الهمداني، الحسن بن أحمد،
الأول: الاكليل، تحقيق محمد بن علي الأكوع، القاهرة، ١٩٦٣،
الثاني: بغداد، ١٩٧٧.
الثامن: تحقيق، نبيه أمين فارس، لندن، ١٩٤٠م.
صفة جزيرة العرب، تحقيق، محمد بن علي الأكوع، الرياض، ١٩٧٤م.

- الواسعي، عبدالواسع بن يحيى،
تاريخ اليمن، فرجة الهموم والحزن، القاهرة، ١٣٤٦هـ.
- الوزير، عبدالله بن علي،
طبق الحلوى وصحاف المَنّ والسلوى، تحقيق محمد عبدالرحيم جازم، صنعاء ١٩٨٥م.
- الوشلي، اسماعيل،
نشر الثناء الحسن، تحقيق محمد الشعيبي، صنعاء، ١٩٨٢م.
- يحيى بن الحسين بن القاسم،
غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق سعيد عاشور، القاهرة، ١٩٦٧م، جزءان.
- اليمني، عُمارة بن علي،
المفيد في أخبار صنعاء وزَبيد، تحقيق، محمد بن علي الأكوع، القاهرة، ١٩٧٦م.

٥- المراجع والدراسات

- أباظة، فاروق عثمان،
الحكم العثماني في اليمن، بيروت، ١٩٧٩م.
- الأكوع، إسماعيل بن علي،
البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي، الكويت، ١٩٨٦ .
حياة عالم وأمير، صنعاء، ١٩٨٧م.
المدارس الإسلامية في اليمن، صنعاء، ١٩٨٠م.
اليمن الخضراء، القاهرة، ١٩٧١م.
- الثور، عبدالله أحمد،
هذه هي اليمن، القاهرة، ١٩٦٩م.

- حسن الباشا،

الفنـون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، القاهرة، ١٩٦٦م، ٣ أجزاء.

- الحبشي، عبدالله،

مصادر الفكر الإسلامي في اليمن، صنعاء، ١٩٨١م.

- الحُصْري، ساطع،

البلاد العربية والدولة العثمانية، بيروت، ١٩٦٥م.

- الدمياطي، محمود مصطفى،

معجم أسماء النباتات، القاهرة، ١٩٦٥م.

- الزركلي، ٠خير الدين،

الأعلام، قاموس وتراجم، بيروت، ١٩٧٩م، ٨ مجلدات.

- زلوم، عبدالقديم،

الأموال في الإسلام، بيروت، ١٩٨٣م.

- سالم، سيد مصطفى،

تكوين اليمن الحديث، القاهرة، ١٩٨٤م.

وثائق يمنية، القاهرة، ١٩٨٢م.

- السباعي، أحمد،

تاريخ مكة، مصر، ١٣٧٢هـ.

- السياغي، حسين،

صفحات مجهولة من تاريخ اليمن، صنعاء، ١٩٧٨م.

معالم الآثار اليمنية، صنعاء ١٩٨٠م.

– شرف الدين، أحمد حسين،

تاريخ اليمن الثقافي، القاهرة، ١٩٦٧م، ٥ مجلدات.

اليمن عبر التاريخ، القاهرة، ١٩٦٣م.

– الشماحي، عبدالله عبدالوهاب،

اليمن، الإنسان والحضارة، القاهرة، ١٩٧٢م.

– الشيبي، كامل،

ديوان الدوبيت في الشعر العربي في عشرة قرون – طرابلس – ١٩٧٤م.

– عبدالله بن الحسين، الملك،

الآثار الكاملة، بيروت، ١٩٧٣م.

– العظم، نزيه مؤيد،

رحلة في بلاد العربية السعيدة من مصر إلى صنعاء، مصر، ١٩٨٦م.

– العمري، حسين عبدالله،

مئة عام من تاريخ اليمن الحديث، دمشق، ١٩٨١م.

مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني، دمشق، ١٩٧٨م.

– لقمان، حمزة علي،

تاريخ القبائل اليمنية، صنعاء، ١٩٨٥م

– ناجي، سلطان،

التاريخ العسكري لليمن ١٨٣٩ – ١٩٦٧م، عدن، ١٩٧٦م.

– الهمداني، حسين بن فيض الله،

الصليحيون والحركة الفاطمية، صنعاء، ١٩٨٦م.

- هنس، فالتر،

المكاييــل والأوزان الإسلاميــة، ترجمـة كامـل العسلـي، عمـــان، ١٩٨٠م.

- الويسي، حسين،

اليمن الكبرى، القاهرة، ١٩٦٢م.

٦- المراجع الأجنبية:

- هارولدف، يعقوب،

ملوك شبه الجزيرة العربية، ترجمة أحمد المضواحي، صنعاء، بيروت، ١٩٨٨م.

٧- مراجع بالتركية:

Ihsan Süreyya Sirma

Osmanli Devletinin, Yemen, isyanlari

Istanbul, 1980 (بالتركية)

Red house, Yeni, Türkce - Ingilizce Sözlük,

Istanbul, 1981 (بالتركية)

٨- المراجع بالانجليزية والألمانية :

Brocklemann, c.

Geschichte der Arabischen Litteratur,

Bd. I, II, Leiden, 1943 - 1949

Und, Supp. I - III, Leiden, 1937 - 1942.

Tritton, A. S,

The Rise of the Imamms of Sana,

Oxford, 1925.

Wilson, A.,

The Persian Gulf (an Historical Sketch from the earliest times to the begining of twentieth Century, London, 1945.

الملاحق

الملحق الأول: أ - شهداء من اليمن ذكرت أسماؤهم.

ب ـ شهداء في وقائع لم تذكر أسماؤهم.

الملحق الثاني: أ ـ الوثائق اليمينة المحفوظة في أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول (الأصل العثماني والترجمة العربية)[1].

ب ـ الوثائق اليمنية المحفوظة عند الأهالي في اليمن.

الملحق الثالث: صور الوثائق العثمانية التي ترجمت، وأدخلت في الدراسة. (محفوظة في أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول).

شهداء اليمن في عهد الإمام المنصور بالله
محمد بن يحيى حميد الدين

اسم الشهيد	تاريخ استشهاده	المعركة التي استشهد فيها
الشيخ أحمد بن يحيى دهره	١٣٠٩هـ	وقعة الجِراف
يحيى بن حاتم سلمان الهمداني	١٣٠٩هـ	وقعة الجِراف
الشيخ صالح بن حسين الكليبي	٤ صفر ١٣٠٩هـ	وقعة قاع صنعاء
المقدمي أحمد بن محمد الشرعي	ربيع أول ١٣٠٩هـ	وقعة حصار صنعاء
سعيد بن غالب الدعيس	ربيع أول ١٣٠٩هـ	حصار إب
محمد بن غالب الدعيس	ربيع أول ١٣٠٩هـ	حصار إب
الشيخ علي من مشايخ البلاد	٩ ربيع الأول ١٣٠٩هـ	حصار صنعاء
ناصر بن صالح دُغيش	٩ ربيع الأول ١٣٠٩هـ	حصار صنعاء
السيد محمد بن موسى	٩ ربيع الأول ١٣٠٩هـ	حصار صنعاء
النقيب محمد بن حسين العِذَري	١٢ جمادي الأول ١٣٠٩هـ	وقعة حصن ظفار
مسعود بن أحمد بن محسن من بيت مسعود	٢٩ ربيع الآخر ١٣٠٩هـ	وقعة الرغيل ـ قرب الطَويلة
السيد عبدالرحمن بن عباس	٢٩ ربيع الآخر ١٣٠٩هـ	وقعة الرغيل ـ قرب الطَويلة
الحاج علي بن أحمد القوسي	٢٥ شعبان ١٣٠٩هـ	وقعة كحُلان من بلاد خُبان
ناصر بن سعيد الحميدي	محرم ١٣١٣هـ	وقعة راعد

علي بن علي طاهر السحامي	محرم ١٣١٣هـ	وقعة راعد
راجح بن داحش الهجام من عُقَّال أرحب	محرم ١٣١٣هـ	وقعة راعد
الشيخ محمد بن عائض الحسيني	رجب ١٣١٤هـ	وقعة حَيْد شعران، بلاد ساك
محمد خليل الحسيني	رجب ١٣١٤	وقعة حَيْد شعران، بلاد ساك
علي بن أحمد مفضل	٨ رجب ١٣١٤	وقعة العِرقة بلاد سكاك
الشيخ يحيى بن ناصر الريحي	٥ رمضان ١٣١٤	وقعة بني جل
جابر بن علي جحدم	٢١ شهر ذي القعدة ١٣١٥ هـ	وقعة بيت الأَعَضُب
ابن الحلحلي	٢١ شهر ذي القعدة ١٣١٥	وقعة بيت الأَعَضُب
العلامة اسماعيل بن حسن	٢١ شهر ذي القعدة ١٣١٥	وقعة بيت الأَعَضُب
عبدالله بن ناجي الحسيني	٢١ شهر ذي القعدة ١٣١٥	وقعة بيت الأَعَضُب
الشيخ حسين بن صالح بن جراد	٢١ ذي القعدة ١٣١٥	وقعة بيت الأَعَضُب
الشيخ مقبل بن علي الأجدع	٢١ ذي القعدة ١٣١٥	وقعة بيت الأَعَضُب
الشيخ غالب صليح	١٧ رمضان ١٣١٨	وقعة الخربة
النقيب محمد بن عبدالله جزيلان	٧ شهر الحجة ١٣١٧ هـ	وقعة السود
حفيد الشيخ محمد بن علي جعفر	١٩ شهر الحجة ١٣١٧ هـ	وقعة حصن السماع وبيت أحلال
محمد بن علي جغمان	١٩ شهر الحجة ١٣١٧هـ	وقعة حصن السماع وبيت أحلال
عبدالرحمن حشيش	١٩ شهر الحجة ١٣١٧هـ	وقعة حصن السماع وبيت أحلال
سعد الجِرافي	١٩ شهر الحجة ١٣١٧هـ	وقعة حصن السماع وبيت أحلال
علي بن محمد جياش	١٩ شهر الحجة ١٣١٧هـ	وقعة حصن السماع وبيت أحلال
سنان بن حسين سنان	٢٦ رمضان ١٣١٨ هـ	وقعة المِقْرانة

أحمد زاهر الأرحبي	٢٦ رمضان ١٣١٨هـ	وقعة المِقْرانة
الشيخ صلاح مذكور	٢٦ رمضان ١٣١٨هـ	وقعة المِقْرانة
الشريف دحان	٢٦ رمضان ١٣١٨هـ	وقعة المِقْرانة
علي بن يحيى راجح	٣ شهر القعدة ١٣١٨ هـ	وقعة عَزْجر
أحمد صالح الهندي	٣ شهر القعدة ١٣١٨هـ	وقعة عَزْجر
علي بن علي الطاهري	٣ شهر القعدة ١٣١٨هـ	وقعة عَزْجر
فرحان بن صالح الهندي	١٣١٨	وقعة حصن الشرف
أحمد راشد سراج	١٣١٨	وقعة بيت شقدم
داحش الخياري	١٣١٨	وقعة بيت شقدم
علي بن أحمد فرح	١٣١٨	وقعة بيت شقدم
محسن الهمداني	١٣١٨	وقعة بيت شقدم
يحيى بن صالح جوين	١٣١٨ هـ	وقعة المحيام
ابن يحيى بن صالح جوين	١٣١٨هـ	وقعة المحيام
عبدالله بن علي بن رسام	١٣١٨هـ	وقعة المحيام
الشيخ محمد بن جوين	١٣١٨ هـ	وقعة حصن دهمان
الحاج صالح الحميدي من رجال بني ضبيان	١٣١٨	وقعة بني سويد
محمد بن علي الشليف	١٣١٨ هـ	وقعة مطَار
النقيب عائض سراج	جمادى الأولى ١٣١٩	وقعة المضياع
النقيب علي بن محمد ابو راس	جمادى الأولى ١٣١٩	وقعة المضياع
الفقيه عبدالله بن علي الشامي	جمادى الأولى ١٣١٩	وقعة المضياع

صالح بن سعد الوادعي	٧ رجب ١٣١٩	وقعة دعان من بلاد السود
صالح بن حسين العماري	٧ رجب ١٣١٩	وقعة دعان من بلاد السود
دايل بن أحمد البّوني	٧ رجب ١٣١٩	وقعة دعان من بلاد السود
ناجي بن علي العشة	٧ رجب ١٣١٩	وقعة دعان من بلاد السود
ناصر مصلح اللويحي	٧ رجب ١٣١٩	وقعة دعان من بلاد السود
النقيب محسن بن منصر المراني	٧ رجب ١٣١٩	وقعة دعان من بلاد السود
القاضي أحمد بن علي السلا مي	١٣ شهر ذي القعدة ١٣١٩	وقعة الضبرة

شهداء لم تذكر اسماؤهم

شوال ١٣٠٨	وقعة نجرة (حجة)	١٥ رجلاً
٢٢ شوال ١٣٠٨	وقعة عارضة، جبل الشاهل	١٣
١٣٠٩ هـ	العجز	١٢
١٣٠٩ هـ	الجِراف	٢٠
١٣٠٩ هـ	حصار صنعاء	١٠
٤ صفر ١٣٠٩ هـ	قاع صنعاء	٧
صفر ١٣٠٩ هـ	وادي علي (الحيمة الداخلية)	٥
صفر ١٣٠٩ هـ	عُزلة بني حَطاب،	١٢
صفر ١٣٠٩ هـ	وقعة حصن عَفَّار	١٠
٩ ربيع أول ١٣٠٩ هـ	وقعة بين الحسام	(امرأتان)
٩ ربيع أول ١٣٠٩ هـ	خُمَيْس مذيور	إمرأتان
٩ ربيع أول ١٣٠٩ هـ	وقعة حُصَيْنة قملان	١٢
٩ ربيع أول ١٣٠٩ هـ	المحويث	١
١٢ ربيع أول ١٣٠٩ هـ	بيت عِذَاقه	٢
٢٩ ربيع الأخر ١٣٠٩ هـ	حصن هداد	٣
١٢ جمادى الأولى ١٣٠٩ هـ	حصن ظفار	٦
٢١ شعبان ١٣٠٩ هـ	بيت ماطر	٢

٢٥ شعبان ١٣٠٩ هـ	وقعة بني عبد	٢
شوال ١٣١٠ هـ	وقعة النجيد	٢
شوال ١٣١٠ هـ	وقعة شعب النيل	٣ من ذوي حسين
١٣١٣ هـ	وقعة بني جبر	٣
١٣١٣ هـ	وقعة بني جبر (وقعة آخرى)	٦
١٣١٤ هـ	وقعة ساك، بلاد خارف	٦
١٣ شهر ذي القعدة ١٣١٤ هـ	وقعة بني جل	٩
٥ رمضان ١٣١٥	وقعة بني جل	٤٠
١٩ ذي الحجة ١٣١٥	وقعة بني جل	٤١٣
محرم ١٣١٦	وقعة رحاب	١
محرم ١٣١٦	وقعة بيت مَعدِنْ	١٥
صفر ١٣١٦	وقعة سامك	١
٨ جمادى الآخرة	وقعة قريةالفصيح، شاهل	١
١٧ رمضان	وقعة الربيدي	١٣
شهر القعدة ١٣١٧ هـ	بيت عواس	٢
٧ شهر ذي الحجة ١٣١٧	وقعة السود	٢ من نقباء ذي حسين
٣ شهر ذي القعدة ١٣١٨ هـ	وقعة عزجر	١٠

الوثائق العثمانية

المحفوظة في أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول

الوثيقةُ الأولى: رسالة الإمام المنصور إلى مشايخ الطَويلة، وبني الخَيّاط.

الوثيقة الثانية: خطاب عثماني أُرسل إلى أهالي شُهَادة وجبل الأهنوم.

الوثيقة الثالثة: حول مهمة الشريف عون الرفيق لنصح الإمام والقبائل بعدم الخروج والثورة.

الوثيقة الرابعة: منح مقبل بن يحيى فارع، قطعة نيشان مجيدي من الدرجة الخامسة، مكافأة له على خدماته للدولة العلية.

الوثيقة الخامسة: اقتراح بإجلاء الزيدية من وطنهم في صنعاء وحولها واسكانهم منطقة الساحل، تبادل السكان، والحاق الولاية الجديدة تبعز.

الوثيقة السادسة: صرف مبلغ ٤١٠,٧٠ قرشاً لشراء كسوة وخلَع وعطايا لشيوخ العشائر، ومشايخ العلم.

الوثيقة السابعة: صرف وتسوية معاشات إلى فئة متعاونة مع الأتراك.

الوثيقة الثامنة: رسالة من الإمام المنصور بالله إلى صالح بن عبدالله القشام.

الوثيقة التاسعة: قرار بتشكيل لجنة للنظر في أحوال اليمن وتنظيمها.

الوثيقة العاشرة: برقية من حسن أديب باشا حول الأوضاع التموينية للقوات العثمانية العاملة في اليمن.

الأرشيف العثماني

تصنيف يلدز، قسم رقم ٢٢، أوراق رقم ٣٤، ظرف رقم ١٥٣، كرتون رقم ٦٥

مقام سر عسكر

قلم الرسائل

بسم الله الرحمن الرحيم

أمير المؤمنين

المنصور بالله، إن شاء الله.

إلى مشايخ طويله وبني الخياط وضلع الكرام

ليُعلِ الله شأنكم، ويصلحْ أحوالكم ويجلبْ لكم الخير

بعدَ السلام

كتبتُ لكم هذه الرسالةَ بعدَ أنْ حصلَ الشكرُ لله تعالى الذي هزمَ طائفةَ العجم الذين بدَّلوا دينَ الله بِالبِدع، وأحلّوا المحرماتِ وشربَ الخمرِ في رمضانَ، وأتَوْا الأفعالَ المشينةَ. ارتكبوا الكبائرَ والمعاصيَ، تركوا الصلواتِ علناً، وجاهروا بالإفطارِ في رمضانَ، ظلموا المساكينَ الضعفاءَ، وحقَّروا الشرفاءَ.

لقد تعرَّضوا لمدينةِ الشاهلِ، مجمعِ الفضلاءِ والأشرافِ واستولوا عليها. ولكنْ خابت آمالهم رغمَ ما فعلوه، وعادوا مقهورين مهزومين، والذي لم يستطيعوا إنقاذَه هو ما غنمناه: ثمانين بندقيةً وقتلَ عددٍ كبيرٍ منهم، وذلك عندَ

اخرِ هجومٍ في ليلة الأحدِ ٢٣ شوال، حيث ثبَت أنصارُنا، أنصارُ الحقّ، فقُتِلَ قائدُهم الفرعونُ محمد عارف ورجالُه.

إننا سننتهزُ هذه الفرصةَ لأقصاها، فَقدْ أذَلَّ الله أعداءنَا، فقامتْ عليهم القيامةُ من كلِّ طرَفٍ، وعليه فاعتقلوا كلَّ مَنْ ترونَهُ منهم في الليلِ والنهارِ، وهذا ما نَرجوه مِنْكم جميعاً.

إنني أدعوكم، وأكلِّفُكم أنْ تفعلوا ما كَلَّفْنَـا به جميعَ أهلِ الإسلامِ، بتقـديمِ المسـاعدةِ الماديةِ ومعاونتِنا على أعدائِنا، وأن تبذلوا الهمَّةَ الجادَةَ والفعلَيةَ في ذلك، وتُظهروا العداءَ لأعدائِنا وتلتزموا بذلك.

والسلام

تعليق: لأحـد الأتراك الـذي أرسل الـوثيقة، لعلـه من رجـال الخفية، الجـواسيس والمخابرات).

إن هذه الرسالة التي تبين انهم استولوا على ثمانين بندقية من العساكر الشاهاينة أمر مبالغ فيه، فعدد البنادق التي وجدت مع الشهداء لا تزيد عن ٣٠ بندقية في تقرير القيادة العسكرية.

الأرشيف العثماني

إرادة داخلية رقم ٦٢١٥٢

صورةُ الخطابِ الذي أُرسل إلى أهالي
شُهَارةَ وجبلِ الأهنوم وعذَر

الحمدُ لله الذي وحّد الأُمةَ المحمَّديةَ، وأبعدَها عن الفُرقةِ، والله تعالى يقـولُ: ﴿وأطيعـوا الله ورسـولَه وأولي الأمرِ منكم﴾، ورسول الله ﷺ أمَرَنا بقـولِـهِ: (أطيعـوا أولي الأمرِ منكم، ولو كانَ عبداً حبشياً على رأسِه زبيبةٌ) حديث شريفٌ. فهلْ هناكَ شكٌّ في ذلك أو في تلك الأقوالِ!

فأطيعوا أُمراءَكم، وأدعوا الله لهم. أهناكَ مصيبةٌ أعظمُ من الفرقةِ والخلافِ!

إنَّ هذا الخطابَ العالَي الشريفَ، والخطابَ المنيفَ، موجَّهٌ إلى أهالي شُهَـارةَ وجبلِ الأهنـوم وعِذَر. وإن رغبـةَ مـولانـا السلطانِ بنِ السلطـانِ هي تنفيـذُ أحكـامِ كتابِ الله وسنّة رسولِهِ، وحمايةُ المسلمين والحرمَيْن الشريفين من أعداءِ الدينِ، والقيامُ بخدمتِهما، ومن أجلِ حمايةِ الأُمةِ المحمَّديةِ المسلمين من الأعـداءِ، وأخـذُ الاحتياطـاتِ فلا بدَّ من إجـراءِ الاصلاحاتِ في ولايةِ اليمنِ، فقد كنتم مشغولين بامورٍ ومصالحَ تافهةٍ، ولا تدركونَ أنَّ اليمنَ قد أصـابَهـا الفسادُ والخرابُ من ذلك. وبعونِ الله وعنايتِه فتحْنا اليمنَ وأعَدْنا سلطتَنـا عليها، فتحقَّقَـت الراحـةُ لـلأهـالي، وأصبحوا آمنين ومطمئنيـن، لقد رَفُـهَ عيشُهم وغـدوا متحّـدين. ولكنَّ بعضَ الفـاسـدين أنكروا هذا الجهدَ، وهذه النعمـةَ، واستمـروا على حماقتِهم السابقةِ، وقد أسندوا جميعَ أفعالهِم إلى

شريفٍ مخلص، وكذلك فإنَّهم تعاونوا مع الذين قدِموا إليهم، وعمِلوا حسبَ رغباتِهم، قتَلوا وظَلموا حسبَ أهوائِهم. وزادت أفعالُهم عن حدِّها. وهذا كان طريقَ الفسادِ والإفساد، الذلِ والإذلالِ والعنادِ. ومن أجلِ هذا قاموا بتسطيرِ الكتبِ المزخرفةِ والمنمَّقةِ، وتمادَوا باستخدامِ الآيات القرآنيةِ، وكانت رسائلُهم وكتاباتهمُ شهادةً على تكفيرهِم للمسلمين والرسولُ الأمين يقولُ: (مَنْ كفَّر أخاه المؤمن فَقد كَفرَ). واستحلُّوا دماءَ المسلين، والله تعالى يقولُ: ﴿ومَنْ يَقْتلْ مؤمناً متعمِّداً، فجزاؤه جهنَّمُ خالداً فيها، وغضبَ الله عليهِ ولعَنَهُ، وأعدَّ له عذاباً عظيماً﴾ الآية ٤٠/٩٣، وفي الوقتِ نفسِه استباحوا حُرْمةَ المؤمنين، واستغَّلوا أموالَ المسلين ووزَّعوها على مجاهِديهم طعاماً لهم، كيفَ يجوزُ ذلك؟ يقولُ الله تعالى: ﴿ولا تأكلوا أموالَكم بيْنَكُم بالباطلِ﴾ الآية ١٨٨/٢٠، وهذهِ دلالةٌ على أنَّ مَنْ يفعلُ ذلك كان كافراً ورسولُ الله يقولُ: «أيُّها الناسُ، هذا اليومُ يومٌ مقَّدسٌ، وهذه البلدةُ، بلدةٌ مقدسةٌ، وهذا الشهرُ شهرٌ مقدَّسٌ أيضاً، فدماؤكم وأموالكم مقدسةٌ). ويقولُ الرسولُ أيضاً: (أُمِرْتُ بمقاتلةِ الناسِ -المشركين- حتى يشهدوا أنْ لا إلهَ الا الله، فإنْ شهدُوا فقد نجوا بأنفسِهم منّي، دماؤهُم وأموالُهم وحسابُهم على الله). ويقولُ رسولُ الله ﷺ أيضاً لا تحلُّ دماءُ المسلمِ إلاّ لثلاثةً، مانعِ الحلالِ، وتشريعِ ماحرَّم الله. . .). والله تعالى يقول: ﴿ولا تقولوا لما تصفُ ألسنتكم الكذبَ، هذا حلالٌ، وهذا حرامٌ، لتفتروا على الله الكذبَ إن الذين يفترون على الله الكذبَ لايفلحون﴾ الآية ١٦/١٦.

كما أنّه ينسبُ هذه الأشياءَ الى الدولةِ العليةِ قائلًا: (يخجلُ القلمُ والورقُ منهم) ويعملُ كذلك على تحقيرِ الدولةِ العلّيةِ والجماعاتِ التي تتبَعُ لها،

ويستعينُ بقولِهِ تعالى: ﴿إن الذين يحبّون أن تشيع الفاحشةُ في الذين آمنوا لهم عذابٌ أليمٌ في الدنيا والآخرةِ، والله يعلمُ وأنتم لا تعلمون﴾.

إن الشيطاَن يُزيِّنُ لهم أعمـالَهُم، ويُخْـرِجْهم عن الـطريقِ الصحيح، ويحسبون أنفسَهم مؤمنين، ويسمّون أنفسَهم بالأئمةِ، فهده ليست بأسماءَ ولا معنى لها، فما هي الأسبابُ التي دعاكم من أجلِها للجهادِ والثورة؟

لقد عمِلوا على تخلُّفِكُمْ وجلَبُوا لكم المصائبَ باستمرارٍ، وزيادةً على ذلك، فقد عملوا على فرقةِ المسلين في الوقتِ الذي كانوا فيه بحاجةٍ إلى الـوحـدةِ. حرَّضوا الناسَ على الفسادِ في الوقتِ الذي كانوا فيه أحوجَ إلى الإصلاحِ، ضيَّعوا الناسَ تحتَ ستارِ الهدايةِ، وساروا بهم في طريقِ الضلال، لا استـطيعُ الحـديثَ عن أسبـابِ الفسادِ والفتنةِ مع الدولةِ العثمانيةِ، لكن فكّـروا، أيُّ أمةٍ رضيت بالفتنةِ فقد زادت المصائبُ فيها، وهكذا أصبحت الفضائلُ مرعبةً والسيئاتُ مُبْهجةً، ورسولُ اللهِ ﷺ يقول: (إن الواثقين من سيآتِهم، يخافون من الفضائلِ أكثرَ من سيئاتِ أمتِهم). فعندما يكونُ هؤلاء بِمثلِ ذلك، كيف يقومُ أحدُهُم بالعصيانِ ويدعو إلى الإسلام؟.

إنَّ مثلَ هذا، لا يستطيعُ إصلاحَ قريةً أو قريتين أو قبيلةٍ أو قبيلتين. وهم ليسـوا بحـاجـةٍ إلى دليل أو برهـانٍ، فهـذا الأمـرُ معروفٌ، أوضحُ من نور الشمس، وهذا سببُ الخرابِ الذي واجهناه في المناطقِ.

إن أهلَ الفسادِ يفرُّون من أمامِنا في جميعِ الجهاتِ، وبالرغم من ذلك، فإنَّ البعضَ يتبعون الذين يُكفِّرون المسلمين منهم، والله تعالى يقولُ: ﴿ومَنْ يولِّهم يومئذٍ دُبُرَهُ إلّا منحرفاً لقتالٍ أو متحيزاً إلى فئةٍ، فقد باءَ بغضبٍ من الله

ومأواه جهنَّمُ وبئسَ المصيرُ﴾ الآية ١٦/٨.

هكذا فإنَّ أهل الفسادِ هؤلاء يوقعون الناسَ بغضبِ الله، ويجبرونهم على استحقـاقِ هذا الغضبِ. ونحن بدورنـا نقابلُ أهلَ الفسادِ ونقتُلُهم ونأسُرهم ونبعدُ الناسَ عن تحمّلِ وزرِهم. وكلُّ هذِه الأفعالِ من أجل تأمين راحتِكم ورفـعِ الضَّـرَرِ عنكم والله تعـالى يقـولُ: ﴿إنمـا جزاءُ الذين يحاربون الله ورسـولَهُ، ويسعَوْنَ في الأرضِ فساداً أن يُقتَّلوا أو يُصَلَّبوا أو تُقَطَّعَ أيديهم وأرجلُهم من خلافٍ، أو ينفَوْا من الأرضِ، ذلك لهم خزيٌ في الدنيا ولهمْ في الآخرةِ عذابٌ أليم﴾ الآية ٣٣/٥.

وكما تعلمون، فإنَّ حربنا هي على أهلِ الظلم والفسادِ فقط، وإننا لا نتجاوزُ حدودَنا ولا نتعدَّى على الذين يحترمون أنفسَهم، والله تعالى يقولُ: ﴿فقاتلوا التي تبغي حتى تفيىء إلى أمر الله﴾ الآية ٩/٤٩، نحن نعاملُكم معاملةَ الأب الرحيمِ، انكم لا تدركون أنَّنا عَفَوْنا عنكم وأبعدْناكم عن الأشياءِ التي تكرهونها، وكلُّ هذا لتأمينِ احتياجاتِكم وإزالةِ الضَّرَرِ عنكم، ولتعلموا حقّاً أنَّ هدفَنا الإصلاح والتعميرُ، فاتركوا الفسادَ وحاولوا النجاةَ.

ومن أجـلِ نظرِ مصالِحُكم عيَّنَّا العلامةِ الشريفَ عباسَ بنَ عبدالله بن المؤيد فاسمعوا له واسترشِدوا به، أطيعوُه فتسعدوا. وقد أمَرْناه باتباعِ كتابِ الله وسنـةِ رسـولِـهِ والعملِ بموجبِها، التقديُر الكبيرِ والرحمةُ للصغيرِ، فهو مجتهـدٌ وعـلَّامـةٌ باتّفاق الجميعِ، وشدَدْنا أزْرَه بالشريفِ محمدِ بنِ عبدالله ويأتمرُ بأمرِهِ، وأمَرْناه القيامَ بجميعِ واجباتِه تجاهَكم، فقوموا بواجباتِكم اتجاهَهُ وتعاونوا معه كما فعلَ رسولُ الله. وأمرناه بالوعظِ كما كان يعِظُ رسولُ الله،

ورسولُ الله ـ ﷺ ـ يقول: (أُمِرْتُ أنْ آخذ من أغنيائِكم وأعطيَ فقراءَكم) ويكون هذا حسْبَ قوّتِكُمْ وطاقاتِكم، وهذا ما رأيناهُ بأنَّه أحدُ قواعدِ العدالةِ: لا تصلُح أحوالُ الإنسانِ دونَ عمل، والإنسانُ يحتاج إلى المالِ، ونحن بدورِنا أمرْنا الشريفين المذكورين بتشغيلِ الضَّبطيةِ عندَ الضرورةِ، وأنْ توزِّع هذه الأموالُ على الناسِ حسْبَ حاجاتِهم وأوضاعِهم. إنَّ هذه الأموال هي للعملِ على راحةِ الناسِ حسْبَ حاجاتِهم وأوضاعِهم.

إنَّ هذه الأموالَ هي للعملِ على راحةِ الناسِ، والمحافظةِ على البلادِ، فأطيعوا واشكروا، ووفِّروا الأمن لجميعِ الجهاتِ، وأزيلوا الخلافاتِ التي بينَكم، وحقِّقوا الوحدةَ بينكم، وأبعدوا العداواتِ والفسادَ الذي بينكم ولاتخالِفوا الآياتِ والأحكامَ القرآنيةَ. وأحذروا سفْكَ الدماءِ، ومن يلتزمْ بذلك فلَهُ الشكرُ، ومنْ يعصِ حلَّتْ عليه اللعنةُ، وسيلقى جزاءَهُ، وبذا أكونُ قد أبْلغْتُكم وبشَّرْتُكم.

فإذا أوفيْتم العهدَ فستنالون الخيرَ، فكِّروا جيداً.

إني أنَبْتُ عني عبدَالله للقيامِ بعملي، وهو بصيرٌ وخبيرٌ بحقِّ العبادِ. واجبُكم الدعاءُ إلى مولانا السلطانِ الغازي عبدِالحميدِ بنِ السلطانِ الغازي عبدِالمجيد بنِ السلطانِ الغازي محمود. وعلى الخطباءِ أن يتولَّوْا هذا الأمْرَ في خطبِهم.

وفي الختام لكم سلامُنا

الأرشيف العثماني، إرادة داخلية رقم ٩٧٥٤٩

قصر السلطان، يلدز

دائرة الكتابة الرئيسية، السكرتارية

رقم ٤٢٥

بسببِ حالـةِ عـدمِ الثقـةِ بـالـدولـةِ من قِبلِ أهل اليمـنِ، فقـد رؤي تكليفُ الشريفُ عون الرفيق باشا، القيامَ بتوجيهِ النصح لهم، وقد عُرِضَ الأمرُ هذا الصباحَ في دائرةِ المابين. وقد حظيَ هذا الأمرُ باهتمامِ الجميع وأُوصيَ به. ولإزالـةِ صورةِ الدولةِ السيئةِ في اليمنِ، والتي عمِلَ الأجدادُ من السلاطينِ العـظماءِ والخلفاءِ على تحسينِها، فإنه رُؤِي قيامُ الباشا المشارِ إليهِ بإسداءِ النصـائحِ مستغِلاً بذلك نفوذَه في تلكَ المنطقةِ، تلافياً للمحاذيرِ السياسيةِ والأخطارِ الكثيرةِ التي ستقعُ لو استمرَّ الحالُ على ما هو عليه، فعودةُ قبائل اليمن إلى سابقِ عَهْدها من الطاعةِ والانقيادِ يستلزمُ إسداءَ النُصحْ والإرشادِ بينَ القبـائـلِ، وإنْ شاءَ الله تُكَلَّلُ بالنجـاحُ بفضـلِ مسـاعي تلك الشخصيات المحترمةِ، علاوةً على تأثيرِ القوَّةِ العسكريةِ المتواجدةِ هناك ويتحقَّقُ المأمولُ، وسيصُرفُ النظرُ في الوقتِ الحاضر عن اللجوء للقوة فقط.

ويُعرَضُ هذا الأمرُ على صاحبِ الخلافةِ لاستصدارِ الإرادةِ السنية.

والامرُ والفرمانُ لصاحبِ الامرِ سيدي

في ٢٩ صفر ٣٠٩ / ١٧ أيلول ٣٠٧.

الأرشيق العثماني

إرادة داخلية رقم ٨٨٨٩٢

إلى مقام نظارات الداخلية الجليلة

المدعو مقبل بن يحيى فارع، من المشايخِ المتنفِّذين في قبائلِ حاشد، وقد تميَّزَ منذُ القديمِ مِنْ بين أقرانِه بالعفَّةِ والاستقامةِ.

وفي هذه المرةِ أيضاً، أبدى غيرةً وحميَّةً إلى جانبِ الدولةِ أثناءَ العملياتِ العسكريةِ التي قامتْ في جهاتِ عَمْرانَ. وقد رُؤيَ من الواجبِ النظرُ إليهِ بعينِ العطفِ ومكافأتُه على حسنِ خدمتِهِ وصداقتِهِ، هو وسائرِ الشيوخِ من أمثالِهِ كلٌّ حسبَ موقِعِهِ، وإنَّه من الضروري تلطيفُه في الحالِ، وذلك بمنحِهِ قطعةَ نيشانٍ مجيدي من الدرجةِ الخامسةِ، وهي الرتبةُ التي كانَ يحملُها بنباشي الطابورِ الثاني في الآلاي الواحدِ والخمسين المدعوّ رؤوف، والذي خَلَتْ رتبتهُ بعدَ وفاتِهِ. وقد اقتضى الأمرُ عرضُهُ على حضرةِ السلطانِ لاستصدارِ الإذنِ بالإيعاز إلى دائرةِ الأركان الحربية في الجيشِ السلطاني لتقومَ بالإجراءات اللازمةِ.

الأمرُ لمن له الأمرُ سيدي

في ١٩ رجب ٣٠٤ / ٩ مارت ٣٠٥

الأرشيف العثماني - إرادة داخلية رقم ٩٦٨٧٥

قصر السلطان - يلدز

دائرة الكتابة الرئيسيه

قطعةُ اليمنِ عبارةٌ عن جبالٍ وأوديةٍ صالحةٍ للزراعةِ، القسمُ الأعظمُ من سكّانِها معتادون على استعمالِ السِّلاحِ، يتجوّلون وهم يحملون السلاحَ بشكلٍ دائمٍ. وهم عبارةٌ عن جماعاتٍ من القبائلِ وغيرهِم، منهْم قسمٌ يؤيِّدُ الخلافةَ العثمانيةَ، وهمُ أهلُ السُّنّة ،أهلُ التقوى، والقسمُ الآخرُ لا يقبلُ التبعّيةَ إلا لائمّتِهِم الموجودين في صنعاءَ من جسم الدولةِ العليّة، والغالبيةُ العظمى منهم تسكُن في أطرافِ صنعاءَ، ولايُطيعونَ الحكومةَ السنيَّة أو ينقادون إليها.

لقد استولى هؤلاءِ على صنعاءَ مرّتين، ومن أجلِ تأسيسِ حكومةٍ خاصةٍ بهم قاموا بمحاولاتٍ متعدِّدة، ولكنّهم لم يُوَفَّقوا فيها.

إنَّ هذا الأمرَ معلومٌ لدى الدولةِ العليةِ. ولقد اتخذ هؤلاءِ من صنعاء التي تمثِّلُ مركزَ الولايةِ، هدفاً لهم، حيثُ يقومونَ ببناءِ الاستحكاماتِ، ويُعلِّمونَ الناسَ على فنونِ الفسادِ والخرابِ.

فإذا وقعتْ صنعاءُ مرَّةً أخرى تحتَ سيطرتِهم، فإنّه من المستحيلِ اخراجُهم منها مرةً أخرى، فعدمُ تحرُّكِ الدّولة إزاءَ ذلك كما يُربّي الأفعى في ثوبِهِ.

وبناءً على هذهِ الأسبابِ المعروضةِ، فإنّه يجبُ هدمُ استحكاماتِهم وتفريغُ قُراهم وتعيينُ متصرفٍ أو قائم لإدارة هذه المنطقةِ، ونقلُهم إلى مكانٍ

مناسبٍ على الساحل في المنطقةِ التي يتواجدُ بها الأكثريةُ من أهلِ السُّنَّة.
وإنَّ الارتباطَ بينَ هذا المركزِ الجديدَ ومركزِ الولايةِ في صنعاءِ متينٌ وقويٌّ، وخاصَّةً مِنَ الناحيةِ العقائديةِ، ويجب العملُ - كذلك - على اسكانِ وتوطينِ الموالين للحكومةِ السنيةِ من الأتراكِ والأكرادِ والعربِ، وتشكيلِ ولايةٍ جديدةٍ في تعز ممَّا يُمْكنُ كسرَ شوكةِ قوةِ الزيديةِ حتى يتيقنوا أنَّ اعمالَ الفسادِ غيرُ قابلةٍ للنَّفاذِ مما يحملُهم على التخلي عن هذهِ الأفكارِ، وينأَوْا عنها بأنفسِهم.

العبدالداعي

فاضل علوي

الأرشيف العثماني

إرادة داخلية رقم ٤٥٣٩٧

حضرةَ سيدي صاحبَ العطوفة

في المضبطـةِ التي قدَّمَتْهـا لجنةُ البـابِ العالي مقـرونةً بعـرض تقريـر نظارةِ الماليةِالجليلةِ، ما تفيدُ أنَّ مجموعَ المبالغِ التي صرفَتْها وزارةُ الماليةِ لشراءِ عدد ٥٠ من السيوفِ والخِلَعِ والشالاتِ والقماشِ والساعاتِ، المُرْسَلةِ إلى اليمنِ لكسوةِ بعضِ المشايخِ ورؤساءِ العشائرِ الموجودين في اليمن قد بلغ ٤١٠,٧٠ قرشـا، وقـد تمَّ اتخـاذُ هذا الإجـراءِ لخدمةِ الإصلاحاتِ وضبطِ المنطقةِ الذي تمَّ منذ وقتٍ قريبٍ في الخطَّة اليمانيةِ، ووُجِدَ أنَّ هذا المبلغَ معقولٌ لخدمةِ ذلك.

ولمَّا كانَ يجبُ تجهيزُ وتدبيرُ هذا المبلغِ على وجهِ السُّرْعَةِ من خارجِ الخزينة. فيمكنُ تجهيزُها من المبالغِ التي خصَّصَتْهاالإرادةُ السلطانيةُ تحتَ بابِ «مهمات خاصة» والتي تبلغ ١٥٠٠٠ كيس.

إنَّ مسألةَ كسوةِ المشايخِ ورؤساءِ العشائرِ ومنحِهم الخِلَعَ والعطايا أمرٌ معتادٌ عليهِ منذ القدم. ومقابلَ ذلك، فإنَّ هؤلاء الشيوخَ يُقدِّمونَ حيواناتٍ مثلَ الأحصنةِ والجمالِ وأشياءَ أخرى. وهذه الأشياءُ والهدايا والمقدَّمةُ من طرَفِ الشيوخِ تعـودُ على الـدولـةِ. وتُبـاعُ تلكَ الأشياءُ والهـدايا حَسْبَ القـواعدِ والأصـولِ بالمزادِ وتُسَجَّلُ أثمانُها في جداولَ، وتُرْسَلُ إلى الخزينةِ، حيثُ يمكِنُ الاستفادةُ منها في ولايةِ اليمنِ والولاياتِ الأخرى حَسْبَ الحاجةِ.

إنَّ مثلَ هذا الموضوعِ المعروضِ جارٍ منذُ القدم ومعتادٌ عليه، ويعودُ بالفائدةِ على الطرفين، فمِنْ جهةٍ يُرضي المشايخَ، لأنَّه يعبِّرُ عن الكَرَمِ، ومن جهةٍ أخرى يعملُ على زيادةِ عائداتِ الخزينةِ، فإنْ كانَ هذا لايتعارَضُ مع المصلحةِ، على كلِّ حالٍ فالأمرُمتعلِّقٌ مِنْ جميعِ الوجوهِ بصدورِ إرادةِ مولانا السلطانِ. ولأجلِ التشرُّفِ بالنُّطقِ السلطاني المنيفِ،

عَرَضْنا هذه التذكرةَ سيِّدي

في ٢٦ رجب سنة ٢٨٩ [١]

الأرشيف العثماني

قصر السلطان ـ يلدز

دائرة الكتابة الرئيسية ـ السكرتارية

إرادة داخلية رقم ٨١٩١٢

طلبُ الإذنِ باستصدار الإرادة السلطانيةِ

لتسويةِ معاشاتِ التاليةِ اسماؤهم

من أهلِ اليمنِ وساداتِها الكرامِ مِنْ مديريةِ خزينةِ مكةِ المكرمةِ وهم

السيد جيلان بن المساوي بن محمد الأهدل أفندي. ٢٠٠ قرش.

السيد أحمـد بن محمد المساوي أفندي، والسيد أحمد بن المساوي أفندي، والسيد علي بن المساوي أفندي ٥٠٠ قرش لكلٍّ واحدٍ منهم.

والشيخ عبدالله بن الشيخ السيد حسين، المدرس الثاني، في مدرسةِ الشيخ رحمه الله ٢٠٠ قرش.

والشيخ محمد صالح عجاجة من أعيانِ مكةَ المكرمة ٢٠٠ قرش.

والأمرُ لمنْ له الأمرُ سيدي

في ٣ ذي القعدة ٣٠٤ / ١٢ تموز ٣٠٤

سكرتير السلطان

ثريا

الأرشيف العثماني

تصنيف يلدز

٢٢/٣٤/١٥٣/٦٥[1]

مقام سر عسكر

دائرة قلم الرسائل

بسم الله الرحمن الرحيم

عبدالله وفقه الله

المنصور بالله إن شاء الله.

الشيخَ صاحبَ الكمـالِ والفضـائلِ حبيبَ الرسولِ ﷺ وعلى آل بيتهِ الكرامِ الشيخَ صالحَ بنَ عبدالله القشام.

بعدَ السلامِ والتصلية،

فإنَّ هذا المكتوبَ يُخَطُّ ويُرْسَلُ إليكَ من المُعَسْكرِ صدرِ المقرِ ومركزِنا محمودِ الأثر، وإصلاحُ الأحوالِ هو الأمل.

الحمدُ لله مُيَسِّر الأمورِ، والذي وفَّقني على جمعِ ووحدةِ آل البيتِ وأهلِ الإيمان. لقد أسِفْنا عندمَا وصَلَنا نبأُ وفاةِ الإمام الأعظمِ، الهادي لدينِ الله، قدَّسَ الله روحَهُ

لقد تركتُ وطني وقدِمْتُ إلى هنا لكسبِ رضاءِ الله في إحياءِ دينِ الله،

(١) هذه الأرقام تشير إلى قسم رقم ٢٢، أوراق رقم ٣٤، طرف رقم، ١٥٣ كرتون رقم ١٥٣.

وتخليصِ الضعفاءِ والمساكينِ من الظُّلْمِ. وأنتم تعملون المنكراتِ والمظالمَ التي ارتُكِبَتْ بحقِّ الضعفاءِ في جميعِ الجهاتِ، تركوا أحكامَ دينِ الله وشريعتَهُ، واستوْلوْا على الأموالِ بالقوةِ، وعليه، فإني أدعوكم إلى جهادِ أهلِ الفسادِ بأرواحِكُم وأموالِكم، والشكرُ لله فإني من نسل رسولِ الله، وأعرفُ الحرامَ والحلالَ وغيورٌ على إحقاقِ الحقِّ، ولنْ أبخلَ في ذلك. إنْ شاءَ الله أُوَفَّقُ في إقامة العدلِ، ما طلبْتُ الدنيا وسيرتي على نهج سيرةِ أجدادي الأئمةِ، متابعاً لسيرِهم، أدعو الناسَ للهدايةَ، وعلى الجميعِ طاعةُ واتباعُ ما ادعو إليه وهذا واجبٌ عليكم، إني أدعوكم، اسمعوا واجيبوا، وإن شاءَ الله عمّا قريبٍ سيعلو الحقُّ على الجبابرة من عساكرِ العجمِ ويكسِرُ الله شوكتَهم، وستتغيّرُ العسرةُ والشِّدّةُ باليسرِ والرّخاءِ.

ولقدْ رَفَعْتُ رايةَ الجهادِ، وَفْقَ تعاليمِ الدينِ الإسلامي وشرائعِه، ولن نحيدَ عنه.

إنَّ هذا الخطابَ خاصٌ لكم وعامٌ للجميع، وسينالُكم الثوابُ إذا عمَّمْتُموه ونشرتُموه على قبائِلكم، قال تعالى: ﴿ هذه سبيلي أدعوا الله ﴾ قرآن كريم، ١٢/١٠٨.

الأرشيف العثماني

إرادة داخلية رقم ١٠٠٢٤٨

من أجلِ تـدقيقِ اللـوائحِ التي قُـدِّمَـتْ حـولَ تنظيمِ أحـوالِ ولايـةِ اليمنِ، فإنَّ اللجنَـــة التي صدَرَ الفرمانُ بتشكيلها تحت رئاسةِ حضرةِ ناظر العدليّة في البابِ العالي،

أعـضاؤها هـم: حضرةُ أحمد أيوب باشا ورئيس مجلسِ المالية

إبراهيم أفندي، والسيد أحمد بك من أعضاءِ مجلس شورى الدولةِ

وقد تمَّ النظرُ بخصوصِ هذه المهمةِ والاستئذانِ بموجبِ التذكرةِ الخصوصية التي نظمت بتـاريخ ٢٤ شوال ٣٠٩، فلـدى عـرضها على البـاب العالي رُؤِيَ أنّـه ليسَ بحـاجـةٍ إلى أعضاءَ آخـرين خـارجَ اللجنـةِ المشكَّلَـةِ، والتي تضمُّ اثنين من الوزراءِ الفخام، واقتضى الأمرُ عرضَ ذلك على جنابِ صاحبِ الخلافةِ

والأمرُ والفرمانُ لحضرةِ صاحبِ الأمرِ سيدي

في ٢٧ شوال ٣٠٩/ ١٢ مايو ٣٠٨

سكرتير السلطان

ثريا

الأرشيف العثماني، إرادة داخلية رقم، ٩٧٣٤٤
قصر يلدز السلطاني

برقية (شيفرة)، من حسن أديب باشا، قائدِ الجيشِ السلطاني السابع

موضوعُ البرقيةِ: الأحوالُ في الوقتِ الحاضرِ.

إن السفينتين اللّتَين قامتا بنقلِ الأمتعةِ التجارية من عدن، إحداهما تعطّلَتْ، والأخرى تأخّرَتْ، بسببِ قَطْرِها بالقوةِ إلى كرنتينةِ مصرَ، وهذا أثّرَ على الرسومِ المتحصّلةِ، حيثُ أخذَت بالتدّني حسْبَ ما أفادَتْ به نظارةُ الرسومِ. ولا زالَ الدّقيقُ والأرزُّ المستوردُ من الهندِ في مكانِهِ، بسببِ زيادةِ الأموالِ المطلوبةِ.

وهذا يُوحي بأنَّ المقدارَ المطلوبَ من الدّقيقِ والأرزِ سوفَ لا يُرسَلُ، وحسبَ ما أفادَ به المتعهِّدُ، فإنَّ شريكَهُ في الهندِ قدْ أوْضَحَ هذا الأمرَ.

وفي هذا الوقتِ بالذاتِ لم يتمَّ تحصيلُ ولا أقجةٍ واحدةٍ من الرسوم من الألويةِ والأقضيةِ. وللسيطرةِ على هذه الأزمةِ، فقد أفادت البرقيّةُ أنهم بحاجةٍ إلى ألفي كيسٍ من الدّقيقِ وألفِ كيسٍ من الأرز شهرياً، تُرْسَلُ من العاصمةِ استانبول، ويبلغُ ثمنُ الدقيقِ والأرزِ المطلوبِ عشرةَ آلافِ ليرة.

وقد رُؤِيَ من الضروري إرسالُ هذا المبلغِ لدقّةِ وحساسيّةِ الأوضاعِ كما هو معلوم، وقد أرْسَلنا هذه البرقية أمسِ

في ٣ أيلول ٣٠٧   وصلت بيروت في ٧ أيلول

قائدُ الجيشِ السابعِ

حسن أديب

الوثائق اليمنية
المحفوظة بحوزة الأهالي

الوثيقة الأولـى : رسالة من الأمام إلى الشيخ عبدالله بن يحيى الوادعي.

الوثيقة الثانية: رسالة ثانية من الأمام إلى الشيخ عبدالله بن يحيى الوادعي.

الوثيقة الثالثة: رسالة من الأمام إلى الشيخ عبدالرقيب .

بسم الله الرحمن الرحيم

الختم: أمير المؤمنين، المنصور بالله رب العالمين

الشيخَ الهمامَ الرشيدَ عبدَالله بن يحيى الوادعي، أسبلَ الله عليه أثوابَ الجلال، وحباه بالأفضالِ، والسلام عليكم ورحمةُ الله.

صدورُها وأنتمْ مِمَّن يَعزُّ له النظيرُ، ويحقُّ له التصديرُ، وقدْ أشارَ الينا الحاجُّ الفخري، بما أنتمْ أهلهُ من العنايةِ المشتملةِ على المودَّة والرعايةِ، وذلكمُوه فعليكُمُوه(١)، فقد تعلَمُون أنَّ الله أوْجَبَ لنا المحبةَ، وألزمَ الناسَ الصُّحْبةَ، فكونوا مع الرَّحْمنِ، تجذبْكُمْ أيدي الخيراتِ إلى الأمانِ، وإلى المجدِ والإحسانِ، واستعمِلوا التقوى في عقارِ الأدويةِ، فهي أنفعُ النافعاتِ التركيبيةِ.

نسألُ الله أن يَهَبَ الخيرَ لِمَنْ فعَلَهُ، ويريدُ من المؤمنين قولَه وعَملَه، وأصْلَحَ الله شأنَكُمْ وباركَ فيكم، والسلامُ.

٢٥ ربيع الأول سنة ١٤ [١٣]

وصدر النظير.

ملحوظة : وردت الرسالة في كتاب وثائق يمنية، ١٤٥ ـ ١٤٧

---

(١) المقصود أن على المخاطب أو المخاطبين أن يستمروا على عادتهم، وعلى ما يقومون به من أفعال، والعبارة مأخوذة من حديث نبوي.

بسم الله الرحمن الرحيم

الختم، المنصور بالله، وما توفيقي إلا بالله

( )[1] بالله ، عصمتي بالله

الشيخُ الأجَلُّ الأرشد، والمحبُّ الناصحُ الأوحدُ، عبدَالله بنَ يحيى الوادعي، أصلحَ الله له الشأنَ، وجعَلَه من اتباعِ العاملين بالسُّنَّةِ والقرآن، وصرفَ عنه نوائبَ الزمانِ، والسلامُ عليه ورحمةُ الرحمنِ، وصلَّى الله وسلَّم على محمدٍ الذي أضاءَت بالهدى أنوارُه، وطلَعَتْ في أفقِ الإيمان أقمارُه، وعلى آلِهِ حماةِ الدينِ مدى الأزمانِ، الذين خَيَّمَتْ محبَّتُهُمْ في صدورِ مَن انتمى إلى أبيهم سيِّدِ ولدِ عدنانَ، وبعد:

فإنَّا نحمدُ إليكم الله الذي لا يُرجى ويُخشى سواهُ، ونُعلِمُكم أنَّا ندعو الناسَ إلى العزِّ الدائمِ ، ونجذبُهُم إلى الدينِ القائمِ ، ونخرِجُهم من ظلماتٍ لا تخرجُ من أبوابها، وننقذهُم من تحتِ أنيابٍ قد نجَّسَتْهُم بلُعابها. فمنِ اتَّبَعَ سبيلَنا فقدْ سَلَكَ المحَجَّةَ البيضاءَ، ومَنْ ندَّ عنها فقد خالَفَ ما أمرَ الله به وقضى. وما دَعَوْنا الناسَ إلى مُنْكَرٍ ليُشادَ ولاغِنِى يُسْتَزاد، بلْ لمَّا رأيْنا ظلامَ المنكراتِ، وقدْ تَلَهْجَمَ[2] في اليمنِ وزفرْ[3]، والباطلَ وقَدْ أغبرَ واعتكَرَ، ورأيْنا الشريعةَ وقد انهدَّ ركنُها وانهدمَ بمعاولِ العَجَمَ حِصنُها، من حيثُ أبدَلَتْها العجمُ بل القوانين وغيّروا منهجَها الذي شرعَهُ ربُّ العالمين، و فتحوا للعربِ

---

(١) كلمة غير مقروءة.

(٢) تلهجم: أي اتسع وانتشر أمره.

(٣) زفر: أي أخرج أنفاسه وطفح.

أبـوابَ المكـارِهِ، ورتجوا(1) عنهم أبوابَ الخير بصخراتِ الظُّلمةِ وأحجارِه، لذلك نَصَبْنا عليهم رايةَ الحقِّ المقدَّمةِ، وركَّزْنا قناةَ الإسلامِ المُدَمْلِمةَ(2)، فكانَ بيننَا وبينَهم ما علِمَتْ به البقاعُ، واشتُهِر صراخُه في آذانِ أهلِ الأسَماعِ امتثـالاً لقـولِ الله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلى الخَيْرِ، ويَأْمُرُونَ بالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وأولئك هم المفلحون﴾(3) وقولِه تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، تَأْمُرُونَ بالمَعْرُوفِ وتَنْهَوْنَ عنِ المُنْكَرِ﴾(4) وغيرِ ذلك من آياتِ القـرآنِ، وتخوُّفاً من الوعيدِ الواردِ في كلامِ الرسولِ الأمينِ نحوَ قولِه: (لتأمُـرُنَّ بالمعروف ولتنهُنَّ عن المنكرِ أو ليُسَلِّطَنَّ الله عليكم شِرارَكُمْ، فيدعو خيارُكم فلا يُستجابُ لكم)(5) وغيرُ ذلك من الآثارِ.

وأنتَ أيُّهـا الـرئيسُ مِمَّن نشيمُ(6) تحتَ برقِهِ المـاءَ، ونتوقَّعُ تحتَ اسمِهِ أسماءَ، ونظنُّ بكَ ظنونَ الأحبابِ، ونراعي لكَ الحقَّ الذي لا يُعابُ، فإنْ أنْجـدْتَ ركـائِبَـكَ، رَكِبْتَ جوادَ التَّقْـوى، وطلَّعْتَ طلائِعَـكَ اقتدرا، وذلك الأقـوى، فإنَّ العبـد مخاطَبٌ، والوديعُ مطالَبٌ، وقدْ فَتَحْنا على أعداءِ الله أعمـالَ الجهـادِ، ووفَّق الله أنصارَ الحقِّ بالغنائمِ والإمدادِ، وسوف يُبَلِّغُكُم الفتكاتِ في شهرنا جمادى، شهرِ البركاتِ، فلا تعينوهم بالأموالِ، واجعلوا اعانَتَكم للمجاهدين الأبطالِ، وأنفقوا بقيةَ أعمارِكم في رضاءِ دينِ الجلالِ.

وحال تحريره والسَّرايا عليهم إلى بابِ صنعاءَ

والسلام ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٢ [١٣]

ملاحظة: جاءت الرسالة في كتاب، (وثائق يمنية، ١٣٣- ١٤١).

بسم الله الرحمن الرحيم

الختم: أمير المؤمنين، المنصور بالله رب العالمين

إلى الهمـامِ الأوْحـدِ المـاجـدِ الأرشدِ عبدِالرقيب: حرسَهُ الله وعافاه، وأصَلَحَ دينَه ودنياه والسلامُ عليه ورحمة الله.

صدوررُها بعدَ وصولِ مكتوبِ الفخري، عافاه الله، والمصدَّرُ منكم الثمانون الـريال، تقبَّلَ اللهُ منكم صالحَ الأعمال، وصَرَف عنكم الشرورَ والأوْجال، وجعلَ مآلكمْ خيرَ مآل...

ولقدْ طالت الفتنةُ في الدين، وتميَّز فيها الغثُّ من السمينِ، وكلّما مضى عامٌ حصلَ الإياسُ عندَ بعضِ الناسِ، الذين يعبدون الله على حَرْفٍ، وأما مَنْ عَمَّرَ دينَهُ على صحةٍ فلا يتزَلْزَلُ في دينِه، ولا يرتاب في يقينِهِ.

وقـد حفـرَ أعداءُ الله آبارَ الهلاكِ للعرب، وأسرَجْوا لهم مطايا النُّكالِ والعَطَبِ، وأجْمعَوا في تحرير المضابط، أنّه لا يصلُح اليمنُ إلاّ بعدَ تزفير[1] أهلِ الإغواءِ بزعْمِهم، وهم المشايخُ والأعيانُ والفقهاءُ من حيث أنَّ العامَّةَ لا يتْبعَونَ إلاّ قولَهُم في خيرٍ أو شرٍّ، ولا زالوا يحتالون في جمعِهم ولم يتأتَّ لهمْ ذلـك، وقـد لوَّحوا لهم بروقَ الأطماعِ لاجتماعهم، وسيلُطفُ الله بالمؤمنين منهم، و لم نَزَلْ نحُركُ الهِمَم رَجاءً لنصرةِ الدينِ والذبِّ عن المستضعفين، ونحنُ مِنْ وعَدِ ربِّنا على يقين، والعاقبةُ للمتَّقين.

وحالُ تحريرِه والحربُ بيننَا وبينَ أعداءِ الله في بلادِ السود، ولينصرَنَّ الله

---

(١) معناها الإبعاد والنفي.

مَن ينصرُهُ ولا تتركوا ما يجبُ ممَّا ينفعُ ويدفعُ، وكونوا على حذرٍ

والسلامُ ختام.

بتاريخِهِ ١٩ رجب سنة ١٨ [١٣]

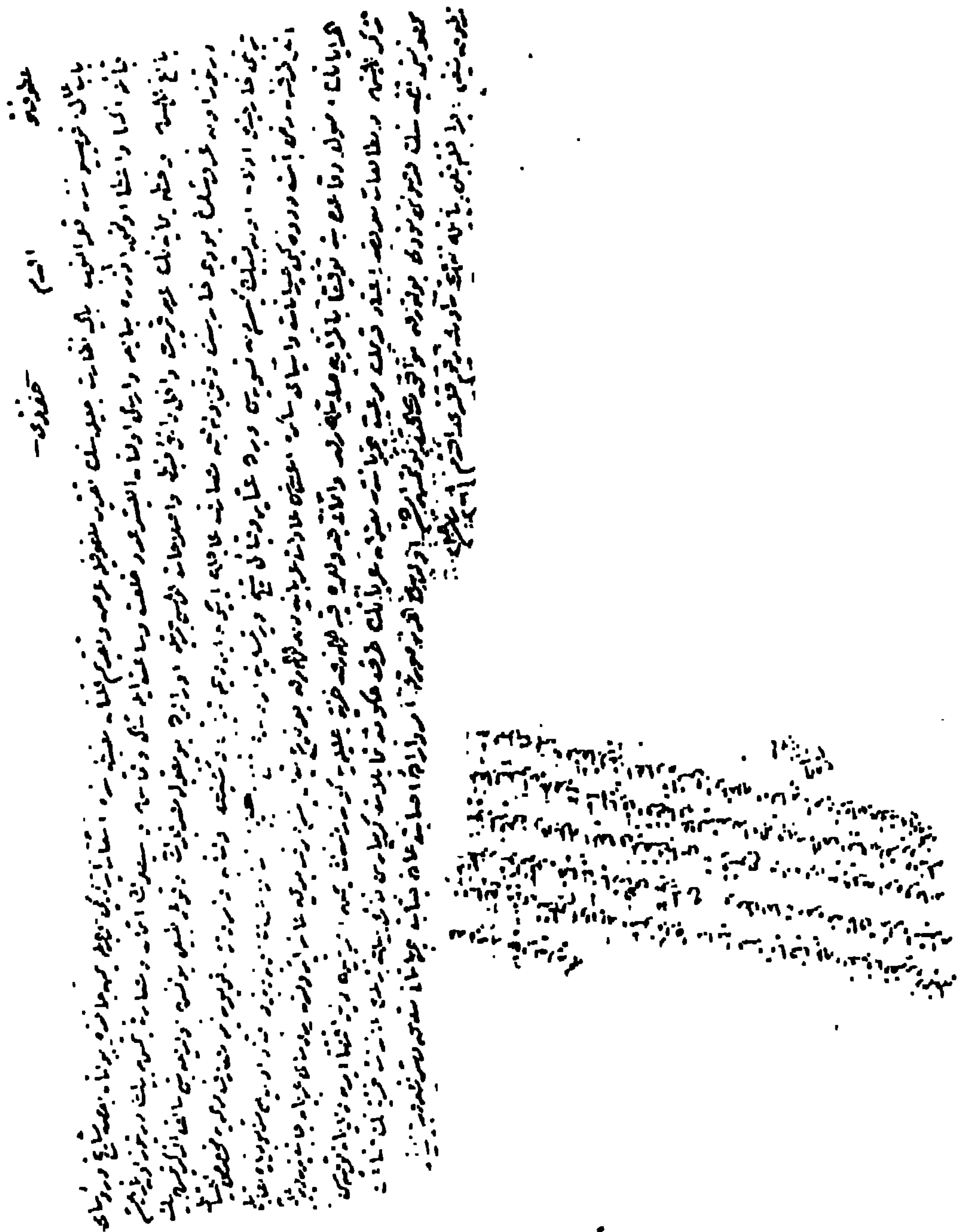
ملحوظة: وردت الرسالةُ في كتاب وثائق يمنية ١٦٩ - ١٧٣

صور الوثائق اليمنية المحفوظة
في أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول



صورة الرسالة التي يطلب فيها تكليف الشريف عون الرفيق

بتقديم النصح للإمام لإطاعة الدولة العلية



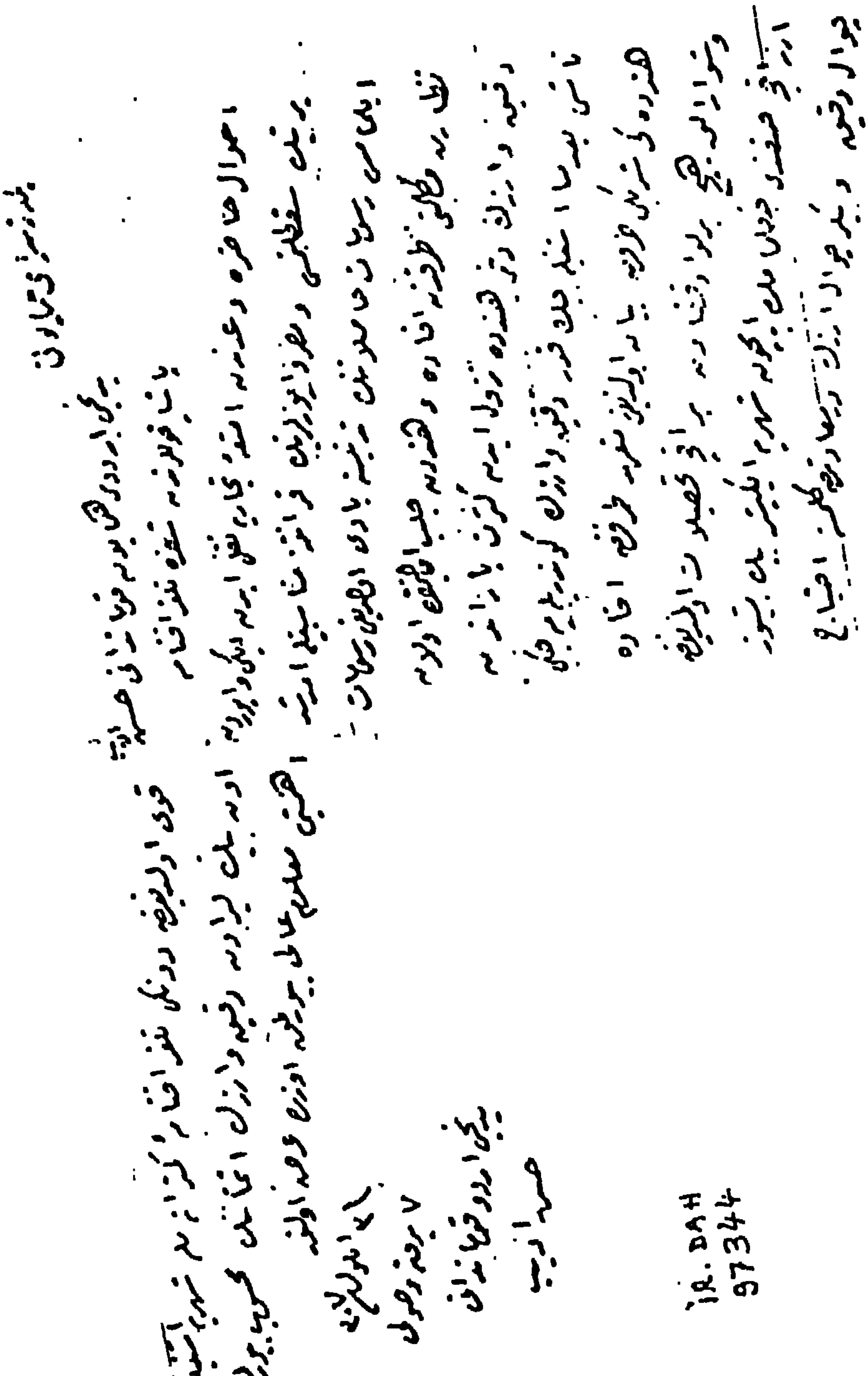
وثيقة صرف مبلغ ٤١٠ر٧٠ قرشاً لشراء كسوة وخلع وعطايا لشيوخ العشائر ومشايخ العلم

محررات عمومیه
بابعالی دائره‌سی
٦٥٩٩

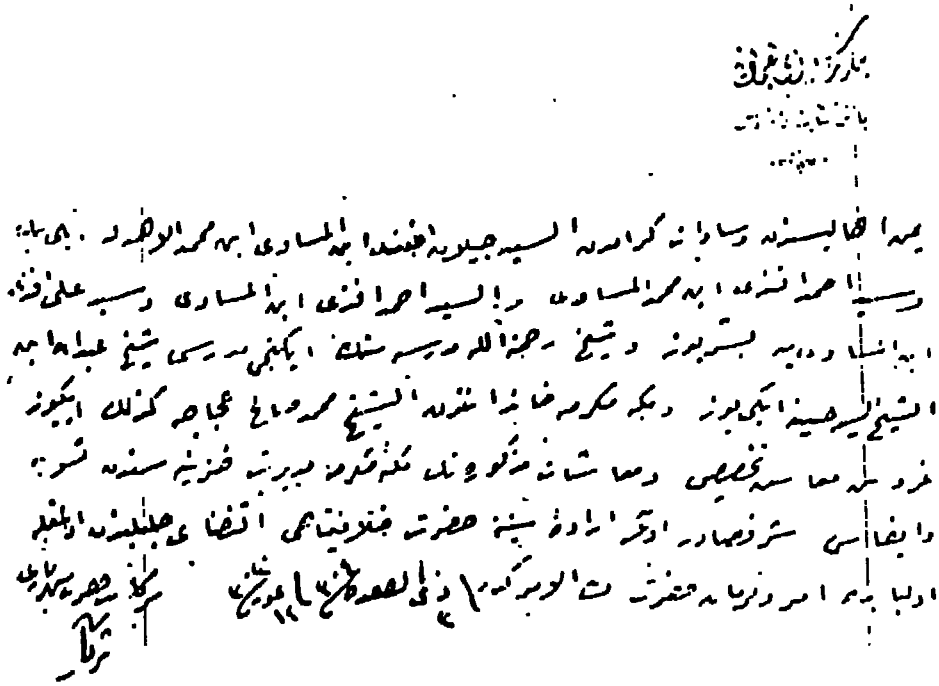
[illegible]

١٠ ذا. ١٣٢٩
١٠ ك ١٣٢٧

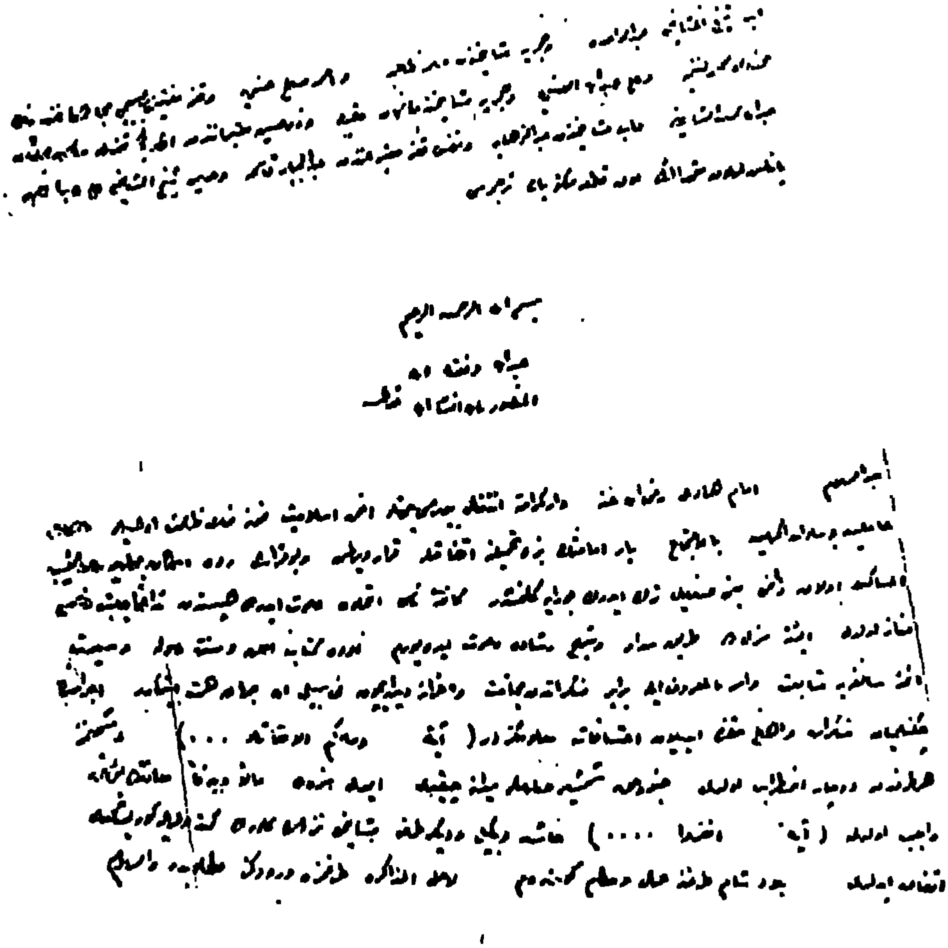
لجنة تنظيم أحوال اليمن .



البرقية المرسلة إلى حسن أديب باشا، قائد الجيش السابع



وثيقة تسوية معاشات موظفين يمنيين مع الدولة العثمانية



وثيقة دعوة الإمام المنصور بالله مترجمة إلى اللغة العثمانية من ملفات رجال الخفية (المخابرات)

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible]

الشيخ علي مرشد الغريبي وكافة [illegible] قبائله . بعد السلام والتحية .

[illegible]

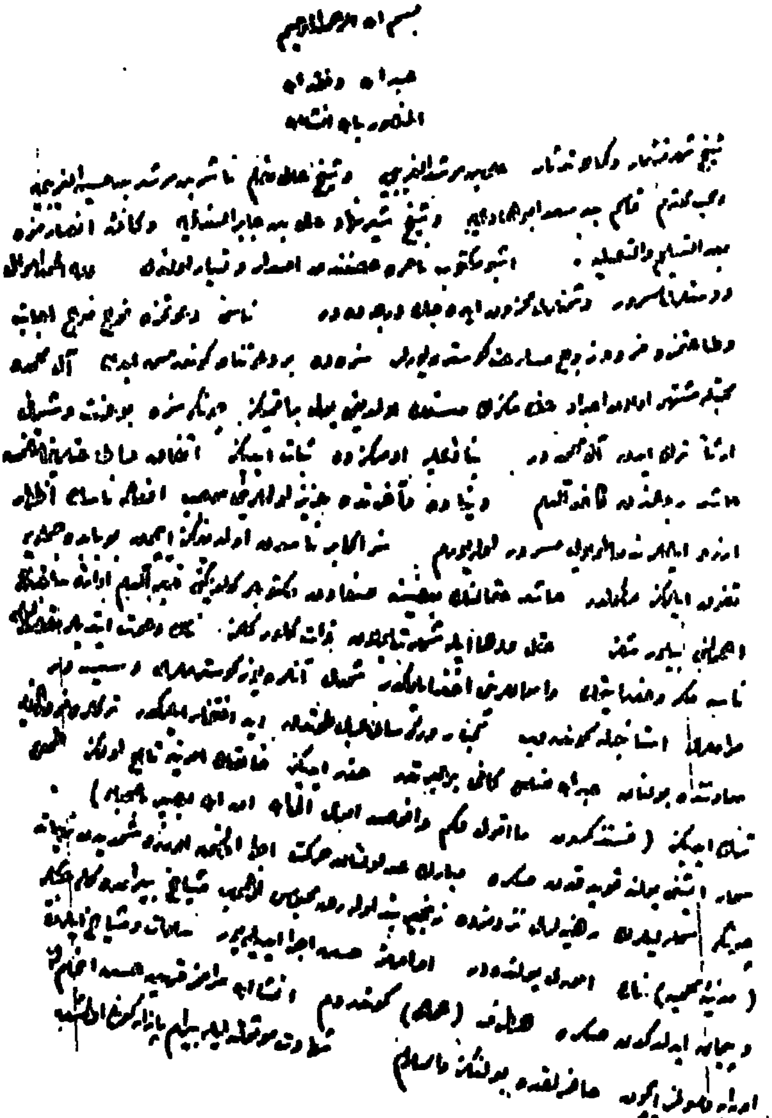
(إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) [illegible]

[illegible] (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين . يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون . واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) [illegible]

[illegible]

والسلام

رسالة من الإمام إلى الشيخ علي مرشد الغريبي والقبائل التابعة له

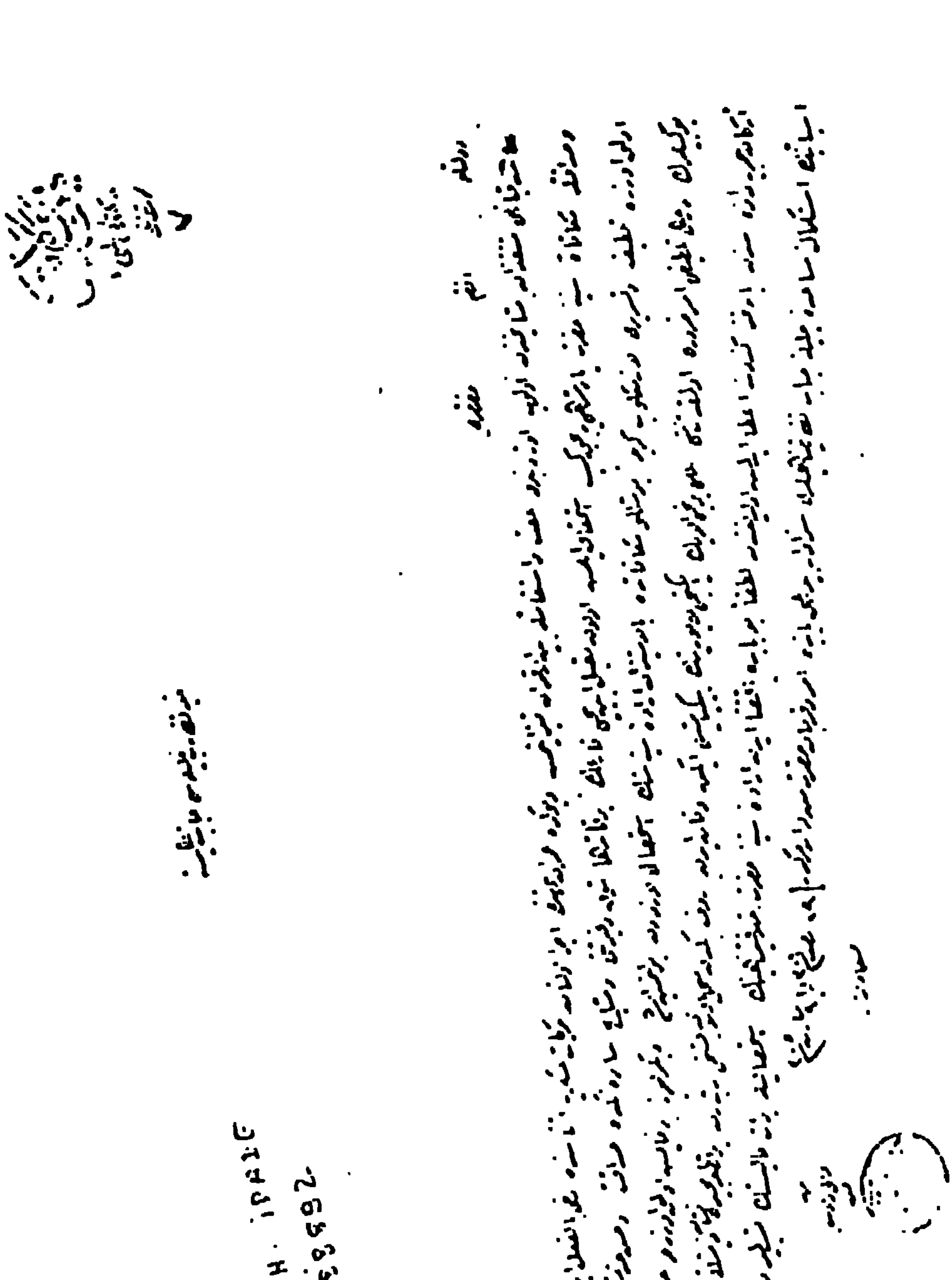


رسالة من الإمام إلى: علي بن مرشد الغريبي

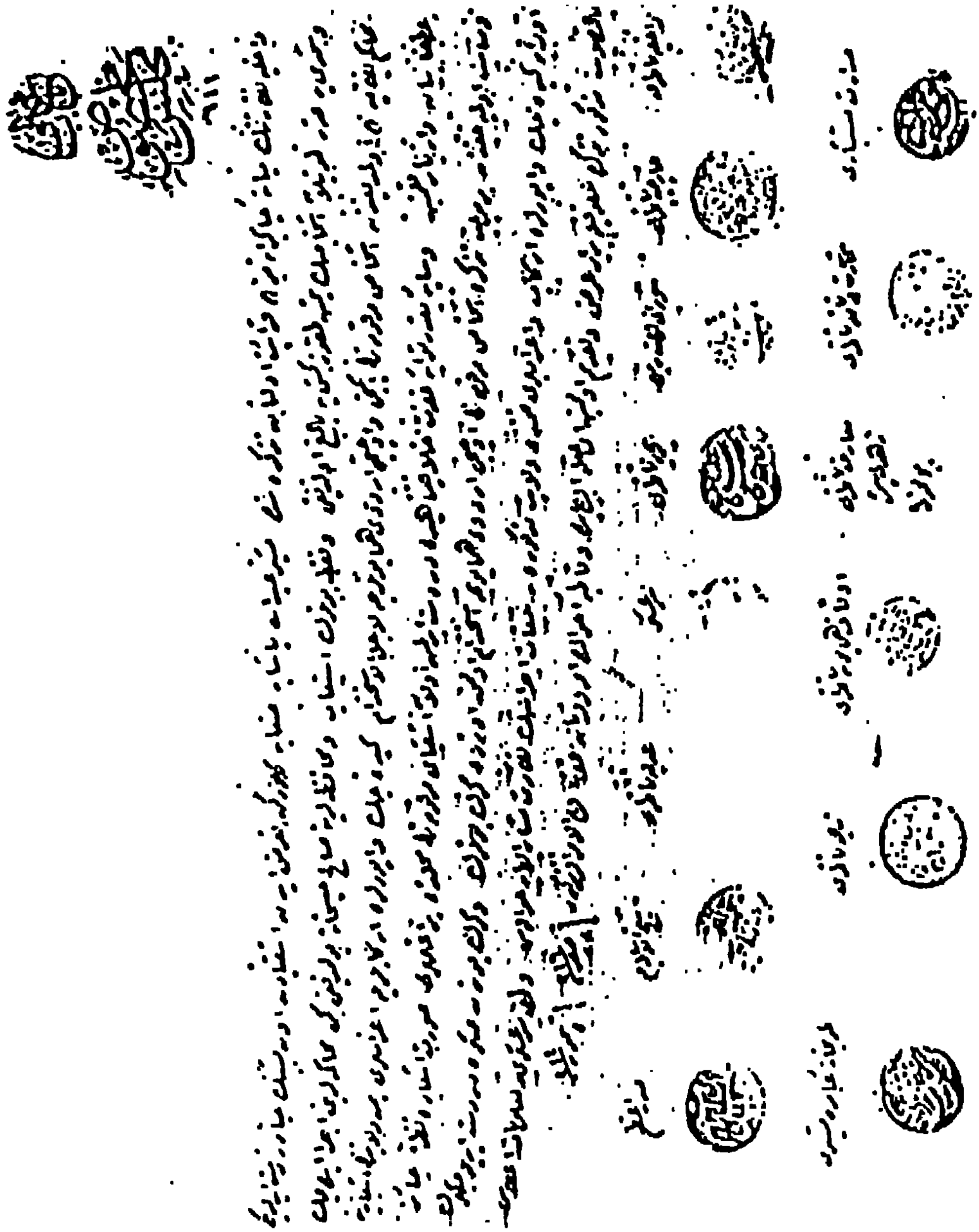
: ناصر بن مرشد بن حسين الغريبي.

: قاسم بن سعد، أبوهادي.

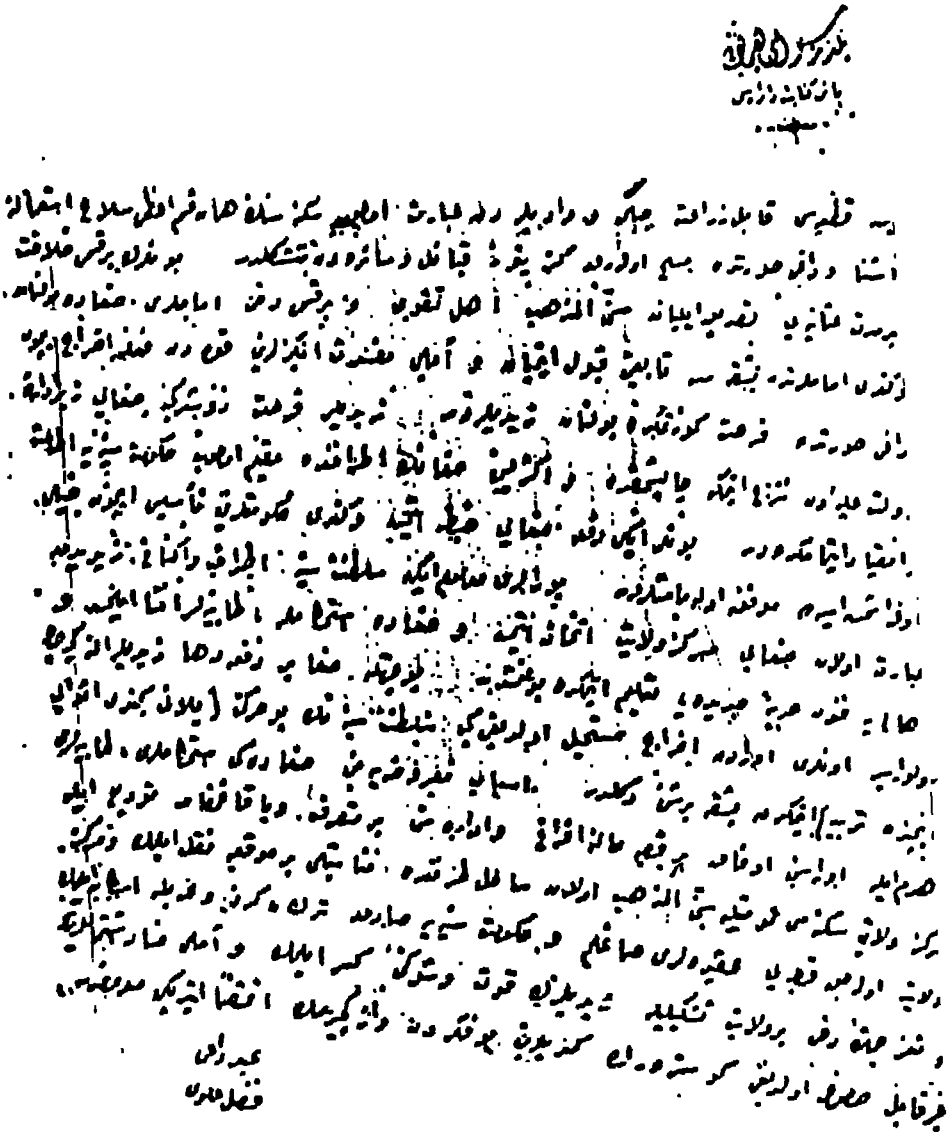
: شيرانهاد، علي بن جابر السندي.



وثيقة منح مقبل بن يحيى فارع قطعة نيشان مجيدي من الدرجة الخامسة



وثيقة اعتقال ١٥ يمنياً وارتفاع عدد المعتقلين إلى ٧٩ يمنياً.



وثيقة اقتراح قدمه فاضل علوي لترحيل الزيدية من حول صنعاء واسكانهم منطقة الساحل، وإحداث تبادل للسكان.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ما دامت الأرض والسماوات

أما بعد فهذه لائحة مباركة تتعلق ببعض أحوال جزيرة العرب وما يجب المبادرة إليه لإصلاحها وإعمارها وتأمين العباد والبلاد وانقيادهم لولاة الأمور وجلب قلوبهم إلى جانب الدولة العلية وقد عرضتها [illegible] المتوجهة إلى مسامع فخامة الصدر الأعظم والدستور الأكرم الذي قد وصلت إلى هذا الطرف الأشرف في العام السالف فاحمد أمن حضوري إلى هنا خدمة الملة والدين والنصح للإسلام والمسلمين وتثبت في ذلك كثيرا وقدمت لوائح عديدة تتعلق بإصلاح جزيرة العرب عموما وبالخطة الشريفة الحجازية خصوصا لاعتناء [illegible] مولانا أمير المؤمنين والدولة بتبليغ الإسلام وبذلت فيها جهدي بالنصح وقد حصل ولله الحمد نتيجة بعضها وهو ترتيب مدرسة المعارف بالحرمين الشريفين والمرجو من الله تعالى أن يحصل نتيجة الجميع على يد فخامتكم وتنالوا بذلك ثواب الدنيا والدين فإن من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة وإني قد قدمت خدماتي السابقة للدولة العلية في سياحتي في جزيرة العرب العراق ونجد والحجاز وسواحل بحر عمان وتوجهي [illegible] من طرف الدولة العلية [illegible] لمن اطلعت على أمورها [illegible] عليها غيري من الأتراك ووجب علي عرضها إلى مسامعكم راجيا من الله أن تحل محل القبول وأن يحصل منها النفع للدولة والملة والمسلمين فإنه هو المقصود والمأمول والذي يجب [illegible] من كريم أخلاقكم وجميل شيمكم وحبكم الخير للدولة والملة بادرت لتقديم هذه اللائحة سائلا من الله حسن التوفيق والهداية إلى أقوم طريقة

مقدمة

ليعلم أن جزيرة العرب وما قاربها من قطعة آسيا هي أشرف ما على وجه الكرة الأرضية على الإطلاق عند جميع أهل الأديان السماوية بالاتفاق وفيها الحرمان الشريفان والمسجد الأقصى ومعظم الأماكن المقدسة وإليها يفد الناس من كل فج عميق المسلمون إلى الحرمين الشريفين وبقية أهل الأديان السماوية مع المسلمين يشتركون في الوفود إلى المسجد الأقصى وقد من الله بهذه الأماكن الشريفة وجعلها تحت يد الدولة العلية حيث شرف سلطاننا المعظم بخدمتها على سائر الملوك وشرف الله البقعة التي دفن فيها الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم على السماوات العلى وعلى العرش والكرسي باتفاق علماء الإسلام ومن الحرمين الشريفين

فيما يلي صور بعض الصفحات من التقرير الذي رفعه عبدالرحمن بن أحمد الياس المدني المدرس بالحرمين الشريفين للدولة العلية لإصلاح أحوال الجزيرة العربية واليمن

على شوكة المرحوم عبد العزيز بن رشيد ورده صفايا ثم الآن ابن سعود مع الوهابي عبد العزيز بن عبد الرحمن
بن سعود وصار يمده بالأموال والسلاح حتى استولى على البر قطعة نجد وصارت قبائل العربان البادية
من غشيم الحركات مثل المسقف فيفضي إلى تحيد السيم لهذه المواد المرعية وامعان النظر فيها واستعمال
الوسائل اللازمة والأسباب الموجبة لما ينتظم به أحوال جزيرة العرب من حاضرة وبادية وما يكون سببا
في قطع أطماع الدول الأجنبية منها خصوصا دولة انكلترا ومن هو محب لما يراها من مشايخ البلاد والعربان
والذي تحسبه سياحتي في الجزيرة المشار إليها عراقا ونجدا وعمانا وحجازا واطلاعي على أمورهم فطالع عليها
أحد غيري وتبيّني لما جرى في هذه المقدمة تجاسرت بعرض هذا خدمة للدولة العلية وللملة والدين
ولمولانا أمير المؤمنين والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب

فيما يكون به إصلاح جزيرة العرب اليمن وحجاز ونجد

الوجه الأول

هو نشر العلوم والمعارف فيها بإنشاء مكاتب ابتدائية في أمصارها وقراها تعلم فيها ما يجب لله ولرسوله
ولأمير المؤمنين وللملة والدولة العلية عليهم وإرسال معلمين مقتدرين لإجراء ذلك وإرسال وعاظ
ومسلمين مقتدرين عالمين باللغة العربية إلى عشائر العربان أيضا يعلمونهم ذلك فإن هذا الأمر هو
يقودهم إلى السمع والطاعة أعظم مما تقودهم القوة الجبرية لأن انقياد الرغبة أعظم نفعا وأجلّ
فائدة من انقياد الرهبة انظروا إلى أول بدء الإسلام كيف كان وكيف الانقياد والدين أو جبرهم
لبذل أموالهم وأرواحهم في طاعة الله ورسوله ولم تزل العرب على هذه الجبلة والطبيعة حتى الآن

الوجه الثاني

هو منع دخول السلاح الجديد وصيانته في جزيرة العرب فإن في هذا المنع مصلحة عظيمة للانقياد العموم
وعدم خروجهم عن طاعة ولاة الأمر وإن لم يمكن منعه بالكلية فليكن تقليل دخوله

ما يتعلق بأحوال اليمن خصوصا

(١)

إن أسباب الفتن الحاصلة في اليمن ثلاثة أمور الأمر الأول هو استبداد المأمورين وارتكابهم لما لا يرضي
الله ورسوله من المنكرات والمعاصي وعدم إقامة الشريعة وتعدي المأمورين على أعراضهم
الثاني هو ظلم المأمورين لهم في تضعيف الحاصلات وأخذها منهم زيادة عما قرره الشرع والنظام عليهم
وتعدي المأمورين على من لم يوافقهم على ذلك

الوجه الثالث

هو عدم سماع التشكي منهم في حق المأمورين المستبدين الذين يظلمونهم وانهم كلما يشكوا الى المابين الهمايوني لا يوصل اهل الاغراض شكاياتهم الى امير المؤمنين وان بلغوا الشكاية ليبلغوا بعكس ما حرره اهل الشكاية وهذه الامور الثلاثة هي الموجبة للفتن الحاصلة في اليمن واذا وقعت ايضاحها ايضاحا لسائر حسن حالها ان الشيخ ابو الهدى منذ وقعت الاختلافات اليمنية جاء لما ذهب الى اليمن وراء اهل اليمن وسمعوا ما اداه وتكلم في مسئلة اصلاح اليمن يتوسلون انضمامهم وزادوا في امر الخروج عن الطاعة وكان ابو الهدى هو يلقنها بعض الناس كتابات ويعرضها الى امير المؤمنين بان اليمن اصلحها ابنه حسن خالد وان الاسباب في غاية الكمال والحال ان اهل اليمن في اعلا درجة الخروج عن الطاعة وفي اثناء تلك المدة وجد يتلبس الزيدية وفرقته وصار يجلب قلوب اهل اليمن حتى ان اكثرهم خرج عن الطاعة الشريفة ودا السوائم كاهل عسير وغامد وزهران وتبعه اكثر الزيود وحصل منهم ما حصل من الاستيلاء على صنعاء وغيرها من القرى واوجب الامر الى صرف الدولة العلية المصارف الجسيمة التي هي اكثر مما اختلسه المأمورون واشتغل بها ابو الهدى وابنه واعوانهم الذين كانوا يمنعون وصول الشكاية الى امير المؤمنين لاغراضهم الفاسدة ومنافعهم الذاتية فانا لله وانا اليه راجعون

بيان احوال اهل اليمن واختلاف مشاربهم لاختلاف مذاهبهم

ان اهل اليمن بالنسبة الى الديانة والمذاهب ينقسمون الى اربعة اقسام شوافع واسماعيلية باطنية وفرقة من الوهابية وزيود اعتقادهم في الاصول اعتقاد المعتزلة واما الشوافع اهل السنة والجماعة فهم اهل تهامة وبعض اهل الجبال واهل سواحل اليمن عموما والمذكورون اميل الناس قلوبا للدولة العلية واطوعهم لها واسرعهم انقيادا واسلمهم عاقبة ولكن معاملة المأمورين الظالمين نفرت قلوبهم ولاكن تأليفهم وجلب قلوبهم بسياسة حسنة ممكن في اقرب وقت

واما الاسماعيلية الباطنية فهم يميلون الى الدولة العلية ويبغضون الزيود بغضا شديدا وذلك لكون الزيود يستحلون دماءهم واموالهم ويحكمون بكفرهم وميلهم للدولة العلية لهذا الداعي ومساكنهم الجوف ونجران وبعضهم بقرب صنعا. واما الوهابية فهم بعض اهل عسير وغامد

٨/

الامر الخامس وهو الذي يكون سببا في اصلاح القبائل

هو ان تجلب مشايخهم بالامان واذا وصلوا يجعلون في اماكن وتجرى عليهم الضيافة ويكسى كل واحد منهم من الجوخ الاحمر وشالا على راسه ويفهمون ان ما ارتكبه بعض المأمورين مخالف لرضاء امير المؤمنين ووزراء الفخام وان المطلوب منهم الزكاة الشرعية وان كل شخص مكلف بان يأتي بزكاته الى المأمور الذي تجعله الدولة العلية لجباية الزكاة وانه لا يسلمها له حتى يأخذ منه سندا بالاستلام ويعلن ذلك في القبائل ثم وينبه على المشايخ ان لا يتعدى منهم احد على الرعية ويعلن عند الرعية ان المشايخ اذا ظلموهم يرفعون شكايتهم الى الحكام وهم ينصفونهم منهم ويردونهم عن ظلمهم بالسياسة الحسنة هذا في عربان تهامة واما عربان الجبال فيلزم جلب مشايخهم بالامان ايضا ويفعل معهم كما فعل مع مشايخ تهامة من الاكرام ويؤخذ منهم المواثيق اللازمة على السمع والطاعة ثم يتعهد كل شيخ بجباية زكاة قبيلته بنفسه والاتيان بها الى جابي الزكاة ويتفق معهم هذا في اول الامر واذا تمت اصلاحاتهم يعاملون حينئذ معاملة عربان تهامة ايضا

الامر السادس

هو ان يجعل لكل شيخ من المشايخ شيئ في مقابلة خدمته وينبه عليه ان لا يتعدى على اخذ اموال احد من الرعية وينبغي ان يعمل من الجوخ الاحمر وقدر بالاغا ثم جبة ويجعل في صدرها نشانات من القصب النحاس ثم وثلاثمائة شال احمر ويصحبها الوالي معه كسوة لمشايخ العربان فان هذه الكسوة تجلب بها قلوب جميع المشايخ ويفتخرون بها اكثر من النقود

الامر السابع

ان رئيس الزيود اعلن عند عامة اهل اليمن انه قام لاجل امر ديني ولاجل اقامة الشريعة ومنع المنكرات واقامة الصلوات ومن جملة ما ادخله في قلوبهم ان المأمورين والضباط والعساكر لا يصلون ولا يصومون ويشربون الخمر ويرتكبون المنكرات فينبغي ان يقابل بامر ديني حتى يظهر كذبه وهو التنبيه على المأمورين باقامة الشريعة وعدم شرب الخمور والتنبيه على الضباط بان يجروا الاذان الشرعي في كل طابور ويصلون مع النفرات بالجماعة في كل وقت الا من كان في نوبة او حرب او غير ذلك من الاشغال فان ذلك مما يجلب قلوب عامة اهل اليمن ويظهر كذب المدعي

ينبغي ان يعمل شمند وفير من اسكلة المخا الى ان يتصل بعضها ببعض فاصلا بين لحج وعدن فان فيه مصلحة عظيمة لتقطيع اطماع العربان الذين تحت حماية الانكليز عن التوصل الى اتباع الدولة العلية ولقطع الاتصال بين الانكليز وبينهم

وينبغي ايضا ان يرسل احمد الى امير حضرموت الكثيري ويعطى علما عثمانيا ينشره ويعلن انه تحت حكم الدولة العلية لئلا يتجاوز عليه القعيطي صاحب الشحر والمكلا الذي تحت حماية الانكليز ويتملك بعض ما له فانه قد بلغني من الثقة ان افكار القعيطي ان يستولي على حضرموت وعربانها شيئا فشيئا وانه الآن يحرك الدسائس في هذا الخصوص

ينبغي ايضا ان يرتب اما شركة حجرية من اتباع الدولة العلية متكونة من ست وابورات تكون في بحر عمان وخليج فارس والبصرة وفي البحر الاحمر تتعاطى جلب اموال التجارة وحملها من البصرة الى غاية السويس واذا وجدت عساكر تريد ان تتوجه الى اليمن تأتي العساكر الى العقبة وتحملها الوابورات المذكورة من هناك الى اليمن وكذلك تحمل العساكر من اليمن والحجاز الى العقبة كيلا تمر العساكر على قنال السويس وتسلم الدولة العلية من مصارف جسيمة بهذه الواسطة ويكون ايضا نقل ارزاق العساكر الدقيق والارز من البصرة الى اليمن فيها لان الحنطة والارز في العراق ارخص من كل جهة وعلى كل فنظر الدولة العلية وارباب حكومتها اعلى اسأل الله ان يوفقهم لما فيه صلاح الامور انه على ذلك قدير وبالاجابة جدير في ٥ شوال [illegible]

خادم الملة والدولة والدين
وخادم العلم والمدرس بالحرمين
الشريف عبد الرحمن
ابن احمد اليماني المدني

١٨٠٢

صور الوثائق اليمنية
المحفوظة عند الأهالي
«وثائق خاصة»

من كتاب لمولانا أمير المؤمنين المنصور بالله رب العالمين عليه الصلوة والسلام إلى أحمد غرابضا رجب ومن خط يده الشريفة نقل وبالله دايته

الشيخ الهمام الأكمل حمود بن مسعد أبو غانم حرسه الله من الشرور ووقاه المحذور . صدورها بعد وصول كتابكم المستطلع لما نطن فيكم من التمسك بأهداب العترة الزكية . أو الميل عنهم إلى الفرقة الأعجمية الخونة وقد علم الله أنا لا نريد إلا أبناء المفاخر والدعا إلى الله واليوم الآخر وأن نخرج العرب من ظلمة الحنادس ونغرس لهم من العز أطيب المغارس ه ولقد استولى على بعض العقلاء الإياس عن زوال العجم وصار وايشربون معهم بقيع العلقم ويصبرون على المذلة ويخوفون الناس بكل علة ويظنون أن العز في سلامة البيوت من الخراب وفي التذلل للعجم بخفض الجناب وليس كذلك فلا يصرع الامن لانت لهم قناته ولا يعز ويرفع إلا من صلحت اعماله ونياته وانا نحب لكم معالي الأمور وطلب حسن الخاتمة قبل حلول القبور وانت من ذوي العقول الراجحة فاختر لنفسك ما يحلو والسلام ختام شهر رمضان سنة

رسالة من الإمام إلى حمود بن مسعد، أبوغانم



رسالة من الإمام إلى الشيخ عبدالله بن يحيى الوادعي


السيد الهمام الرشيد عبدالله بن يحيى الوادعي
اسبل الله عليه اثواب الجلال وحباه بالافضال
صدورها وانتم ممن
النظر ويحق له التصدير
العناية المشتملة
على المودة والرعاية
تعلمون أن الله أوجب لك المحبة

رسالة من الإمام إلى الشيخ عبدالله بن يحيى الوادعي



رسالة من الإمام إلى بيت الربيدي في صنعاء التجار لتجديد الامتيازات


بسم الله الرحمن الرحيم

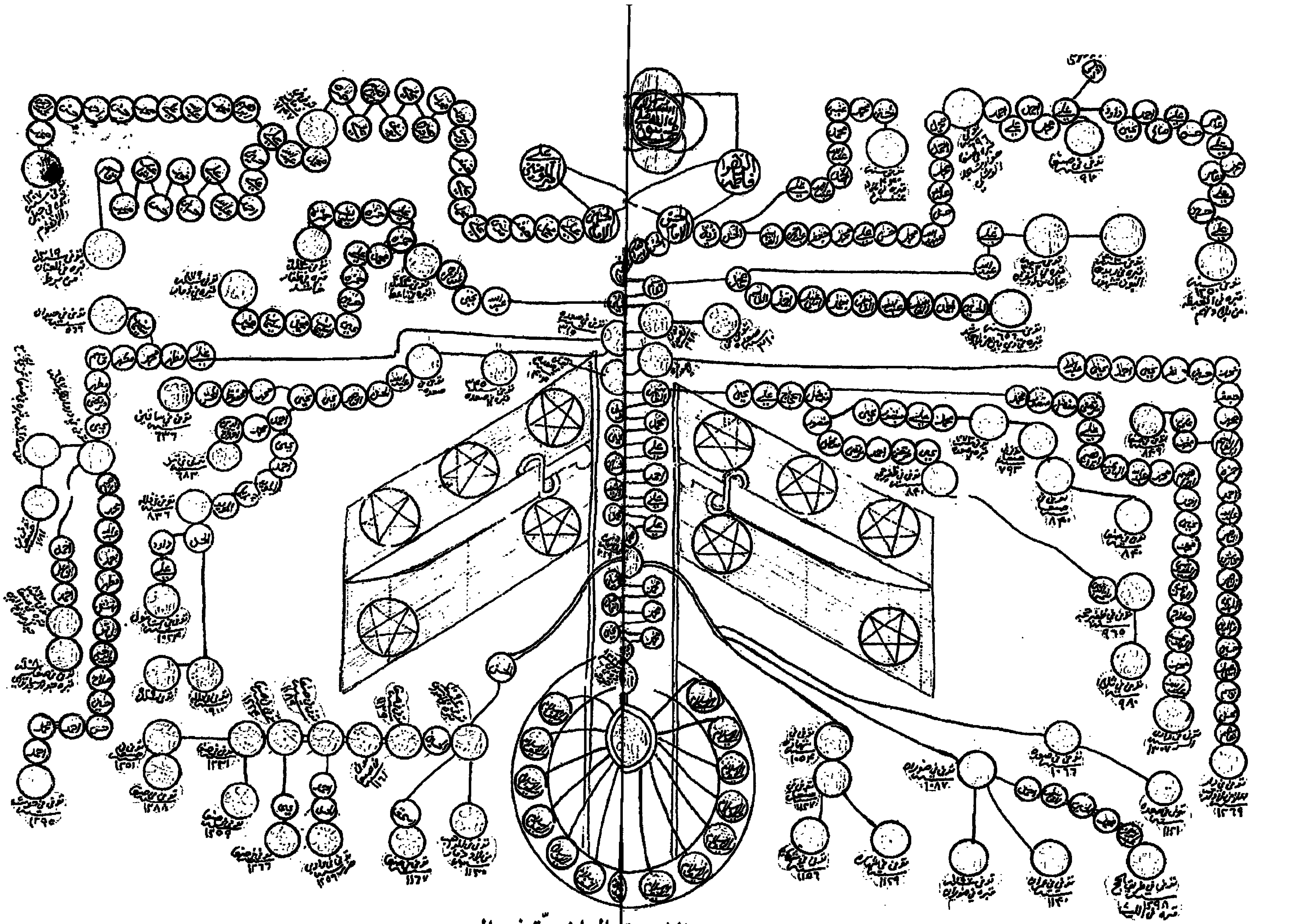
وعافاه واصلح دينه ودنياه

وصرف عنه الشرور

ولقد طالت الفتنة في اليمن

وتميز فيها الغث من السمين وكلما مضى عام

رسالة من الإمام إلى عبدالرقيب



شجرة نسب الاسرة الهاشميّة في اليمن

الفهارس العامة

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

فهرس الأقوال المأثورة

فهرس الأعلام الواردة في الجزء الأول

فهرس الأعلام الواردة في الجزء الثاني

الألقاب

الجمالي	يلقب	به	مَن	اسمه	:	علي
الحسام	يلقب	به	مَن	اسمه	:	محسن
الشرفي	يلقب	به	مَن	اسمه	:	حسن أو حسين
الصارم	يلقب	به	مَن	اسمه	:	إبراهيم
الصفي	يلقب	به	مَن	اسمه	:	أحمد
الضياء	يلقب	به	مَن	اسمه	:	إسماعيل أو لطف، أو حمود أو صالح
العزي	يلقب	به	مَن	اسمه	:	محمد
العلم	يلقب	به	مَن	اسمه	:	قاسم
الفخري	يلقب	به	مَن	اسمه	:	عبدالله
الوجيه	يلقب	به	مَن	اسمه	:	عبدالكريم أو عبدالرحمن أو عبدالملك.

القبائل والأمم والشعوب والبطون

ملاحظة: العجم، وردت في معظم صفحات الكتاب.

مسرد الأماكن الجغرافية

الأشعار في الجزء الأول

الأشعار في الجزء الثاني

الكتب التي وردت في الجزء الأول والثاني

الأمطار والأمراض والحوادث الطبيعية

الحيوانات والطيور والحشرات المذكورة في الجزء الأول والثاني

المصطلحات الحضارية
والوظائف والرتب العسكرية والمدنية

فهرس الجزء الأول

فهرس الجزء الثاني

تطلب جميع منشوراتنا من

الشركة المتحدة للتوزيع

بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف ٣٤٣٠٢٠ ـ ٨١٥١١٢ ـ ص.ب: ٧٤٦٠ ـ برقيا: بيوشران